

دكتور محمد عبد الفنى سعودى

الجغرافية السياسية المعاصرة

دراسة الجغرافيا والعلاقات السياسية الدولية

منتدى سور الأريكية

www.books4all.com



مكتبة الأنجلو المصرية



الجغرافية السياسية المعاصرة

دراسة الجغرافية والعلاقات السياسية الدولية

دكتور

محمد عبد الغنى سعودى

عميد معهد البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة



مكتبة الأنجلو المصرية

ممنوع منعًا باتًا إعادة إنتاج أو طبع أو نقل
أى جزء من هذا الكتاب أو وسائل إيضاح بأى
وسيلة من الوسائل قبل الحصول على موافقة
خطبة مسبقة من المؤلف.

أسم الكتاب : الجغرافيا السياسية المعاصرة

أسم المؤلف : د. محمد عبد الغنى سعودى

أسم الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية

أسم الطابع: مطبعة محمد عبد الكريم حسان

سنة الطبع : 2010

رقم الإيداع : ٩٩٥٢

الترقيم الدولى : 4 - 1557 - 05 - 977 I.S.B.N

فهرس الكتاب

تصدير (١-٤)

تمهيد الجغرافية السياسية محال ومنهج (٤ - ١٤)
المجال - ديناميكية الجغرافية السياسية - مناهج البحث فيها - الجيوبوليتك

الأسس الجغرافية لتقييم الدولة من الناحية السياسية

مقدمة (١٥)

الباب الأول : الأسس الطبيعية

الفصل الأول : العلاقات المكانيّة : الموقع الفلكي - الموقع بالنسبة لكثّل اليابس والمسطحات المائية - الموقع بالنسبة للجيران - الأهمية الإستراتيجية. (٦ - ٢٧).

الفصل الثاني : مساحة الدولة وشكلها: تفاوت المساحات - نمو الدولة - المساحة المناسبة - المساحات الكبيرة - أشكال الدول - موقع العاصمة - لماذا تنقل الدولة عاصمتها؟ عواصم متعددة برلين عاصمة لدولة ونصف دولة ثم عاصمة للدولة - النواه أو قلب الدولة - النواه في غرب أوروبا. (٢٨ - ٣٩).

الفصل الثالث : المظاهر الطبيعية - البناء الجيولوجي والتضاريس - الأنهار - الملاحة في الأنهار الدولية - وظائف أخرى - الماء والأمن القومي - المناخ. (٤٠ - ٤٨).

الباب الثاني : الأسس البشرية

الفصل الأول : السلالة : مفهوم السلالة - أسطورة السلالة - الأديان والتميز العنصري - الإستعلاء العنصري على أساس حضاري - التمييز على أساس السلالة في العالم - أسطورة الرجل الأبيض - المشكلة اللونية. (٤٩ - ٥٤).

الفصل الثاني : اللغة والدين - اللغة للقومية - اللغات الرئيسية في العالم - التعدد اللغوي - الأقليات اللغوية.

الدين : الدين والدولة - الوثنية الجديدة - الديانات الرئيسية في العالم - البناء الديني داخل الدولة - حب الوطن وحب العقيدة - تقسيم الدولة فيما يختص باسين. (٥٥ - ٦٣).

الفصل الثالث : التركيب القومي : الدول، الأمة والشعب، أساس القومية - أنواع الأول بحسب التركيب القومي - البسيط - المركب - المجتمعات التعددية - الأقليات الثقافية - مفهوم الأقلية بالمعيارين العددي والاجتماعي - انبعاث الحركات الانفصالية بشدة - هل ينقسم العالم إلى ٤٠٠ دولة؟ أسباب بقاء الاضطرابات القومية في الوقت الحاضر - كيف تتعامل الدول مع الأقليات. (٦٤ - ٧٤).

الفصل الرابع : السكان والتكنولوجيا : نمو السكان - حجم السكان - أثر الصراع السياسي على السكان - التجمعات الرئيسية لسكان العالم - السكان والقوة - التكنولوجيا - لماذا يعرف عصرنا بعصر ما بعد الصناعة - التكنولوجيا. (٧٥ - ٨٦).

الباب الثالث : الأسس الاقتصادية

الفصل الأول : الموارد والقوى: تعريف الموارد، ونقسمها بحسب درجة توافرها - الموارد الغذائية - موارد الوقود - المعادن الاستراتيجية - الموارد الصناعية. (٨٦ - ١٠٠).

الفصل الثاني : المنظور السياسي لإقتصاديات العالم وأقاليمه - أقاليم العالم على أساس الكفاية من الموارد الطبيعية - كيفية فحص المركب الإقتصادي للدولة - التركيب الإقتصادي - التركيب الإقليمي - طبيعة التقسيم الإقتصادي والاجتماعي - التباين في التركيب الإقتصادي للدولة - المتقدمون والمتخلفون - مقاييس النمو - أعراض التخلف - الفقر والاضطرابات - الإخفاق الإقتصادي والعنف - الشعور بالقهر يولد قوة كامنة لا حدود لها في البشر. (١٠٠ - ١١٨).

نماذج تطبيقية لمشكلات كمعاصرة

الفصل الأول : مشكلات أساسها طبيعي:

* الدولة الحبيسة : الموقع الجغرافي الداخلي - الوصول إلى البحر عن طريق الأنهار - الوصول إلى البحر عن طريق الممرات - الترانسيت.
* قضية المياه في الوطن العربي : ندرة المياه تركيا ونهب المياه العربية - إسرائيل ونهب المياه العربية - مياه النيل بين مصر والسودان. (١١٨ - ١٣١).

الفصل الثاني : مشكلات أساسها بشري واقتصادي:

* قضية الدين : الدين وإسرائيل - البوسنة والهرسك - أيرلند - الهند.
* قضية القومية : قبرص - الأكراد - تشيكولوفاكيا - بلجيكا.
* قضية التباين الإقتصادي : تمرد الشمال الإيطالي - تمرد الهنود في المكسيك - دارفور في السودان. (١٣٢ - ١٥٧).

الفصل الثالث : زيادة السكان كمشكلة سياسية (بشرية واقتصاد) (١٥٨ - ١٧٠).

الحدود السياسية ومشكلاتها

الفصل الأول : الحدود السياسية - التخوم والحدود - ضرورة الحدود السياسية في العصر الحديث - تعيين خط الحدود ورسمه - تصنيف الحدود - التصنيف الوظيفي - التصنيف المورفولوجي - الحدود الصناعية - أي الحدود أفضل. (١٧١ - ١٨٥).

الفصل الثاني : مشكلات الحدود السياسية - أنماط منازعات الحدود - ما راء مشكلات ومنازعات - الحدود السياسية - الحدود السياسية في أفريقية - بعض مشكلات الحدود الأفريقية - مشكلة الأفيي - الحدود الصومالية الأثيوبية - الحدود الجنوبية لمصر (حلايب) نماذج لمشكلات الحدود في آسيا وأمريكا اللاتينية - كشمير - مشكلات الحدود الصينية - مشكلة شط العرب - مشكلة صحراء اتكاما - حدود شيلي وأرجنتين. (١٨٦ - ٢١٣).

الفصل الثالث : المياه الإقليمية : السيادة البحرية - كيف يحتسب عرض المياه الإقليمية - وظيفة المياه الإقليمية - النزاع في البحار الشمالية - النزاع في عرض البحر المتوسط - النزاع اليوناني التركي - المضائق التركية - نطاقات المياه البحرية - عرض المياه الإقليمية لبعض الدول. (٢١٤ - ٢٢٦).

القوى العالمية

تمهيد :-

مفهوم القوة : القوة الاقتصادية ركيزة السياسية - ماكندر والهارتلاند - سبيكمان والنطاق الهامشي - ماكيندر وسبيكمان في ميزان القوة العالمية. (٢٢٧ - ٢٤٠).

الفصل الأول : الولايات المتحدة : نمو الولايات المتحدة ت تعمير القارة حتى الاستقلال - الوصول إلى الباسيفيك - النمو في الباسيفيك وأمريكا الوسطى - الاسكا - ميدواي وجوام والفلبين وهاواي - أمريكا اللاتينية - قناة بنما - توتر علاقات بنما مع الولايات المتحدة - اتفاقية ديسمبر ١٩٧٧ - الخروج من الأزمة - الولايات كقوة سياسية - العلاقات المكانية وأثرها - الحدود السياسية - مساحة الولايات المتحدة وأثرها - الولايات المتحدة الأمريكية دولة قارية بحرية - سكان الولايات المتحدة - البناء الاجتماعي لسكان الولايات المتحدة الأمريكية - العناصر البيضاء - أقليات ذات وضع خاص - اليهود الأمريكيون - الأسبان الأمريكيون - ذور الأصول الآسيوية - الملونون - الأقلية السوداء - التباين في المستوي الاقتصادي بين السود والبيض - الهجرة العكسية من الولايات المتحدة - الإنتاج الزراعي ومكانة الولايات المتحدة في الإنتاج الزراعي العالمي - الإنتاج المعدني - الإنتاج الصناعي - مشكلات تواجه الصناعة الأمريكية - إحدار الولايات المتحدة الأمريكية من القمة إلى السفح من النواحي الاقتصادية - القوة العسكرية على حساب الداخل - مؤشرات التدهور في الداخل - إنكماش اقتصادي - تراجع الأوضاع الصحية - تراجع التعليم. (٢٤١ - ٢٨١).

الفصل الثاني :

روسيا الاتحادية وريثة الاتحاد السوفيتي - ظهور النجم - أفول النجم - الإعلان الرسمي لوفاء الاتحاد السوفيتي - الاتحاد الروسي أو روسيا الاتحادية - العلاقات المكانية لروسيا الاتحادية - المساحة - مناخ روسيا الاتحادية - التركيب القومي لروسيا الاتحادية - ديموغرافية روسيا الاتحادية - توزيع السكان - روسيا الاتحادية بين الحضر والريف - اقتصاد روسيا الاتحادية - الإنتاج الزراعي - الإنتاج الصناعي - مشكلات روسيا الاتحادية - مجتمعات تعاني من صدمة - الكومنولث الأوروبي / الآسيوي أو الرابطة المفككة - مجموعة دول بحر البلطيق - مجموعة دول غرب روسيا الاتحادية - مجموعة آسيا الوسطى - مجموعة جمهوريات القوقاز - فشل النتائج المتوقعة من رابطة الكومنولث - تدهور الأوضاع في ظل فوضى شاملة - حقائق الاقتصاد الروسي بالأرقام - معالم روسيا الاتحادية (٢٨٢ - ٣٠٧).

الفصل الثالث : أوروبا والأحداث الثلاث - الوحدة الأوروبية - تغيرات اقتصادية وسياسية واجتماعية - أوروبا تفرض تسيد الولايات المتحدة الأمريكية - تطور الوحدة الأوروبية - مشكلات الوحدة الأوروبية : هل الاتحاد فيدرالي؟ - الحدود السياسية - قضية العملة - المواطنة - محطات رئيسية في مسيرة الوحدة الأوروبية - أوروبا الغربية عماد الوحدة الأوروبية سمات عامة - مقارنة بين الثلاث الكبار. (٣٠٨ - ٣٥٥).

الفصل الرابع : ألمانيا - فرنسا - المملكة المتحدة.

ألمانيا : العلاقات المكانية - قوة ألمانيا - القوة الإقتصادية - السكان - نمو ألمانيا كوحدة سياسية - التوسع الألماني بعد الوحدة - التوسع الألماني الهتلري - تقسيم ألمانيا عقب الحرب الثانية - النمو الإقتصادي لألمانيا الغربية - الصناعات الرئيسية - الوحدة الألمانية - ألمانيا الدولة الأوروبية الأولى - مظاهر القوة الألمانية - المطالبة بمقعد في مجلس الأمن - المطالبة باعتماد اللغة الألمانية كلغة أساسية في الاتحاد الأوروبي - تشكيل جيش أوروبي موحد - إختيار فرانكفورت عاصمة مالية لأوروبا الموحدة - دعم اقتصاديات بعض دول أوروبا الشرقية - مفهوم ألمانيا للوحدة الأوروبية. (٣٢٤ - ٣٣٧).

فرنسا : العلاقات المكانية - إقتصاديات فرنسا - الإنتاج الزراعي - الإنتاج الصناعي - التحول الكبير الإنتاج المعدني - سكان فرنسا - استراتيجيات الحدود - ماذا تريد فرنسا على المستوى العالمي - إنسحاب فرنسا من قوة المراقبة الجوية في العراق - قضية الأمين العام للأمم المتحدة - قيادة حلف الأطلسي - الفرانكفونية منظمة سياسية دولية - التعاون مع روسيا والصين. (٣٣٨ - ٣٤٨).

المملكة المتحدة : معالم رئيسية - الماضي العتيق - تفهقر الصناعة البريطانية التقليدية، وظهور صناعات جديدة - هبوط النمو السكاني - اختفاء المستعمرات - بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية إلى أين. (٣٤٩ - ٣٥٥).

الفصل الخامس : آسيا الشرقية : تمهيد:

اليابان : العلاقات المكانية - دولة مستوردة لغذائها وخاماتها ووقودها ت الناتج المحلي والتجارة الخارجية - الطاقة النووية - الصناعة - صناعة الصلب - صناعة السيارات - صناعة الحاسبات - الإنسان الآلي - الاستثمارات الخارجية - طلب مقعد دائم في مجلس الأمن - أسباب العملة العالمية - البشر - اقتصاد المنتجين واقتصاد المستهلكين. (٣٥٦ - ٣٦٥).

الصين : من قزم سياسي إلى عملاق اقتصادي - مؤشرات القوة الناتج القومي الإجمالي - تجارة خارجية ضخمة - دخول الصين منظمة التجارة العالمية - إحتياطي النقد الأجنبي - الإستثمارات الأجنبية - الردع النووي والوزن الاستراتيجي للصين في آسيا، علاقات جيدة مع الجيران - الصين في الفضاء - عدم المساواة في النمو بين أقاليم الصين. (٣٦٥ - ٣٧٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

كثيرا ما يتعرض كتاب في الجغرافية السياسية للنقد، وذلك لعدم وجود حدود واضحة لذلك الفرع من العلوم الجغرافية، إذ أنه يتداخل مع التاريخ، ومع علم الجيوبوليتك، ورغم هذا فمما لا يذكره إنسان هو تلك العلاقات الوثيقة بين الشئون والأحداث الدولية كمن ناحية، والبيئات الجغرافية التي تظهر فيها من ناحية أخرى، ولعل الصعوبة تظهر في رسم خط واضح بين ما هو جغرافي وما هو غير جغرافي، ومن ثم كان عمل الجغرافي السياسي في منطقة الحدود المشتركة بين الجغرافية والتاريخ والسياسة، أو تخومها، ومطبقاً فنه الخاص، وطرائقه الخاصة، ليسهم بتصنيف في العلوم القريبة من علمه، على أنه حذارى أن يكرر عمل الفروع المتخصصة الأخرى.

ولعلنا نتفق جميعاً، على أنه من بين الأسس المستعملة لتقسيم العالم إلى وحدات أو أقاليم، كانت الوحدات السياسية أكثرها شيوعاً، فبالنسبة لكثير من الدارسين قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، كانت خريطة العالم التي تعرض أمامهم هي خريطة العالم السياسية، وفيها كل وحدة سياسية، وقد اتخذت لونا معيناً، مثل هذه الخريطة كانت في هي المؤلفوة لدى الدارسين، لكنها في نفس الوقت تغفل كثيراً من الحقائق الجغرافية كأشكال السطح، والغطاء النباتي، وتوزيع السكان، وأنماط الإقتصاد السائد، وغيرها من المظاهر الحضارية، من ثم لم تعط إلا صورة غير كاملة لم تفصح إلا عن جزء من الحقائق الجغرافية.

رغم هذا، فهناك تبرير كثير للتأكيد على الوحدات السياسية عند دراسة الأرض كوطن للإنسان، على اعتبار أن السلطة السياسية في كل قطر من الأقطار، تؤثر لاشك في ضرب المعيشة، وفي طرق إستغلال الإنسان للأرض.

فالجغرافية السياسية إذن، فرع قديم من فروع الجغرافية، كتب فيها *أرسطو*، و*أفلاطون*، وإن كان مفهوماً منذ نحو نصف قرن على أنها ترديد لقوائم من الوحدات السياسية، وعواصمها، ومراكزها، ومدنها، مما أدى إلى قيام ثورة على تدريس الجغرافية بهذا الأسلوب^(١).

وهذا الفرع من فروع الجغرافية، ظل لا يلقي العناية الجديرة به مدة طويلة وبرجع هذا إلى رغبة جغرافي القرنين الثامن والتاسع عشر في الهروب من سيادة الأقاليم السياسية، كالإطار الوحيد لما عرف باسم الجغرافية الإقليمية، وقد يرجع هذا إلى الخوف من تبعيتهم للتاريخ، من ثم لجاءوا إلى الظروف الطبيعية، وقسموا على أساسها العالم، إلى أقاليم طبيعية، ومع تقدم فروع العلوم الطبيعية بدعوا يهملون الحدود السياسية تماماً.

1- Freeman. T.W.A Hundred Years of Geography, Dukwroth, London, 1961.P.205.

ويرجع تعبير الجغرافية السياسية إلى العالم الألماني *كانت* (١٧٠٣ — ١٧٢٤) *Kant*، الذي اعتبر أبا للجغرافية السياسية، وكان يدلي بأسس الجغرافية السياسية أثناء محاضراته في الجغرافية الطبيعية (٢). ولم تجد أفكاره صدى خارج وسط أوروبا وألمانيا، وإن كان قد تتلمذ عليه في بلاده مجموعة من الجغرافيين من أمثال *كارل ريتز* *Ritter K* (١٧٧٩ — ١٨٥٩)، و*فريدريك راتزل* *Ratzel, F* الذي ألف كتاب الجغرافية السياسية *Geographie Politisch* وفيه يشرح العوامل الجغرافية التي تتحكم في نمو الدولة وتكوينها، وأن حدود الدولة قابلة للنمو، والزحزحة، حتى تبلغ حدودها الطبيعية، وتتعداها إن لم تجد المقاومة من الجيران، وبذلك كان نمو مفهوم المجال الحيوي *Lebensraum* من صنع *راتزل* أيضا، ليس بغريب أن يصبح *راتزل* هو الخالق الفعلي لهذا الفرع من فروع الجغرافية.

غير أن الفضل يرجع إلى الجغرافي السويدي *كيلن* *K. Jellen, R.* في استعمال لفظ *Geopolitik* والتميز بينه وبين الجغرافية السياسية *Political Geography* وتنبأ *كيلن* بقيادة دولة عظمى *superstate* في أوروبا وأفريقية وآسيا، وأن الدولة العظمى في أوروبا ستكون ألمانيا. وتأثر في أفكاره إلى حد كبير بالجغرافيين الألمان، وخاصة *راتزل*، فالدولة في نظره كائن حي، ويعتمد بقاؤها على سكانها، وحضارتها، واقتصادها، وحكومتها، وأراضيها. كما تنبأ بزوال الإمبراطوريات البحرية، وانتقالها إلى الدول البرية التي سوف تسيطر بدورها على المسالك المائية. وقد أثرت أفكار *كيلن* بدورها على علماء الجيوبوليتكا في ميونخ، الذين راجعوا آراءه، وأعادوا نشر بعضها.

وتعتبر الحرب العالمية الأولى نقطة تحول كبير نحو زيادة العناية بالجغرافية السياسية في ألمانيا وخارجها. وكان *كارل هوسهوفر* *Haushofer* الوريث الفكري ل*كيلن* مخترع الجيوبولتيك فإن *هوسهوفر* نبي الجيوبولتيك (٣). وكان رجلا عسكريا، أرسل إلى اليابان عام ١٩٠٨ كخبير في المدفعية، وأعجب أيما إعجاب بالشرق الأقصى، ونادي بضرورة وجود علاقات بين ألمانيا واليابان. واشترك في الحر العالمية الأولى. وبعد خروج ألمانيا منهزمة شغل كرسي الجغرافية والعلوم العسكرية في جامعة *ميونخ* عام ١٩١٩. وكون هو ورفاقه معهد العلوم السياسية *Institut Fur Geopolitik*، وكان لنشرات هذا المعهد العلوم في مد الحكومة الألمانية بكثير من الحقائق والمعلومات النافعة، فضلا عن نشر الثقافة الجيوبوليتكية بين الألمان، عن طريق مجلة العلوم السياسية *Zeitschrift Fur Geopolitik* التي كان يرأس تحريرها.

وتتلخص آراء *هوسهوفر* في أنه كان متأثرا إلى درجة كبيرة بفكره المجال الجغرافي لأنه يتحكم في تاريخ البشرية، كما أن الدولة يجب أن تتوسع أو تهلك، ومن رأيه أن

² - CRLSON, I. Geogtaphy and World Politics Prentice Hall 1959, P.14.

³ - Cralson, L. ibid, P.17.

مكونات الدولة القوية أربعة :

عدد وفير من السكان، ونسبة عالية للمواليد، واتحاد تام بين دم سكانها وتربتها، ثم توازن عادل بين سكان حضرها وريفها. وهذا تأثر لاشك بأراء راتزل وكيلىن.

وعاصر الجغرافي البريطاني هالفورد ماكندر *Mackinder, H.* الجنرال هوسيهوفر، وخرج على العالم بنظريته في الإستراتيجية الكوكبية، والتي فصلناها في الفصل الأخير من الكتاب، وقد أثارت نظريته عن توزيع القوي السياسية في العالم والتي عرضها أول مرة عام ١٩٠٤، التي نقحها أكثر من مرة، العديد من المناقشات طوال فترة تقرب من نصف قرن (٤).

وكانت الحرب العالمية الأولى داعيا إلى ظهور هذا الفرع وتنشيطه في الولايات المتحدة الأمريكية، ذلك أن الحكومة الأمريكية كلفت العديد من الجغرافيين الأمريكيين بعمل العديد من دراسات للمشكلات الأوروبية سواء في المراحل التمهيدية في الجمعية الأمريكية، أو كأعضاء في وفد الرئيس ولسن في مؤتمر السلام، ولم يكن أحد منهم قد سبق له المران على هذا النوع من الدراسة أو الكتابة فيه (٥).

وكان بومان *Bowman, I.* رائد الجغرافيين الأمريكيين في هذا المجال، وكان كتابه *العالم الجديد* (٦)، هو المرجع الرئيسي لمشكلات ما بعد الحرب العالمية الأولى، خاصة وأن صاحبة كان أحد المختصين القلائل في مفاوضات الصلح عقب الحرب العالمية الأولى، كما كان مستشارا للرئيس روزفلت أثناء الحرب العالمية الثانية.

وظهر في الولايات المتحدة الأمريكية أيضا درونت ويتلسي *Whittlessey, D.* وريتشارد هاتشورون *Hartshorn, R.* وفان فلكنبرج *Valkenburg, V.* ونورمان بونلز *Pounds* وغيرهم، أما المدرسة الأوروبية فقد ظهر فيها إلى جانب ماكندر البريطاني، سيفجيك *Civigic* اليوغسلافي وديمارتون *De Martonne* الفرنسي حينما كتب عن الدولة الحديثة في وسط أوروبا عقب الحرب العالمية الأولى.

ويقول فريمان عن منهج ماكندر وبومان وسيفجيك في معالجة موضوعات الجغرافية السياسية :

إن بومان يريك الغابة والأشجار، بينما ماكندر يريك الأشجار، وسيفجيك يعرض أمامك الأشجار التي درستها جيدا.

٤ - Mackinder, H. " The Geographical Pivot of History " Geog. Jour. Vol. 3. 1904. Democratic Ideals and Reality, New York, 1919, reissued, 1942.

٥ - Hartshorn R. American Geography, Inventor, Prospects Siracuse, 1954, P. 170.

٦ - Bowman, I. The new World, Problems in Political Geography, New York, 1921.

تمهيد

الجغرافية السياسية : مجال ومنهج

المجال :

الجغرافية السياسية جانب من جوانب الجغرافية البشرية، بينما تدرس الجغرافية البشرية بوجه عام العلاقة بين البيئة والإنسان بغض النظر عن الأشكال السياسية، أي على أساس الإقليم الجغرافي *Geographical Region*، نجد أن الوحدة السياسية هي أساس هذه العلاقات عند باحث الجغرافية السياسية، فالوحدة الأولى نتاج الطبيعة، بينما الثانية نتاج البشر. حوض الدانوب مثلا قد يوحى بوحدة جغرافية، ولكن الخريطة السياسية تشير على عذة وحدات سياسية (رومانيا، بلغاريا، يوغسلافيا السابقة، والمجر)، وشمال غربي أفريقية يوحى بوحدة جغرافية، ولكن تنتظمه ثلاث وحدات سياسية (تونس والجزائر والمغرب) وهكذا.

إذن الجغرافية السياسية، هي دراسة الوحدات أو الأقاليم السياسية كمظاهر على سطح الأرض، وما تشتمل عليه هذه الوحدات، من شعوب وجماعات. ويتوقف إمتداد هذه الأقاليم وطبيعتها، على تباين الظواهر السياسية التي تسود العالم، ففي بعض جهات من العالم، نجد أن الأقاليم السياسية لها صفة الاستقرار النسبي لمدة زمنية طويلة، بينما نجدها في جهات أخرى من العالم يصيبها تغيرات سريعة، ونضرب مثلا بالسويد والنرويج في شبه جزيرة اسكنديناوة، وكندا والولايات المتحدة الأمريكية في الحالة الأولى، وبألمانيا وبولندا في الحالة الثانية.

وهكذا بينما تنشأ الجغرافية الإقليمية التباين الأرضي، تركز الجغرافية السياسية على تباين الوحدات السياسية، فإذا كانت الأولى سرديّة شاملة، فإن الثانية أكثر تحديدا.

وبدراسة الظواهر السياسية *Political Phenomena* وارتباطها بظواهر سطح الأرض الأخرى، والمسطحات المائية، وأنماط الاستقرار يمكن للباحث الجغرافي أن يحلل، ويعلل، الطرق المختلفة التي نظم بها الإنسان هذه الأرض، إلى أنماط سياسية كزائير، أو الصين، أي يدرس الدولة على اعتبار أنها الأساس الأول للوحدات السياسية، ولكنه قد يدرس إقليما داخل الدولة كمقاطعة، أو ولاية، أي وحدة إدارية كولاية كيبك في كندا، ولماذا كانت نشازا في جوقة العزف الكندية. ويتعدى مجال الجغرافية السياسية دراسة الدولة المستقلة ذات السيادة التامة، إلى دراسة الأقطار التابعة بشكل أو آخر، كجنوب غرب أفريقية، فيمكن دراستها في نطاق الجغرافية السياسية شأنها شأن الدول المستقلة تماما، ومن التنظيمات السياسية التي نعلو هناك المنظمات الدولية التي قد ترضي الدولة بانضمام إليها بمحض اختيارها سواء كانت منظمات إقليمية، كمنظمة شمال الأطلسي *NATO* أو منظمة جنوب شرق آسيا *SEATO*، أو منظمات اقتصادية (كالاتحاد الأوروبي *EU*) وهذه المنظمات، الغرض منها تسهيل الوصول بأعضائها

على أهداف معينة، متفق عليها في معاهدات، أو اتفاقيات، وأخيرا هناك المنظمات العالمية كالأمم المتحدة (٧).

وقد تقوم دراسات أصولية *Systematic* لبعض الظواهر السياسية على سطح الأرض، كالحُدود السياسية، أو العواصم، أو دراسة مشكلة السكان في العالم، كمسألة سياسية أو دراسة مشكلة الملونين في الولايات المتحدة الأمريكية، أو اللاجئين والآثار السياسية للشركات المتعددة الجنسية، والتلوث البيئي ونفاد الموارد والوفرة والحرمان بين الشمال والجنوب وغيرها من الموضوعات التي أصبحت عالمية، ومتخطية للحدود السياسية، ولكن يجب ألا نهمل ظواهر الأرض غير المنتظمة في وحدات سياسية، إذا تميزت بوجود بعض الظواهر السياسية المتعلقة بها، التي قد تؤدي إلى خلق مشكلات دولية كأحواض الأنهار، النيل بين مصر السودان وأوغندا، والسند بين الهند وباكستان، ودجلة والفرات بين تركيا والعراق وسوريا. وهناك دراسة المراكز التي تظهر فيها اتجاهات انفصالية، كمراكز الأكراد في إيران والعراق وتركيا، هذه ليست لها حدود سياسية، ولكنها في نفس الوقت ذات أهمية كبيرة لباحث الجغرافية السياسية.

غير أن من بين هذه المجالات جميعا تحظى الدولة كوحدة سياسية بأهمية كبيرة، حتى أن البعض يذهب إلى أن ميدان الجغرافية السياسية هو تحليل العلاقات بين السكان والبيئة الطبيعية في إطار الدولة، سواء كانت هذه العلاقات داخلية أو خارجية (٨). وقوم الدولة بوظيفة، وتتمثل هذه الوظيفة في معظم الأحوال في العمل على رفاهية الأمة وحمايتها.

وتدرس بذلك الجغرافية السياسية:

١ - مدى التوافق الجغرافي بين الدولة والأمة: وهذا أمر يؤثر مسألة الحدود السياسية، وهل تضم الدولة أقليات داخلها، أم هناك إدعاءات خاصة بأقاليم خارج حدودها.

٢ - موارد الدولة التي تتحكم فيها لتحقيق أهدافها، كرفاهية الشعب وحمايته، وتتمثل هذه الموارد في الموقع الجغرافي، وحجم الدولة، وشكلها، أو بمعنى آخر العوامل التي تؤثر في إستراتيجيتها والدفاع عنها، كما تشمل دراسة مواردها الطبيعية، مدى تماسك الدولة بواسطة طرق النقل والمواصلات المختلفة، وأخيرا دراسة مواردها البشرية كما وكيفا. وقد لا تعتمد الدولة على مواردها الداخلية، فقد تعتمد على ما يأتيها من حلفائها، أو مستعمراتها وغيرها من الأمور التي تساندها لتحقيق غايتها.

وتنعكس درجة استغلال موارد الدولة، أو البيئة، على نجاح الدولة أو الوحدة السياسية واستقرارها، وإن كان ليس معنى هذا أيضا أن طرق وأشكال الاستقلال المتبعة في دولة تكون صالحة تماما لبيئة أخرى، فمن أهم الدروس التي يخرج بها المشتغل بالجغرافية السياسية، هو عدم تطبيق أي نظام ناجح في دولة ما، على دولة أخرى دون مراعاة

٧ - Pounds, N. " Political Geography " Mc Grew Hill, 1963. P. 3.

٨ - Moodie A.E. Georaphy Behind Politics, Hutchinson, London, 1951, P.7.

الفروق.

٣ - دراسة تجارة الدولة الخارجية إذ أنها يمكن أن تمثل عنصر قوة أو عنصر ضعف، ويمكن أن تستخدم التجارة كوسيلة لتحقيق غرض سياسي كما حدث في وقف إتفاقية تصدير الولايات المتحدة الأمريكية للقمح إلى الاتحاد السوفيتي، أو حظر العرب تصدير البترول إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وخفضهم للكميات المصدرة إلى الدول الأوروبية في خريف عام ١٩٧٣، أو الحصار الاقتصادي للعراق.

٤ - التماسك الاجتماعي للسكان أو درجة الوحدة القومية، والعوامل التي تؤدي إلى عدم التماسك سواء كانت سكانية أو لغوية أو دينية أو لغوية أو قومية ومدى نجاح الدولة في المحافظة على تماسكها الداخلي (٩) إذ تحمل الدول بين ثناياها تشابهات إقليمية تشدها إلى بعضها وتعرف بقوى الجذب *Centripetal Force*، وكذلك اختلافات تعرف بقوى الطرد (١٠). *Centrifugal Force* تعمل على تفكيكها، ويتوقف بقاء الدولة أو إحتفائها، واستقرارها أو اضطرابها على قوة كل من العاملين وأكثرهما فعالية.

فدراسة الجغرافية السياسية في المكان الأول، إذن هي تحليل عناصر القوة والضعف للدول، وتشخيص أعراضها وسبل أغورها وأبعادها في سبيل الوصول إلى تقييم الوزن السياسي للدولة، على أساس أن كل دولة تتكون من عناصر مختلفة طبيعية وبشرية وإقتصادية، وتتفاوت مستوى الدول على منحنى القوة، باعتبارها نتيجة أوضاع جغرافية واقتصادية وتاريخية وحضارية، وهي تعرف بالقوة الشاملة، وعلى ضوء دراسة تلك المقومات يمكن تقييم الدول، وتفسير العلاقات بينها وبين بعض على أسس جغرافية (١١).

وتتعدى ميادين الجغرافية السياسية تحليل العلاقات بين الجماعة البشرية والبيئة داخليا، على تحليل العلاقات الخارجية لهذه الجماعات، ذلك أن التكامل ضروري بين نشاط الدولة الداخلي ونشاطها الخارجي، فالدولة المضطربة داخليا تستنزف جهودها في إقرار السلام، والأمن والوحدة الداخلية، ولا تستطيع أن تجد من الطاقة فائضا يمكنها من ظهور بارز في المجالات الدولية. كما أن الدولة المستقلة بالأمن من الناحية الخارجية، ينعكس حالها هذا على رخاء السكان، وتفرغ ميزانيتهم للنهوض الاقتصادي. فليس من شك أن جميع الدول غير الآمنة، تستهلك جزءا كبيرا من ميزانيتها في التسلح. قارن مثلا ميزانية الدولة العربية المحيطة بإسرائيل، وحالة إسرائيل ذاتها، بدول كسويسرا، ولعل ميزانيات التسلح الضخمة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق لخير دليل على حالة التوتر الدولي وسباق التسلح الذي يدور في العصر الحاضر.

وتتأثر الجماعات داخل الدولة بالظروف الخارجية، نظرا لأن الدولة ما هي إلا قسم

⁹ - Pounds N., op. cit. P. 19.

¹⁰ - Hartsrhon R., The Functional Approach in Political Geography, A.A.G. 40. 1950.

¹¹ - Valkenburg, S., Stotz, C., Elements of Political Geography Prentice Hall, 1957, P.4.

من أقسام الخريطة السياسية للعالم، التي أصبحت بألوانها المتعددة أشبه بلوحة من الفسيفساء. ولما كانت حبات الفسيفساء عرضة للتغير، إنكماشاً وإمتداداً، أو انقساماً، كان معنى هذا أن أي تغير يصيب وحدة سياسية، لا بد ويكون لحساب أو على حساب وحدة أو وحدات سياسية أخرى.

ديناميكية الجغرافية السياسية:

وما دامت الجغرافية، مجالها الدولة أساساً، فلا بد من معرفة عناصر هذه الدولة، فلا توجد دولة في فراغ، وإن كانت الوحدات السياسية تعاني خلخلة في السكان أحياناً، إلا أنه لا توجد وحدة سياسية بأرض دون سكان، ومعنى هذا أن الدولة = أرض ذات حدود سياسية + سكان، ونظراً لأنه لا توجد حتمية في العلاقة بين البيئة والإنسان. فلا نتظر أن نجد استجابة واحدة من السكان للأرض. فكل بيئة لها إمكاناتها الخاصة، وقد يستغل السكان هذه الإمكانيات وقد لا يستغلونها، ومن هذا كان الاختلاف في النظم التي تسود العالم.

لذلك يمكن تعديل المعادلة السابقة كما يلي :

الدولة = أرض ذات حدود سياسية + سكان + علاقة بينهما.

والعاملان الأولان يتميزان بالتنوع، أما الثالث فيتميز بالتعقيد لأنه متغير، ديناميكي معقد، فإذا أضفنا إلى هذه التطورات السياسية المستمرة التي تلحق العالم، أدركنا أن الجغرافية السياسية هي علم ديناميكي متطور، فقد تتسع أرض الدولة أو تنكمش حسب تطور الظروف السياسية، وليس أدل على هذا من مراجعة الخريطة السياسية للعالم في مطلع القرن العشرين، ثم بعد الحرب العالمية الأولى، ثم بعد الحرب العالمية الثانية، لاشك سيجد الإنسان تغيرات واسعة، إختفاء دول، وظهور دول أخرى، كذلك الحال في السكان الذين يختلفون كما وكيفاً بين حين وآخر. ومن ثم ليس هناك مؤلف وضع في هذا الفرع الجغرافي إلا ولا بد له من التعديل والتقيق، بما يلائم التطورات التي يشاهدها العالم بل ويقوم هذه التغيرات كلما سمحت الفرصة.

مناهج البحث في الجغرافية السياسية:

تتعدد مناهج البحث في الجغرافية السياسية بحسب موضوع الدراسة، هل هي دراسة للوحدة السياسية، أم دراسة أصولية للحدود السياسية وغيرها من الموضوعات التي سبق أن ذكرناها كمبادئ لباحث الجغرافية السياسية.

وسنقتصر في هذا المجال على تحليل مناهج البحث في الوحدة السياسية أو الدولة.

المدخل التاريخ Historical:

وهو أحد هذه المداخل عن طريق دراسة تطور الدولة حتى بلغت بناؤها السياسي الحالي، وقد يكون هذا المدخل مفيداً في بعض الحالات الخاصة، فالتحليل التفصيلي

للكسمبرج لابد من تفسير لتطور هذه الدوقية، وأثر هذا النمو على شكلها الحالي، وعيب هذا المدخل التاريخي هو الخوف من أن يضيق باحث الجغرافية السياسية وسط خضم من الأحداث التاريخية، تبعده عن اتجاهه، ويصبح في هذه الحالة غير مميز عن باحث التاريخ السياسي، والعيب الثاني هو خشية الخروج بأحكام عامة، أو مبادئ نتيجة دراسة حالات خاصة.

وقد كتب الكثيرون فيما مضى أمثال *رائزل* و *كيلن* و *هوسهوفر* عن الدولة ككائن حي والقوانين التي تحكم في نموها، ورغم التعميم، فعلى سبيل المثال ما هي القوانين المشتركة التي تحكم في نمو السويد والهند وكوبا؟. فمثل هذا المدخل التاريخي للدولة قد يفيد في تحليل هذه الأقاليم كظواهرات سياسية معاصرة على سطح الأرض.

المدخل الإقليمي Regional:

وهو الذي يدرس الوحدة السياسية من حيث العناصر التي تتألف منها أو التي تكونها، كالحجم، والشكل، والمناخ، والموارد، والسكان، وغيرها، ولكن هذا المدخل كما هو الحال في المدخل التاريخي سيتخّم باحث الجغرافية السياسية بفيض من الحقائق يخشى معه على الباحث أن ينتهي به الأمر إلى وصف مجموعة من الوحدات السياسية وصفا إقليميا، والجغرافية السياسية التي هي عبارة عن وصف إقليمي لدول ما، لن تكون لها شخصيتها المتميزة، وبالتالي ليس هناك ما يبرر وجودها كفرع منفصل من فروع الجغرافية، لذلك فعلى الجغرافي السياسي الذي يتخذ هذا المدخل سبيلا أن يسعى إلى إلتقاء ما يفيد من الدراسة الإقليمية، ويحلل معلوماته، وبياناته المختلفة، بالطريقة التي تؤدي به إلى تفهم المشكلة موضوع الدراسة، من ثم اختلفت بالطريقة معلوماته، وتقديرها اختلافا له مغزاه عن طريقة الجغرافي الإقليمي.

المدخل الوظيفي Functional:

وقد تدرس الدولة من حيث علاقاتها الداخلية وفي نفس الوقت كجزء متكامل في المجتمع الدولي؟ وما أثر العوامل غير السياسية كالمناخ والجبال أو الجماعات العرقية أو القوميات المتعددة على الأنشطة السياسية للدولة؟

وما أثر المظاهر السياسية بدورها على العوامل غير السياسية كأنماط الاستقرار واستخدام الموارد ونمو شبكات النقل وغيرها؟ ومن الناحية الخارجية هل هذه الوحدة السياسية أو تلك قادرة على البقاء والنمو في ظل الظروف الخارجية التي حولها؟ ومدى استقلال أو تبعية هذا القطر، ومشكلاته الإقليمية مع الدول المجاورة.

على أن المدخل الوظيفي لا يشجب بحال من الأحوال استخدام العناصر التاريخية أو التركيبية الإقليمية، فالعوامل التاريخية قد تكون لها أهميتها الكبرى في بعض الأحوال، فقد يكون التاريخ عنصرا فعالا في فهم الاختلافات الإقليمية في داخل الدولة الواحدة. (كما هو الحال في جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية)، أو في حالة الدولة كلها، ويتمثل هذا في

مشكلة فلسطين، وباكستان، وفيتنام، ولكن العامل التاريخي لا يأتي لنفسه فحسب، بل لتفسير المظاهر الوظيفية للإقليم موضوع الدراسة (١٢).

وفيما يختص بالعناصر الجغرافية غير السياسية وعلاقتها بالمظاهر الوظيفية، سنجد أنها تعمل في طريقين : فأما أن يدرس الباحث اثر هذه العوامل غير السياسية على وظيفة الإقليم، أو دراسة وتحليل اثر وجود الوحدة السياسية على المظاهر غير السياسية للإقليم.

وقد اتبع الباحثون منذ القدم الطريق الأول أي اثر الموقع والمناخ على قوة الدولة، واثّر السلاسل الجبلية على الوحدة القومية، والمزايا التي تحصل عليها الدولة، نتيجة قربها من البحر، والمزايا التي تحرم منها نتيجة البعد عنه.

غير أنه يجب ملاحظة أمرين فيما يختص بهذا الفرع من العلاقة الجغرافي:

١ - أنه بينما نجد بعض العوامل، مثل المناخ، والجبال، أو امتلاك المعادن قد يكون له مغزاه العميق، غير أنه من الصعب إصدار أحكام عامة أو تعميمات عن الآثار التي تتركها العوامل الجغرافية، ذلك أن استجابة الإنسان ليست واحدة في كل الجهات المدارية الرطبة، أو الجهات الجافة وما إلى غير ذلك، كما تختلف السلاسل الجبلية فيما بينها في امتدادها ودرجة مناعتها وصعوبة اختراقها، وليست كل السواحل الصالحة لقيام الموانئ، من ثم كانت أي أحكام عامة ذات قيمة ضئيلة.

٢ - أن مغزى العوامل الجغرافية يختلف من وقت إلى آخر، حتى في المنطقة الواحدة، فالصحاري والمستنقعات والسلاسل الجبلية تميل إلى أن تفقد أهم وظائفها كحواجز نتيجة للتقدم التكنولوجي، كما بدأت الحدود السياسية تفقد وظائفها كحواجز اقتصادية بعد الاتفاقيات الاقتصادية. وتغيرت أهمية بعض الموارد نتيجة التقدم العلمي، ومن ثم كان التعميم مرة أخرى يؤدي إلى عدم الدقة فيما يختص باثر العوامل الجغرافية على الأنشطة السياسية. أما تلك العلاقات التي قام بها أرسطو وريتزل وكل بساطة، فقد أصبحت على شئ كبير من التعقيد، ولم تصبح الجغرافية اليوم هي علم إيجاد علاقات بقدر ما أصبحت وصف وتحليل وتفسير الاختلافات بين أجزاء هذا السطح.

أما الطريق الثاني : وهو اثر الإقليم السياسي على المظاهر غير السياسية للبيئة فلم يجتذب لا الجغرافيين المحدثين، وبدأت الأبحاث في هذا الاتجاه تظهر في النصف قرن الأخير كما فعل هارتشورن حينما كتب عن أثر تقسيم سيليزيا كإقليم صناعي بعد الحرب العالمية الأولى (١٣)، حيث قسمت إلى قسمين، قسم تابع لألمانيا، والآخر تابع لبولندا (أصبحت سيليزيا العليا بأكملها جزء من بولندا بعد الحرب العالمية الثانية).

كذلك ما حدث بعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان، وفصل خط التقسيم

¹² - Lewis A., World Political Patterns, Mc. Nally. Chicago. 1964, P. 6.

¹³ - Hartshorn R., Geographic and Political Boundaries in Upper Silesia, Annals of the Association at America Geographes XXIII, 1933.

بين أقاليم كانت تعتمد على بعضها من الناحية الاقتصادية، وظهر هذا واضحا في باكستان الشرقية التي انفصلت عن مدينتها ومينائها الرئيسي كلكتا حيث مئات المصانع الخاصة بغزل ونسيج الجوت المحصول الأساسي لباكستان الشرقية (بنجلاديش الآن)، بينما لم يكن هناك مصنع واحد منها في باكستان مما أدى إلى قيام مشكلة اقتصادية حادة لأنه من الضروري غزله ونسجه قبل التصدير، وقد حلت هذه المشكلة باتفاق يقضي بأن ترسل باكستان الجوت الخام إلى كلكتا، في نظير تصدير الهند الفحم والمنسوجات إلى باكستان، وإن كانت باكستان لم ترض بهذه التبعية، ومع ذلك فمنذ الاستقلال عام ١٩٤٧ حتى أواخر الستينيات كانت باكستان ترسل نحو نصف إنتاجها من خامات الجوت إلى مصانع الهند.

كذلك يتضح اثر التقسيم السياسي بصورة كبيرة في تقسيم ألمانيا إلى ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية، فقد كان هناك تكامل اقتصادي بين أجزاء ألمانيا الموحدة قبل الحرب العالمية الثانية، بينما بعد التقسيم أصبحت ألمانيا الغربية تضم معظم مناجم الفحم والحديد ومصانع الصلب، بل ومعظم السكان، بينما تضم ألمانيا الشرقية أجود المزارع والمراعي، ومعظم البوتاس والصناعات الكيماوية الرئيسية، من ثم كان على ألمانيا الغربية أن تستورد ثلث احتياجاتها الغذائية، والآن توحد القسمان.

وقد لاحظنا أن العلاقات بين المظاهر السياسية وغير السياسية تتغير بتغير الحدود السياسية للأقاليم، وتصبح وظيفة الباحث في الجغرافية السياسية هي دراسة طبيعة ووظيفة الحدود الدولية، وأسباب وأثار تغير هذه الحدود، ورغم تدهور قيمة الحدود السياسية في بعض المناطق كغرب أوروبا، إلا أنه لا يبدو في الوقت الحاضر، أن هناك أملا في تقليل عدد مشكلات الحدود أو التخفيف من تعقدها وحدثها في كثير من أجزاء العالم في المستقبل القريب.

الجغرافية السياسية التطبيقية:

في دراسة الأقاليم السياسية، لا يمكن للباحث أن يتجاهل ما يعرف بالجغرافية السياسية التطبيقية، فبعد تحليل المظاهر الوظيفية للأقاليم السياسية وبصفة خاصة للدول كوحدات وظيفية، فإن الجغرافي يمكن أن يكون خلفية معقولة لتحليل العلاقات الدولية، ونستشهد في هذا المجال برأي أكبر المغلفين الأمريكيين (*والتر ليبمان*) وهو ليس بجغرافي محترف بقدر ما هو صحافي سياسي. لن يكون هناك إدعاء بتسوية صالحة في المستقبل للشئون البشرية، إلا إذا اعتمدت على المعرفة الذكية، والفهم الصحيح للظروف الطبيعية للعالم الذي نعيش فيه ... يقوم الجغرافي السياسي بكشف الغطاء وإزاحة الستار عن المعلومات الخاصة بظروف العالم الطبيعية التي تؤثر في حياة الإنسان^(١٤).

¹⁴ - Lippmann, W., Geography and the Ideological Conflict Herald Tribune New York, June, 21, 1951.

فالجغرافية السياسية تربطها المشكلات الدولية بمسرحها المحلي والمكاني تستطيع أن تسهم مساهمة فعالة في تفهم هذه المشكلات (١٥). فكثير من المشكلات كفلسطين، وكوريا، والبوسنة، والصومال، لازالت ضخامتها تتناسب عكسيا مع إدراك الناس لأساسها الجغرافي.

ولا ينفرد الجغرافيون وحدهم ببحث المشكلات الدولية، بل هي ميدان ثرى للمشتغلين بالعلوم السياسية والمؤرخين والعاملين في حقل القانون الدولي، ولكن الجغرافي يتميز عليهم جميعا بنفهمه للخصائص الإقليمية وسهولة استخدامه للخرائط، ولا يزال المجال أمام الجغرافي كبيرا لكي يضيف الكثير لإجلاء المواقف المختلفة. ولقد تطورت الجغرافية السياسية في الخارج كثيرا في استخدام المعلومات الجغرافية للإفادة منها في المشكلات الدولية المعاصرة، وكثير من هذه الدراسات أصبحت تطلبه الوكالات الحكومية المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية، غير أن الجانب التطبيقي كانت بداية نشاطه عقب الحرب العالمية الأولى، نتيجة الاهتمام الزائد بمعرفة الإدعاءات الإقليمية بعد تلك الحرب، وهناك قسم للجغرافية في وزارة الدفاع الأمريكية.

وقد اشترك الجغرافيون الأمريكيون، بسهم وافر في وضع البيانات اللازمة التي تسلح بها الرئيس ولسون في مؤتمر الصلح، وجمع أحدهم وهو *بومان* ملخصات للأقاليم موضع النزاع في جميع أنحاء العالم في كتابه الجديد (١٦). وخلال العقدين اللذين أعقبا الحرب العالمية الأولى، ركز الجغرافيون الأمريكيون همهم على المشكلات الخاصة بأمريكا اللاتينية، والمشكلات الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية مع كندا والمكسيك، وقد أخرج *بوجنز* محاضراته عن الحدود الدولية، في مؤلف بهذا العنوان نتيجة لإشراكه في بحث كثير من المشكلات (١٧).

كما أعد *ستيفن جونز* بتشجيع من *بوجنز* مؤلف عن عمل الحدود ليكون دليلا في أيدي لجان تخطيط الحدود، والهيئات التي تقوم بتحديدتها (١٨). وقام *هوفمان* بنشر تحليل لمطالب هولندا في تعديل الحدود مع ألمانيا واشترك جغرافي مصري بخبرته في إيضاح حق مصر في طابا حين عرض النزاع على محكمة العدل الدولية (١٩).

وهكذا يمكن لباحث الجغرافية السياسية أن يكون موضع استشارة بحكم خبرته ومرانه المتخصص في المشكلات الإقليمية، كمشكلات النزاع على الحدود، وإعادة تخطيط الحدود

15 - Wooldridge, S.W., East G., "The Spirit and Purpose of Geography", Hutchinson, London, 1963, P. 128.

16 - Bowman, L., "The New World Problems in Political Geography". New York, 1921.

17 - Boggs, S.W. "International Boundaries, A study of Boundary Function and Problems, New York, 1949.

18 - Jones, S.B., Boundary Making, A. Handbook for statesman, 1945.

19 - المرحوم د. يوسف أبو الحجاج.

السياسية أو في زحزحة موضع العاصمة، أو تقسيم قطر معين أو توحيد، أو اتحاد مع قطر مجاور، وحتى في المواقف التي لا يظهر فيها نزاع إقليمي، يمكن للجغرافية السياسية أن تعطي الكثير، فنمط الأقاليم السياسية في غرب أوروبا اثر على التجارة والصناعة المحلية، فحفر القنوات في بلجيكا والأراضي المنخفضة، وحركة الحديد الخام في إقليم اللورين. لوكسمبورج هي نشاطات إقتصادية، لا يمكن فهمها إلا بعد دراسة نمط القوة السياسية في الإقليم.

وتختلف درجة الملاحظة في الأقاليم من النظرة الشاملة أو الكلية لمساحات كبيرة، إلى الأبحاث التي تقوم على مساحات صغيرة، وفي الأولى أي في المساحات الكبيرة تظهر الاختلافات المحلية، وتظهر الخطوط العامة، وأما الدراسات المحلية، فقد تتضمن الدراسة طرقاً خاصة، وهنا يكون التعميم الأول في حاجة إلى إعادة دراسة على مقياس آخر، فعلي سبيل المثال كون جبال الأنديز تصلح حداً سياسياً بين شيلي والأرجنتين فيه شيء من التعميم على مستوى الكرة الأرضية، أما على المستوى المحلي فتظهر كثير من الصعوبات، فقمم الجبال كثيراً ما لا تتفق مع تقسيم المياه وكذلك السلسلة الجنوبية أكثر انخفاضاً، لا تظهر فيها القمم واضحة، فضلاً عن مشكلات المرور من الممرات الجبلية.

وهناك أيضاً دراسة الوحدات الإدارية المحلية داخل الدولة وإلى أي حد تتفق مع الاختلافات الإقليمية.

وعلى عكس هذا، هناك الدراسات ذات الطبيعة الدولية، وفي هذا المجال يعالج باحث الجغرافية السياسية جزءاً كبيراً من سطح الأرض كنمط من الأنماط السياسية، ومادامت الوحدات السياسية هي نواتها، فإن المساحة الكبيرة لاشك ستضم العديد من الدول، ولابد للوحدة الكبيرة أن تكون ديناميكية هي الأخرى، وهكذا يجد الباحث نفسه يواجه مشكلات على مستوى عالمي وعلى مستوى إقليمي.

الجيو بولتيك:

ظهر إصطلاح جديد يعرف بالجيو بولتيك *Geopolitic* ومن مفهوم اللفظ يظهر أن مضمون هذا العلم يجمع بين الجغرافية والسياسة، أي يقوم على الدراسة الجغرافية للدولة من حيث سياستها الخارجية، وهنا يكون التأكيد على المظهر الجغرافي للعلاقات الخارجية، وهذا هو المفهوم الواسع للجيو بولتيك، أي أنها علم يبحث فيما بين السياسة والرقعة الأرضية من علاقات، وإنه يهدف بصفة خاصة على تحويل المعلومات الجغرافية إلى ذخيرة علمية، يتزود بها قادة الدولة وساستها.

وهنا يصعب الفصل بينها وبين الجغرافية السياسية حتى أن البعض كالجغرافي الأمريكي ويتسلي يستعمل *Geopolitic* كأختصار للفظ الجغرافية السياسية *Political Geography*.

غير أن هذا اللفظ ارتبط بالمدرسة الألمانية ونظرتها الضيقة العدوانية التوسعية، وكان

صاحب التفاسير العديدة الخاصة بالتوسع الأرضي هو **هوسهوفر** وأتباعه في معهد ميونخ.

وتعريف الجيوبولتيك كما ورد في مجلة العلوم السياسية *Zeitschrift four Geopolitic* التي كان يرأس تحريرها **هوسهوفر**، بأنها العلم الذي يبحث عن العلاقة بين الأحداث السياسية والأرض، فهو يربط السياسة بالأرض، فهي تعتمد بذلك على الأسس الجغرافية، وخاصة الجغرافية السياسية، فالجيوبولتيك تمهد للعمل السياسي، وتعطي الأسس اللازمة للحياة السياسية ... الجيوبولتيك يجب أن تكون الضمير الجغرافي للدولة (٢٠).

ومعنى هذا أن دراسة الجيوبولتيك تؤدي بدارسها على معرفة طريق العمل السياسي في المستقبل، وتظل كصوت الضمير تذكر السياسيين بما يجب أن يقوموا به لصالح بلادهم. ولكن لا يجب أن يفهم من هذا أنها مرادف للاستراتيجية، لأن الجيوبولتيك تساعد على تشكيل أغراض العمل السياسي، وتبريره، وفي نفس الوقت تقترح الوسائل التي يمكن بها تنفيذ هذا العمل.

وفي تعريف آخر لأوتومل *Otto Mauil* أحد كتاب معهد ميونخ وأحد أتباع **هوسهوفر**.

تعني الجيوبولتيك بالدولة ككائن حي، فهي تبحث الدولة من حيث علاقاتها ببيئتها، بمجالها، وتحاول حل جميع المشكلات الخاصة بمجالها الأرضي، فالجيوبولتيك إذن تعني بدراسة المطالب المكانية للدول، بينما تفحص الجغرافية السياسية ظروف مجالها الأرضي الحالي.

ويوضع الجغرافية في خدمة التوسع السياسي، تهب الجيوبولتيك نفسها لمشكلات المستقبل، وهل مطالب الدولة المكانية وجدت مجالها، وإذا لم تكن قد وجدت هذا المجال فما السبيل إلى تنفيذها طبقاً للظروف الجغرافية؟ وفي أي اتجاه يجب أن يكون التغير؟ فالجيوبولتيك نظام يزن ويقيم موقف ما، وفي النهاية يبحث عن الطريق العلمي لتنفيذ السياسة (٢١).

ويذهب *Weigert* الجغرافي الأمريكي أي أنها استعمال الأسس والمبادئ الجغرافية في لعبة القوة، بينما يعرفها **تايلور** بأنها الجغرافية السياسية مشحونة بالعواطف، من ثم تكمن فيها دعوة للعمل (٢٢).

²⁰ - Preston, J., Clarence, H., eds. American Geography inventor, Prospect, Syracuse, 1945, P. 172.

1 - Taylor G., Geopolitics and Geopacitics in " Geography in the 20 th Century Methen, London, 1962, PP. 589. 591.

²¹ - Pounds, N., op. cit., P. 407.

²² - Taylor, G.R. Geography in Air Age, Royal institute of international, affairs, London, and P. 47.

وهكذا لحق لفظ الجيوبولتيك كثير من التضليل، وارتبط بفكرة استخدام الحقائق الجغرافية من أجل التوسع، وفي هذا يقول *لاديس كريستوف Ladis Kristof* أن الفرق الوحيد بين الجغرافية السياسية، والجيوبولتيك هي بؤرة الاهتمام التي يركز عليها الباحثون في كل فرع، فالجغرافية السياسية تجعل بؤرة اهتمامها الظواهر الجغرافية، بينما تركز الجيوبولتيك على الظواهر السياسية، وتحاول أن تعطيها تفسيرات جغرافية وتدرس الظواهر الجغرافية لهذه الظواهر السياسية.

إن الجيوبولتيك إذا ما فهمت الفهم الصحيح، ودرست على منهج متعقل، فيمكن أن تعتبر بجدارة امتدادا أو تطبيقا للجغرافية السياسية على العلاقات الجغرافية الخارجية للدول، ولن تكون وهم وتضليل واعتذار عن السرقة كما قال عنها *بومان* (٢٣).

³ - Wooldridge, S.W., op, cit., P. 112.

الأسس الجغرافية لتقييم الدولة من الناحية السياسية

مقدمة

تدرس الدول في الجغرافية ال سياسة لحساب مقوماتها المادية، وتشكل الجغرافية الطبيعية والبشرية بالمفهوم الواسع جمعا لكل هذه المقومات، والغرض الأساسي هو معرفة الإيجابيات والسلبيات والمفهوم بلغة الحسابات ما لها **credit** وما عليها **debit**، أي النواحي التي تضفي عليها قوة، والنواحي التي تسلب منها القوة، وعلى حد ما طرحه المفكر الأمريكي بول كيندي هو تحديد ما إذا كانت المقومات المادية لأية دولة من مساحة، وسكان، وموارد أي إمكاناتها تتناسب أو لا تتناسب مع نفوذها على المستوى الدولي، فثوة ما تعتبر ذات حجم طبيعي إذا كانت مساحتها وسكانها ومواردها تمثل ٥% من مساحة وسكان وموارد العالم، وفي نفس الوقت تحتكم في ٥% من موازين القوى العالمية، أما الدول ذات الحجم غير الطبيعي، فهي تلك التي قد يزيد أو قد يقل نصيبها من ميزان القوى العالمية عن حجم ما تمتلكه من إجمالي مساحة وسكان وموارد العالم، فإذا ضربنا مثلا ببريطانيا، نجد أنها في عصر إزدهارها كانت تحوز نحو ٢٥% من ثروة وقوة العالم، على حين أن أرضها وسكانها ومواردها لم تزد على ٤%. وهذه الفجوة بين النصيب الأقل من الموارد والنصيب الأكبر من القوة تفسرها برامج التطوير الصناعي والتقدم التكنولوجي والتعليمي والعسكري مما أدى إلى صعود مثل هذه الدولة إلى مصاف الدول الكبرى.

وكذلك الحال في الاتحاد السوفييتي السابق، كان نصيبه من مساحة العالم نحو سدس مساحة العالم، وكان سكانه يمثلون نحو ٦% من سكان العالم ومع ذلك كان نصيبه من ميزان القوى العالمية في فترة القطبية الثنائية نحو النصف.

قوة الضعف وضعف القوة:

ومعنى ما سبق قياس القوة الشاملة للدولة، مستخدمين كل العناصر المتاحة حتى نصل إلى قوة الدولة أو ضعفها في النهاية، وإن كان يجب أن نلاحظ أن الدولة الضعيفة في بعض المجالات يمكن أن تكون قوية في مجالات أخرى، والدولة القوية في بعض العناصر يمكن أن تكون ضعيفة في عناصر أخرى، أي البحث عن قوة الضعيف، وضعف القوى من الدول، فعلى سبيل المثال الولايات المتحدة الأمريكية التي نظر إليها العالم على أنها الدولة الأولى تقديما ومع ذلك فرغم أنها تتقدم الدول جميعا في عدد المليارديرات، فهي تتقدمها أيضا في عدد الفقراء من الأطفال والبالغين، وهي الأولى في عدد من لا مأوي لهم من السكان، وهي الأولى في الطلاق والحمل قبل الزواج وانتشار الإيدز، وهي أكثر الدول إنفاقا على السلاح، وأقلها إنفاقا على العجزة والمسنين.

الباب الأول : الأسس الطبيعية .

الفصل الأول

العلاقات المكانية

أولاً : الموقع الفلكي:

في دراسة الموقع الجغرافي، نجد أن أول ما يتبادر إلى الذهن، هو موقع الوحدة السياسية فلكياً، بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض، أو كما يقولون الموقع المطلق **Absolute Location**. ولعل التحديد بالنسبة لدرجة العرض أهم منه بالنسبة لخطوط الطول، وذلك لأنه على أساس الدرجات العرضية سيتشكل المناخ بوجه عام، وكذلك النشاط البشري وهذه أمور حيوية تشترك في تشكيل اتجاهات الدولة.

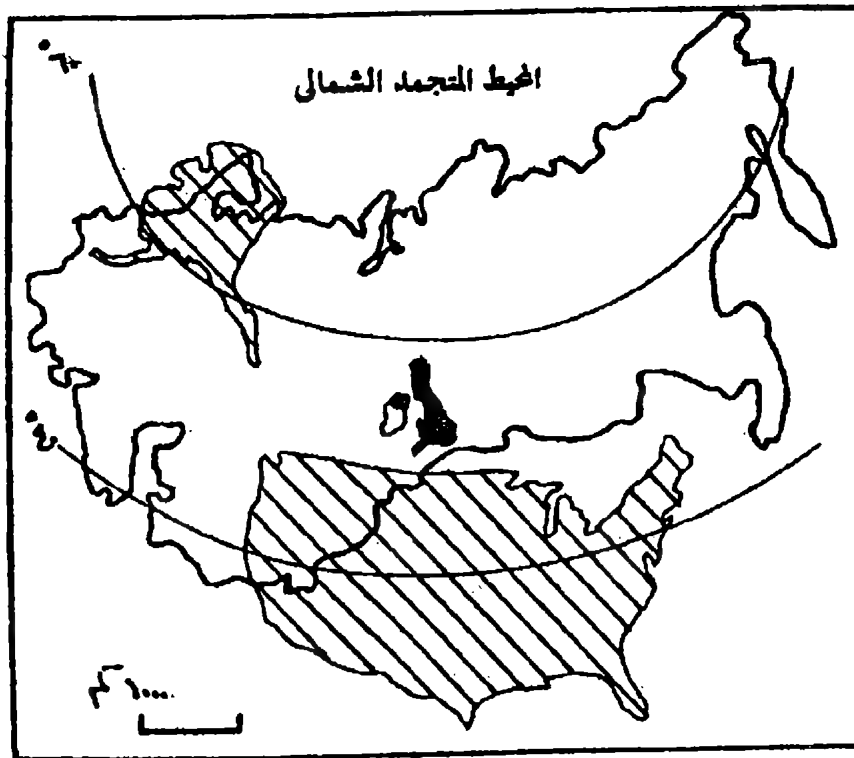
ويذهب البعض إلى أن بعض القوى العظمى الموجودة الآن، ترتبط بالمناطق المعتدلة، حيث تتمتع بالتغير المناخي للفصول، والتغير الإحصاري، يبعث على النشاط، وأن الوحدات السياسية التي تقع في الجهات المدارية يقع مركزها أو بورتها على المرتفعات، فبوجوتا عاصمة كولومبيا على إرتفاع ٢٨٠٠ متر في مرتفعات الأنديز، وكيوتو على إرتفاع ٣٢٠٠ متر. وهذا يذكرنا بنظرية الحتم البيئي **Environmental Determinism**.

ونظرية الحتم البيئي قديمة كل القدم، قال بها كثير من الكتاب القدماء، فيشير هيرودوت مثلاً إلى أن البلاد السهلية لا تنتج رجالاً أشداء، وفضل الفرس كشعب إمبراطوري، أن يعيش في بلاد وعرة. على أن يعيش في السهول، يقوم بالزراعة كما يفعل العبيد!! وقال هيبوقراط الطبيب والكاتب الإغريقي أن نقص الشجاعة والروح الوثابة عند سكان آسيا يرجع أساساً إلى قلة المدى الحراري الفصلي الذي يسود تلك الجهات. مثل هذه الأفكار التي كانت تسود في العصور القديمة، نجدها وقد إستمرت في العصور الوسطى وتمسك بها كتابها إفنجد **Jean Bodin** في كتاباته التي ترجع إلى القرن السادس عشر، يشير إلى أن أهل الشمال يتفوقون في القوى الجسمية، بينما أهل الجنوب أكثر ذكاء، ونظراً لأن المناخ أنسب ما يكون بين الشمال والجنوب. كان أهل الوسط من أنسب السكان للإشتغال بالسياسة. وكتب مونتسكيو في القرن الثامن عشر في نفس هذه الإتجاهات لا يعجب الإنسان من أن ضعف سكان الجهات الحارة يجعل منهم عبيداً، وأن شجاعة سكان الجهات الباردة تجعلهم أحراراً، وعلى هذا الأساس تعزى القوى السياسية إلى المناخ، وهذا بدوره يرجع إلى الموقع الجغرافي ورغم أن هذه الأفكار تنسب إلى الماضي، فمع ذلك وجدت في عصرنا الحاضر من عبر عنها وخاصة هنتجتن في كتابه المدنية والمناخ (١).

^١ - Ellsworth Huntington, Civilization and Climate , Yale U.P.L. 1924 .

ولكن المدنية في الحقيقة تقوم في المناطق التي يصل فيها الإنسان في إستغلال البيئة إلى أعلى المراحل، ولذلك نشأت المدن القديمة في البيئات الزراعية حينما كانت حرفة الزراعة هي أكثر الحرف إنتاجا (مصر والعراق)، وعندما ظهرت حرفة الصناعة كأكثر الحرف إنتاجا، إنتقلت المدنية إلى المناطق التي تتوفر فيها مقومات الصناعة، وأصبحت في القرن التاسع عشر في مراكز الفحم والحديد، وهي الآن حيث أعلى تطور تكنولوجي، فليست المدنية ولا القوى السياسية إحتكرا للمناطق المعتدلة، ولا يمكن للحتميين المناخيين إثبات صحة نظريتهم تماما ولكن ليس معنى هذا أن المناخ لا أثر له، ولكن آثاره ليست منتظمة من ناحية، ولا يمكن التنبؤ بها من ناحية أخرى. ويتضح أثر المناخ أكثر ما يكون في درجة إستخدام الأرض، وهي عنصر هام من عناصر قوى الدولة، فإذا قارنا مثلا بين الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، لوجدنا أن مساحة الولايات المتحدة تبلغ نحو خمسي مساحة الإتحاد السوفيتي السابق، ومع ذلك

الموقع الجغرافي الفلكي لكل من الولايات المتحدة الأمريكية
والإتحاد السوفيتي (سابقا)



فمساحة الأراضي المزروعة فيها تعادل نظيرتها في الاتحاد السوفيتي، ويرجع السبب الأساسي إلى أن الاتحاد السوفيتي يقع معظمه فلكيا إلى الشمال من دائرة العرض ٥٠ شمالا، بينما تقع الولايات المتحدة الأمريكية (ماعدا الاسكا) إلى الجنوب من دائرة عرض ٤٩ شمالا وبالتالي أصبح المستغل فيه للزراعة نحو ١٠% من مساحة البلاد، والمستغل للرعى نحو ١٠% أخرى، بينما تشغل الصحارى الباردة ١٧%، كما تشغل الغابات ٥٠%، وفي النطاق الأخير، يظل ما تحت التربة متجمدا طول العام تقريبا.

ثانيا :الموقع بالنسبة لكتل اليابس والمسطحات المائية

Maritime or continental location

وهذا عنصر هام لأنه يعطى الوحدة السياسية شخصية خاصة ، ويوجه سياستها نحو إتجاهات معينة. وهناك وسيلة لتقليل درجة البرية أو البحرية وذلك بعمل نسبة طول الحدود البرية. وتقسم الدول فى هذا الأساس كما يلي:

- ١ - دول بحدود بحرية تماما كالجزر البريطانية وايسلندا واليابان.
- ٢ - دول تغلب على حدودها الصفة البحرية كالبرتغال واسبانيا وفرنسا وإيطاليا والسويد والنرويج.
- ٣ - دول تغلب على حدودها الصفة البرية كألمانيا وليبيا والجزائر والسودان.
- ٤ - دول حدودها برية تماما كالمجر والنمسا ومالي وبوركينا فاسو ونيبال .

غير أن هذه الطريقة تعنى بالكم ولا تهتم كيف، لأنها لا تدخل في إعتبارها نوع الحدود أو قيمتها. فحدود روسيا الاتحادية المطلّة على المحيط القطبي الشمالي لاشك إذا دخلت في الحساب، قد تعطى فكرة غير صحيحة، فأسوء حظ روسيا الاتحادية أيضا أن حدودها على بحر بلطيق تتجمد مياهها معظم السن، وحدودها الشمالية تطل على المحيط القطبي فتصبح الجبهات البحرية الهامة هي جبهة المحيط الهادي، وجبهة البحر الأسود فقط، من ثم تعتبر روسيا الاتحادية رغم طول حدودها البحرية قوة برية أكثر منها بحرية.

كذلك تتوقف قيمة الجبهة البحرية **Sea board** على ظهور الساحل فظهير ساحل البحر الأحمر عبارة عن صحراء، ويبعد عن الوادي حيث مراكز الإنتاج والعمران بمسافات طويلة، مما أدى إلى قلة إستعمال هذه الجبهة، ولم يلجأ إليها إلا في وقت الضرورة (أي عند قيام الحرب العالمية الثانية وكثرة الغارات على البحر المتوسط) فلجأت بريطانيا إلى استعمال ميناء القصير ومدت خطا حديديا بينه وبين قنا. كذلك الحال في الظهير الخلفي لساحل يوغسلافيا السابقة المطل على الأديرياتيك فهو عبارة عن جبال الألب الدينامية التي تتميز بتربة الكارست الجيرية التي تمتص مياه الأمطار، فتكون الفجوات والكهوف، وتظل قاحلة، وكأنها لم يسقط عليها غيث.

فإذا أضفنا إلى هذا أن، الساحل اليوغسلافي قليل التعاريج، هذا مما لا يساعد على نشأة

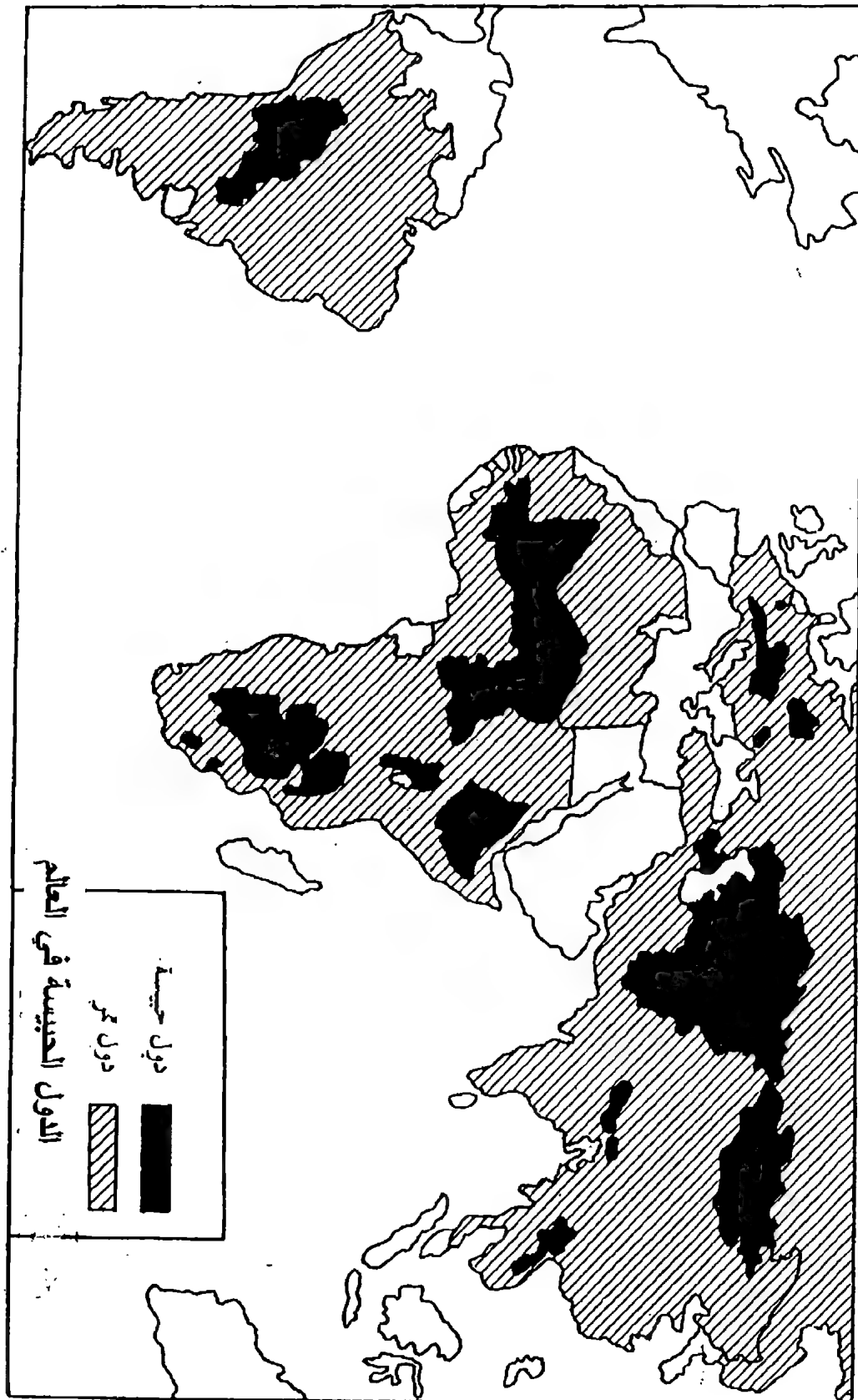
المواني الكبيرة، مما أدى إلى ظهور مشكلتنا تريست وفيومي بين يوغسلافيا السابقة وإيطاليا التي حاولت دائما ضمها ضمن حدود دولتها، وأنهى الأمر أخيرا بحصول يوغسلافيا على فيومي، والاتفاق سنة ١٩٤٧ على إنشاء منطقة في تريستا.

وقد يكون ساحل الدولة رملي أو صخري. وبالتالي قد تعمل الدولة على تنمية أحد موانئها النهرية، وقد يكون مصب النهر في دولة أخرى، فإذا حاولت دولة المصب إغلاقه، كان معنى هذا أن هذه الدولة أصبحت حبيسة، وهذا كما فعله الهولنديون عندما أغلقوا مصب نهر الشلد في منتصف القرن السابع عشر، مما أدى إلى عزل ميناء أنتورب، وتوقف حركته لمدة قرن ونصف، وقد أدى هذا الوضع إلى جانب نمو التجارة البحرية في القرن التاسع عشر إلى البحث عن حلول دائمة حتى لا تتكرر مثل هذه المشكلات.

وقد يقلل من أهمية الجبهة الساحلية ضيقها بالنسبة لمساحة الدولة كما هو الحال في العراق حيث لا تمتد جبهته البحرية سوى ٥٨ كيلو مترا فقط غرب شط العرب، وبذلك تبلغ نسبة طول الشاطئ إلى المساحة نحو ١ : ٧٤٨٢، ويرجع هذا إلى وقوعه عند رأس الخليج حيث يقل إتساع المسطح البحري، وتتعدد الدول المشاركة فيه، ويضاف إلى هذا أن ظروف البيئة الساحلية تنعكس سلبا على هذا الموقع لضخامة كمية الرواسب التي يلقى بها نهر الكرخة وقارون في شط العرب، والتي تتراكم بدورها، ويعوق تصريف مياه نهري دجلة والفرات في مجراهما المشترك؟ وتتكون مساحات من المستنقعات، (وإن كان هذا ليس تبريرا بحال لإدعاءات العراق على الكويت، فهناك دول حبيسة لا تطل على بحر مطلقا).

كذلك تختلف قيمة الجبهة البحرية بحسب بعدها أو قربها من طرق التجارة العالمية الرئيسية، فلا يمكن القول بأن الجبهة البحرية التي تطل بها البرازيل والأرجنتين على المحيط الأطلنطي تعادل الجبهة البحرية التي تطل بها شيلي وبيرو على المحيط الهادي، فلا شك أن دول المجموعة الثانية أكثر عزلة من دول المجموعة الأولى، لأن جبهة الأطلنطي يمر بها ثاني الطرق البحرية العالمية، بينما دول الساحل الغربي تقع بعيدا عن المسار المألوف لطرق التجارة العالمية ومع ذلك ولاشك أنها في وضع أفضل من الدول الداخلية كبوليفيا وباراجواي.

وكان لموقع مصر الجغرافي كنقطة إلتقاء القارة الآسيوية بالأفريقية وقريبا من أوروبا ونقطة إلتقاء البحر الأحمر والبحر المتوسط وما ورائه، ما جعل موقع مصر متميزا ومتحكما إلى حد كبير في حركة الإتصالات العالمية، وخاصة بعد مد خط أنابيب سويد كمكل لقناة السويس وبعد إتمام مشروع الطريق الساحلي إلى المغرب العربي، كذلك بناء جسر الفردان فوق قناة السويس، كذلك ونتيجة لهذا الموقع تعددت الدوائر التي تعمل فيها سياسة مصر الخارجية، الدائرة الإفريقية والدائرة الآسيوية بعامة، والدائرة العربية، كما زاد الإهتمام بالدائرة الأوروبية، خاصة بعد الإهتمام الأوربي بالشمال الأفريقي (منتدى للبحر المتوسط).



وإذا قارنا بين قارات العالم من حيث عدد الدول الداخلية التي لا منفذ لها على البحر، نجد أن أوربا بها ست دول داخلية بصرف النظر عن خمسة جيوب داخلية أو ساحلية، (التشيك، وسلوفاك، والنمسا، والمجر، وسويسرا، ولوكسمبورج) وفي آسيا نجد إحدى عشر دولة حبيسة *Land Locked States* وهي أفغانستان، ونيبال، لاوس، منغوليا، وبهوتان. والدول التي ظهرت بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي وهي أوزبكستان، طاجيكستان، قرغيزستان، تركمنستان، أذربيجان، أرمينيا. أما في أفريقية فيبلغ المجموع خمس عشرة دولة من مجموع الوحدات البالغ عددها ٥٣ وحدة، أي أكثر من ربع أقطار القارة الأفريقية عبارة عن أقطار حبيسة يصل مجموع سكانها إلى نحو ٢١ مليون نسمة، أو ١٤% من مجموع السكان وهي مالي، والنيجر، بوركينا فاسو، وتشاد، وأفريقيا الوسطى وسوازي، ليسوتو ثم أوغندا، وزامبيا، زيمبابوي، ومالاوي، وبتسوانا، وروندا، وبوروندي، وأثيوبيا.

ولا يرجع هذا إلى قلة التعاريج الساحلية فحسب، بل يرجع أيضا إلى التمزق السياسي الشديد الذي عانته قارة أفريقيا، وذلك أن آسيا قليلة التعاريج الساحلية ومع ذلك فقد تحاشت الشطايا الداخلية الكثيرة بفضل وحدتها السياسية الكبيرة الحجم.

وتعاني الدول الحبيسة بعامة من كثير من المشكلات الاقتصادية، لعل أهمها تحكم الدول الساحلية فيها، بل أنها أحيانا تقع تحت رحمتها، وقد تسعى الدول الداخلية إلى إقامة اتحاد جمركي، أو اتحاد سياسي، فلا غناء عن البحر أو المحيط لنقل جزء كبير من التجارة الخارجية لهذه الدول، ومن ثم كانت هذه الدول الحبيسة في وضع لا تحسد عليه إلا إذا ضمنت لنفسها حقاً في استخدام البحار كما هي الحال في الدول الساحلية كحق المرور البري في المياه الإقليمية للدول الأخرى، والمشاركة في تسهيلات المرافئ والحق في المرور منها إلى أراضيها، أي فهي قائمة طويلة من الضمانات، لذلك ليس من عجب أن تحس هذه الدول الداخلية بالعزلة، وقد تقوم بعض المشكلات للنزاع على مساحة من الأرض، أساسها رغبة الدول الحبيسة ضمان مخرج دائم وآمن إلى البحر، هكذا كان ضمن بنود اتفاق استقلال إريتريا، أن تستخدم إثيوبيا ميناء عصب ومصوع في حركة تجارتها. فلقد أصبحت المحيطات (والتي كانت تمثل في وقت ما فواصل تعزل البشر بعضهم عن بعض) بفضل التقدم التكنولوجي، طرق الإتصال والتبادل الأساسية، أو شرايين الحياة، كما كان يطلق على الطرق البحرية للإمبراطورية البريطانية، جلبت عن طريقها الخامات، وصدرت الصناعات، وتوطنت كثير من الصناعات في الموانئ، حتى تختصر تكاليف النقل البري مرة أخرى، وأصبحت هذه الموانئ ليست مراكز لتبادل التجارة فحسب، بل لتبادل الثقافة والأفكار، بل وفي كثير من الأحيان تمثل القلب النابض بالنشاط الاقتصادي (المواني الشرقية للولايات المتحدة الأمريكية، كذلك مواني غرب أوروبا).

هذا بينما لا تجد الدول الحبيسة مفراً من نقل السلع منها وإليها عبر المواني الأجنبية، ولا يمكنها أن تهرب من نفقات نقل السلع الباهظة على طرقها البرية من المرافئ الأجنبية إلى أراضيها، وكل أملها هو نقل تجارتها الخارجية من وإلى أقرب مرافئ لها بأرخص

تكاليف ممكنة، ويتوقف هذا بالتالي على علاقة الدول الحبيسة بجارتها البحرية، لأنها يمكنها أن تغلق هذه النافذة وتشل حركتها التجارية والضغط عليها سياسياً.

ما هي البدائل إذن لإمكان الوصول إلى أعالي البحار؟ وكيف يتم هذا عبر دول أخرى دون أن يمس سيادتها كثيراً من ناحية، ودون أن تحدث تبعية أمن الدولة الحبيسة للدولة الساحلية من ناحية أخرى؟ الواقع أن هناك احتمالات ثلاثة:

أولها : الإتفاق على دولية الأنهار الصالحة للملاحة والتي تمر في دول داخلية ودول ساحلية وهذا ما سنعرض له حين نناقش موضوع الأنهار.

ثانيها : أن تحصل الدولة الحبيسة على ممر أو شريط من الأرض أما إلى البحر أو إلى أقرب نهر ملاحي.

ثالثها : أن تضمن الدولة الحبيسة تسهيلات في موانئ معينة من الدولة الساحلية، فضلاً عن حرية المرور عبر خط حديدي أو طريق مناسب.

غير أنه لو كانت الجبهة البحرية للدولة ممتازة، ومناسبة جداً للنشاط البحري، وكانت حدودها البحرية تفوق البرية فإن مصالح الدولة، ومناطق الجذب، أو التوجيه الجغرافي لها، قد يتجه بها نحو البر إذا ما توفرت عوامل الجذب في الأرض، ولا يلجأ الإنسان إلى البحر إلا إذا ضاق عليه البر بالجود، فسكان النزوح يولون وجوههم شطر البحر، ويعطون ظهورهم للبر، ولكن على العكس، نجد أن عامل البر، يتغلب في فرنسا رغم أن جبهاتها البحرية متعددة وممتازة، لأن البر أكثر جاذبية، فالتوجه الجغرافي لفرنسا توجيه بري.

ويتوقف نشاط الدولة البحري والتجاري أيضاً على طبيعة البحر، إذا كان مفتوحاً، أو مغلقاً، فبحر **البطيق** تتحكم في مخرجه الدانمارك بطريق مباشر، وبريطانيا بطريق غير مباشر، فيمكن لبريطانيا إذا أوتيت القوة الكافية أن تغطي مضيق **بوفر** والمخارج الشمالية بنيرانها، ونفس الكلام يقال عن بوزار البسفور والدردنيل بالنسبة لتركيا.

كذلك يمكن التفرقة بين الدول التي تطل على البحر بجبهة واحدة، وتلك التي تطل بأكثر من جبهة، فكلما تعدد الجبهات البحرية، كلما زادت الفرص البحرية السانحة، وإن زادت في الوقت نفسه مسؤوليات الدولة لحماية هذه الجبهات المتعددة.

ويقسم البعض الدول من حيث عدد جبهاتها إلى :

١ - دول ذات جبهة بحرية واحدة :

وهذه الظاهرة واضحة في الدول الساحلية في القارات القليلة التعاريج وأشباه الجزر مثل إفريقية وأمريكا الجنوبية، فحتى البرازيل نفسها التي تحتل نحو ثلثي أمريكا الجنوبية، ليست من الكبر بحيث تعبر الأنديز على المحيط الهادي، أما القارات الكثيرة الخلجان والتعاريج وأشباه الجزر كأوروبا، فلا نجد فيها دول لها جبهة واحدة، إلا الدول الصغيرة

مثل بلجيكا، وهولندا، ورومانيا، وألمانيا، وبولندا، وبلغاريا. والدولة ذات الجبهة البحرية الواحدة في الغالب هي دولة برية أصلا، وبعد محاولات إستطاعت أن تجد لها منفذا على البحر.

٢ - الدولة ذات الجبهتين :

وهذا النوع يمكن تقسيمه إلى عدد من الأنواع حسب نوع الموقع الذي تحتله، فهي تقع عند مناطق برازخ أو بمعنى آخر حيث يستدق الياپس، مثل المكسيك، وجمهوريات أمريكا الوسطى باستثناء سلفادور، ويقع البعض الآخر عند التقاء مسطحين مائيين ببعضهما مثل مصر والمغرب وبليز، وجمهورية جنوب أفريقية، أو نتيجة لطبيعة البلاد شبه الجزرية. والذي يجب ملاحظته في هذا الصدد أن معظم أشباه الجزر تقع في أوراسيا، وهي من الشرق إلى الغرب : سيام، الملايو، الهند، بلاد العرب، اليونان، إيطاليا، وأسبانيا.

٣ - الدول ذات الثلاث جبهات بحرية :

هذه تأتي نتيجة كبر مساحة الدولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وفرنسا، وتركيا.

ثالثا : الموقع النسبي Relation location

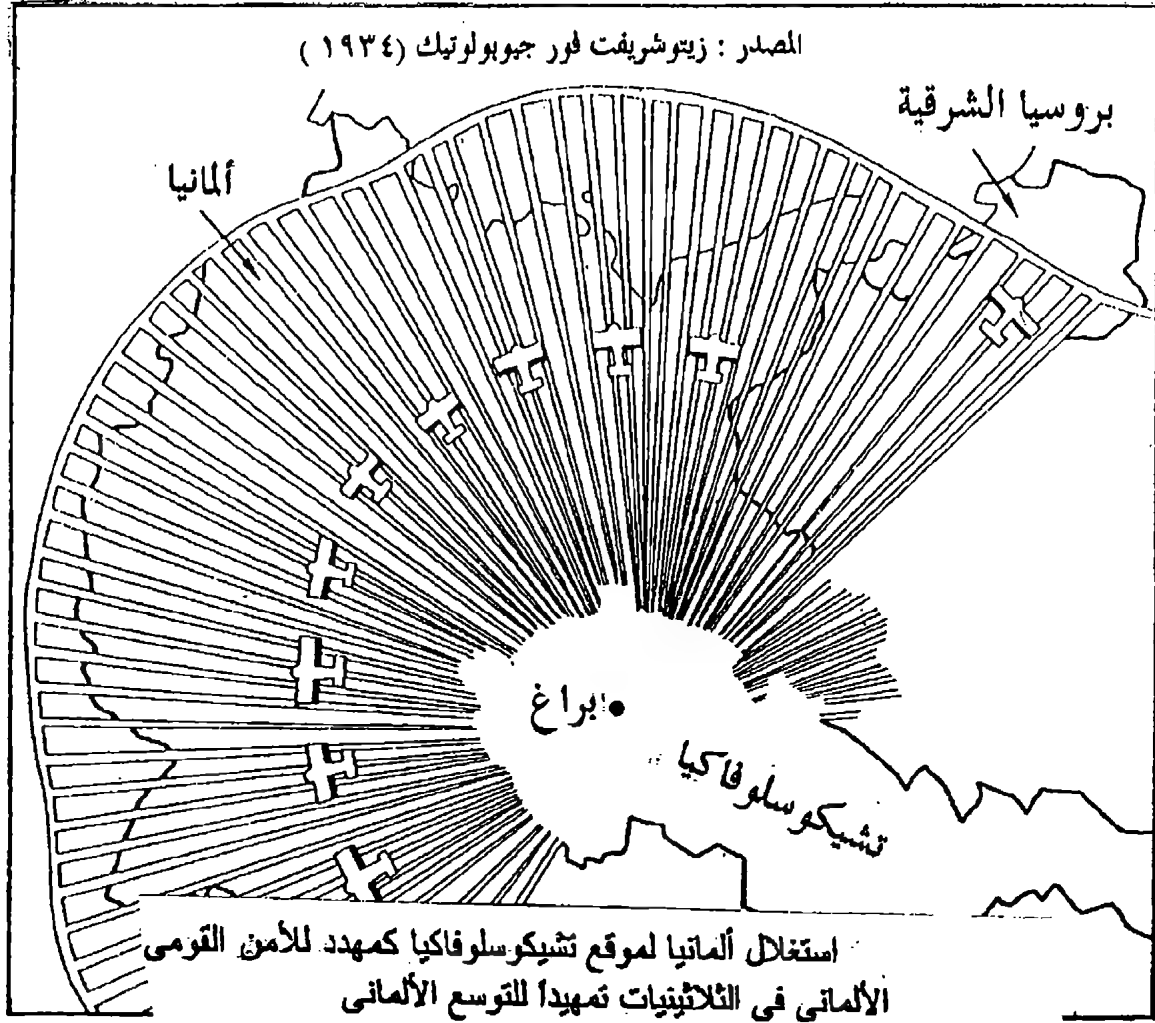
الموقع بالنسبة للجيران Vicinal location

تحتاج الدولة في بداية نشأتها، أو في مرحلة تكوينها، إلى شئ من العزلة، وكلما كانت محاطة بمناطق منبوعة، كالبحر، أو الصحراء كلما ساعد هذا على إعطاء الفرصة للوليد أن يكتمل نموه، فمن عوامل نمو الحضارة المصرية القديمة، أن هناك درعا صحراويا يحيط بسواقي النيل من الشرق والغرب، في هذا الوادي المحمي بدأت تتكون الدولة المصرية، فهذه الدروع ان لم تكن قد حمت هذه البلاد من غزوات كثيرة، فأنها كسرت من حدة هذه الموجات الحربية على رمالها.

أما عندما يكتمل نمو الدولة، فعندئذ لا بد لها من الاتصالات الخارجية حيث فرص التنمية أكثر، لأنها ستضيف طعاما جديدا للسكان، ستضيف خامات جديدة للصناعة، ستضيف أسواقا بل ستضيف أفكارا، وخبرات، ومهارات جديدة لم تكن تعرفها من قبل، بل وأحيانا تنويعا جنسيا.

ليس من الضروري أن يكون الإتصال بریا، أي تكون هناك حدود برية مشتركة، فما دامت صعوبات النقل البحري قد تغلب الإنسان عليها، فعندئذ يمكن للدول البحرية أن تجني حسنات الإتصال السريع، وتتجنب سوءات الاشتراك في الحدود أو القرب منها، فبريطانيا، مثل حي لدولة أستغلت وضعها أحسن أستغلال فالبعبارة المعروفة *Britain is in Europe But not of it* تلخص هذه الفكرة، فهي أولا سهلة الإتصال ببقية أنحاء القارة، ولكنها ليست في صلب القارة، وهذا أبعدا عن كثير من الهزات

السياسية التي أصابت القارة والجيوش التي كانت تجتاحها من شرق وغرب، ومن ثم إكتمل فيها الانقلاب الصناعي واستوى عوده بعيداً عن ضوضاء ومشكلات القارة الأوروبية^(١).



قد يقال أن هذا ما كان يمكن أن يحدث لولا وجود الأسطول البريطاني، ولكن يرد على هذا بأن هذا الفرع من الأسلحة البريطانية، لم يأت إلا نتيجة لمجهود الإنسان في هذه البلاد، للتكيف مع ظروف عنصر من عناصر البيئة وهي الموقع.

ووضع الدولة بالنسبة للجيران يجرنا إلى الكلام عن الوضع الإستراتيجي للموقع، فموقع ألمانيا واشتراكها في الحدود مع عدة دول، كان يجعلها دائماً في خوف من تطويقها، مما أدى إلى نجاح الحزب النازي — عن طريق الدعاية بالخطب والخرائط والكتب — في دعوته للتسليح.

(١) أصبحت الآن متصلة بطريق بري بالقارة عن طريق نفق بحر المانش.

كما أدت مواجهة فرنسا وجها لوجه مع ألمانيا إلى ضرورة التجنيد الإجباري، طوال القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) وإلى إتجاه جزء لا بأس به من الميزانية لشئون الدفاع، وإلى نقل كثير من الصناعات التي كان يجب أن تقوم في شمال فرنسا لوجود حقول الفحم هناك إلى جهات بعيدة عن الحدود. وإلى تنمية مشروعات الكهرباء في جبال الألب وهضبة فرنسا الوسطى والبرانس وإلى تعدين الحديد في نورماندي بينما احتياطي الحديد الضخم في اللورين على الحدود الفرنسية الألمانية، ويتبع هذا زيادة في التكاليف.

وحتى الاتحاد السوفيتي السابق ذو الموارد الضخمة، والمساحات الشاسعة، كان يضع في تنظيماته الداخلية حسابا لعلاقاته بجيرانه، وأظهر مثل على هذا التعديل طبقا للوضع الإستراتيجي، وهو تنمية وحدات صناعية من الاتحاد الآسيوي خلف الأورال بعيدا عن الهجمات الأوروبية.

ولننظر أيضا إلى كوبا التي كانت تمثل قاعدة سوفيتية متقدمة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك نظرة الإتحاد السوفيتي إلى الدول المجاورة له وكيف تدخل عسكريا في أفغانستان، وأنظر كذلك كيف ردت الولايات المتحدة الجميل للاتحاد السوفيتي بوافقها مع الصين والإعتراف بها وإدخالها الأمم المتحدة، بل ومساعدتها تكنولوجيا.

ومن الأهمية أن تكون العلاقات حسنة مع الجيران، بصرف النظر عن عدد الدول المجاورة، فحتى إذا كان هناك جار واحد، وعلى درجة عالية من التسليح، كان يكون مسلحا نوويا فهو يمثل خطرا شديدا الخطورة بالنسبة لجيرانه، ولن نذهب بعيدا فالتسليح النووي لكوريا الشمالية يسبب إزعاجا لكوريا الجنوبية واليابان، من ثم كان قرار الولايات المتحدة الأمريكية تخفيض عدد قواتها من كوريا الجنوبية (نحو ٧٠ ألفا) إلى النصف حتى عام ٢٠٠٥، ما أثار قلقا في كوريا الجنوبية واليابان، وإن كانت الولايات المتحدة الأمريكية تطمئنهم بأن التقنيات الحديثة في الحرب تعوض هذا بكثير، وفي نفس الوقت كانت جيرة روسيا والصين واليابان وكوريا الجنوبية لكوريا الشمالية ما حال دون إتباع الولايات المتحدة الأمريكية للحل العسكري مع كوريا الشمالية كما حدث مع العراق لأن هذه الدول لن تسمح لها بهذا الإجراء (*).

على العموم كلما زاد عدد الدول المجاورة لدولة ما، زادت الأعباء الملقاه على عاتق هذه الدولة خاصة بحماية حدودها وأمنها القومي وعلاقتها بالجيران، ولذا غالبا ما يتسم التفاعل بين دول الجوار لشدة الحساسية ونضرب مثلا بدولة مفرطة في جيرانها وهي السودان، إذ أنها تجاور تسع دول، غير مصر التي تجاور ثلاث دول فقط أو النرويج التي تجاور دولة واحدة، وبضاعف من أعباء حدود السودان القلة النسبية للسكان المنوط بهم إدارة هذه الحدود، فضلا عن أن هذه الحدود السياسية لا تشكل حدودا عرقية، بل تنتشر على جوانبها القبائل والسلالات، ومن ثم تكثر مشكلاته مع جيرانه تشاد وإريتريا وأثيوبيا

* راجع كتابنا آسيا في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢.

وأوغندا وتصبح هذه الدول ملجأ للاجئين منه، وكذلك هو ملجأ للاجئين منها.

نماذج من عدد دول الجوار بالنسبة لبعض الدول

٣	مصر	١٢	روسيا الاتحادية
٢	إندونيسيا	١٢	الصين
٢	بنجلادش	١٠	البرازيل
١	المملكة المتحدة	٩	زائير
صفر	اليابان	٩	السودان

وأدى الوضع بالنسبة للجيران في بعض الأحيان إلى ضرورة وجود الدول الحاجزة *Buffer States* فيما مضى وهى وحدات سياسية صغيرة الحجم بين وحدات سياسية ضخمة، ومثل هذه الدول الحاجزة تبقى كمانع للصدام بين الجانبين الكبيرين، كما أن القضاء عليها من جانب لا يقابل بمقاومة هذه الوحدات الصغيرة فحسب، بل بمعارضة الجانب الآخر أيضا.

ويمكن في هذا المجال إعتبار بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج كانت دولا حاجزة بين ألمانيا من جانب وفرنسا من جانب آخر. كما قامت بولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا كدول حاجزة بين وسط أوروبا من ناحية والاتحاد السوفيتي السابق من ناحية أخرى، وقد خشيت بريطانيا وهى في الهند من نمو روسيا القيصرية وتوسعاتها في القرن التاسع عشر، من ثم خلقت دول حاجزة، تمثلت في أفغانستان، بل وامتد إقليم واکان *Wakhan* من أفغانستان على هيئة إصبع ليصل إلى سنكيانج، ولعل إمارات نيبال وبهوتان وسيكيم في شمال الهند إمتداد لهذه الأقطار الحاجزة، هذه وأن كان تطور الأسلحة الرهيب قد قلل من أهمية هذه الدول الحاضرة في الوقت الحاضر.

رابعا : الأهمية الإستراتيجية

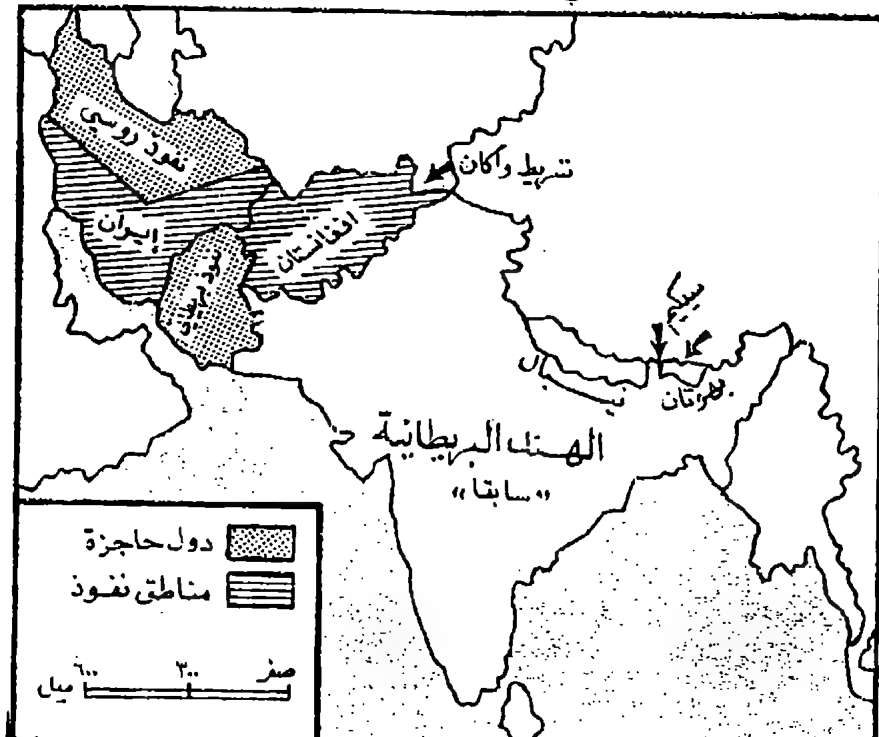
تختلف أهمية الموقع الإستراتيجية بتغير الظروف، فالدول أو أجزاء الدول قد تكون لها أهمية إستراتيجية في عصر من العصور، وهذا معناه أنها تتحكم في طرق المواصلات العالمية مثلا، ويمكن إتخاذ قواعد من مياهها وأرضها لصد عدوان، أو للقيام منها بهجوم وقت الحرب، كما أنها تعمل وقت السلم على توجيه حركة التجارة، ومن أمثلة هذه المواقع الإستراتيجية، مناطق المضائق، والبرازخ، والممرات العالمية، وأحيانا الجزر.

للدلالة على تغير هذه الأهمية بتغير الظروف، نأخذ موقع مصر الجغرافي وتطور أهميته على مر العصور، فمثلا بعد كشف رأس الرجاء ونتيجة لسوء الأحوال السياسية في البلاد، تحول جزء كبير من تجارة الشرق إلى الطريق الجديد، وقلت أهمية موقع مصر، ثم بدأت تعود هذه الأهمية من جديد، وظهرت في أروع صورها بعد إفتتاح قناة السويس،

وكانت القناة هي آخر جزء جلا عنه الإنجليز في مصر، كذلك يمكن أن نقارن موقع بريطانيا قبل كشف الأمريكتين وبعده، فقبل كشف الأمريكتين، كان موقعها يعتبر متطرفا بالنسبة للطريق التجاري عبر الأطلنطي الشمالي، وهو من أهم الطرق الملاحية العالمية، لأنه يربط بين منطقتين حيويتين، هما غرب أوربا، وشرق أمريكا الشمالية. ونضرب المثل أيضا بجزر فولكلاند **Fulkland** الواقعة في جنوب المحيط الأطلنطي والتي احتلتها بريطانيا في القرن الثامن عشر، فقد كانت لها أهميتها الإستراتيجية لأنها تتحكم في الطريق البحري الذي يدور حول أمريكا الجنوبية ولعبت دورا كبيرا في سحق الأسطول الألماني حتى عام ١٩١٤، ولكن إفتتاح قناة بنما في ذلك الوقت قلل من أهمية طريق رأس هورن، وبالتالي أصبحت أهميته الإستراتيجية في حكم المعدومة، وبينما تدهورت قيمة جزر فولكلاند، إزدادت قيمة أيسلند نتيجة لتطور وزيادة الخطوط الجوية المارة من غرب أوربا إلى أمريكا الشمالية والتي تمر بالقرب منها، بل وتستخدم مطاراتها، كما زادت أهمية الاسكا لقربها من الاتحاد السوفيتي السابق وأقيمت فيها المطارات وشقت الطرق.

وكانت أفغانستان وما زالت محط أنظار القوى العالمية، وقد ذكرنا أن الاتفاق الروس الإنجليزي في القرن التاسع عشر على أن تظل دولة حاضرة بينهما، كما امتدت بأصبع وكهان لتصبح مجاورة للصين وهي بموقفها هذا تصبح مجاورة لست دول، باكستان إلى الشرق والجنوب، وإيران غربا، وبعد إنهيار الاتحاد السوفيتي، أصبحت مجاورة لتركستان وأوزبكستان وطجيكسان، فضلا عن الصين كما ذكرنا، وأصبحت الآن بعد ظهور البترول في دول آسيا الوسطى، من اهتمامات الولايات المتحدة الأمريكية لأنها برج مراقبة لهذه الدول كما أنها برج مراقبة للأجزاء الغربية من الصين والهند وروسيا فهي مفتاح آسيا الوسطى.

نماذج للدول الحاضرة في آسيا



الفصل الثاني

مساحة الدولة وشكلها

أولا : مساحة الدولة:

تضم الأمم المتحدة اليوم ١٨٥ دولة، كلها دول مستقلة، ومع ذلك فهي لا تضم كل الدول المستقلة، فلم تتضمن إليها سويسرا متبعة في ذلك مبدأ الحياد رغم أنها كانت عضوا في عصبة الأمم، ولم تدخلها الصين الشعبية حتى عام ١٩٧١ بسبب معارضة الولايات المتحدة الأمريكية، كذلك لم تدخلها منغوليا، فضلا عن الدول القزمية مثل *سان مارينو* و*أندورا*، ودولة الفاتيكان، رغم أن بعضها يشارك في بعض نشاطاتها، وفي نفس الوقت هناك جزر مالديف في (المحيط الهندي) ذات الموارد المحدودة للغاية بحيث لا يمكنها أن تسهم في نشاطات الوكالات المتخصصة للهيئة الدولية.

وتختلف المساحة من الدول العملاقة كروسيا الاتحادية بمساحتها التي تقدر بنحو ٦٥٩٢ ألف ميل مربع إلى الفاتيكان الذي تبلغ مساحته $\frac{1}{4}$ ميل مربع والبرازيل والصين وكل منها تزيد مساحته على ٣ مليون ميل مربع واكبر دولة تبلغ ٢ مليون مرة أكبر من أصغر وحدة (باستثناء الفاتيكان) وهي *سان مارينو* ٣٨ ميلا مربعا، ويبلغ متوسط حجم الوحدة السياسية نحو ١,٤٠٤,٠٠٠ كيلو مترا مربعا أو نحو ٣٩٠,٠٠٠ ميلا مربعا أي حجم بوليفيا أو كولومبيا أو مصر، والجدول التالي يبين أحجام هذه الدول.

غير أننا يجب أن نعرف بأن الدول التي نراها على الخريطة السياسية اليوم لم تظهر فجأة، فقد نمت ببطء على مدى قرون، فكل دولة نمت من نواة صغيرة بإضافة أرض وسكان جدد، والمنطقة التي بدأت فيها الدولة نموها، يطلق عليها إقليم النواة **Core area** أو النواة المركزية **Nuclear area** وهي لها بمثابة القلب، وتتميز هذه النواة بأنها أكثر أقاليم الدولة خدمة بوسائل النقل، فلا توجد نواة لا تخدمها وسائل النقل سواء كانت شبكة كثيفة تعتبر هي مركز لا شعاعها كما هو الحال في القاهرة ولندن أو حتى خط حديدي واحد أو طريق نهري كما هو الحال في نيروبي، وكنشاسا.

ولا تظهر النواة إلا وظهرت معها درجة من الحضارية أعلى منها في بقية أجزاء الدولة، أحيانا يشغل نواة الدولة مركز حضاري ضخم، كما هو الحال في باريس ولندن، وموسكو، والقاهرة والخرطوم، وأحيانا تشغله عدة مراكز حضارية كما هو الحال في شرق الولايات المتحدة الأمريكية أو غرب نيجيريا وتتميز منطقة النواة بأنها أكثر أجزاء البلاد تطورا من الناحية الاقتصادية، لذلك قبل تحديد منطقة النواة يجب أن نعرف القطاعات الاقتصادية في الدولة، فقلب الأرجنتين مثلا لا يتميز بتعدد المراكز الحضرية فحسب، بل بسهل خصيب متسع غني بقمحه وذرته وثروته الحيوانية فضلا عن إعتدال مناخه بينما نواة زامبيا إقليم تعدين النحاس، وغالبا ما تضم النواة عاصمة البلاد، وكثير ما يلاحظ أيضا، إمكان تعدد النويات الثانوية كما هو الحال في إيطاليا فهناك نواة حول

روما، وأخرى فى سهل البو فى الشمال، وفى الولايات المتحدة الأمريكية هناك نواة الإقليم الشرقي، وهناك أيضا نواة ثانية فى كاليفورنيا ونواة ثالثة فى ظهير خليج المكسيك (١).

أكبر سبع دول وأصغرها من حيث المساحة (٢).

أكبر سبع دول	المساحة بالآلاف ميل ٢	أصغر سبع دول	المساحة بالميل ٢
روسيا الاتحادية	٦٥٩٢	أندورا	١٧٥
الصين	٣٨٧٩	مالطة	١٢٢
كندا	٣٨٦٤	جزر مالديف	١١٥
الولايات المتحدة الأمريكية	٣٦١٥	ليختنشتاين	٦١
البرازيل	٣٢٨٧	سان مارينو	٢٤
استراليا	٢٩٧١	موناكو	٥٩
الهند	١١٨٠	الفاتيكان	١٧

وكانت نواة الولايات المتحدة، الثلاث عشرة ولاية الساحلية على الساحل الشرقي، وتعتبر منطقة موسكو نواة روسيا الاتحادية، ثم اتسعت بعد ذلك، ولكن لابد من وجود رابط قوى بين المركز، أو النواة، والأطراف، وهذا يتم عن طريق شرايين المواصلات وإلا كانت هذه الأطراف عرضة للاختطاف من الدول المجاورة، فألمانيا مثلا لأشتراكها مع دول عديدة فى الحدود، ولوجود معظم ثرواتها المعدنية على هذه الأطراف كانت من أوليات سياستها ربط الأطراف بالقلب أي ببرلين. كذلك كان إتحاد الوجهين البحري والقبلي نواة مصر، ومدت فرنسا حدودها من حوض باريس على فترة طويلة استغرقت مئات السنين، كما كان نواة يوغسلافيا مملكة الصرب. وهكذا يصبح نمو الدولة أمر طبيعيا، فكما قال *فريدريك راتزل* بأن الحدود السياسية للدولة لا يجب أن ينظر إليها على أنها نهائية، فسكان الدولة يضغطون على حدودها، محاولين دفعها لتوسيع رقعة دولتهم كلما سمحت الظروف، فالدولة أشبه بالكائن الحي، ومن ثم فنموها أمر طبيعي وضروري. ولكبر المساحة واتساع البلاد أهمية كبيرة وقت الحرب، وتظهر هذه الأهمية فيما يطلق

(١) سنعالج نواة الدولة بشيء من التفصيل أثناء دراسة شكل الدولة.

(٢) نلاحظ أن المجموعة الأولى لا تزيد مساحتها على المليون ميل ٢، والمجموعة الثانية أقل من ألف ميل ٢.

عليه العسكريون الدفاع في العمق **Defence in Depth** فالدولة الصغيرة المساحة لا تلبث أن تنهار بسرعة فائقة أمام جارتها، فقد إضطر الجيش الهولندي إلى التسليم بعد أربعة أيام فقط، على حين أن الروس كانوا يتمتعون بالدفاع في العمق، فاستطاعوا جذب الجيوش الألمانية لإستنفاد قوتها، كما إستنفدوا من قبل جيوش نابليون عام ١٨١٢، فقد كانت روسيا تسلم الأرض في سبيل ما تربحه من وقت، كذلك الحال في جبهة الشرق الأقصى، حيث إستولى اليابانيون على المدن الساحلية، ولكنهم لم يستطيعوا القضاء على المقاومة الصينية، ذلك أن الصينيين هجروا منازلهم في شرق الصين وإتجهوا نحو الغرب، ولا ننسى أيضا أن إسرائيل تحاول جهدها أن تكون مواقعها الحربية خارجها، وأن تكون البادية بالهجوم لأنها ل اعمق لها. ويجب أن نشير إلى أنه إذا كانت المساحة الكبيرة مقرونة بعدد كبير من السكان، وإستغلت موارد الدولة إستغلالا حسنا، كان معنى هذا ظهور هذه الوحدة السياسية كقوة، فنظرا لإتساع المساحة سيتنوع المناخ، وتنوع المناخ معناه تنوع غلات، كما أن إتساع المساحات قد يضم تكوينات جيولوجية متعددة، وما يتبعها من صخور مختلفة، وبالتالي معادن متنوعة، وأبلغ دليل لدينا روسيا الاتحادية، والولايات المتحدة الأمريكية، فكلاهما ذو مساحة ضخمة، فروسيا الاتحادية تمتد من دائرة العرض ٣٥ شمالا، إلى المنطقة المتجمدة، وتمتد الولايات المتحدة من مدار السرطان إلى دائرة العرض ٤٩ شمالا.

وتتشابهان أيضا في أنه بالإضافة إلى هذه المساحة الواسعة فكلاهما كتلة متماسكة **Compact** ولن توجد في أيهما مشكلة إكتظاظ سكاني، أو مشكلة أرض لمدة طويلة للغاية. فضلا عن أن كلاهما له مخارج محيطية شرقا وغربا، ولم يعرف التاريخ قوة بهذه المساحة وهذه الصفات، وهذه الإمكانيات الإنتاجية لسلع متنوعة داخل إطار وحدة سياسية واحدة، ومن الواضح أن المجال متسع أمامها لكثير من التجارب الزراعية والصناعية. ونفوذ الولايات المتحدة في الشئون العالمية، هو مقياس لدرجة التقدم الذي أحرزته كل قوة في تنظيماتها الداخلية، ومقياس لإمكانياتها.

على العموم تستوقف المساحة المناسبة لأي دولة على العلاقات بين هذه المساحة والسكان، فالإنسان هو صانع الدولة، ولكن الأرض هي التي تمدّه بوسائل الحياة، ولذلك فالمساحة المثلى هي التي تعول بكفاية هؤلاء السكان، وقد يفيض الإنتاج، فيكون هذا من عامل قوتها، ولكن إذا كانت المساحة كبيرة بالنسبة للسكان تكون أشبه بالثوب الفضفاض، وتظهر مشكلة الدفاع عن أراضيها كما هو الحال في دولة مالي بمساحة نحو ١,٢٥ مليون كم^٢ وبسكان نحو ٩ مليون نسمة، وموريتانيا بمساحة تزيد عن ١ مليون كم^٢ وبسكان يزيد بنحو ٢ مليون نسمة، كذلك تزداد مشكلات الإدارة حتى في ظل وسائل الإتصال الحديثة، وقد يؤدي هذا إلى ظهور الروح الإقليمية لعدم التجانس البشري، ويصبح من الصعب تنفيذ قوانين موحدة على جميع البشر وعلى جميع الولايات، كل منها قد تكون لها ظروفها المناخية الخاصة ومن الجائز عاداتها... إلخ، كما في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، والهند، ونيجيريا، والبرازيل، من ثم كانت الفيدرالية هي علاج تتنازل فيه الإدارة المركزية عن بعض سلطاتها، مع الإحتفاظ بوحدة المظهر الخارجي وقد تمنح بعض

الأقاليم حكما ذاتيا، كما فعلت الصين بالنسبة لأربعة أقاليم، وهي منغوليا الداخلية، وسنكيانج، والتبت على أطرافها الشمالية فضلا عن كوانجسى شونج في الجنوب.

ثانيا : شكل الدولة:

إن تماسك وإتصال أجزاء الدولة أو ظهورها ككتلة واحدة يعتبر من ميزاتها، فكلما كانت ملتزمة كلما قصرت أطوال الحدود بالنسبة إلى المساحة. ومن الناحية النظرية البحتة يعتبر الشكل الدائري مثاليا، وخاصة إذا كانت عاصمتها تمثل مركز هذه الدائرة، ويمكن معرفة الانحراف عن هذا الشكل المثالي عن طريق عمل نسبة بعد الحدود الحقيقية عن أقصر طول للحدود، أي عن محيط هذه الدائرة، فكلما كان الرقم صغيرا كانت الدولة أقرب إلى الشكل المثالي، وكلما كان كبيرا كلما بعدت عن هذا.

الدولة	أوراجواي	رومانيا	المجر	المكسيك	شيلي
% طول الحدود إلى أقصر طول لها.	١٠٥	١٣٧	١٤٦	٢٥٨	٣١٠

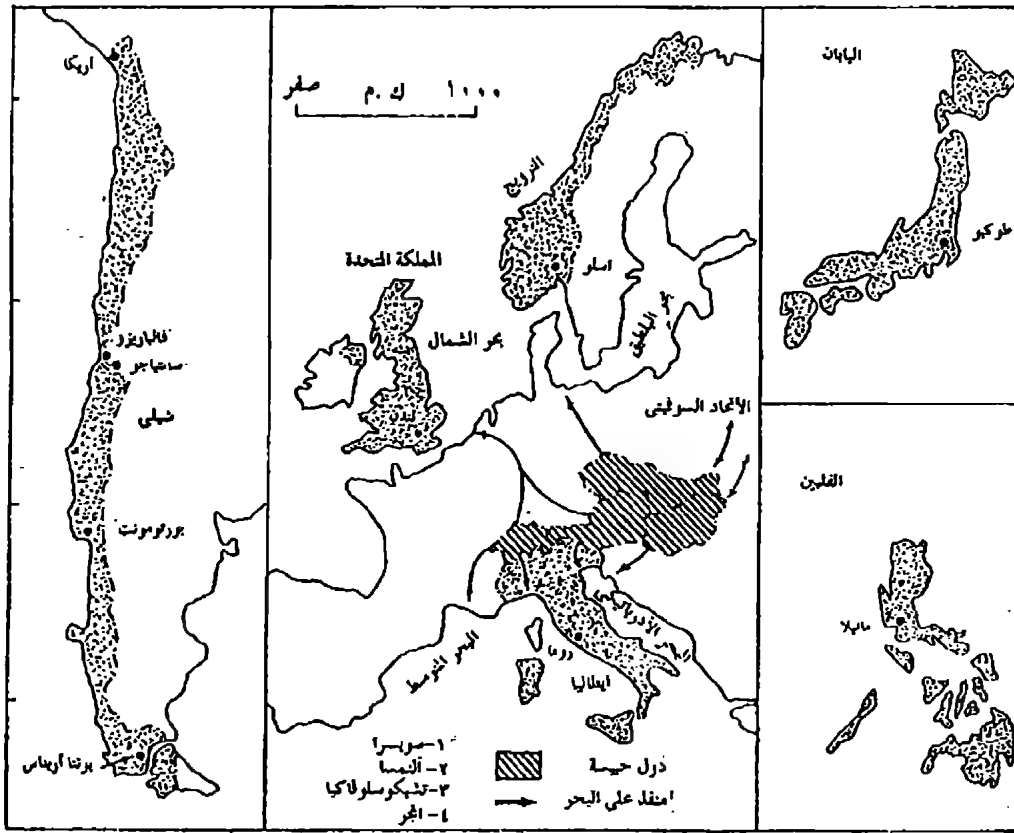
ويظهر الشكل المثالي على سبيل المثال فرنسا، ورومانيا، وسويسرا، والمجر كلها أشكال أقرب إلى المثالية، بينما تعتبر شيلي مثلا تقليديا للدول ذات الإمتداد الطولي الكبير، إذ تمتد من الشمال إلى الجنوب مسافة ٣٩٠٠ ميل، على حين أن عرضها قد لا يتجاوز المائة ميل، فإذا أضفنا إلى هذا وجود جبال الانديز التي تزيد المواصلات تعقيدا وصعوبة، أدركنا أن مشكلة الدفاع في مثل هذه البلاد من الصعوبة بمكان، كذلك الحال في النرويج التي أمكن للألمان شل حركتها بالإستيلاء على المدن والموانئ الساحلية، التي تتحكم في طرق المواصلات مع الداخل، ولا يمتد في شيلي أو النرويج خط حديدي بطول الدولة بالكامل، وإذا كانت النرويج يمتد فيها طريق طولي صالح طول العام فهذا ما لا يتوفر في شيلي التي تعتمد بالدرجة الأولى في تجارتها ونقل سلعها على السفن الساحلية، كما اضطرت شيلي أيضا إلى تخفيف التعريفات الجمركية في الأقاليم المتطرفة شمالا وجنوبا، كذلك كان لإستطالة تشيكوسلوفاكيا بالإضافة إلى ظهور الحواجز الجبلية أثره في صعوبة المواصلات، وبالتالي كان من عوامل ظهور الروح الانفصالية عند السلوفاك والتي أدت في النهاية إلى إنقسام الدولة إلى دولتين تشيك وسلوفاك.

كما تعتبر الدولة غير مثالية الشكل حين تظهر فيها أجزاء منفصلة عن الكتلة الرئيسية، فالمانيا قبل الحرب الثانية حين كان يشطرها الممر البولندي، أو الباكستان التي كان يفصل شطريها عن بعضها مسافة ألف ميل بالبر، بينما يبعد ميناء شيتاجونج عن كراتشي نحو ٣ آلاف ميل، وكان هذا من عوامل ضعف الدولة، وإنفصال باكستان الشرقية باسم دولة بنجلادش.

والأمثلة واضحة أيضا في خريطة أفريقية السياسية، حيث جمهورية مالي التي تختنق في الوسط وتترك على الجانبين كتلتين شبه منفصلتين يسهل قطعهما نظريا عن بعضهما البعض من الخارج، أي من بوركينا فاسو وموريتانيا، كذلك الحال في الصومال التي

تمتد على هيئة شكل 7 الإفرنجي فهي مفرطة في الطول مما يضعف من التماسك الداخلي، كما يمكن لاسفين أوجادين هرر الذي يتعمق في الصومال شطر هذه البلاد إلى شطرين، وتكرر زامبيا صورة مالي، كما تكرر موزمبيق صورة الصومال، أما مالاوي فليست إلا اسفينا في موزمبيق، وفي جمهورية جنوب أفريقية نجد أن، الترنسفال تمتد بعيداً إلى الشمال، حتى أنها تقع في دائرة نفوذ مابوتو، بينما خطط اصبع كابريفى في جنوب غرب أفريقية خصيصاً ليصل إلى الزمبيزى غرباً مما أدى إلى أن تشرف عليه بتسوانالاند من الناحية الإدارية.

شكل وموقع دول منتقاة



شكل وموقع دول منتقاة . كل الخرائط على نفس المقياس

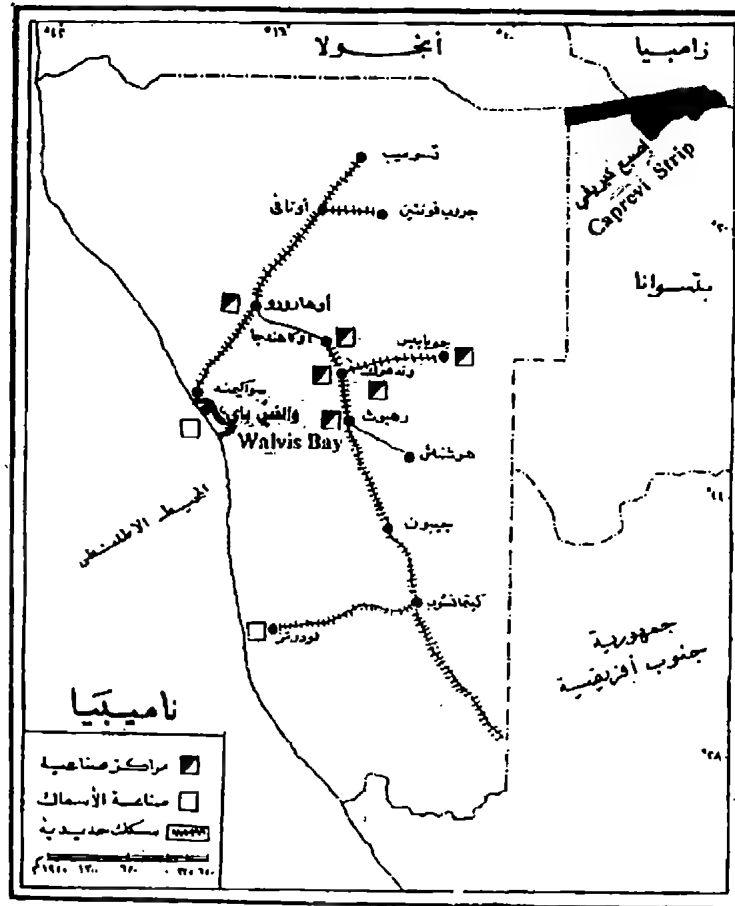
وكان من نتائج عدم الإنتظام فى أشكال الدول الأفريقية، فرط طول حدودهما السياسية فتكاد حدود أفريقية السياسية (٢٩٠٠٠ ميلا) تعادل كل حدود العالم الجديد أو ضعف حدود أوروبا (١٥٠٠٠ ميلا) .

ولكن يجب أن نستدرك ونقول بأن المشكلات السياسية لا تتوقف على عنصر واحد فقط، فهناك دول أجزاؤها متباعدة مثل نيوزلندا والدانمرك ومع ذلك لا يظهر فيها عدم

التماسك أو عدم الترابط الإجتماعى.

ثالثاً : موقع العاصمة (٣).

مما لاشك فيه أن دور العاصمة قد تغير كثيراً عما كان عليه فى الأزمنة الماضية، فعندما نتكلم عن باريس كعاصمة لمملكة الكابيتيان فى فرنسا يجب أن نزيل من ذهننا أنها كانت تقوم بالدور الذي تقوم به لندن أو روما مثلاً فى الوقت الحاضر، فقد كانت الطاقة الإدارية للحاكم صغيرة وصعبة، والأعباء الحكومية محدودة وكان الملك محاطاً بوزارته وحاشيته ويعيش لنفسه متنقلاً من ضيعة إلى أخرى، وورائه حاشيته حاملين السجلات والأختام، فالعاصمة فى ذلك الوقت كانت تتفق ومكان وجود الحاكم. على أنه كان لكل حاكم مكان مفضل، فكان شرلمان يحب مسقط رأسه آخن، وكان هذا المكان المفضل ينال عناية أكبر من سواه، سواء فى بناء القصور والحصون أو الكنائس، وذلك أن الملك كان يقضى معظم وقته فيه. ثم بدأت الأحوال فى التغير التدريجي، عندما لم تعد السجلات تنتقل وراء الحاكم، ففي إنجلترا حفظت فى برج لندن، وأختير قصر باريس المحصن لحفظ السجلات وأخذت الأعمال الحكومية تتركز فى العاصمة، وأخيراً كان لظهور النظم الديمقراطية واجتماع البرلمان فى العاصمة أثره فى تثبيت مكان ومكانة العاصمة.



(٣) رغم أن العاصمة ظاهرة بشرية، رأينا من الأنسب دراستها بعد شكل الدولة لأهمية موقعها في الدولة من الناحية

السياسية.

وكان لتطور الدور الذي تلعبه الحكومة في الوقت الحاضر، وتعدد وظائفها أثره في الزيادة المطردة لأهمية العاصمة، فقد ظهرت فيها أيضا الصناعات الخفيفة وصناعات الخدمات لمقابلة احتياجات رجال الإدارة، ومن ثم إزداد نمو العواصم، غير أنها في معظم الأحوال تكون العاصمة هي المدينة الأولى سكانيا في الدولة، فهناك خمس وعشرون دولة في أوربا (باستثناء القزمية)، وتعتبر العاصمة السياسة فيما لا يقل عن ثلاث وعشرين منها أكبر مدينة، ويظهر الإستثناء في حالة بلد كسويسرا حيث برن العاصمة الاتحادية تعتبر رابع مدينة، وكذلك الحال في بون التي إتخذت عاصمة لألمانيا الغربية. وتظهر حالات الاستثناء أيضا في قارة آسيا، فإستانبول العاصمة القديمة أكبر من أنقرة، وفي الصين يحتل ميناء شنغهاي المكان الأول، وتأتي بكين المكان الثاني. وفي أفريقية نجد أن العاصمة ليست المدينة الأولى في المغرب ونيجيريا وموريتانيا.

ويجب أيضا تذكر أن موقع العاصمة يبدو ذوى مغزى كبير. فمن ناحية الحماية والدفاع نجد الموقع المركزي مثالي، ولعل مدريد، برن، وارسو، أنقرة يمكن إعتبارها من العواصم المركزية، ولكن إذا لم تكن الدولة ملتزمة تماما، فإن اختيار الوضع المركزي يكون أمرا عسيرا، فبرلين كان وضعها مركزيا في وقت من الأوقات ولكنها الآن حتى بعد خروج جنود الاحتلال منها، أصبحت متاخمة للحدود البولندية.

وعادة ما تكون عواصم الدول البحرية بالقرب من البحر أو على كئب منه، ولكنها في الغالب تكون على خليج أو مصب خليجي، فلندن على التيمز، وطوكيو على خليج بنفس الاسم، بل والإسكندرية كانت عاصمة مصر أيام الإغريق، على العموم إذا كانت العاصمة على الساحل. أو هي منه على كئب فلا بد من أسطول قوى لحمايتها فقد سقطت أوسلو عاصمة النرويج عام ١٩٤٠ بسهولة عندما أبحر الأسطول الألماني في الخليج الذي تقع فيه.

لماذا تنقل الدول عواصمها ؟

وعندما تغير الدول وضع العاصمة في الجهات الداخلية إلى موقع على الساحل، فإن هذا معناه أولا ظهور مصالح بحرية لها أو تطلعها إلى الخارج، وثانيا أنها تشعر بثقة تامة في قواتها الدفاعية. وهذا واضح في حالة نقل العاصمة من موسكو إلى بطرسبرج (ليننجراد) في وقت ما، فقد كتب على روسيا أن ترى إمبراطوريتها تحكم لمدة قرنين من الزمان من عاصمة لم تعط إسما جديدا فحسب، بل غرست في أرض جديدة أيضا، وكان نقل العاصمة من موسكو التي تقع في قلب روسيا إلى بطرسبرج على ضفاف نهر نيفا على مرمى حجر من البلطيق نتيجة لرغبة الحكام في أن تطل العاصمة على الخارج، وتصلها تأثيرات المدنية الغربية. أما إذا نقلت العاصمة إلى الداخل، فهذا معناه أنها تبحث عن الأمن والعزلة، وهذا واضح في تركيا عندما نقلت عاصمتها من إستنبول إلى أنقرة، وروسيا من ليننجراد إلى موسكو، في حالة شيلي عندما نقلت عاصمتها من فالباريزو على الساحل إلى سانتياجو.

وقد يكون الغرض من نقل العاصمة هو تحويل الإهتمام نحو مناطق مهمة، كما هو

الحال في نقل عاصمة البرازيل من ريو دي جانيرو على الساحل إلى برازيليا في الداخل، لتنشط الأقاليم الداخلية وجذب الأنظار إليها، وقد يكون النقل لأسباب إستراتيجية كنقل عاصمة باكستان من كراتشي على الساحل إلى إسلام آباد في أقصى الشمال بالقرب من مناطق النزاع الهندي الباكستاني، مما يعكس أهمية الأقاليم الشمالية وإشعار الهند بان الحكومة هناك.

وعندما لا يكون هناك تراث تقليدي أو تاريخ عتيق للدولة، يصبح من السهل تغيير موقع العاصمة، فعندما أختيرت مدينة واشنطن كعاصمة كان السبب في إختيارها توسط موقعها بين ولايات الشمال وولايات الجنوب، وفي حالة مثل كندا، تحركت عاصمتها أكثر من مرة فكانت كوبيك العاصمة الأولى، تلتها مونتريال، ثم أصبحت الآن أوتاوا. وفي أستراليا كانت المنافسة بين ملبورن في ولاية فيكتوريا وسيدني عاصمة نيوسوث ويلز، مما أدى إلى اختيار كانبرا عاصمة لأستراليا وهي تقع في مركز وسط بينهما.

ويؤدي تطرف العاصمة إلى صعوبة الضبط السياسي من ناحية، وإضعاف قبضة هذه العاصمة على الأقاليم الهامشية والأطراف من ناحية أخرى، فضلا عن حفظ التوازن بين أقاليم الدولة المختلفة لاسيما في الوحدات الضخمة المساحة خاصة إذا كان النقل متخلفا، وإذا كانت العاصمة المتطرفة الموقع حديثة العهد، فإنها تميل إلى أن تكتسب طابعا إقليميا أكثر منه قوميا، فبحكم موقعها المتطرف غالبا ما يتألف سكانها من العناصر المحلية أو الإقليمية، وهذا يجعل وضع العاصمة في الدول المتنافرة السكان موضع جدل ومناقشة، كما هو الحال في العواصم الأفريقية، الخرطوم مثلا، البعض يذهب إلى أنها متطرفة نحو الشمال، بل إذا نظرنا إلى معظم العواصم الأفريقية سنجد أنها متطرفة (تشاد، مالي، الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا، تنزانيا، أنجولا، زائير، جنوب أفريقية وغيرها، ويرجع هذا إلى أكثر من عامل، منها أن المعمور والمناطق الأهلة بالسكان تنجح في الغالب إلى طرف من الأطراف، وبذلك تصبح العاصمة في هذا الطرف أو ذاك كما في حالة ليبيا، في وقت ما كانت هنا عاصمة مزدوجة في طرابلس وبنغازي، وكان هناك تناوب للعاصمة عاقل لكل، ثم وحدث في البيضاء، في ولاية برقة قبل الثورة ومع ذلك فالعواصم الثلاث في المنطقة الساحلية، كذلك الحال في تونس والجزائر. وتميل عواصم دول الصحراء الكبرى إلى الجنوب، ويرجع هذا إلى سقوط الأمطار الصيفية على حافة إقليم السفانا، هكذا الحال في نيامي وبماكو، كما يرجع إلى العامل السياسي لأن الإستعمار يختار عواصمه عادة في الجهات الساحلية لأنها في نظرة وسط ! وسط بين المستعمرة من ناحية وبين الدولة المستعمرة من ناحية أخرى. والعواصم في هذه الحالة كانت مواطني الأقدام الأولى للمستعمرين، هكذا الحال في أقطار غرب أفريقية بعامة، وفي أنجولا والكنغو وموزمبيق، ولا يقتصر الأمر على الأقطار الأفريقية، بل يتعداه إلى القارات التي شهدت الإستعمار، البرازيل مثلا بعاصمتها المتطرفة على الساحل ريو دي جانيرو مثل آخر. وقد تحولت عن هذا الموقع الهامشي إلى برازيليا في الداخل، كذلك الحال في الهند بعاصمتها دلهي التقليدية التي تحولت إلى ميناء كلكتا تحت الإستعمار البريطاني، ثم رجعت مرة أخرى إلى وضعها الطبيعي وهكذا.

عواصم متعددة :

ولا بد هنا أيضا أن نشير إلى العواصم المزدوجة للدولة الواحدة ، فالعاصمة كما هو معروف هي المدينة أو المركز الوحيد الذي تقوم فيه الحكومة بتأدية وظائفها، قد يكون هناك توزيع وانتشار الهيئات الادارية، ولكن الحكومة بوجه عام تكون مركزة في العاصمة، وهناك أمثلة أخرى لتعدد العواصم في بعض الدول، نذكر منها هولندا أو الأراضي المنخفضة، حيث أمستردام العاصمة الإدارية والتي توجد فيها الإدارات الحكومية ومركز المل، بينما نجد البرلمان في لاهاي، كذلك الحال في بوليفيا حيث تمثل بلدة **Sucre** الصغيرة العاصمة الرسمية، ولكن الإدارة الحكومية في مدينة لاباز، وتكرر الظاهرة في جنوب أفريقيه مرة أخرى فنجد كيب تون مركز البرلمان وبريتوريا مركز الحكومة. ويبدو أن هذا الموقع اتخذ لارضاء القوميتين الإنجليزية والهولندية، فكيب تون هي أكثر مدن جنوب أفريقيه نطقا للإنجليزية، بينما بريتوريا تمثل معقلا رئيسيا للبوير.

وقبل أن ننهي الكلام عن العواصم ، يمكن أن نشير إلى أهمية العاصمة فهي واجهة الدولة، ومن ثم تتال عناية أكبر من غيرها بكثير، ويكفى أن يمتد البصر من ناطحات السحاب في بعض دول أمريكا اللاتينية لترى أكواخ الصفيح، وكما قال ويتسلى عن أدیس أبابا "إنها قناع يخفي وراءه بقية أثيوبيا". وتتعدى العاصمة كونها مركزا إداريا وتشريعيا للدولة، فالعاصمة هي التي تستقطب الشعور القومي للأمة، وهي رباط عناصر الأمة المختلفة، وتمثل رمزا شبه مقدس لديهم، وتتضح أهمية العاصمة كمركز للأمة في نقل العاصمة أحيانا من المناطق الهامشية إلى الداخل لتكون أكثر تمثيلا للدولة، أنقرة بدلا من إستانبول، موسكو بدلا من بطرسبورج، كذلك رغبة البرلمان الألماني في نقل عاصمة ألمانيا الغربية إلى برلين بدلا من بون، كما تبدو أهمية العاصمة في انهيار معنويات الشعب إذا ما سقطت في أيدي الأعداء.

برلين عاصمة دولة، ثم ربع دولة، ثم عاصمة للدولة:

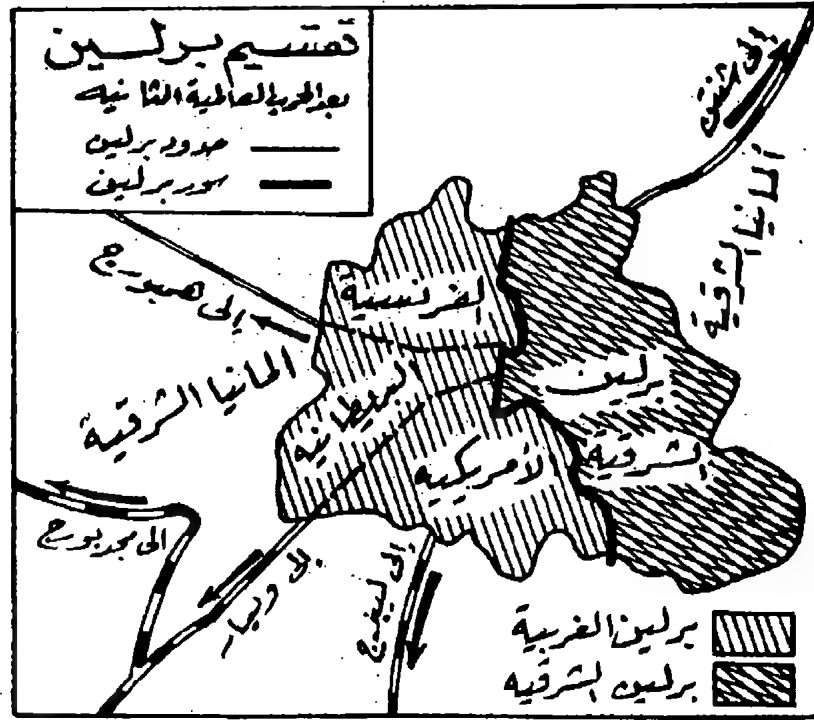
كانت برلين قائمة حتى من قبل التاريخ الرسمي لإنشائها، حيث كانت قوية على ضفة نهر شبرى ثم في ٢٨ أكتوبر سنة ١٢٣٧. وقعت وثيقة "ترقيتها" إلى مستوى مدينة. واعتبر هذا اليوم هو يوم إنشائها.

ويقال أن إسمها مشتق من الكلمة الألمانية **Beur** التي تعنى " الدب ". وأن هذا هو السبب في أن رمز مدينة برلين هو الدب.

في عام ٢٠٠٠ أصبحت برلين هي العاصمة " الأبدية " للألمانيتين وحتى عام ١٩٤٥ كانت برلين هي العاصمة " الأزلية "، وفي الفترة ما بين ٤٥ إلى ١٩٨٩ كان نصف برلين عاصمة لربع ألمانيا (ألمانيا الشرقية) .. ونصفها الآخر الغربي برلين الغربية احتلته القوات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية.

فعندما إنقسم العالم إلى معسكرين وإنقسمت ألمانيا إلى دولتين، إنقسمت برلين أيضا، وأقام الشيوعيون بين القسمين سورا بالطوب والأسمنت أمامه سور من الأسلاك الشائكة،

وخلفه سور من موانع الدبابات. ثم سور من الكشافات وأصبحت برلين الشرقية عاصمة لألمانيا الشرقية، بينما أصبحت بون عاصمة لألمانيا الغربية.



وحاول بعض الألمان القفز عبر هذا السور المركب، ونجح بعضهم، وفشل البعض الآخر، ولقوا مصرعهم برصاص الحرس الشيوعي، وإعتبرهم الجانب الغربي شهداء، وقال عنهم الشرق أنهم خانوا مبادئ ونظرية المفكر الألماني كارل ماركس.

ولما بلغت الحرب الباردة ذروتها قرر "السوفيت" خنق مدينة برلين الغربية، وقطعوا عنها قوافل الزاد والمؤن لمدة ١١ شهر، ولكن المدينة المضيئة لم تمت ولم تهتز.. وإنما إرتبطت بجسر جوى مع الحلفاء الذين أفاضوا عليها الطعام والشراب والمشاعر الجياشة. وأصبحت برلين رمزا للصمود. كما كانت رمزا للإنقسام ثم رمزا للوحدة.

واقترح برلمان ألمانيا عقب إعادة توحيدها عام ١٩٩٠ بأغلبية ضئيلة على قرار نقل العاصمة من بون وإعادتها إلى برلين.

وخلال حقبة العشرينات من هذا القرن كانت برلين عاصمة الثقافة في أوروبا، وكان يطلقون على هذه الحقبة اسم الحقبة الذهبية. وقبل التقسيم كان ميدان "بوتسدام" هو قلب المدينة، وكان يطل على هذا الميدان البيت الذي عاش فيه هتلر في أيامه الأخيرة. وتحت البيت كان يوجد فندق أو مخبأ يختفي فيه من الغارات الجوية للحلفاء، وفي هذا المخبأ تجرع السم بعد أن أدرك أن الهزيمة محقق.

معارضون :

وقد أثار قرار نقل العاصمة إستياء أهالي بون العاصمة السابقة لألمانيا الغربية الذين قالوا أن إجراءات النقل ستكلف نفقات باهظة في وقت يعاني إقتصاد ألمانيا من الركود

بعد التكاليف التي تكبدتها في إعادة التوحيد، فضلا عن أن هذا النقل سيضر بالوضع الإقتصادي والسياسي لمدينة بون. وقال المعارضون أيضا أن هذا الانتقال سيقوى من النزعة القومية المتطرفة لدى اليمين الألماني، وأن برلين لم تعد مدينة محبوبة من العالم منذ أن أصبحت عاصمة للقيصرية الذين أججوا معارك الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ثم عاصمة لهتلر الذي أشعل الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، ثم أصبحت المدينة التي تفجرت منها الحرب الباردة.

مؤيدون:

وقال المؤيدون لقرار النقل أن برلين هي العاصمة الطبيعية لألمانيا بعد إعادة توحيدها، وأن هذا النقل يسهل إدماج القطاع الشرقي من ألمانيا المتخلف إقتصاديا والذي يضم برلين في القطاع الغربي من ألمانيا، الأكبر والأقوى، ويوفر ٥٥ ألف فرصة عمل جديدة.

وفي صيف عام ١٩٦١ عندما بنوا سور برلين تعمدوا أن يمر السور في وسط هذا الميدان التاريخي، فأصبح هذا الميدان أيضا مقسما بالحائط الأسمنتي والأسلاك الشائكة وعلى الجانبين أحجار متناثرة وحشائش نمت شيطانيا. والآن بعد هدم السور الذي كان يبلغ طوله ١٥٥ كيلو مترا، وكان يحيط ببرلين الغربية إحاطة كاملة ويعزلها عن كل ما حولها، وبعد هدمه لم يبق منه إلا جزء أثرى طوله أربعة كيلو مترات، تحول إلى معرض لمجموعة من اللوحات والرسوم التي أبدعها الفنانون الألمان للسخرية من النظام الشيوعي السابق في شرق ألمانيا، ومن رئيس هذا النظام الذي قال في آخر تصريح له قبل سقوطه " إن هذا السور سيستمر مائة سنة أخرى "

وهناك ١٩٠ ألماني (شرقي) لقوا مصرعهم وهم يحاولون الهروب من فوق السور أو من تحته عن طريق أنفاق حفروها باظافرهم. كما أن هناك مئات آخرين أمسكت بهم السلطات الشيوعية وهم يحاولون الهرب ووضعتهم في السجون ... وهم يعتبرون الآن أبطالا مناضلين.

رابعا : النواة Core أو قلب الدولة:

النواة بين الجغرافي الإقتصادي والجغرافي السياسي:

من المعروف أن كل إقليم له نواته، وكذلك كل دولة كما سبق أن ذكرنا، وإذا كان من الصعب إعطاء تعريف لهذه النواة، إلا أنه يمكن القول بأنها قلبه، ومركز الجذب الرئيسي فيه، فإقليم لندن هو نواة إنجلترا، وباريس قلب فرنسا، والقاهرة الكبرى قلب مصر وهكذا، ولكن الصعوبة تظهر حين يبدأ الإنسان بتحديد أبعاد هذه النواة على الخريطة سواء على مستوى الدولة أو حتى القارة، فما هي المساحة الداخلية في النواة؟ وما هي الخارجة عنها؟ يذهب البعض إلى أنها الإقليم ذو الإنتاجية المرتفعة، وبالتالي تصبح النواة هي ظاهرة إقتصادية، وبالتالي يمكن تعريف النواة بأنها إقليم محدد، يتميز بنشاط إقتصادي فائق، وبمدن تضم أعدادا كبيرة من السكان، وهذا التحديد لاشك يقتنع به الجغرافي الإقتصادي، ولكن قد لا يقتنع به الجغرافي السياسي، أو متخصص الجغرافية التاريخية، فالجغرافي السياسي يذهب إلى القول بأنه إذا كانت النواة في داخل الدولة ذات الحدود

السياسية، فإن النواة السياسية لا بد وأن تضم العاصمة بداخلها بوظائفها المختلفة، وبمشاعر السكان العاطفية نحوها، وفي الحق أن العواصم في معظم الأحوال تقع فعلا ضمن النوايا وإن كان هناك إستثناء ففي بعض الأحيان تظل العاصمة التاريخية كشاهد على أمجاد تاريخية، ولكنها في الوقت الحاضر تقع في الظل بالنسبة لإقليم صناعي جديد، قد يكون بعيدا عنها، ويضم مدنا كثيفة السكان تنافس العاصمة في كل شيء، ماعدا إرتباطها بالتراث السابق، في إيطاليا لاشك أن إقليم حوض البو، وميلانو حيث النشاط الزراعي يمثل هذه الحالة، ولكنك إذا بحثت عن قلب وروح إيطاليا لاشك ستتقدم روما على ميلانو.

النواة في أوروبا:

إذا انتقلنا إلى مستوى القارة الأوروبية، سنجد أن هناك الإقليم النواة على مستوى القارة، بعكس الحال في أفريقية، وأمريكا اللاتينية حيث لا توجد نواة واحدة، ولعل السبب الرئيسي في طبيعة النواة الأوروبية المتناسكة أو المتصلة، هو التقارب بالنسبة للأقاليم المنتجة، بحيث تكاد تلتحم، ولكن الذي لا يقل أهمية هو وجود شبكات متقدمة من المواصلات، واستعملنا صيغة الجمع لأن هناك الطرق والسكك الحديدية والمجاري المائية، وكل منها تكون شبكة قائمة بذاتها تخدم النواة، وتربط بين أجزاء النواة المختلفة، كما لا يحدث في أي إقليم آخر في العالم.

وعندما أصبح هناك حاجة لنقل الفحم والحديد، دخل التحسين والتطوير على المجاري المائية، ومع إقليم الرور كإقليم صناعي، تحول نهر الراين إلى طريق مائي كثيف الحركة، كأى طريق برى تتكثف شاحناته وتطورت شبكة الخطوط الحديدية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبالتالي انخفضت تكاليف النقل البرى، وازداد تطوير هذه الشبكات في القرن العشرين، بحيث أصبح لا يوجد مكان في هذه النواة الأوروبية يبعد بأكثر من عشرة أميال عن أقرب خط حديدي، بإستثناء بعض مساحات بسيطة في جبال الألب، وفي الحقيقة إن شبكات الخطوط الحديدية تعتبر من مظاهر الحضارة الغربية، لدرجة أن يقاس تأثير الحضارة الغربية على الجهات الأخرى من العالم أحيانا بمدى دخول الخطوط الحديدية فيها، كما لا يوجد إقليم في العالم كله ينافس غرب أوروبا في كثافة الخطوط الحديدية، وتسهيلات النقل عليها سوى شمالي شرقي الولايات المتحدة الأمريكية.

هكذا تكاثفت الطرق وتقاربت في أوروبا الغربية، ولكن ليست على النظام الأمريكي، حيث تتميز بالضخامة والإتساع Highway، لان الأخيرة حين مدت، كانت في أراضى مخلخلة السكان، عكس غرب أوروبا الكثيف السكان، فعصر الطرق المتسعة الضخمة بدأ بعد الحرب العالمية الثانية (*).

(*) أنظر في هذا بالتفصيل في كتابنا أوروبا الجديدة، دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، الأنجلو المصرية،

الفصل الثالث

المظاهر الطبيعية

لا يمكن إغفال المظاهر الطبيعية في الجغرافية السياسية، فالعلاقة بين سكان الدولة وأراضيها لا يمكن فهمها إلا بعد التعرف التفصيلي على كل منها. وعادة ما تكون نسبة الخطأ في الدراسات الطبيعية أقل من الدراسات الإنسانية، لأن الأولى صفة الثبات، فالأرض التي تحتلها الدولة تغييراتها عادة أبطأ من تغيرات البشر الذين يعيشون عليها، وكلنا نعرف أن أي إطار طبيعي توضع فيه الدولة، ما هو إلا نتيجة تفاعل العوامل المتعددة، كل منها يعالج على حدة للتعرف عليه بدقة، وإن كانت تتجمع وتتفاعل لتعطينا في نهاية الأمر مسرحاً مجهزاً يعيش عليه الإنسان.

أولاً : البناء الجيولوجي والتضاريس :

فجيومورفولوجية الدولة ما هي إلا البناء الجيولوجي بعد تاريخ جيولوجي طويل عدلته الظروف الطبيعية، والأنهار التي تجري في الإقليم يمكن اعتبارها ظاهرة طبيعية، ولكنها من حيث السرعة والاتجاه ترتبط بنوع الصخور التي تجري فيها. وليس من شك أن الدراسة الطبيعية التخصصية خارجة عن نطاق الجغرافية السياسية، ولكن الإحاطة بها تساعد على تفهم المظاهر الطبيعية في علاقة المجتمعات بالأرض، فعلى سبيل المثال، البناء الجيولوجي يستحق عناية الجغرافية السياسية لعدة أمور منها: التعرف على موارد الدولة المعدنية، فهذه من أهم دعائم قوة الدولة، والبناء الجيولوجي أيضاً مسئول عن سهولة الوصول إلى المعادن أو صعوبة.

الأمر الثاني أن البناء الجيولوجي مسئول عن الخطوط العامة لتضاريس سطح الأرض بالإضافة إلى عوامل التعرية، فالتضاريس تلعب دوراً كبيراً في الدولة، فالسهول تصلح لقيام نوياح الدول، بينما المناطق الجبلية كثيراً ما تكون غنية بالمعادن أو القوى المائية والأخشاب، إذا إستغلها الإنسان، كانت مصدر قوة إقتصادية عظيمة للدولة. كما أنه يمكن القول أيضاً أن الوحدة السياسية يسهل تحقيقها في الأرض السهلية عن المناطق الجبلية. فكثير من الأجزاء الجبلية يعاني خلخلة في السكان، إذ أن السكان يتجمعون في الأودية، بينما يتبعثرون في الجبال، ولا يسهل بينهما إتصال، بحيث تصبح الوحدة هي العشيرة، إن تطورت كانت كانتونا أو ولاية وإذا إتحدت هذه الكائونات فإنها لا تكون دولة واحدة إلا بعد مرحلة كبيرة من التقدم السياسي، كما هو الحال في سويسرا.

ويمكن القول أيضاً أن الإنتقال والتحركات البشرية تكون أيسر في السهول عنها في الجبال، وبالتالي يتسع نطاق النشاط التجاري والثقافي ولكن هذه

المنطقات السهلية التي تمنح التسهيلات، وتشجع على النمو، وعلى التوسع من جانب كل وحدة سياسية مجاورة، تخلق بالتالي حالة من المنافسة، من ثم تبذل كل دولة في السهول جهودا كبيرة للإحتفاظ بحدودها.

ولعل السهولة التي تتوسع بها الدولة القوية في هذه السهول، هي إنعكاس لما نراه على الخريطة السياسية، من أن السهول إما أن تتجمع في وحدة سياسية واحدة، مثل السهول الروسية، تمثل أول منطقة نزاع بين الدول المتنافسة. ولعل المثل الأول واضح في حالة السهل الروسي الذي يدخل ضمن روسيا الاتحادية بينما يتضح المثل الثاني في السهل الأوربي الذي ظل كمنطقة نزاع دائم بين الدول التي تحتله حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ / ١٩٤٥)، والوحدات السياسية التي تعيش في هذا الميدان تعيش في خوف دائم من الإعتداءات الخارجية، وبالتالي يؤثر هذا على تنظيمها الداخلي. هذا على عكس المناطق الجبلية، التي تعطى تسهيلات دفاعية كبيرة للغاية، ويمكن للدولة أن تؤمن على نفسها إلى حد كبير، وإن عانت بعض العزلة السياسية والإقتصادية، وليس من شك أن سهولة الإدارة ودرجة الوحدة في داخل الدولة تتأثر بطبيعة أرضها، وصعوبة الإنتقال، فعلى سبيل المثال تظهر إكوادور على الخريطة السياسية وكأنها دولة ملمومة، متوسطة الحجم، ولكنها في حقيقة الأمر تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

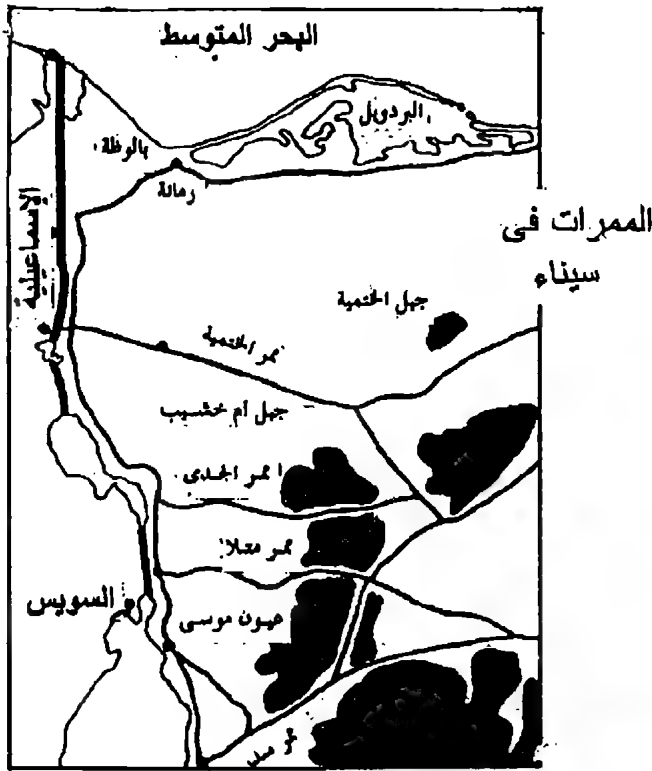
السهل المطل على المحيط الهادي، سلاسل وهضاب الإنديز، والسهول المنحدرة إلى الأمازون في الداخل، ولم تكن هذه الأقاليم يوما ما متكاملة، فسهول الأمازون صعب الوصول إليها كما أنها مزخلة السكان، بينما تختلف سهول المحيط الهادي عن الجبال، مناخا وسكانا، إذ يسكنها الهنود الحمر والمستيزو (المخلطون)، كما أن وسائل النقل صعبة للغاية على حين لا توجد سوى الأنهار وسيلة من وسائل الحركة في سهول الأمازون الكثيفة الغابات، لذلك فقد إستطاعت دولتا كولومبيا وبيرو إقتطاع أجزاء منها.

وتؤثر التضاريس في إتجاه وسائل النقل، ففي ويلز من الصعب مد الخطوط الحديدية من الشمال إلى الجنوب بسبب الكتل الجبلية، ولذلك فالخطوط الحديدية تمتد فيها من الشرق إلى الغرب متتبعة الأودية، ومن المعروف في بريطانيا أنه أسهل لسكان ويلز إذا أرادوا الإجتماع ببعضهم أن يتم هذا الإجتماع في إنجلترا عنه في ويلز.

وللتضاريس أثرها في تعيين خطوط تقدم الجيوش وإنسحابها، فحيث ترتفع الأرض تصبح من الوعورة بمكان بحيث يصعب على الجيوش عبورها برا، تظهر أهمية الممرات التي تفصل الكتل الجبلية عن بعضها، وتصبح هذه المضائق محاور للتحركات الحربية كما هو الحال في ممرات الختمية والجدى ومثلا وسدر في سينا، وكما هو الحال في ممرى خيبر وبولان بين باكستان

وأفغانستان. وللتضاريس أثرها في تعيين التكتيك والأسلحة التي تستعمل في الميدان فسهول روسيا الفسيحة وصحارى شمال أفريقية وسيناء الرملية تعتبر ميدانا جيدا لإستعمال الدبابات والمدرعات، بينما مرتفعات النرويج وجبال الألب لا يصلح فيها إستعمال المدرعات، وكشفت التجارب العسكرية في الحرب العالمية الثانية إختلاف التكتيك في كل ميدان بحسب طبيعة الأرض، فإستخدم الألمان أسلوب الإنزال الجوى على جزيرة كريت الجبلية، كما طور الحلفاء أسلوب حرب العصابات في المناطق الجبلية في اليونان، ويوغسلافيا سابقا، وإيطاليا، مما اضطر معه الألمان إلى حشد ٢٢ ألف جندي لمجابهة خمسة آلاف وخمسمائة جندي من رجال العصابات.

وللتضاريس أثرها في تخطيط الحدود السياسية، فإذا قلت المعالم



المورفولوجية البارزة التي يمكن إتخاذها كنقاط مرجعية للحدود، تسود الحدود الهندسية كالخطوط المستقيمة والأقواس والخطوط الفلكية كخطوط الطول والعرض، وليس من شك أن الحدود السياسية العربية وجزء كبير من الحدود السياسية الأفريقية تنتمي لهذا النوع، ومثل هذه الحدود الخطية لا تعبر إلا عن القوة النسبية للقوى الأوروبية التي قامت بتعيينها، أي مناطق نفوذها

في إطار ما يسمح به من التوازن القائم بينها مثل حدود مصر مع فلسطين، منطقة الحدود الليبية المصرية - الحدود المصرية السودانية على حين تستغل المظاهر المورفولوجية البارزة في تعيين الحدود كما هو الحالي في الحدود الهندية الصينية، الحدود بين شيلي وأرجنتين وهكذا.

ثانيا : الأنهار :

وأهمية النهر للدولة تعتمد في جزء كبير منها على طبيعة وأدى النهر نفسه، وكذلك على الظروف الطبيعية للأراضي القريبة منه فقبل أن يعرف الإنسان كيف يقيد ويسلسل الأنهار، كانت هذه مقبولة كحد سياسى بين الدولة، وذلك

لسهولة تمييزها من ناحية، ثم لأنها هي والسهل الفضي الذي حولها تكثر فيها المستنقعات من ناحية أخرى. من ثم أصبحت وظيفتها دفاعية، فكانت الأنهار تقوم بوظيفة الفصل بين الوحدات، ولكن الأنهار هي وأوديتها تعطى طرقاً سهلة للتحركات البشرية، حتى ولو جرى النهر في منطقة سهلية بحيث أن التحركات في داخل الدولة كانت تتبع الخطوط النهرية قبل ظهور السكك الحديدية، وحتى بعد ما أصبحت السكك الحديدية وسيلة عالمية للمواصلات، نجد أن الذين يمدون الخطوط الحديدية يتبعون أسهل الانحدارات وأكثرها تدرجاً، ولن يجدوا خيراً مما تقدمه أودية الأنهار من تدرج، وبذلك تثبت الأنهار مرة أخرى أنها عامل وصل قبل أن تكون عامل فصل.

ليس من شك إذن، أن الأنهار كانت من وسائل التقدم البشري، حيث أنها كانت تتبعها الهجرات في كثير من الأحيان، فلقد كان سانت لورانس والمسبى هما المحوران التي امتدت على حولهما الممتلكات الفرنسية في أمريكا الشمالية، إذ توغل المستكشفون الفرنسيون إلى داخلية القارة بفضلها، وكانت مناطق عبور الأنهار قبل بناء الكباري من الأهمية بمكان، حتى أن أكثر المدن ترجع في نشأتها لصلاحيه النهر كمكان للعبور عندها، ثم أخذت في النمو بعد ذلك وفي بعض الأحيان نمت المدن على جزيرة في النهر، لأنها تتمتع بميزتين : عامل الحماية من ناحية، وأهميتها العبورية من ناحية أخرى، وباريس مثل حي وبارز على مدن الجزر.

غير أن الأنهار أحياناً ما تكون عامل فصل، وتصبح من الأمور المضادة أو التي لا تساعد على الوحدة الوطنية، ويأتي هذا نتيجة عوامل منها الاتساع الكبير لعرض المجرى المائي بحيث لا يمكن إقامة كوبري عليه، وقد يرجع إلى طبيعة تدفق وتصريف النهر أكثر منها من مجرى النهر، كأن يكون الوادي على هيئة خانق. ولعل خنادق الأنهار في أسبانيا من خير الأمثلة في هذا المضمار، كذلك الحال في خانق الزمبيزي الذي يتلو شلالات فيكتوريا، وهناك خانق الكلورادو الشهير بالولايات المتحدة الأمريكية الذي يمثل صعوبة كبيرة لو كان هناك ضرورة ملحة لربط المرتفعات التي على جانبيه.

ويمكن القول أن من بين الفوائد العديدة التي يجنيها الإنسان من مياه الأنهار، هناك أربع فوائد رئيسية، فالأنهار تستخدم أحياناً كحدود سياسية وهذا ما سنفصله فيما بعد، وتستغل مياهها في الري في بعض جهات العالم حيث يسود الجفاف المناخي وهذه الدول هي التي عرفت باسم دول الري **Irrigation States**.

ويضاف إلى هذا استعمال مياه الري في أغراض صناعية كتبريد المولدات الكهربائية ومثل هذه المياه لا تضيع كما هو الحال في مياه الري بل ترجع إلى النهر، وإن كانت في هذه المرة الأخيرة تحتوي على مواد كيميائية قد تكون سامة فتقضى على الأسماك وتجعلها غير صالحة للاستخدامات الأخرى وهذا نموذج

لمشكلة تلوث البيئة.

وإذا كان إستغلال وتنظيم الاستفادة من مياه النهر هي مسألة وطنية بحتة، لما كان هناك داع للتفصيل في هذا الموضوع في مجال الجغرافية السياسية، ولكن المشكلة تأتي من أن معظم الأنهار دولية لأنها تجرى في دولتين أو أكثر، من ثم كان لابد من الإتفاق على طرق إستغلال الأنهار بين الدول الواقعة في أحواضها حتى لاتتضر إحداهما، ولعل الإتفاقيات الخاصة بتنظيم الملاحة هي أسهل هذه الإتفاقيات، على اعتبار أنها لا تؤثر كثيرا في مياه النهر بينما نجد الإتفاق على توزيع مياه النهر أو إستغلالها بأي طريقة من الطرق أكثر صعوبة.

الملاحة في الأنهار الدولية :

استغلت الأنهار للملاحة منذ العصور الأولى من تاريخ البشرية، وكانت الأنهار هي المسالك الرئيسية في كثير من الأحيان للكشف عن كثير من المناطق المجهولة، كما حدث في حالة أنهار الولايات المتحدة الأمريكية النابعة من الأبالاش والممتجة نحو الغرب، وكما حدث في حالة نهر الأمزون في أمريكا الجنوبية. وقد استغلت أنهار القارة الأوربية في العصور القديمة لأغراض الملاحة بدرجة لا يتصورها الإنسان في الوقت الحاضر، فكانوا يستعملون القوارب الصغيرة للأنهار الصغيرة. وكانت الأنهار السريعة تستغل تياراتها في تسيير السفن نحو الأجزاء الدنيا، وكانت تبنى القوارب للملاحة في المناطق الجبلية لتسير مع الأنحدار في إتجاه المصب، وعندما تبلغ نقطة الوصول تباع أخشابها ويستفاد بها، أما في البناء أو في إيقاد النار.

ولكن يعيب الملاحة في العصور القديمة والوسطى، الضرائب العديدة التي كان يفرضها الحكام الذين كان النهر يجرى في قسم من أراضيهم، حتى لقد كادت هذه الضرائب الباهظة تقتل الحركة والنقل في بعض الأنهار فقد كانت هناك ثلاثون ضريبة تدفع على نهر الراين، من بال في وسويسرا إلى بحر الشمال، حتى أن مجموع هذه الضرائب في بعض الأحيان كان يفوق قيمة السلع المحمولة.

وقد أدى هذا فيما بعد إلى إقرار مبدأ حرية الملاحة في جميع أجزاء الأنهار الدولية الصالحة للملاحة من المنبع إلى المصب لكل من الدول التي تقع في أحواضها، أما الدول الأجنبية عن النهر، فقد ظلت لا يسمح لها بحرية الملاحة، وكانت فرنسا أولى الدول التي أعلنت وجوب تقرير مبدأ حرية الملاحة في الأنهار الدولية وطبقته فعلا بالنسبة لنهر الميز والشاد عام ١٧٩٢ ذلك أن مصب الشاد كان يقع تحت قبضة هولندا وقد أغلقت ميناء أنتورب أمام السفن، ثم جيوش الثورة الفرنسية في ذلك العام. وأعلن المجلس التنفيذي للجمهورية الفرنسية حرية الملاحة في النهر لكل الدول التي تحيط به ولغيرها.

الملاحة في الدانوب :

لنهر الدانوب أهميته الخاصة بين الأنهار الدولية لكثرة عدد الدول التي يمر بها ، ولأهميته الكبرى من ناحية الملاحة والنقل من وسط وشرقي أوروبا إلى جنوبها الشرقي، وظلت الملاحة في النهر مدة طويلة خاضعة لإرادة الدول التي يجري فيها. ولما كانت تفرضه من قيود عليها، حتى كانت معاهدة باريس عام ١٨٥٦ التي أنهت حرب القرم، والتي أقرت حرية الملاحة في الدانوب على أسس لائحة الملاحة الدولية التي أقرتها الدول في مؤتمر فيينا عام ١٨١٤، وتقضى لائحة مؤتمر فيينا أن تكون الملاحة في الأنهار التي تمر بعدة دول إي تجاورها حرة لمراكب جميع الدول في الجزء الصالح منها للملاحة حتى المصب، مع مراعاة اللوائح الخاصة بالبوليس والملاحة التي تضعها الدول صاحبة النهر، على أن تطبق هذه اللوائح على وجه المساواة بالنسبة لكافة الدول، وألا تكون من شأنها إعاقة التجارة الدولية. وقد تقرر في المعاهدة إنشاء هيئة خاصة لتنظيم الملاحة في النهر والقيام بالأعمال الهندسية وهي اللجنة الأوربية للدانوب. وأعيد تنظيم الملاحة في الدانوب بعد الحرب العالمية الأولى في معاهدة فرساي وطبقا لاتفاقية خاصة أبرمت في باريس عام ١٩٢١.

اتفاقية الكونغو:

وبمقتضاها اتفق عام ١٨٨٥ على أن يفتح الكونغو لتجارة جميع الدول، حيث أبيحت حرية الملاحة لسفن جميع الدول، ولم تشمل المنطقة موضوع الاتفاق نهر الكونغو وروافده فحسب ، بل تعدتها أيضا إلى نهر النيجر.

اتفاقية برشلونة :

لم تكن نصوص معاهدة فرساي فيما يختص بالملاحة النهرية غير أحكام وقتية تقرر أن يحل محلها في أول فرصة إتفاق عام لتنظيم الملاحة في الأنهار، وقد أتيت هذه الفرصة في مؤتمر برشلونة عام ١٩٢١. وإتفق المؤتمر على مبدأ حرية الملاحة في الأنهار الدولية والقنوات المائية التي تختصر المسافات بينها وتصرف العوائد التي تجمع على خدمات تحسين الملاحة وتحسين المجرى والأرصاد وغيرها.

الوظائف الأخرى للأنهار :

وفي المناطق الجافة وشبه الجافة نجد أن النهر هو شريان الحياة للدولة ، يترك طابعه وآثاره على تنظيماها. كما في مصر القديمة والحديثة ، وكما في العراق . وهذه هي التي يطلق عليها دول ري **Irrigation States**.

وقد اعتمد سكان تلك الجهات على الفيضان الطبيعي للنهر في العصور القديمة، ثم أقيمت عليه المشروعات الري حديثا. وكان التعاون والتفاهم ضروريا

لتوزيع مياه الري بحيث لا يتحكم سكان أعالي النهر في سكان جزئه الأدنى، كذلك كان التعاون لصد قبائل الرعاة المغيرة وكانت هذه الدول تستمر في حالة إنتعاش مادامت قادرة على صد المغيرين، ولكن ما أن ينتابها الضعف حتى تسوء أحوالها الإقتصادية وتنتابها الفوضى، ويستولى عليها الغزاة.

وإذا كانت هناك دول نهريّة كما رأينا في مصر والعراق وغيرهما ، فإن هناك دول دلتاوات **Delta States**، ويبدو أن وجود هذه الدول لا يتفق والمنطق الجغرافي لأنها تتحكم في مصبات أنهار تنتمي لدول أخرى . وهولندا مثل حي لدول هذا النوع لأنها تتحكم في دلتا الراين والشلد والميز، فهنا في هذه المنطقة قامت دولة لها شخصيتها القومية، وكان عامل الحماية من الزوال، هو أهمية موقعها الجغرافي نظرا لأن الدول الأخرى لا تسمح لأى دولة قوية بالتسلط عليها، فأصبح أمان هولندا لا يرجع إلى قوتها العسكرية، بقدر ما يرجع إلى التوازن الدولي في أوربا، لذلك تظل في أمان إلا في الفترات التي تتغلب فيها القوة الألمانية، كما حدث أثناء الحرب العالمية الثانية. ومنذ بداية القرن العشرين ظهرت للأنهار وظيفة أخرى في نشاط الدولة وهو أنه أصبح في إمكانها أن تمد بالقوة المائية ولكن لم تظهر هذه الطاقة كمنافس للزيت أو للفحم إلا بعد معرفة الإنسان كيفية توليد الكهرباء، ونظرا لأن مقدرة النهر على القيام بهذه المهمة تتوقف على كمية المياه وعلى سرعة التيار، فإن معنى هذا أن هذه الوظيفة التي يقوم بها النهر مستمدة من التضاريس والمناخ ، ولذلك نجد أن الدول ذات الطبيعة الجبلية والتساقط الغزير قد حبتها الطبيعة بهذه الطاقة كالنرويج، والسويد، وسويسرا، فرغم فقرها في البترول والفحم، فإن هذه الطاقة كانت لهم خير عون، ولا ننسى أن بعض الدول الداخلية تحاول أن تتحكم في مصب النهر، على إعتبار أن تقدمها يتوقف على سهولة الوصول إلى البحر. وإذا لم تستطع الوصول لمصب النهر فإنها تلجأ أخيرا إلى إيجاد منطقة حرة لها كم منطقة تشيكوسلوفاكيا (سابقا) الحرة في ميناء هامبورج.

الماء والأمن القومي :

إفتحمت نقطة الماء ساحة الأمن القومي في الوقت الحاضر أكثر من أى وقت مضى للتزايد السكاني، وزيادة التصحر والجفاف، وفي دراسة لمعهد أمريكي عن أزمة المياه ، كذلك قال دكتور بطرس غالى من موقعه كأمين عام للأمم المتحدة، أي من موقع يتعين فيه أن يكون ملما بالبيانات الأساسية المتعلقة بحاضر ومستقبل هذا الكوكب، بأن أبرز حروب المستقبل سوف تكون بسبب ندرة المياه، وإحتحام نقطة الماء ساحة الأمن القومي بهذا الإندفاع الحاد، سببه أن الأمن القومي يصبح هشا بدون القدرة على ضمان البقاء. وقد إنتقلت مشكلة المياه من كونها في الماضي قضية إقتصادية إلى أن أصبح ضمان توفيرها قضية بقاء ووجود. ولم تعد هناك مناطق في العالم محصنة إتجاهها سوى مساحات بسيطة،

لذلك كانت قضية المياه ليست قضية مياه للشرب أو الزراعة أو الصناعة، إنما هي قضية هذه جميعاً، من ثم كان لابد من تأمينها، وقد تكون مسألة تأمينها مسألة لها طبيعتها المحلية والداخلية، ولكنها قد تكون مسألة تتداخل فيها شبكة العلاقات الدولية فيما بين الدول وبعضها والبعض الآخر، وقد أصبح أحد محاور الصراعات الإقليمية والدولية وأشكال المنازعات والتوترات، ولعل هذا واضح الآن في المنطقة العربية، فيما يختص بأنهار دجلة والفرات الأردن بل والنيل^(١)، وكذلك نهر السند بين الهند وباكستان.

ثالثاً : المناخ:

أهمية المناخ ظاهرة في إتصاله الوثيق بصفة خاصة بالنبات الطبيعي وبالغلات الزراعية. وإنتاج الغذاء للسكان من الأوليات التي تهتم بها الدولة. والدولة التي تتمتع بتنوع مناخي كما ذكرنا تتمتع بتنوع غذائي وبالتالي ترتفع إنتاجية أفرادها، بينما المناطق التي يسودها مناخ صحراوي سواء حارة أو جليدية يتحدد فيها الإنتاج الزراعي، ومثل هذه المناطق لا تصلح لأن تكون نواة أو معمر لدولة ذات أهمية استراتيجية كما في المناطق شبه القطبية من كندا وجرينلاند وأيسلند وشمال سيبيريا، أو تظهر فيها ثروة معدنية كما هو الحال في شبه الجزيرة العربية.

والدولة التي لا تنتج ما يكفيها من غذاء لابد لها من الاستيراد من الخارج، أو إتباع الزراعة الكثيفة، أي بزراعة الأرض أكثر من مرة وهذا غير متيسر إذا كان المناخ لا يساعد على هذا، وقد يقوم لكن بتكاليف باهظة.

في الدول المتسعة كالولايات المتحدة مثلاً، حيث تكثر الأقاليم المناخية وتعدد، نجد أن المزارعين في غرب السهول الوسطى **Middle West** دائماً يشكون للحكومة في واشنطن من أن رجال الإدارة في منطقتهم لا يعرفون شيئاً عن مشكلات الزراعة والتسويق في هذا الإقليم. ونفس الكلام في كندا حيث يشكو سكان البراري من سوء السياسة الداخلية في الدولة. ويرجع هذا أساساً إلى قيام إقتصاديات مختلفة ترجع إلى أنواع مختلفة من المناخ. وقد تؤدي هذه العلاقات إلى تهديد للوحدة السياسية كما في كندا وأستراليا في وقت ما إذ أن ولاية البرتا في الأولى وغرب أستراليا في الثانية ذهبتا بعيداً إلى درجة إقتراح الانفصال في وقت ما. هذه وغيرها من الأمثلة تدل على أنه حيث يوجد تنوع مناخي يترتب عليه نتائج محلية هامة في ميدان الإنتاج الزراعي، فيجب عمل حساب هذا

(١) تكونت هيئة فنية دائمة مشتركة من جمهورية السودان ومن جمهورية مصر لرسم الخطوط الرئيسية للمشروعات والإشراف على تنفيذها ووضع نظم تشغيل الأعمال التي تقام على النيل.

التنوع، حتى تسير أمور الدولة الداخلية دون شقاق.

ولقد سبق لنا أن ذكرنا عند دراسة الموقع الجغرافي النظريات الخاصة بربط القوة السياسية والمدنية للمناطق المعتدلة ذات النشاط الإعصاري. كذلك يحفل التاريخ القديم والحديث بالأمثلة المتعددة على عمل حساب المناخ، ودراسة أنسب الظروف الملائمة للعمليات الحربية بحرية كانت أم برية، فقد إستفادت بريطانيا كثيرا من الضباب في الإنسحاب من دنكرك أثناء الحرب العالمية الثانية، وقامت ألمانيا بحملتها على بولندا في شهر سبتمبر تجنباً للأحوال التي قد تتعرض لها الدبابات كما أختارت شهر أبريل لغزو النرويج حتى يمكنها الاستفادة من العواصف التي تهب في هذا الفصل فتسدل ستارا على عملياتها الهجومية، وكان في تقدير الألمان في هجومهم على روسيا أن يبلغوا موسكو قبل حلول الشتاء إذا ما تقدمت جيوشهم في شهر يونية عام ١٩٤١، ولكن نظرا لبطء تقدمهم بزيادة البعد عن قاعدتهم مما حمل القيادة على إصدار الأوامر بعمل حفر ومواقع دفاعية لهجوم الشتاء عليهم، ولم يكن في الحسبان أيضا توافر ملابس شتوية ثقيلة للجنود، فأضطر الجيش لطلب هذه الملابس من المدنيين، وكان من جراء ذلك أن كان بعض جنود الجبهة يرتدون معاطف نسائية، ولقد أعطى هذا الفرصة لإنكسار الروح المعنوية عند الألمان وإرتفاعها لدى الروس، وبالتالي إنكسار الألمان في الميدان الروسي. وليس من شك في أن القوات التي كانت تحارب في الشمال الأفريقي، كانت في حاجة إلى كساء وغذاء يختلف تماما عن ملابس وغذاء زملائهم في شمال النرويج، وبينما كانت قوات جنوبى الباسيفك تعاني من الحرارة المصحوبة بالرطوبة، وكانت قوات غرب أوربا تعاني من انخفاض الحرارة وسقوط الثلوج، بل لقد كانت القوات الأمريكية تحارب في إيطاليا الأعداء من جانب والأمطار الغزيرة من جانب آخر. ولعل من الثوابت في الإستراتيجية البرية، أن معارك الصحراء تعتمد أساسا على القوات الميكانيكية المدرعة التي تظللها غطاء جوى، وذلك لتوفير عنصر الحماية على مسرح العمليات، الذي يخلو عادة من السواتر الدفاعية، ولضمان سرعة الحركة، للتغلب على صعوبة ستر القوات ونقص مواد الإعاشة المحلية وخاصة الماء العذب. كذلك يعد الطيارون إعدادا خاصا لملائمة مختلف الأجواء لأنهم كثيرا ما ينتقلون من قاعدة حارة رطبة، إلى قاعدة شديدة البرودة على بعد ساعات قلائل.

الباب الثاني : الأسس البشرية .

الفصل الأول

السلالة

تشير كلمة السلالة هنا إلى مجموع السكان الذين يرجعون إلى أصل واحد، وبالتالي يكون هناك تقارب في سماتهم الجسدية. ويتوقف أثر هذا العامل في التكوين السياسي للدولة على درجة الوعي السلالي أو الوعي الجنسي **Race Consiousness** للسكان، أو بمعنى آخر التعصب الجنسي.

على أن الرجل العادي إذا ما ذكر الجنس أمامه، لا ينصرف تفكيره إلا إلى لون البشرة، بغض النظر عن الصفات الجسدية الأخرى، من ثم كان لون البشرة هو أساس المشكلات العنصرية التي ظهرت في العالم اليوم، أو بمعنى آخر أساس التمييز العنصري **Race Discrimination**.

ونود في هذا المجال أن نذكر أن وجود سلالة نقية يعتبره العلماء خرافة وأي خرافة، بل أسطورة، ذلك أن هذه السلالة النقية غير موجودة على الإطلاق بسبب الهجرات البشرية التي استمرت عبر العصور التاريخية وما قبل التاريخية، ذلك أن الإنسان يتميز عن الحيوان بالعقل الذي يدبر به أموره بحيث يكيف نفسه مع ظروف البيئات المختلفة، من ثم إذا كانت الفصائل الحيوانية المختلفة ترتبط بأقاليم مناخية مختلفة لا تظهر في غيرها إلا نادرا فهذا ما لا ينطبق على الإنسان. فلذلك تميز الإنسان بقدرة سلالاته على التزاوج معا. وأدى هذا إلى عملية اختلاط واسع بين أفراد الجنس البشري. ومع هذا نجد أن فكرة التمييز السلالي العنصري قديمة قدم الإنسان، فالإغريق اعتقدوا أنهم أحسن الشعوب وسادتها. قال أفلاطون مخاطبا الإغريق.

Gold Is Mixed with You, Copper Is In The composition of others.

وذهب أرسطو مذهب أفلاطون في التمييز بين اليوناني وغير اليوناني، فالطبيعة في رأيه جعلت أجسام اليونانيين مغايرة لأجسام البرابرة، إذ أعطت هؤلاء القوة الضرورية للأعمال الغليظة في المجتمع، فكانوا بطبعهم عبيدا لا يصلحون لغير الطاعة، عكس اليونانيين الذين وهبتهم الطبيعة حكمة ليكونوا أحرارا، وأعدتهم لوظائف الحياة المدنية.

وكذلك كان يعتبر الفرس كما اعتبر اليونان أن ماعداهم هم متبربرين وكان باعث هذا التمييز ما وجدوا عليه أنفسهم من التفوق الإداري والنظام، والتفوق الحربي.

أما فيما يختص بالأديان السماوية، فاليهودية تميز بين اليهودي والغريب، اليهود شعب الله المختار في نظرهم، لا يباعون بيع العبيد، أما غير اليهودي فيجوز إسترقاقه بالحرب،

أو بالشراء، ويعامل بعنف، فאלله في نظرهم جعل الغرباء عبيدا لليهود، فالرب هو إله اليهود وحدهم وهم عبيده، ولا يمكن أن يكونوا عبيدا لغيره، وقد أختارهم ليكونوا سادة الناس.

ودعى السيد المسيح إلى الإخاء والمساواة، فكان ذلك خروجاً على اليهودية والعنصرية، من أجل ذلك نقم عليه اليهود، وأغروا به الحاكم الروماني، وتفرق حواريه من بعده يبشرون بدعوته، وأشتدت حملة الرومان الوثنيين على هذه الدعوة، وإستشهد في سبيلها الكثيرون، وأضطروا تحت الضغط إلى إعلان أن المساواة التي تدعوا إليها المسيحية هي مساواة في الروح، وأن الأرواح المؤمنة تلتقي في المسيح وتتساوى في مملكته السماوية، أما الجسد فقد خلق لهذه الدنيا، وعليه أن يتحمل ما يلقي من ألم وعذاب كما تحمل جسد السيد المسيح. ويوصى القديس بطرس العبيد ألا يقصروا في إخلاصهم على الصالحين. بل عليهم أن يخلصوا للقساء منهم، وفي ذلك يقول: "كونوا خاضعين، بكل هيبة، ليس للصالحين، بل للعنفاء أيضا".

ونادى الإسلام "بألا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى" ومع ذلك ظهر بينهم هذا التمييز، إذ كانوا يحسون في أنفسهم تفوقاً على الفرس وغيرهم.

في تاريخنا المعاصر نجد فكرة الإستعلاء العنصري قد ظهرت بصورة شديدة لدى الألمان حينما كانت الدعاية النازية تقول بسيادة العنصر الجرمانى أو النوردى جسمياً وعقلياً، ونادى هتلر بأن الشعوب الشرقية أخرى بها ألا تعيش، وأن عاشت يجب أن تدرب كما تدرب الكلاب الصغيرة، بل أن الألمان جعلوا من أنفسهم أسبدا على الجنس السيد *Masters of The Master Race* ويظهر هذا التمييز العنصري في أستراليا بمنع هجرة السلالات الملونة. ثم يظهر بصورة أكبر في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان في جنوب أفريقية من قبل.

وقد يقوم الإستعلاء العنصري لا على أساس السلالة وحدها، بل على أساس عدم التجانس الحضارى كما في إسرائيل حيث يتكون السكان من خليط متنافر من اليهود الشرقيين (السفرديم) واليهود الغربيين (الإشكنازى) ويستغل الغربيون تحيز الحكومة نحوهم بغية الحصول على إمتيازات وتسهيلات خاصة بهم، عن طريق تكتلهم في جمعيات ضاغطة تتولى عرض مصالحهم على الحكومة وملاحقة تنفيذها لدى المسؤولين. وإذا أضفنا إلى هذا اليهود الأوائل (الصبرا). الذين يتباهون على بقية الطوائف بأنهم مؤسسو الدولة، أدركنا مدى التنافر بين عناصر السكان.

ومن أمثلة مشكلة السلالة نضرب مثلاً بمشكلة الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية، فهؤلاء جلبوا من غرب أفريقيا منذ القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر للعمل في مزارع قصب السكر والقطن في جنوبي الولايات المتحدة، وإستمر هؤلاء الزنوج عبيدا حتى حرب التحرير (١٨٦٢ - ١٨٦٥) التي كانت تهدد كيان البلاد.

غير أن هذا التحرر لم يرض ببيض الجنوب لأن الزنوج، كانوا كسلع في أيديهم فلم

يتصوروا أنهم أصبحوا مثلهم، وإذا كان الزوج يكونون نحو ١٠% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية فإن معظم هؤلاء يتركزون في الجنوب وتقل نسبتهم بالإتجاه شمالاً، ويزيد عدد الزوج على البيض في الولايات كالمتسيبي وكارولينا، وتزيد نسبة الزوج على ٢٥% من السكان في ولايات فلوريدا وجورجيا وتكساس وتنسي وفرجينيا. ويعانى الزوج من سياسة التمييز العنصري وكراهية البيض لهم رغم أن مزارع الجنوب تقوم على أكتافهم (١).

كذلك كان الحال في جنوب أفريقية الذي كان أول عهده بالأوروبيين عام ١٦٥٢ عندما أسست شركة الهند الهولندية مدينة الكاب لتكون ملجأ لسفنهم في طريقها إلى آسيا، ثم شجعت الشركة الفلاحين الهولنديين على زراعة الخضروات والفاكهة، فبدأوا بالإستقرار والتوغل في الداخل وأصطدموا بالبوشمن وأجلوهم عن مواطنهم إلى صحراء كلهارى، كما سلبوا الهوتنتوت مراعيهم وموانئهم وجلبوا الزوج من شرقي أفريقية ومدغشقر إلى جانب بعض العناصر من الملايو. وقد أختلط هؤلاء بالهوتنتوت وتكونت طبقة ملوني الكاب الذين يعرفون بالرحبوت *Rehboth*. وإستمر توسع البوير شمالاً فأصطدموا بقبائل البانتو من الزولو والبتسوانا ودارت بينهم حروب مريعة دامت نحو قرن من الزمان.

وعلى عكس الوضع في الولايات المتحدة الأمريكية لا يكون البيض سوى نحو ٢٠% من السكان بينما يكون الملونون ٨٠% من مجموع سكان جنوب أفريقية، ومع ذلك فالعناصر الوطنية كانت محرومة من حقوقها السياسية. كما أن الحاجز اللوني كان يمنعهم من الأشتغال بالمهن الراقية، وقد إنتهت الآن هذه المشكلة.

وعلى عكس الحال في أمريكا الشمالية نجد أن مشكلة الجنس أو السلالة غير واضحة في أمريكا الوسطى والجنوبية، ويرجع ذلك إلى الخليط الكبير من السلالات التي غمرت هذا الجزء من العالم ، حتى ليتمتع زواج البرازيل بحقوق وإمتيازات يحسداهم عليها زوج الولايات المتحدة الأمريكية ، ففي هذا الجزء من العالم إختلط الزوج بالهنود الحمر وبالأوروبيين، وإذا كانت هناك بعض العائلات الأوروبية التي تمنع التزاوج والإختلاط بالملونين، إلا أن الحاجز اللوني هنا ليس حاداً.

ويبدو من التوزيع السلاى في دول أمريكا الوسطى والجنوبية، أن الهنود الحمر هم العنصر الغالب في المكسيك (٨٠%) بينما تغلب العناصر البيضاء في كوستاريكا (٩٥%) والعناصر الزنجية على جواييلوب وهايتى وجامايكا (من ٩٢% إلى ٩٥%) وتغلب العناصر البيضاء على الأرجنتين (٩٨%) وأوراجوى (٩٩%) وشيلي (٧٩%) بينما يغلب الهنود الحمر على إكوادور وباراجوى وبيرو، أما العناصر الزنجية فأعلى نسبة لها في البرازيل وفينزويلا (٣٣%).

ولا يعد الجنس أمراً ذا بال في القارة الآسيوية رغم تعقدها السلاى وربما كانت

(١) سنفصل هذا في الفصل الخاص بالولايات المتحدة الأمريكية.

العناصر اليابانية هي العناصر الوحيدة التي تدين بالتفوق العنصري، أما في الصين أو الهند وجنوب شرقي آسيا، فلا تحس بالفارق السلالي، فتعيش في هذه الدول وتختلط، العناصر المغولية والآرية، وأحيانا الدرافيدية كما في الهند، ولكننا نجد الرابطة الدينية هي التي تضم الهندوس معا، وتضم المسلمين معا، وكان الدين سببا في قيام دولتي الهند وباكستان. وتكاد تختفي مشكلة السلالة في أستراليا نتيجة لفناء العناصر الأسترالية الأصلية، فلم يبق منها إلا نحو ٨٠ ألف نسمة في داخلية القارة، وإتجهت سياسة أستراليا إلى جعلها قارة البيض ومنع العناصر الملونة من الهجرة إليها.

الحربان العالميتان وأسطورة الرجل الأبيض :

ظل العالم حتى الحرب العالمية الثانية، عالم يسوده الرجل الأبيض، أو هو عالمه مسيطر على كل شيء فيه، هيمنة سياسية واقتصادية، أو كما يقولون القوة البيضاء واللاقوة غير البيضاء كأمر مسلما به.

The white power and the non white power where still the generally accepted order of things.

والواقع أن الحربان العالميتان الأولى والثانية كانتا بمثابة مسمارين دقا في نعش الإستعمار وهيبة الرجل الأبيض.

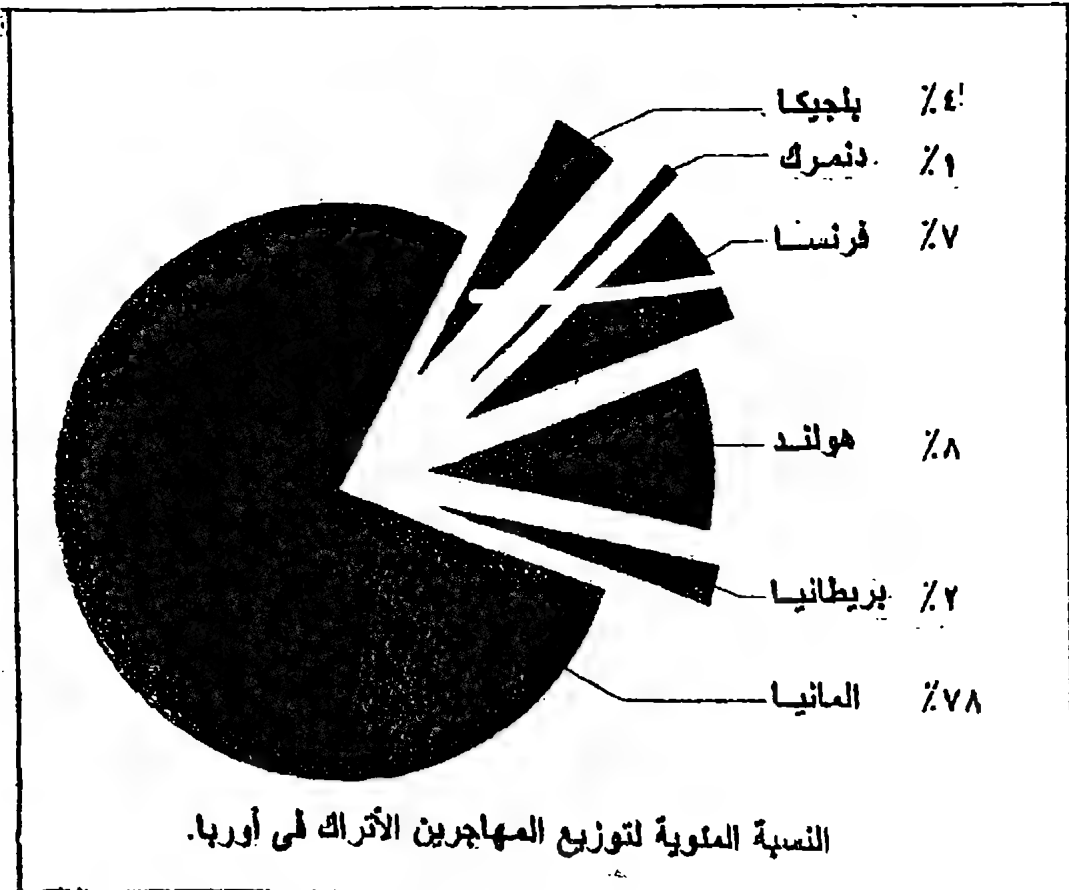
وقد يكون من الطرافة بمكان أن يطلق الأفريقيون في هضبة الميتابيلي على البيض الغرباء الذين نزلوا أرضهم ***Omilima Abadia Amabale*** أي الآلهة التي تاكل الذرة. وقد كان من الصعب على هؤلاء الإفرقيين معرفة أن نزول هذه الآلهة في بلادهم ستكون مقدمة لصراع طويل مرير بينهما.

ويمكننا أن نستشهد في هذا الصدد بالزعيم الثوري الروديسي نادابنجي سيتول ***Ndabaningi Sithole*** فقد عاش سيتول فترة الانتقال وخبرها من مرحلة تقترب من العبادة إلى مرحلة الكفر بالبيض، فقد كان صبيا عام ١٩٢٠ يعيش في روديسيا حينما رأى عالما يسوده الأبيض. وكان الرواد الأوائل عندئذ في الخمسينات من عمرهم . وهو يتذكر تماما أنه عندما كان في السابعة من عمره يعمل بالرعي، شاهد كوخا ذا نوافذ يتحرك بسرعة عظيمة، وكانت هذه أول معرفة له وخبرة بالسيارة. هذا الرجل اليوم الذي كان يطلق لفظ الكوخ المتحرك على السيارة، أصبح اليوم حاملا لعدة درجات جامعية، وذو تعاليم يفوق تعليم كثير من وزراء رودسيا (سابقا)، وحاضر في الولايات المتحدة الأمريكية. ويعطى في كتابه القومية الأفريقية ***African Nationalism*** صورة قيمة عما دار في عقل مواطنيه الإفرقيين في بدء حكم البيض لبلادهم.

ولم تقتصر هذه الظاهرة على روديسيا، فعندما ألقى كابتن كوك بمراسيه في جزر ساندويش اعتبره الأهالي هو ورجاله على أنهم آلهة، كذلك فعل الهنود الحمر مع كابتن فانكوفر على الشواطئ التي تحمل الآلهة ذوى الوجوه الباهتة، التي وعدوا بها في أساطيرهم ويقال أن مونتروما. ***Montezume*** لم يقاوم كورتس ***Cortes*** لأن غزو

الأسبان لبلادهم يتفق وأساطير الأزتک عن الآلهة الذين سيأتونهم عبر البحر.

غير أن هذه الفكرة تغيرت تماما فيما بعد، ويقول الزعيم سيتول في هذا السبيل أن هذا التغيير بلغ حدته عندما وجد الأفريقيون أن للآلهة البيض شهية بشرية لا للذرة الأفريقية فحسب، بل للنساء الأفريقيات أيضا، وزاد رد الفعل حينما عاش الأفريقيون حربين عالميتين إلى جوار الأوروبيين، فقد خرج من رودسيا وحدها ٤٠ ألف أفريقي ويذكر سيتول في هذا الصدد " أن بنات الشارع في لندن وباريس ونابلي لم تبقى على أسطورة الرجل الأبيض. ورأى الجندي الأفريقي الأبيض وهو يقع جريحا أو هو في طريقه إلى الوفاة، واكتشف الأفريقي أن تأثير الرصاصة واحدة بالنسبة للأبيض وللأفريقي، فكان هذا كله له أثره على سيكولوجية الأفريقي، وأخذ ذلك الحاجز بينها يرق تدريجيا حتى وصل إلى مرحلة شفافية، فبعد قضاء أربع سنوات في صيد البيض من جنود الأعداء لم يظل هؤلاء البيض آلهة بعد.



المشكلة اللونية الآن:

إذا استثنينا بضع مواضع من العالم والتي أشرنا إليها تظهر فيها المشكلة اللونية نجد أن العالم الآن لم تعد فيه السيادة للبيض على أساس السلالة، من الجائز أنه حل محلها في الوقت الحاضر تقسيم آخر على أساس الشعوب التي تملك **The have nations** والتي لا تملك **The have not nations** وإن كان الذين يملكون أيضا من البيض باستثناء اليابان والذين لا يملكون هم من الملونين، وغالبيتهم يحملون على أكتافهم سنين من التبعية والأعباء الإستعمارية، ولكن التمييز في حد ذاته خفت حدته بعد إستقلال عدد كبير من الدول النامية وخاصة الأفريقية، وحصولها على عضوية الأمم المتحدة. وكان من نتائج فتح سفارات وقنصليات لهذه الدول في الدول الأوروبية، وتوافد ممثلو هذه الدول من الملونين، وكان حرج شديد وقعت فيه الخارجية الأمريكية في أوائل الستينيات عندما لم يجد هؤلاء الممثلون لدولهم رعاية، بل وأحيانا صادفوا عقبات وصعوبات في الفنادق والسكن وغيرها، مما أدى إلى سيل من إعتذارات الخارجية الأمريكية.

ولا ننسى أيضا الإحترام الذي يجده مواطنو دول النفط في الخارج، بل والسعى إليهم لإسكانهم، وتيسير وسائل حياتهم، فقد تغلب العامل الإقتصادي على العامل النفسي والاجتماعي.

وإذا كانت هناك بعض مظاهر عنف في أوربا في الوقت الحاضر، فهي ليست لأسباب سلالية، بل لأسباب إقتصادية بحتة، فقد فتحت أوربا ذراعيها للمهاجرين من كل مكان عقب الحرب العالمية الثانية لنقص الرجال، فقد تدفق الأتراك على ألمانيا، وفتحت فرنسا أبوابها لسكان الشمال الأفريقي وخاصة الجزائريين وسكان الفرانكفون الأفريقي، وكذلك الحال بالنسبة لبريطانيا بالنسبة لأبناء الكومنولث، ونهض الإقتصاد الأوربي من كبوته بفضل هؤلاء وأولئك، ولكن الأوربيين قلبوا لهم ظهر المجن الآن نظرا لحالة الكساد وانتشار البطالة، فأعتبروا هؤلاء الذين حملوهم على أكتافهم من قبل، أعتبروهم عبئا يجب التخلص منه، فكان ما يشبه الحركة النازية في ألمانيا ضد الأجانب وخاصة الأتراك، وفي فرنسا ضد الجزائريين، وفي بريطانيا ضد الملونين.

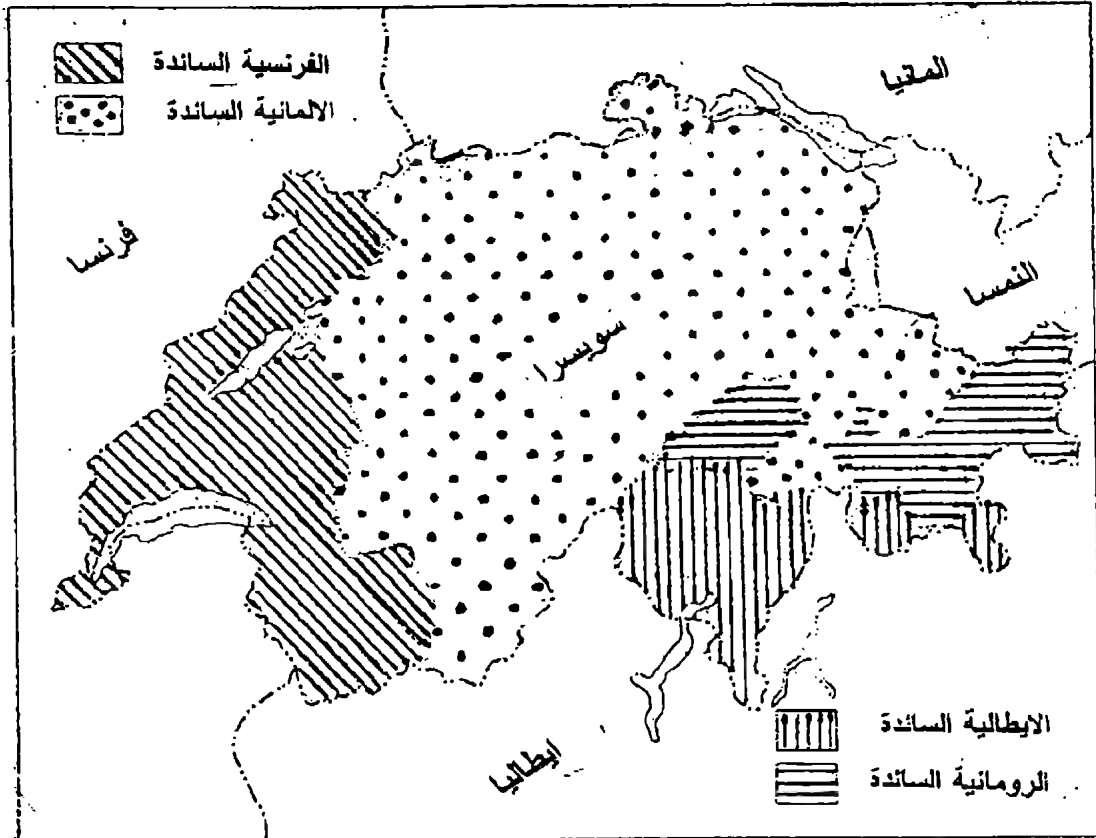
الفصل الثانی

اللغة والدين

أولاً : اللغة:

يرى الباحثون أن وحدة اللغة عنصر هام من عناصر الوحدة القومية، وإذا كان الإنسان يتميز عن الحيوان بأنه مدني (اجتماعي) وأنه ناطق (مفكر)، فإن الشعوب تتميز عن بعضها بأن لكل منها لغة خاصة تتكلم بها، فاللغة هي أقوى رباط معنوي بين الأفراد الذين يتكلمون لغة واحدة وتقارب تفكيرهم. نشأ بينهم شعور بالتعاطف، ولما كانت اللغة هي عمود ثقافة الأمة، والثقافة بالنسبة للأمة هي بمثابة الروح بالنسبة للإنسان، ومن ثم يذهب البعض بأن الأمة ليست مجموعة من البشر يعيشون على نفس القطعة من الأرض، بل هي أيضاً وحدة من الفكر والشعور والإرادة، ومن أجل المشاركة في كل هذا، لابد وأن يكون هناك إتصال بين أجزاء الجماعة القومية، من ثم كانت اللغة المشتركة لها أهميتها وأثرها، كإداة فعالة في تشكيل الوحدة القومية، ويزيد على وحدة الفكر والمشاعر أن اللغة تعتبر الوعاء الذي يختزن فيه أفكار وخبرات الأمم خلال العصور، من السلف إلى الخلف، وبمعنى آخر قد نقول هي جسر الاتصال بين الأفراد من الماضي إلى الحاضر والمستقبل.

توزيع اللغات في سويسرا



ويلاحظ أن الدول التي تُتعدد فيها اللغات ، تتخذ لها أكثر من لغة رسمية، فسويسرا تضم الألمانية، والفرنسية والإيطالية بل والرومانية، وجميع هذه اللغات متساوية الحقوق، وكلها مستعملة في البرلمان، ويختلف الحال قليلا في بلجيكا عن سويسرا، إذ يفصل الخط اللغوي بين الألمان الفلمنك وبين اللأوالون اللاتينيين، وقد هدد هذا الانفصال اللغوي وحدة الدولة في كثير من الأحيان. لأن ألوالون كانوا يتجهون نحو فرنسا، بينما كان الفلمنك يولون وجوهم شطر ألمانيا.

وكانت الغلبة لعنصر ألوالون بعد الإستقلال مباشرة، ولذلك جاهد الفلمنك للمساواة بهم، ووصل الفريقان أخيرا إلى المساواة معا، وخفف مرارة الشعور الذي كان يكنه كل فريق للآخر.

وبينما تتميز بعض القارات بالبساطة في تركيبها اللغوي، نجد البعض الآخر يتميز بالتعقيد اللغوي الشديد.

اللغات الرئيسية التي يتكلمها أكثر من مائة مليون نسمة (١٩٩٥)

المندارين	٩٧٥	البينغالية	٢١٠
الإنجليزية	٤٧٨	البرتغالية	١٨٤
الهندوستانية	٤٣٧	ملايو - إندونيسيا	١١٥
الأسبانية	٣٩٢	اليابانية	١٢٨
الروسية	٢٨٤	الفرنسية	١٢٥
العربية	٢٥٠	الألمانية	١٢٣

وتعد قارة أفريقيا من القارات الشديدة التعقيد لغويا، بل يذهب البعض إلى أنها قد تكون نقطة الضعف الكبرى في بناء القومية في الجزء الأكبر من إفريقيا، ذلك أن القارة تضم عديدا من اللغات واللهجات ، التي تصل في بعض التقديرات إلى ما يتراوح بين ٧٠٠ و ١٠٠٠ لغة. لقد ذهب التعدد اللغوي حتى إلى العناصر الأوربية في جمهورية جنوب إفريقية حيث يوجد البوير الذين يتكلمون الأفريكانية **Afrikans** التي ترجع أصولها إلى الهولندية، وكذلك الإنجليزية، وتضطر الدولة إلى الاعتراف باللغتين، وطلب من الموظفين إتقانها معا، وبعد زوال السيطرة البيضاء تعترف حكومة جنوب إفريقية بإحدى عشر لغة.

ولم تظهر محاولات لإخراج خريطة تبين عدد اللغات في القارة الآسيوية ويرجع ذلك لتعقيدها أيضا، إذ تضم الهند وباكستان نحو ٢٢٠ لغة بصرف النظر عن اللهجات . وقد أعلنت حكومة الهند عام ١٩٦٤ نيتها لتنمية اللغة الهندوستانية والتي يتكلمها ثلث سكان الهند تقريبا كلغة قومية، ولكن هذه اللغة لم تجد ترحيبا في كل الولايات الهندية، وبعد دراسات ومناقشات لمدة ثلاث سنوات قبلت

الحكومة إقترح اللجنة المشكلة بأن التعليم يجب أن يكون باللغة المحلية على جميع المستويات حتى الجامعة، وأن تدرس اللغتين الإنجليزية والهندوستانية كلغات إضافية، ولكن هذا الرأي واجهته معارضة أيضا ، على اعتبار أن إهمال الإنجليزية سوف يؤدي إلى تدهور وسائل الإتصال بين الولايات، وما يتبع هذا من تهديد للوحدة الوطنية ، هذا فضلا عن عدم وجود كتب ومطبوعات باللغات المحلية. وقد قامت المظاهرات خلال عامي ١٩٦٨، ١٩٦٩، تخللتها أعمال العنف حتى لا تتخذ الحكومة قرار بتبني الهندوستانية والتي لا تجد قبولا خاصة عند الدرافيديين في الجنوب، اضطرت حكومة الهند إلى الإعتماد على الإنجليزية كلغة رسمية. ولايختلف حال إندونيسيا عن حال الهند، وإن كانت الملاوية هي لغة التخاطب والتجارة، وفي الفلبين هناك نحو ٤٦ لغة وإن كانت التاجلوج *Taglog* زهى اللغة الرسمية، وتستعمل أيضا الإنجليزية والأسبانية على نطاق كبير. وتظهر الطرافة في الصين حيث يفهم الصينيون بعضهم بعضا حين يكتبون ولا يفهمون بعضهم بعضا حين يتكلمون، ويرجع هذا إلى أن اللغة الصينية تستخدم رمزا لكل كلمة، ولكن هذه الرموز يختلف نطقها من مكان إلى آخر.

وتعتبر أوروبا من القارات الشديدة التعقيد لغويا، فباستثناء ألمانيا والنمسا لا توجد دولتان تتكلمان لغة واحدة، وإن كان الإمتداد اللغوي لدولة ما قد يظهر في دولة أخرى كما هو الحال في إمتداد الفرنسية إلى بلجيكا، وسويسرا، والإيطالية إلى سويسرا، والألمانية إلى تشيكوسلوفاكيا وبولندا وفرنسا هذا وتسود مجموعة اللغات الرومانية في غربي وجنوب غربي أوروبا وجنوبي الوسط، بينما تسود السلافية في الشرق.

أما في الأمريكتين فتبدو فيها البساطة اللغوية فهناك ثلاث لغات تمتد من خليج هدسن إلى رأس هورن : الإنجليزية في الشمال والأسبانية والبرتغالية في الجنوب، ويعتبر الحد السياسي بين الولايات المتحدة والمكسيك حدا لغويا أيضا، ويوجد هناك إستثناء القاعدة السابقة تتمثل في بعض جزر الهند الغربية، والألمانية في بعض أجزاء البرازيل، والإيطالية في بعض أنحاء الأرجنتين.

الأقليات اللغوية *Language minoritis* :

قد تظهر أقليات قومية موالية للدولة، ولكنها تطالب بحريتها اللغوية أو إستقلالها اللغوي، وكثيرا ما تعترف الدولة بحرية إستقلال الأقليات بلغاتها وتدرسها في مدارسها، ويرجع هذا لخوفها من المطالبة بالإنفصال عن جسد الدولة، إذا منعتها من إستعمال هذا الحق. وقد إعترفت بريطانيا بلغات إسكتلندا وويلز، وإعترفت فرنسا بلغة البريتون، وهولندا بلغة الفريزيان وهي لغة نورديّة قديمة.

وتعتبر مشكلة الأقلية الألمانية في الألزاس واللورين من الطرافة بمكان، إذ

يسمح للطفل عندما يذهب للمدرسة أن يدرس اللغة الفرنسية للثلاثة أعوام الأولى، ولا يدرس الألمانية لغة الوطن الأم، ثم بعد ذلك يدرس الفرنسية فضلا عن الألمانية حتى يجيد الفرنسية إلى جانب الألمانية، ويحتج بعض السكان على هذا على اعتبار أنه تدخل في حرية اللغة، ولكن المنطق الفرنسي يرد عليهم بأنه مادامت الألزاس واللورين جزء من فرنسا، فمن صالح أبناء الإقليم إتقان الفرنسية إلى جانب الألمانية لأنهم سيتجهون إلى بقية أنحاء فرنسا للعمل.

وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني يعترف بأن اللغة هي إحدى أسس القومية، فإنها في نظره ليست الوحيدة، فهناك الإقليم المشترك والروابط الاقتصادية والنفسية المشتركة وتحفظ الحكومة الصينية لنفسها بالحكم النهائي في اعتبار مجموعة ما أقلية قومية أم لا، وبمقتضى هذا القرار تعترف الحكومة الصينية بوجود أربع وخمسين قومية في الصين، كل لها لغتها التي تميزها، ونص دستور الصين على الحفاظ على هذه اللغات القومية لأسباب عديدة، منها أن الاتحاد السوفيتي كان نموذجا في هذا السبيل، فضلا عن وقوع معظم أراضي الأقليات اللغوية على أطراف الدولة في مناطق تتميز بوعورتها، فإذا أضفنا عدم التقدم التكنولوجي لهذه الأقليات ليس أمامها سوى أن تتعلم بلغة الهان مع مرور الزمن.

وأحيانا لا تسمح الدول للأقليات المناوئة بحرية لغوية، خوفا من أن يكون هذا عاملا مساعدا ومشجعا على الانفصال، وأضعافا لكيان الأمة. فعلى سبيل المثال، كانت هناك أقلية نمساوية في التيرول تقدر بنحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمة، لم تعطها إيطاليا حرية لغوية، بل غيرت أسماء شوارعها وأجبرتهم عن استعمال الإيطالية في المدارس والكنائس، ومع هذا لم يغير من طبيعة الأقلية، وظلت موالية للغتها الألمانية وعادت لإيطاليا بعد الحرب الثانية تعد بالأعتراف باللغة الألمانية في التيرول الجنوبي.

ثانيا : الدين :

من العجيب أن الذي كان مفروض فيه أن يكون هدى للناس يرتفع بمستواها الحضاري. كان من أكثر العوامل المسببة للحروب بإستثناء العامل الإقتصادي، بل لقد كانت الأديان مسئولة عن أشد الحروب مرارة وضرارة (بإستثناء الحرب الأخيرة) على أن الدين في الوقت الحاضر لم يصبح سببا لقيام الحروب الكبرى في معظم الأحوال وذلك لتغلب العوامل الإقتصادية من ناحية، وإنتشار التعليم، ومبادئ المساواة من ناحية أخرى.

الدين والدولة:

ومن الخطأ الشائع فإن أحد أهم ركائز فكر " التنوير الأوربي " وأحد أعمدة النهضة الأوربية كان فصل الدين عن الدولة. والواقع إنهم لم يقولوا بذلك، وإنما قالوا بالفصل بين الدولة والكنيسة " *Seperation of State and Church* " ذلك

أن الكنيسة هي التي كانت تحكم ، كانت الدولة والكنيسة كيانا واحد كانت الشرطي والكاهن، أي أن المطلوب لم يكن نفي الدين عن السياسة، ولا عزل السياسة عن تأثير الدين، ولكن فصل المؤسسات، وأن تكون لكل من الدولة والكنيسة مؤسساتها المتميزة عن الأخرى، وألا تتدخل واحدة منها في مجال الأخرى. وكان من عوامل تأزم التجربة السوفيتية هي محاولتها نفي الدين عن السياسة، ولم تنجح في نفيه من المجتمع، لذلك أصبحت الكنيسة من أهم المؤسسات المؤثرة في الحياة السياسية هناك بعد إنهيار التجربة السوفيتية، بل وتعتبر كثير من المشكلات أساسها ديني.

وفي أوروبا نقراً في قوائم الإنتخابات وقوائم الأحزاب أسماء مثل "الديمقراطية المسيحية" ، " والإجتماعية المسيحية " ، وفي فرنسا وفي ظل الحكم الاشتراكي للرئيس السابق ميتران، كان يلجأ أحيانا إلى الكاثوليكية لتبرير بعض سياساته، منذ رفض دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لفرص حصار إقتصادي على نيكاراغوا في ظل حكم السانديستا قائلا إن فرنسا لا تستطيع فرض حصار على " شعب كاثوليكي"، ثم أنظر في محاولات الصهاينة تهويد القدس بالكامل، أليس هو إستخدام للدين في تحقيق مآرب سياسية؟

لذلك يصبح الدين عامل فعال في الدراسة الجغرافية السياسية، إذ يجب عمل حساب الأقليات الدينية، وطريقة معاملتها من ناحية، ومن ناحية أخرى لا تنسى أن الكنيسة وقفت ضد توغل وانتشار الشيوعية.

ويبدو أن العالم قد وصل إلى مرحلة إستقرار ونضج من الناحية الدينية، ولا يبدو أن هناك تحول من دين إلى دين على نطاق واسع، اللهم ما يقوم به المبشرون بين الجماعات الوثنية، ولا تتفق الحدود السياسية بأي حال من الحدود الدينية - كما يبدو أن الحروب العالمية على أساس ديني قد أصبحت غير ذات موضوع، فقد شهدت الحربان الأخيرتان الكاثوليكي يحارب الكاثوليكي والبروتستانتني يحارب البروتستانتني، والمسلم يحارب المسلم. وقد أحتد الخلاف الآن بين مذاهب الدين الواحد، كل أصحاب مذهب يعتبرون أنهم المحقون، وغيرهم هم الضالون، وقد تعقد الأمر وأصبح يدخل كعامل من عوامل تعقد المشكلات الإجتماعية والسياسية، فأنقسام الإمبراطورية الرومانية الغربية (كاثوليكية) والدولة الرومانية الشرقية أو البيزنطية (أرثوذكسية) كان على أساس مذهبي.

والطريف في الأمر أنه بدأت وسائل الإعلام في أوروبا و بريطانيا بوجه خاص في مناقشة " الوثنية الجديدة " على حد قولهم، إذ إنتشرت مظاهر الوثنية بين قطاعات متزايدة من الناس، حيث إنصرف هؤلاء بصورة تدريجية عن الديانة المسيحية، وراحو يبحثون عن الأشباع الروحي في عالم الخرافة والتنجيم، وغيرها من المصادر المريبة، الأمر الذي يعد تفكيكا للإيمان وإنهيارا لمقوماته،

ويعد أكبر تحد للكنيسة، وقد ذكر تقرير لجنة الكنائس البريطانية التي شكلت عام ١٩٩٦ لبحث هذه الظاهرة بأن أبرز ما لاحظته أن ٧٠% من الشعب البريطاني يؤمن بالله، ولكن الذين يترددون على الكنيسة لا تزيد نسبتهم على ١٤%، (تنخفض هذه النسبة في ألمانيا إلى ٥%، وفي فرنسا ما بين ٣%، ٤%) وهؤلاء الذين قطعوا صلتهم بالكنيسة يختارون ما يشاعون من معتقدات وخرافات خصوصاً تلك القادمة من الشرق الآسيوي (مستودع الخرافات الذي لا ينفد) ويخلطونها ببعضها ثم يؤمنون بتلك الخزعبلات ويعتبرونها (ديناً جديداً).

غير أنه يمكن القول بأن الدين قد يدخل عاملاً ضمن العوامل العديدة التي قد تسبب بعض الأزمات السياسية كما هو الحال في إقليم كوبيك في كندا حيث تنتشر الكاثوليكية بصورة أكبر منها في بقية الولايات الكندية والتي تغلب عليها البروتستانتية كذلك إذا أحست الأقلية المذهبية بإضطهاد أو التفرقة من جانب الأغلبية، كما هو الحال في معاملة الغالبية البروتستانتية للأقلية الكاثوليكية في شمال أيرلند وبين سكان شمالي وجنوبي نيجيريا، وبين ألوالون الكاثوليك والفلمنك البروتستانت في بلجيكا، وما فعله الصربيون والكروات في سكان البوسنة والهرسك، وما حدث من حزازات بين سكان الهند البريطانية وكانت نتيجة إنقسامها إلى هند وباكستان، بل وما يحدث الآن بين الهندوس والمسلمين في الهند، وأخيراً وليس آخراً في الوطن العربي حيث قامت إسرائيل على أساس ديني، وفلسطين في عرفهم هي أرض الأجداد الذين كانوا (هنا) قبل ألفي عام!!

وإذا نظرنا إلى خريطة توزيع الأديان لوجدنا أربعة أديان كبرى هي الإسلام والمسيحية والهندوكية والبوذية ثم تأتي اليهودية كديانة خامسة. وإذا حللنا نمط التوزيع، نجد أن المسيحية تنتشر في الأمريكتين وأوروبا وشمالي آسيا وجنوبي أفريقيا وأستراليا. وينتشر الإسلام في شمال أفريقيا وجنوب غرب آسيا ووسطها فجنوبها نحو إندونيسيا، وبعض جهات الصين والهند، فضلاً عن ساحل أفريقيا الشرقي، أما الهندوكية فبؤرتها الهند، والبوذية والكونفوشية في الشرق الأقصى وبصفة خاصة الصين والصين الهندية.

الديانات الرئيسية في العالم (بالمليون)

إبراهيم الخليل	(التوحيد)	حوالي ١٨٥٠ ق.م	مليون نسمة
موسى	(اليهودية)	حوالي ١٢٥٠ ق.م	١٣ +
يسوع المسيح	(المسيحية)	٤ ق.م - ٣٠ م	٢٠٠٠ -
محمد صلى الله عليه وسلم	(الإسلام)	٥٧٠ - ٦٣٢ م	١٠٠٠ +
الهند	(الهندوسية)		٧٦٤ +
زرادشت	(زراشتيه)	٦٥٠ - ٥٨٣ ق.م	٣٣٨ +
بوذا	(البوذية)	٥٦٣ - ٤٨٣ ق.م	٣٣٨ +
كنفوشيوس	(الكنفوشية)	٥٥١ - ٤٧٩ ق.م	٦ +

البناء الديني داخل الدولة:

إذا لم يكن هناك صراع بين الديانات المختلفة، فإن الأنسجام الديني يؤدي إلى القوة السياسية، على عكس التعقيد الديني والمذهبي الذي يؤدي إلى ضعفها، ورغم هذا فإن التعصب الديني ومحاولة التخلص من الأقليات الدينية يؤدي إلى خسائر كبيرة، فعندما طرد الكاثوليك المسلمين من أسبانيا، فقد طرقت مهارات كان يمكن الاستفادة منها، وانظر كذلك اشتعال أوار الطائفية الدينية في لبنان وأثره في تدهور الأحوال السياسية الذي تعاني منه البلاد نتيجة حرب استمرت أكثر من خمسة عشر عاما.

ولأن كل وطن يجمع أكثر من معتقد، فإن الأمر يحتاج لصيغة مقبولة من الجميع بحيث يفهم كل صاحب عقيدة حدود عقيدته، وحدوده مع وطنه.

ونظرا لأن العقائد يتجاوز نطاقها حدود الأوطان، لأن مستقرها في قلوب الناس، وقلوب الناس تستعمرها العقائد وتحتلها، ومهما يكن حب الأوطان فإنه لا يرقى إلى مقام حب العقائد وهذا يجرنا إلى حب الوطن وحب العقيدة.

حب الوطن وحب العقيدة :

"من السهل على الإنسان أن يكون نصف عربي ونصف إنجليزي، بل وقد يكون حاملا للجنسيتين ، ولكن من الصعب أن يكون نصف مسلم ونصف مسيحي ، أو يكون مسلم ومسيحي في آن واحد ."

يسعى العقلاء من الساسة دائما لجمع الشمل بين الحبين: حب العقيدة، وحب الوطن، أو محاولة تضيق الشقة بين الاثنين، وإستبعاد الخلاف والعراك بينهما.

وأحسب أنه إلى الآن لم توجد صيغة مرضى عنها بين أصحاب العقائد المتشبهين بعقائدهم، ودعاة الوطنية، المتجردة من النظرة العقائدية.

وقد بذلت محاولات في مصر للتوفيق بين الاثنين، فرفع شعار "الدين لله والوطن للجميع" ونرجو أن نضع في إعتبارنا بعض الثوابت.

(أولاً): أن التفريط في الدين في حكم المستحيل لأن الدين فيه ترغيب وترهيب، فأهل الدين يشعرون بسعادة غامرة في الدنيا، ويطمعون في سعادة دائمة في الآخرة، فهل يوجد بديل عن الدين يحقق هذه الطموحات والآمال، يقينا لا.. ويقابل هذه السعادة خوف من شقاء وحرمان في الدنيا، وعذاب مرعب في الآخرة؛ وقد صورت الكتب السماوية الآخرة وعذابها وشقاءها تصويراً يدعو إلى الحذر والخوف، ويكفي تصوير نار الآخرة أن وقودها ستكون من الناس والحجارة، فالدين له قوة تأثير بالغة في نفس الإنسان.

(ثانياً): على الرغم من جاذبية الأوطان، وحبها، والهيام بها إلا أن عطاءها أو منعها في الحياة الدنيا منوط بالناس فهم الذين يميزون بين المخلصين لأوطانهم، والمفرطين في حقها، وقد تتصاعد التزكية إلى تأليه القادة الكبار، ونحت التماثيل لهم وإطلاق أسمائهم على المدن والميادين، وقد يكون العكس الإتهام بالخيانة وما يليها من أحكام بالغة القسوة: فالوطنية ليست فيها ثوابت الدين وليست لها "جنة أبداً أو نار أبداً"، وليست لها هيبة الدين وقديسته، ومع هذا فإنها موجودة في كل النفوس ولها رموزها ولها معالمها، والشعب المصري لا يزال يتغنى بكلمات مصطفى كامل وسعد زغلول ويترنم بأشعار شوقي، ونذكر البيت الذي يقول:

"بلادي وإن جارت على عزيزة . . . وأهلي وأن ضنوا على كرام".

فعلى الدولة أن تفسح صدرها لتقبل أفكار أصحاب العقائد، وتعمل على إيجاد صيغة تجمع بين أفكار أصحاب العقائد، وأفكار الدولة وقوانينها، وتعمل على إدماج المواطنين في أحضانها، لا تفرق بين مواطن وآخر مادام هذا المواطن يفي بحقوق الدولة، ويلتزم بقوانينها ولا تنظر إلى معتقداته حين يطلب ما يكلفه له القانون، وأحسب أن جميع أصحاب العقائد لا يقبلون من الدولة أن تؤثر أحدهم على الآخر، أو تميز بينهم، وبذلك تضمن إنتمائهم لوطنهم مع حفاظهم على معتقداتهم.

فالدولة من صالحها وصالح مواطنيها مزج الوطن في العقيدة، وخلق وعي لدى المواطنين لي شعروا بأن صلاح وطنهم من صلاح دينهم، وأن الدفاع عن الوطن هو دفاع عن الدين، وأن حماية الدين ورعايته من واجب كل المواطنين.

(ثالثاً): أما أصحاب العقائد فإن المطلوب منهم أن يحرصوا على حقوق وطنهم لأنها لا تتعارض مع حقوق دينهم، فالوطن أرض وشعب، وتراث

ومستقبل، والعقيدة لا ترفض الإنتماء الوطني، ولا تأذن بالتفريط في حق الوطن، وحق المواطنين، وهي تحرص على التراث، وأناشيد المستقبل وكلنا يذكر لرسول الله عليه الصلاة والسلام مقالته الحزينة وهو يغادر مكة إلى المدينة.

" والله إنك لأحب أرض الله إلسى، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت " ونذكر أن السيد المسيح وأمه البتول عاد إلسى الناصرة على الرغم من طيب الإقامة في مصر. فالأرض عزيزة والأوطان غالية فعلى أصحاب العقائد أن يضعوا أوطانهم نصب أعينهم، ويضعوا أمامهم هدفا معينا واضحا، وهو تحالف الأديان مع الأوطان، وعلى أصحاب العقائد أن يلتقوا على كلمة سواء بينهم، أن يدوروا مع أوطانهم حيث تدور، وأن يطرحوا الخلافات الجانبية إذا إقتضت مصلحة الوطن ذلك.

تقسيم الدول فيما يختص بالدين:

ونقسم الدول مجموعتين فيما يختص بالدين، فهناك دول يسودها إنسجام أو وحدة دينية وهي التي يعتنق أكثر من ٧٥% من سكانها دين واحد كما في أقطار العالم العربي بإستثناء لبنان وكما في فرنسا وأسبانيا والبرتغال والنمسا وبلجيكا ودول أمريكا اللاتينية (مسيحية كاثوليكية) والدول الإسكندنافية وإنجلترا وألمانيا وهولندا (مسيحية بروتستانتية) وهناك دول تتعدد فيها الأديان أي لا تتغلب عليها عقيدة واحدة، وهذه إذا أثرت فيها النعرة المذهبية تكون خطرا على وحدتها القومية كما في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، فالبروتستانتية تمثل ٦٥% في الأولى، ٦٠% في الثانية، ولكن الكنيسة الكاثوليكية لها نفوذها القوي، وتعتبر ولاية كويبك معقل الكاثوليك في كندا والتي يبلغ الكاثوليك فيها ٤٠% من السكان. بينما ينتشر الكاثوليك في الولايات المتحدة الأمريكية في الإقليم الصناعي أي في الشمال الشرقي فضلا عن ولايات الوسط الشمالية ولايات الغرب كاليفورنيا وأريزونا. وهناك أيضا نحو ٦ ملايين يهودي يتجمع نصفهم في نيويورك، أي أن الولايات المتحدة الأمريكية تضم أقل من نصف يهود العالم بقليل، هناك أيضا يوغسلافيا الصرب (الأرثوذكس) و(الكروات كاثوليك) وتنافس البروتستانتية في شمالي سويسرا، والكاثوليكية في جنوبها وغربها.

الفصل الثالث

التركيب القومي

أولاً . التركيب القومي:

على عكس الناحية السلافية نجد أن التركيب القومي أكثر أهمية في الوزن السياسي للدولة، وهنا يجب أن نفرق بين مدلول بعض الألفاظ، فالشعب **People** هو مجموع الأفراد الذين يعيشون داخل الحدود السياسية لدولة ما ، ويحملون تبعية هذه الدولة أو جنسيتها بالمعنى القانوني **Nationality** بينما الأمة **Nation** لها مدلول اجتماعي، إذ يقصد بها مجموع الأفراد الذين ينضون تحت قومية واحدة ، ويشعرون بأنهم قوم واحد لا عدة أقوام، لذلك قد يضم الشعب الواحد عدة أمم، أو قوميات كالشعب السوفييتي، والشعب الكندي، وقد تضم الأمة أو القومية عدة شعوب كما هو الحال في القومية العربية والقومية الألمانية.

وهذا يجرنا إلى تعريف للقومية، القومية ليس لها علاقة كبيرة بالجنس أو السلالة لأننا رأينا أنه لا توجد سلالة نقية تماماً، بل نجد كثيراً من القوميات والشعوب تضم سلالات ذات أصول مختلفة كما في فرنسا، الكلت والبحر المتوسط، والنورد، وفي ألمانيا النورد الالبيين وغيرهم. قد يقال اللغة هي عامل هام في تكوين الأمة لاشك لأنها الوسيلة التي يستطيعون التفاهم بها ، والإعراب عن مثلهم وثقافتهم وأدبهم، واختلاف اللغة يمنع السكان من فهم بعضهم بعضاً، لذلك تعتبر عنصراً هاماً من عناصر تكوين القومية، وإن كانت هناك بعض الأمم كالأمة السويسرية التي استطاعت تكوين أمة واحدة، رغم أن أهلها يتكلمون بأكثر من لسان كما ذكرنا ، كذلك لا يمكن أن نقول بأن جميع الشعوب التي تتكلم الإنجليزية مثلاً تدخل تحت نطاق قومية واحدة.

قد يقال للدين، وقد استطاع فعلاً أن يكون رابطة قوية، في تقوية الشعور القومي لمدة طويلة من تاريخ حياة الإنسان، فقد استندت الحروب الصليبية ظاهرياً إلى العامل الديني، وكذلك كان الانشقاق بين الهندوس والمسلمين في الهند، شجع عليه وزاد من حدته الإستعمار البريطاني قبل خروجه من الهند، ولكن الدين في الوقت الحاضر فقد أهميته بعد ظهور فكرة الإله الواحد، بدلاً من الآلهة المتعددة، وبعد التسامح الديني وبدأت المصالح الإقتصادية تتغلب على هذا العامل، ولعل أبلغ مثل هو استقلال باكستان الشرقية عن باكستان الغربية، وتكوين دولة بنجلاديش رغم أنهما كانا يكونان دولة واحدة (باكستان)، انفصلت عن الهند بعد الحرب العالمية الثانية، وكان أساس الانفصال هو العامل الديني، حيث تسود الهندوكية الهند، والإسلام الباكستان.

قد يقال التقاليد المتوارثة والعادات الإجتماعية المشتركة، ولكن الأمريكيين الذين لاشك يعتزون بقوميتهم انحدروا من أمم مختلفة، في حين أن الكنديين أو الأستراليين الذين انحدروا في غالبيتهم من العنصر الإنجليزي، يكونون أمماً منفصلة عن إنجلترا، ولها

طابعها الخاص.

ومعنى هذا، أن الشعور القومي لا يشترط فيمن يعتنقونه أن يكونوا متحدى الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو التقاليد، ولكن هذه جميعاً لا يجب أن نذكر آثارها منفردة، أو مجتمعة في إذكاء الروح القومية، فكلما توفر عنصر أو توافرت عناصر منها، كانت بمثابة العمدة التي توحد وتقوى هذا الشعور. وتظهر الروح القومية بأجلى صورها وقت الأزمات، وبخاصة حين المطالبة بالاستقلال أو الحرية.

القومية في الحقيقة هي شعور متبادل بين الأفراد، يجعلهم متأثرين في عواطفهم، وسلوكهم بفكرة الولاء لوطن ما، لأنهم نبت أرض واحدة، ومصالحهم السياسية، والإقتصادية، وأمانهم وآمالهم واحدة، يتأثرون بمؤثرات واحدة، (سواء في النكبات أو الأفراح) بصرف النظر عن ميولهم الطائفية، أو الدينية أو مصالحهم الفردية.

فالاحساس بالقومية بين أعضاء الجماعة هو إحساس عميق وليس بعقد سياسي بين أفراد هذه الجماعة، هو اتحاد قلوب مادام قد تحقق فلا يمكن أن يزول، فالقومية لا تزول ولكن الدول يمكن أن تتغير، وتتبدل بل وتزول، هو شعور بالجماعية **Togetherness** وقيمة هذه الجماعة، وفضائلها.

والشعور القومي أو الوطني يبعث في النفس شعوراً بالفخر بذلك الوطن وإنجازاته، والإيمان به وقد يؤدي هذا أحياناً إلى الغلو والتطرف في الوطنية **Chauvinism** والخوف من الأجانب أو الغرباء **Xenophobia** ويساعد على وحدة الجماعة وإنطلاقها في عمل جماعي سواء في الداخل أحياناً ضد القوميات الأخرى أو خارجياً ضد الشعوب الأخرى، لذلك كانت الدولة القومية أو التي تتمتع بتجانس قومي تتميز بتماسك كبير.

هذا وقد لعبت الأخطار والضغوط الخارجية دوراً كبيراً في تكوين القومية وتماسكها، وهذا أمر معروف في تاريخ إنجلترا، وأسكتلند، وبولندا، وفيتنام، فلك الممارك التي خاضتها هذه الشعوب، وإنتهت سواء بنصر أو بهزيمة ساعدت على صهر الجميع في بوتقة واحدة.

فهناك إتفاق بين الباحثين على أن أساس الحركة القومية الأفريقية هي رد الفعل والوعى بالذات ضد الإستعمار الأبيض، ويشترك في هذا الكتاب الأجانب أو الإفريقيين فالزعيم الأفريقي **Sithole** في بحثه عن القومية الأفريقية يقول بأن أفريقية تدين بالروح القومي للإستعمار الأوروبي، فهو الذي عبا الشعور، وخلق الوعي بالذات بين الإفريقيين، وجمع شتاتهم القبلي تحت هدف واحد. وكقاعدة عامة أن الوعي بالذات وبالجماعة لا يبدأ جدياً إلا حين تجد الجماعة نفسها فجأة وجهاً لوجه أمام جماعة أجنبية مختلفة كل الاختلاف، والمقاومات المبتكرة التي يسجلها تاريخ القارة لبعض القبائل، أو لمجموعات قبلية هي أولى أرهاصات القومية، مثل مقاومة قبائل داهومي والمتابيلي في تسعينيات القرن التاسع عشر، وليس هذا عيباً على أية حال، فكما يقرر الجغرافي البريطاني هالفورد ماكيندر أنه لم ينقل أوروبا الوسيطة من مرحلة القبائل إلى الشعوب، ولم يخلق الشعور

بالقومية، والوعي بالذات، إلا الأخطار الخارجية الثلاثة التي أهدقت بشبه جزيرة أوروبا، التتار من الشرق، الفيكنج من الغرب، والعرب من الجنوب.

يجب في دراسة الجغرافيا السياسية فهم التكوين القومي لأن الحدود السياسية أحيانا تقطع من قومية معينة وتلحقها بقومية أخرى فينشأ ما يعرف بأسم الأقليات **Minorities** وهذه تنقسم إلى أقليات قومية **National Minorities** أي تدخل في تكوين القومية الأصلية في الدولة ، كمجموعة الزنوج في الولايات المتحدة ، أو الأتراك في بلغاريا، وهناك الأقليات غير القومية **Anti National Minorties** أي التي لم تلتئم أو تنصهر في القومية الأساسية، وهم لا يعتبرون أنفسهم من العنصر الأساسي، وهؤلاء يقسمون بالتالي إلى تلك التي لا تجد أمامها الفرصة سائحة للانفصال. من أمثلة الأقليات القانعة الدانمركيين الذين يعيشون في ألمانيا، والأتراك في اليونان. ومن أمثلة غير القانعين الألمان في بلجيكا، وتشيكوسلوفاكيا، وبولندا، والتشيك في ألمانيا، والعرب في إسرائيل.

أنواع الدول بحسب التركيب القومي:

النوع البسيط **Simple**: هو أكثر شيوعا ، ويقصد بالبسيط البساطة النسبية، لأن الدولة تتكون من عناصر متعددة فعلا، ولكن عملية المزج والتمثيل للعناصر المختلفة تمت منذ أمد طويل، ويعتبر الفرنسيون مثلا لذلك ، فليس من شك أن هناك مركب من عناصر كلتية ونوردية، بحر متوسط، ولكنك لا تجد تناقرا بين الشعب الفرنسي. وكذلك الحال في المصريين، تحس أن الكل في واحد .

النوع الملتئم **Segcmented**: وهذا يطلق عليه ملتئم وليس بسيطا، نظرا لأنك يمكن أن تميز المجموعات المتعددة، ويلاحظ أن عملية التمثيل والهضم والوصول إلى مرحلة النضج أو التركيب البسيط لم تصل إليها الأمة بعد، ولعل دول الأمريكتين خير مثال لهذا النوع، وكذلك السودان، وإيران ، والمملكة المتحدة .

التكوين المركب **Complex**: فهو في الدول التي لم تنضج قوميا بعد. فيمكن أن نقول بأن عناصرها مختلطة، ولكنها لم تمتزج بعد، لأن كل منها يحتفظ بشخصيته، وهذا مصدر ضعف الدولة، كما في تشيكوسلوفاكيا السابقة فعناصر التشيك والسلوفاك لم يلتئما بعد ولذلك انفصلا، كذلك الحال في الأتراك واليونانيين في قبرص، والكروات والصرب والبوسنة وغيرهما في يوغسلافيا السابقة.

هذا وكلما كان التكوين القومي للدول من النوع البسيط، أي تتطابق فيه الدولة مع الأمة أو القومية وتعرف في هذه الحالة باسم الدولة القومية **Nation state** كانت أكثر ثباتا وإستقرارا، لأن الدولة في هذه الحالة هي التعبير السياسي الصحيح لأمة أو قومية معينة، ويعتبر هذا من عناصر قوتها. وعلى العكس إذا كان التكوين مركبا، وتعددت الأقليات، فإن القوى المعادية تحاول إستغلالها لتفكيك الجبهة الداخلية، وبالتالي أضعاف الدولة،

كمحاولات الألمان إستخدام الأيرلنديين، والبلجيك الفلمنك، والروس الأوكرانيين أثناء الحرب العالمية الثانية، ويستندون في دعواهم إلى المبادئ العالمية المعروفة وهي الحرية والمساواة والأخاء " **Liberte, Egalite, Fraternite** " بين بنى الإنسان، هذا فضلا عن الصراع الذي يقوم بين القوميات المختلفة، وبالتالي يضعف من التلاحم القومي.

أنواع الدول المركبة أو ذات المجتمعات المتعددة :

١- دول تضم قوميتين متقاربتين بحيث لا تزيد إحداها على مثلى الأخرى، فضلا عن مجموعات أخرى ذات نسبة ضئيلة كما هو الحال في بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا سابقا وكندا وأتحاد ماليزيا، ولا تظهر في أي من هذه الدول مجموعة ثالثة يمكن أن تحدث توازنا بين القوميتين للكبيرتين، ويؤدي هذا الوضع إلى درجة عالية من عدم الإستقرار الداخلي.

٢- دول تضم قوميتين رئيسيتين، ولكن واحدة منهما يقل حجمها عن ثلث الأخرى، وفي هذه الحالة من المتعذر على الأقلية أن تسبب إضطرابا للدولة، وإن كان يمكن أن تسبب مشكلات سياسية بين الحين والحين، كويلز في المملكة المتحدة وأقليات الهنود الأمريكيين في أمريكا اللاتينية بالنسبة لأغلبية المستيزو (المولدون) وجمهورية جنوب أفريقية وإن كان المثل هنا صارخا حيث كانت تتحكم الأقلية البيضاء في الأغلبية الأفريقية.

٣- دول تضم ثلاث قوميات كبيرة أو أكثر لا يمكن لأى منها أن يكون أغلبية، ويدخل ضمن هذه المجموعة يوغسلافيا، والهند، والباكستان، وإيران، وكثير من الدول الأفريقية كنيجيريا، وكينيا.

غير أنه يلاحظ أن في المجتمعات التعددية **Plural Societies** التي ذكرناها قد لا تنشأ مشكلات سياسية، ويعيش أفراد الشعب في وئام كما هو الحال في سويسرا، إذ يتوقف الأمر على عدة أمور منها :

١- المستوى التعليمي الذي بلغه معظم أفراد الشعب، إذ يتناسب هذا المستوى عكسيا مع احتمالات الصراع.

٢- تقل احتمالات الصراع كلما قلت الفوارق الإجتماعية والإقتصادية بين القوميات المختلفة، إذ تزيد هذه الصراعات إذا كانت تغطي فروقات كبيرة في مستويات المعيشة، والنشاط الإقتصادي، وقد عمل هذا الفارق على فصل المهاجرين الصينيين عن المواطنين الماليزيين والاندونيسيين، وفصل البروتستانت عن الكاثوليك في أيرلندا الشمالية، والوطنيين عن الأوربيين في جنوب أفريقيا.

٣- تقوقع القومية جغرافيا، وذلك أن الأقليات القومية تميل إلى التجمع في مكان واحد لوحدة اللغة والعادات والتقاليد، وبالتالي ينشأ "الجيتو" الخاص بهم، فيزداد الترابط بينهم، والتباعد عن المجموعة أو المجموعات الأخرى، (الأحياء الصينية في جنوب شرق آسيا - الجيتو اليهودي في أوروبا في العصور الوسطى - الأحياء الزنجية في المدن

الأمريكية).

ثانياً : الأقليات الثقافية:

الأقلية الثقافية هو المصطلح الذي يطلق على الأقليات أيا كانت سواء كانت أقليات عرقية (أثنية) أو دينية، أو لغوية، أو قومية، أو قبلية، وذلك وفقاً لنموذج اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة بشأن حماية الأقليات، وإذا كان لها الحق في شيء ما، فهذا معناه الالتزام من جانب الأفراد الآخرين أو الحكومة بتوفير كل الوسائل لهذه الجماعة لممارسة هذا الحق دون أي معوقات، فقد تضمنت الاتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية، وملحقاتها التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦٦ بعض المبادئ التي تتناول حقوق الجماعات، مثل حق الشعوب في تقرير مصيرها، والقضاء على التمييز العنصري، وحماية الأقليات، وحق الأقليات العرقية والدينية واللغوية في الإستمتاع بثقافتها، وممارسة ديانتها، وإستعمال لغاتها، وغير ذلك مما يمكن إعتباره حقوقاً للأقليات.

الأقلية بالمعيارين العددي والإجتماعي :

والأقلية بالمعيار العددي هي القلة أو الأصغر في العدد بين مجموعتين كما جاء في القاموس السياسي، " إن الأقليات في العرف الدولي هي فئات من رعايا دولة من الدول تنتمي من حيث السلالة أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه أغلبية رعاياها"، غير أن الموسوعة الدولية للعلوم الإجتماعية ترى " أن الأعداد النسبية لأية مجموعة بشرية داخل إطار الجماعة الوطنية (داخل الدولة الواحدة)، لا تعد كافية لتعريف أو تحديد وضع الأقلية وإنما يفترض أن يتم تحديد ذلك من خلال إعتداد منظور سيولوجي، أي إجتماعي، أي من خلال تبيان الأهمية التي تتمتع بها الجماعة البشرية المعنية"، فالزنج في جنوب إفريقية قبل الإستقلال كانوا يمثلون أغلبية بالنسبة للبيض، ومع ذلك نظراً لتدني وضعهم يعتبرون في عداد الأقلية.

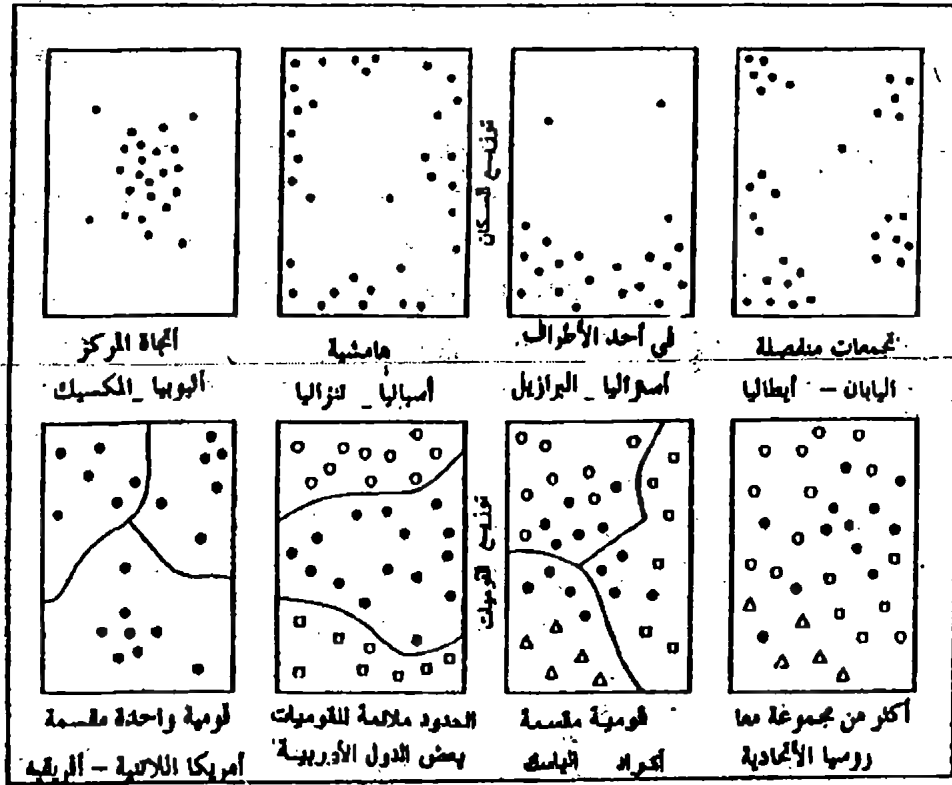
إنبعثت الحركات الانفصالية بشدة

كثرت الدراسات التي تتناول ظاهرة إنبعثت الحركات القومية خلال السنوات الأخيرة، ويجمع كثير من المحللين الإستراتيجيين والمفكرين على أن العنف الطائفي أو القومي من النوع الذي يجتاح منطقة البلقان وجمهوريات الإتحاد السوفيتي السابق هو المشكلة المرشحة للتفاقم خلال السنوات القادمة وأوائل القرن الحادي والعشرين.

فقد فجرت التغيرات الكبرى التي تعرض لها العالم خلال السنوات القليلة الماضية قضايا عديدة تحت شعار العام لهذه التغيرات وهو " حقوق الإنسان " ومن أخطر هذه القضايا إنفلات غول القوميات والأصول العرقية من عقالة فشعار حقوق الإنسان الذي رفعه الغرب لتحطيم الكتلة الشيوعية خرج عن السيطرة وأفلت من زمام الجميع . وإذا كان الاتحاد السوفيتي قد ظل يكافح ضد الطموحات القومية والنزعات العرقية لمدة سبعين عاماً وكذلك الأمر بالنسبة لشرق أوروبا الشيوعية وخاصة يوغسلافيا التي صارت على

نهج السوفيت في محاولة صهر مجموعة كبيرة من القوميات والأصول العرقية في دولة واحدة فإن هذه الدول لم تتمكن من قمع الصراعات والنزاعات القومية إلا بواسطة جيوش ضخمة وهائلة في التسليح ، أما الآن وقد إنهارت هذه الدول فإن كل شيء عاد لبدايته .

توزيع السكان والمجموعات الثقافية وعلاقاتها بدولها :



وعلى سبيل المثال فإن هناك حالياً حوالي مائة وخمسة وعشرين عرقاً في روسيا ودول الكومنولث السوفييتي ويصنف ٢٥ نزاع منها على أنها نزاعات مسلحة فإذا أضفنا إلى ذلك النزاعات الدائرة في منطقة البلقان وتلك المرشحة للانفجار في شرق أوروبا حيث أظهرت بعض الدراسات أن هناك ٤٠ " نقطة وميض " عرقية في أوروبا تهدد بالانفجار، فضلاً عن الصراعات العرقية المماثلة التي تخمد وتتفجر عبر العالم القديم سواء في الهند وسريلانكا، وآسيا الوسطى، والشرق الأوسط (الأكراد) وأفريقية (رواندا، بوروندي، جنوب السودان أثيوبيا ...).

وإذا كانت بعض الأقليات الثقافية قد اندمجت فعلا في ثقافة وذاتية المجتمع الوطني بحيث لم يعد لهذه الثقافات المحلية وجود الا كوقائع تاريخية . فإن الغالبية العظمى من الدول تضم بين مواطنيها أقليات لم يكن من الممكن إستيعابها جميعا داخل المجتمع القومي، والقضاء على مآثره من التحديات التابعة من البعث القومي، والتي ازدهرت بصفة خاصة خلال السنوات القليلة الماضية، فمن أهم التطورات الرئيسية التي شهدتها العالم منذ حقبة السبعينيات ظهور أو إعادة ظهور الحركات القومية في المناطق الهامشية لكثير من الدول مثل أسكتلند وأيرلندا في المملكة المتحدة، وكويك " في كندا و" الباسك " في أسبانيا و" بريتاني " و" كورسيكا " في فرنسا التي شهدت في سنة ١٩٧٦ وحدها إضرابات قومية في خمسة أجزاء مختلفة منها، كما يشتد الصراع في أمريكا بين السود والبيض في كثير من الولايات مما يؤكد أن الروح القومية والقيم العرقية والثقافية لم يكن من الممكن إخمادها نهائيا.

وفي مواجهة هذه التطورات، وفي ظل السياسة العالمية التي تؤكد الإلتزام بحقوق الإنسان، واحترام حرية الشعوب وحقوقها في تقرير مصيرها، تكهن بعض المفكرين باستمرار تصاعد موجات الإنتفاضات العرقية، وحركات الأقليات القومية، بل وأيضاً نجاحها في تحقيق غاياتها.

هل ينقسم العالم إلى ٤٠٠ دولة ؟

وتشير بعض الدراسات إلى ان الصراعات القومية ترجع إلى العهود الإستعمارية، ويقول الباحثون أن هناك حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة مجموعة من البشر في أماكن مختلفة من العالم يصفون أنفسهم بشكل أو بآخر على أنهم قومية أو شعب، في حين أن المعترف به كدول في المجتمع الدولي هو ١٨٥ دولة فقط مما يجعل احتمالات الصراع العرقي غير محدودة في عالم ما بعد الحرب الباردة.

ولعل من أهم التحذيرات التي صدرت في هذا الموضوع، هو ذلك الذي جاء من الأمم المتحدة على لسان أمينها العام السابق الدكتور/ بطرس غالي حيث حذر من أن العالم قد ينقسم إلى ٤٠٠ دولة، وتوقع أن يكون ذلك هو الخطر الجديد الذي سيظهر في العالم خلال السنوات العشر القادمة، وضرب مثالا على ذلك بأفريقية التي يوجد بها حوالي ٨٠٠ جماعة عرقية وحوالي خمسة آلاف قبيلة، فإذا طالبت كل منها بحق تقرير المصير، فكيف ستصبح صورة القارة الأفريقية يا ترى؟

إننا إذا أضفنا عوامل الأزمة الإقتصادية إلى عوامل الصراعات العرقية والقومية، فلن نخرج سوى بنتيجة مخيفة عن احتمالات تفجر الصراعات واستمرارها، والتي لا تهدد بقعة محدودة من العالم، وإنما يمكن أن تمتد نيرانها لتشمل العالم بأسره.

الهدف النهائي :

والهدف النهائي الذي تسعى إليه أي أقلية ثقافية أو قومية ترغب في الاحتفاظ بذاتيتها

أو تدعيم هذه الذاتية، هو محاولة الانفصال عن الدولة التي تشغل فيها مركز الأقلية. وتؤسس الجماعات القومية ودعاة الحركات الانفصالية مطالبهم في مواجهة مجتمعاتهم على مايتعرضون له - أو ما يدعونه - من أنواع الحرمان وضروب الظلم سواء كانت هذه المطالب تتوخى المعاملة المنصفة بسبب التعرض للاستغلال الإقتصادي بواسطة الأغلبية، أو تجاهلهم من الناحية السياسية، أو معاملتهم معاملة أدنى ثقافياً، أو مطالب من أجل الحصول على إمتيازات خاصة، أو أعفاءات معنية، أو غير ذلك من المطالب التي تعتبر من وجهة نظرهم، مبرراً لتقسيم أو تفكيك الدولة التي تواجه أقليتهم يمثل هذه المظالم.

أسباب تصاعد الإضطرابات القومية في الوقت الحاضر:

١- عملت برامج الأخبار في التلفزيون على نشر الأنشطة الدعائية للحركات القومية للأقليات، ففي حين أن الجماعات القومية كانت تحتاج في الماضي إلى عقد العديد من الإجتماعات، وتوزيع كميات كبيرة من النشرات، والكتيبات، حتى يمكن أن تصل أنباؤها إلى عدة آلاف قليلة من الناس، فإن الجماعات المعاصرة يمكن أن تثير اهتمام ملايين الناس من خلال أى نشاط تقوم به شريطة أن تكون قادرة على إجتذاب آلات تصوير التلفزيون. وهكذا فحين يقوم الجيش الجمهوري الأيرلندي بسلسلة من الانفجارات في قلب لندن بين الحين والآخر، فهو ليس للإرهاب فحسب، بل للإعلام أيضاً، حيث يهرع التلفزيون، بل ووسائل الإعلام الأخرى إلى مكان الحادث لتغطيته.

٢- كان لإنتشار التلفزيون على نطاق واسع أثره على طغيان ثقافة الأغلبية واستئثارها باهتمام الجميع، وإلى التقليل من شأن ثقافات الجماعات الأقلية، وقد ترتب على هذا الوضع إثارة جماعات الأقليات وتصدى زعمائها للدفاع عن لغتهم وثقافتهم التي باتت تتعرض للتآكل التدريجي والانقراض عبر الأجيال.

٣- أدى الترشيح الصناعي الذي انتشر منذ الحرب العالمية الثانية في كثير من الدول المتقدمة إلى مزيد من التركيز بالنسبة لمراكز الأعمال في المدن الكبرى، مما ترتب عليه عدم قدرة الجماعات أو الأقليات التي تعيش في المناطق الهامشية على السيطرة على شؤونها الإقتصادية، والإجتماعية التي أصبحت خاضعة لنفوذ المجتمع المسيطر.

٤- تنقسم الفترة الراهنة من تاريخ الجنس البشرى بنمو القلق السياسي الناجم عن تزايد الحديث عن الحرب النووية المقبلة والمجاعة العالمية ونفاد موارد الطاقة، وغير ذلك من المشاكل والأزمات الحادة مما جعل الجماهير غير قادرة على تقبل أي موقف يثير مزيداً من استيائهم واضطرابهم، وفي مثل هذه الظروف تتكفل الجماهير ذات المطالب المتماثلة للدفاع عن مطالبها وحقوقها والنضال من أجلها.

مصيدة العرقية:

أوضحت إحدى الدراسات في كندا أن مطلب المحافظة على التمايز الثقافي أدى إلى

صعوبة تحقيق المساواة الاقتصادية، فقد تبين أن الكنديين الفرنسيين يشغلون وضعاً اقتصادياً أدنى من الكنديين البريطانيين وغيرهم من الأقليات التي وصلت كندا بعد الفرنسيين الذين كانوا أول المستعمرين لهذه البلاد.

لقد حرصت الأقليات الفرنسية (كويبك) - رغبة منها في حماية قيمتها الثقافية - على تخصيص ساعات دراسية أطول لكل من اللغة الفرنسية، والثقافة الكاثوليكية، والثقافة القومية، مما تبعه تخفيض الساعات الدراسية المتاحة للموضوعات والمواد العلمية ذات النفع الاقتصادي، الأمر الذي ترتب عليه تقليل فرص المواطنين في الحصول على الوظائف التي تمكنهم من تحسين أوضاعهم الاقتصادية، وبلوغ مركز المساواة، مع غيرهم من الأقليات، ولم يكن ذلك ممكناً إلا باللجوء إلى تعليم أبنائهم وأحفادهم اللغة الإنجليزية.

كيف تتعامل الدولة مع الأقليات؟

يمكن أن نجعلها فيما يلي :-

أولاً : موقف اللامبالاة أو تجاهل القضية، طالما أنها لم تصل إلى الحد الأدنى الذي يهدد سلطة الدولة أو الاستقرار، وقد يكون لهذا الموقف مبرراته أو أعذاره إذا كان الأقليات "أقليات" بالفعل، أي لا يتجاوز عدد أفرادها الواحد أو الاثنين بالمائة، أو كانت مصالحها الاجتماعية والاقتصادية تقضى عليها بأن تسير أو تخضع لحكم الأكثرية وقوانينها وخياراتها المصيرية، (كان ذلك، مثلاً، موقف بعض الأقليات الدينية أو الأوربية أو المذهبية في السلطنة العثمانية)، أما عندما يكون حجم الأقلية كبيراً نسبياً (من ٧ إلى ١٥ بالمائة، مثلاً، أو تكون هذه الأقلية متجمعة في إقليم واحد، أو موجودة على حدود دولة تتواجد بها أقلية أو أكثرية من العرق أو الدين أو الثقافة ذاتها، (الأكراد في شمالي العراق)، أو تكون هنالك ظروف إقليمية أو دولية "محركة" أو "محرضة" لهذه الأقلية، أو تكون أوضاع هذه الأقلية الاقتصادية والاجتماعية متدنية كثيراً عن مستوى أوضاع الأكثرية (الريف بالنسبة للمدن)، أو يكون الحكم المركزي قاسياً أو ظالماً في تعامله مع الأقلية وأمانيتها .. عندئذ فإن هذه الأقلية سوف تخرج عن سكونها واستسلامها ولن يتمكن النظام الحاكم من تجاهل أو تأجيل معالجته لقضاياها.

ثانياً : التصفية والتهجير والقمع، في القرون السابقة، بل وحتى منتصف هذا القرن، كانت التصفية الجماعية أو "التطهير العرقي" أي الإبادة والتهجير بالقوة، من بين الحلول التي كان حكم الأكثرية يلجأ إليها لحل مشكلة الأقليات الراضية أو المتمردة في العالم - مثلاً حدث للهنود، سكان القارة الأمريكية الأصليين، وللعرب والمسلمين واليهود في الأندلس، بعد انتصار الكاثوليكية الأسبانية، وللأرمن في تركيا، قبيل وبعيد الحرب العالمية الأولى، وللفلسطينيين في عام ١٩٤٨ " ولعل آخر ما سمعنا عنه من تطهير هو محاولة إبادة الصرب والكروات لمسلمي البوسنة.

ثالثاً : وهو ما كان يمارس في أكثر من دولة في العالم (كانت أفريقية جنوبية في طبيعتها ولا تزال إسرائيل تمارسه بشكل أو بآخر رغم براعة التغطية السياسية

والإعلامية، هو مراقبة الأقلية عن كثب وخنقها بقوانين وتدابير وإجراءات إدارية واقتصادية مميزة، بحيث تشل طاقتها على التحرك أو إختيار مصيرها بحرية، وبالرغم من أن هذا الحل يبقى " مؤقتا وعرضه للتغيير تحت ضغط الرأي العام الدولي، فإن أخطر ما في هذا الأسلوب الزجرى هو أن الأقلية تتحول ، حتما، إلى " طابور خامس " مستعد للتعاون مع أعداء الوطن أو الدولة أو إلى مشتل لزراع وإنبات المعارضين وتكوين جماعات الإرهاب.

رابعاً : التقسيم أو الانفصال، وبالرغم من أن هذا الحل لم يحقق للأقليات المنفصلة والمكونة لوطن أو دولة جديدة، في غالب الأحيان، كل ما كانت تسعى إليه أو تحلم به، فإنه طبق في هذا القرن وفي أنحاء عديدة من العالم أشهرها : فلسطين، والهند ، باكستان وبنجلاديش وغيرها. ولقد عاد هذا الحل إلى " الظهور " بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، بالنسبة لعدد كبير من الجمهوريات التي كان الاتحاد يضمها، في البلطيق وآسيا الوسطى وما حدث في يوغسلافيا، وفي تشيكوسلوفاكيا، يبرز هذا الحل الانفصالي بين " مجموعات " لم يتمكن الضم الوطني أن يزيل منها خصائصها كأقليات، فاستيقظت من جديد، وأدت إلى التقسيم أو الحروب.

وبالرغم من أن التقسيم " نجح " في حالات كثيرة، أو كان لابد منه في حالات أخرى، فإنه في حالات أخرى لم يحل مشكلة الأقليات ومثال باكستان وبنجلاديش مثال صارخ على أن انفصال المسلمين عن الهند لم يمنع إنقسام باكستان وإنفصال بنجلاديش المسلمة عنه، كما أن للتقسيم مخاطر أكبر، فعندما تنفصل مجموعتان كانتا متعايشتين في كيان وطني أو تحت ظل دولة واحدة، إلى دولتين، وغالبا ما يكون ذلك أثر اضطرابات دامية (الهند) أو حروب (فلسطين)، يتولد بين الكيانيين الجديدين المتجاورين " عداء " قوى، لاسيما في قلوب الذين يضطرون إلى مغادرة " أرض أجدادهم " ومنازلهم، وهذا العداء قد يكون أشد ضررا وخطرا على " الأقليات " المنفصلة عن بعضها البعض، من ضرر ومخاطر الإستمرار في العيش معا في ظل دولة واحدة، وهل أبلغ من الحاليتين الفلسطينية والإسرائيلية والهندية – الباكستانية، مثلا؟

خامساً : الكونفدرالية والفيدرالية والحكم الذاتي بين " ضبط الأقليات وإنفصالها عن الأكثرية "، كانت هناك حلول أخرى.

أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت الدولة الأولى، في العصر الحديث التي إعتمدت الفيدرالية كنظام سياسي يمكن التوفيق، ضمنه، حقوق ومصالح "أقلية" أيما كان نوعها، وبين مصلحة الدولة العليا ولكن هذا النظام الذي وجدت كل " الأقليات " فيه، نظريا أو مبدئيا، وإلى حد ما، الحل الأفضل لمشاكلها بالنسبة للدولة والأكثرية، ما كان لينجح – حتى الآن، إلا لأن الفيدرالية الأمريكية، نموذج أمريكي خاص، صعب التطبيق على شعوب عريقة في تاريخها وتقاليدها ولم تتوفر لها الفرص التي توفرت للمواطن الأمريكي، ولعل السر الحقيقي وراء نجاح النموذج الأمريكي لحل مشكلة الأقلية والأكثرية، هو أن معظم المواطنين الأمريكيين، " تخلوا " عن متخيلاتهم التاريخية

والعقائدية والعرقية، وتلك حالة خاصة لا تنطبق على الشعوب والأقليات الأخرى في العالم، ومع ذلك فهناك الأقلية السوداء.

ولكن الفيدرالية، والكونفيدرالية، (والفرق بينهما معروف ، وأن كان عمليا غير كبير)، لم تكن "إختراعا" أمريكيا، بل عرفتها دول أخرى عبر التاريخ وإن كانت "تسميتها" مختلفة، فالإمبراطوريات الكبرى القديمة كانت تقوم على نوع من الفيدرالية أو الكونفيدرالية أو "الحكم الذاتي" بحيث أن السلطة المركزية كانت تتولى الشؤون العليا للدولة وتترك للحكام المحليين ، بل للمؤسسات الوطنية أو الدينية المحلية، ولقد كانت الإمبراطورية العثمانية التي استمرت عدة قرون، نموذجا لهذا النوع من الحكم اللامركزي الذاتي وللاعتراف بحقوق ومصالح الطوائف والمناطق التي تضم أقليات. أن عدد الدول التي تقوم، اليوم، على أساس الاتحاد الفيدرالي أو الكونفيدرالي واللامركزية الإدارية والإقتصادية، كبير [الولايات المتحدة الأمريكية، البرازيل، المكسيك، ألمانيا، يوغسلافيا (سابقا) كندا إلخ ...]، وبالرغم مما يوفره هذا النظام من إمكانية حلول لمشاكل الأقليات، محليا أو قانونيا أو إقتصاديا فإنه لم ينجح كليا في القضاء على الفروقات التي تشكو منها الأقليات ولا على الشعور بأن القرار في النهاية هو من صنع الحكم المركزي.

الفصل الرابع

السكان والتكنولوجيا

أولاً : السكان:

ويقصد بدراسة السكان ديموغرافيا دراسة نمو السكان وعلاقته بالمواليد، والوفيات، والهجرة الخارجية، والداخلية، من الناحية الديناميكية أو التطورية، أي إتجاهات السكان ممثلة في النمو بشقي، وهما الزيادة الطبيعية، والهجرة بالإضافة إلى بعض العناصر المتصلة بالنمو، كتقسيم السكان إلى ذكور وإناث، ونسبة الشبان، ومتوسط الأعمار وهكذا.

ويعتبر من الأمور المفيدة تمثيل سكان الدولة بهرم يدعى هرم السكان أو هرم الأعمار، فيقسم السكان إلى فئات، وكل فئة خمس سنوات تمثل بقضيب أنفي، وترتب القضبان الأفقية الواحد فوق الآخر، بحيث تكون أصغر المجموعات سنا في أسفل، وعادة ما تقسم القضبان أيضا من ناحية الجنس إلى ذكور وإناث، فإذا كانت الأمة مقبلة على نمو سريع، فستكون قاعدة الهرم أكبر من التي فوقها وهكذا، أما إذا كانت الأمة مقبلة على تدهور في عدد سكانها نتيجة لنقص موالدها كانت قاعدة ضيقة، أو بمعنى آخر، أن أطفال مرحلة الخمس سنوات الأولى تكون أعدادهم أقل مثلا من الشباب الذين يتراوح أعمارهم بين العشرين والخمس والعشرين عاما، وأهزام السكان للدول المختلفة في من النوع الأول، أي المنتظم كمصر والفلبين ولبنان والمكسيك، بينما نجد أهرامات دول غرب أوروبا في معظمها غير منتظمة كبريطانيا وفرنسا. ويشير هرم السكان إلى وفرة اليد العاملة في الدول النامية الآن وفي المستقبل. ذلك أن ارتفاع نسبة الأفراد في فئة السن أقل من ١٥ سنة في أحد الأجيال معناه زيادة نسبة الفئة الخصبة في الجيل التالي، كما أن المجموع الكلي لأطفال أحد الأجيال يمثل القوة البشرية العاملة في الجيل التالي، ذلك أنه لا يمكن إعتبار جميع السكان قوة عاملة، فالقوة البشرية العاملة تنحصر في فئات السن بين ١٥ ، ٦٠ سنة، ولهذا يمكن معرفة القوة البشرية العسكرية المتاحة للمجهود الحربي.

أما الدراسة الجغرافية فيقصد بها دراسة التوزيع، ومن الدراستين تخرج فعلا بفكرة عن مشكلات السكان التي ترجع إلى عوامل عديدة متشابكة منها ما هو حيوي، ومنها ما هو إقتصادي، وإجتماعي، وسياسي، وهذه عناصر لا بد من الاستعانة بها في دراسة الجغرافية السياسية.

والذي لاشك فيه أن ضخامة حجم السكان لاشك تعطى قوة بشرية هائلة في العمليات الحربية، ولازالت الحروب الحديثة في حاجة إلى الأعداد الغفيرة من القوى البشرية، الحرب الكورية، الهند الصينية مع فرنسا، فيتنام . فما زال دور المشاة في

القتال له أهميته، ورغم تقدم الأسلحة الحربية، من الذي سيتقدم لإحتلال الأرض الجديدة
أهي الطائرات أم الصواريخ؟

فهذه الأخيرة هي أسلحة معاونة في الوقت الحاضر كما كانت في الماضي مع
تطور هذه الأهمية . ونستشهد في ذلك بقول شواين لاي رئيس وزراء الصين " نحن
نريد أكبر قدر من التورط الأمريكي في فيتنام ، أتركوا الولايات المتحدة تصمد للحرب
ليصبح نصف مليون جندي أو مليون في فيتنام ، لأنهم إذا أقدموا على تصرف من
شأنه أن يؤدي إلى تدخل الصين فهم يعرفون أننا نستطيع أن نقذف إلى الميدان بملايين
بعد الملايين من البشر، وسوف تستطيع ملاييننا أن تبتلع مئات الآلاف منهم " .

وكذلك الحال في الحرب المصرية الإسرائيلية، فمن عوامل الضعف الكبرى في
التكوين الحربي الإسرائيلي، قلة السكان، التي تدعو إلى الإعتماد على الإحتياطي، وإذا
طالت الحرب كان هذا معناه شلل للحياة الإقتصادية داخل إسرائيل. قد تجند
الدولة سكانا غير سكانها كما كانت تفعل في الماضي أو كما تلجأ
إسرائيل إلى الجنود المرتزقة **Mercenaries** ولكن تسليح الجنود
المرتزقة غير مأمون، ولا بديل لأبناء الوطن للإطمئنان في الدفاع عن مصلحته.

ولضخامة السكان ميزة عسكرية أخرى، ذلك أن قهر الدولة الكثيفة السكان يعتبر
صعبا، بل من الصعب السيطرة عليها ، لأن الإحتلال العسكري لأراضى يشغلها عدد
كبير من السكان، يستلزم مرابطة رجال عديدين مما قد يؤدي إلى خلق عجز في القوى
البشرية في أرض الدولة الغازية، وكان هذا فعلا حال ألمانيا النازية حينما وجدت أن
إحتلال أوروبا يكاد يكون فوق طاقتها.

ويثير موضوع السكان كثير من المناقشات حول الأقطار التي تريد التوسع،
فتستفيد أو تبرر توسعها ، بأنها مزدحمة بحيث لا تجد متسعا لسكانها،
كاليابان وإيطاليا وألمانيا وعلى هذا الأساس بدأت الدول الثلاث في التوسع
قبل الحرب العالمية الثانية بحجة البحث عن مجال حيوي
Lebensraum لسكانها المتزايدين.

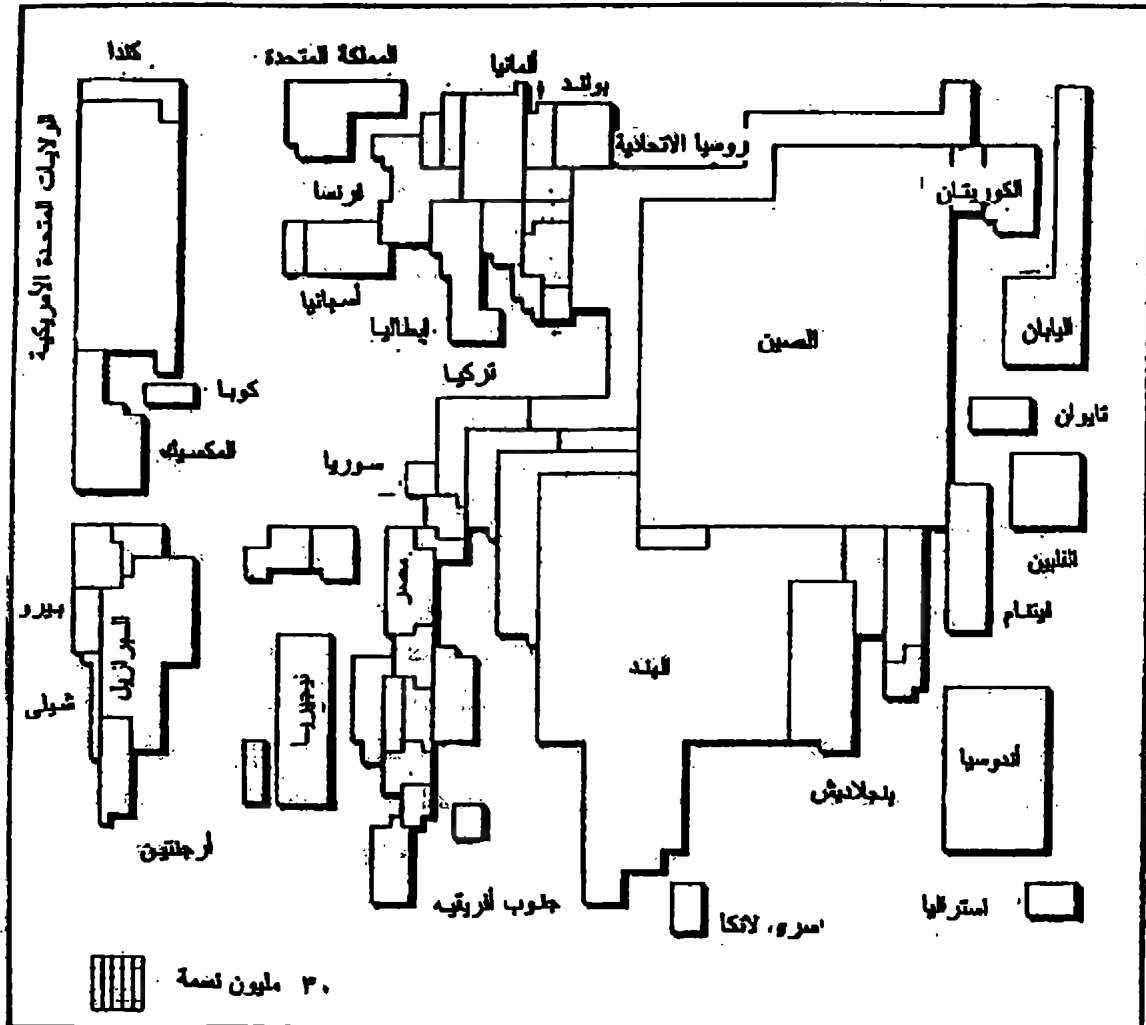
أثر الصراع السياسي على السكان:

ولابد وأن نشير أيضا إلى أن الصراعات السياسية لها دورها على السكان، منها
حرص كل طرف من أطراف الصراع على زيادة السكان، فالإسرائيليون على
سبيل المثال يحاولون زيادة عددهم بإستقبال المهاجرين من الخارج،
نتيجة لإرتفاع معدلات الوفيات عن مستواه الطبيعي خاصة أثناء الحروب
خاصة في الأعمار المتوسطة (الشباب) لأنهم وقود الحرب، كذلك إنخفاض
نسبة الزيادة الطبيعية وتأخر سن الزواج سواء بالنسبة للذكور أو الإناث بسبب
غياب الشباب في ميادين القتال، كذلك وإرتفاع نسبة وفيات الأطفال وكبار السن
لسوء التغذية، وعدم توفر الدواء.

وليس أبلغ مما حدث لسكان العراق نتيجة حصاره (حصار إقتصادي) كذلك ما ينتج عن الصراع من إبادة وتهجير بالقوة أي طرد القوة المتنافسة والتي يقوم بها الطرف المنتصر (طرد الصرب للمسلمين في البوسنة، وطرد الأثيوبيين للصوماليين من إقليم الأوجادين، وطرد اليهود للفلسطينيين بعد نكبة ١٩٤٨).

وقد تقوم عمليات نزوح *displacement* للسكان داخل الدولة لأبعاد المدنيين عن جبهة القتال، ويتم هذا النزوح طواعية من السكان أحيانا، أو نتيجة توجيه من الحكومة كما حدث من هجرة أعداد كبيرة من سكان الإسكندرية أثناء الحرب العالمية الثانية، حينما وصل الألمان إلى العلمين، وإشتد قذف الإسكندرية بالقنابل في الحالة الأولى، وتهجير أعداد كبيرة من سكان القناة بعد حرب ١٩٦٧ إلى الصعيد خاصة النساء والأطفال وكبار السن، وعودتهم بعد إنتصار أكتوبر ١٩٧٣ وقد يكون هذا النزوح نتيجة فرار السكان من أهوال الصراعات خاصة بين النساء والأطفال والشيوخ. كما حدث في دارفور في غرب السودان أو في السودان الجنوبي.

توزيع السكان في العالم



توزيع السكان:

قبل دراسة التجمعات السكانية في العالم لابد وأن نشير إلى أن عدد سكان العالم تخطي ٦ بلايين نسمة يعيشون على اليابس الذي لا يشكل سوى نحو ٣٠ % من سطح الكرة الأرضية، لأن الباقي يشغله الماء، ولا يتوزع السكان على ٣٠ % من سطح الأرض بتساوي، بل إن هذا القسم الذي يعيش فيه السكان معظمه غير صالح للسكنى، فمعظمه إما صحراوي جاف، أو جبلي شديد التضرس أو تنخفض فيه الحرارة إلى درجة التجمد، فبعد آلاف السنين من الزيادة البطيئة للسكان، تزايد المعدل خلال القرنين الأخيرين بصورة ملحوظة ، فقد تتطلب الأمر نحو ١٧ قرناً ليبلغ سكان العالم ٥٠٠ مليون نسمة، والآن فإن الزيادة التي يستغرق تكوينها ١٧ قرناً، لم يأخذ تكوينها الآن سوى عامين ونصف، لأن عدد سكان العالم يزيدون ١٠٠ مليون كل عام.

التجمعات الرئيسية:

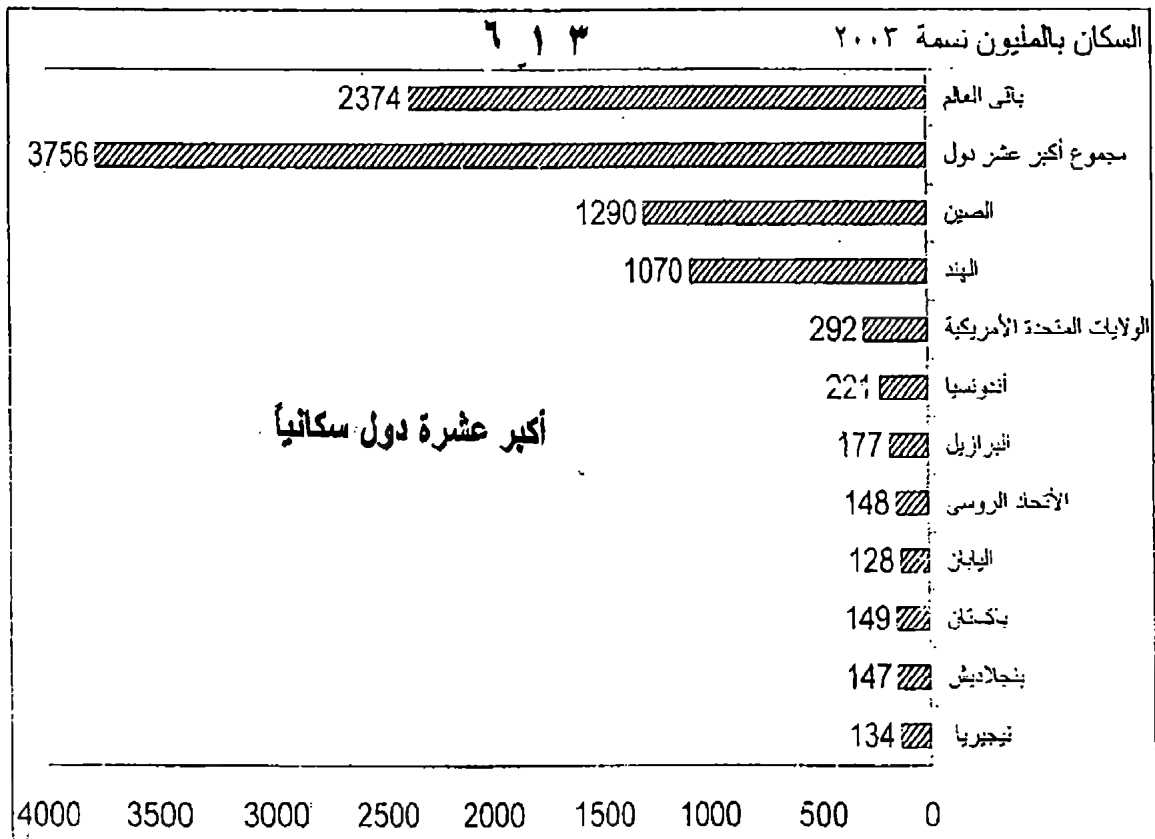
أكبر تجمع سكاني في شرق آسيا (١,٥ مليار)، ومركزه الصين والشريط الساحلي للقارة من كوريا إلى فيتنام، وتميل الكثافة إلى الانخفاض كلما تركنا هذا الشريط واتجهنا نحو الداخل وفي هذا الشريط (١)، (٢) يتجمع السكان في أحواض الأنهار الرئيسية للصين، وهنا معظم السكان زراعيون بالدرجة الأولى وليسوا من الحضر، وإن كانت هناك مدن كبيرة مثل بكين وشنغهاي، إلا أن الريف يتفوق على الحضر.

والتجمع الثاني في جنوب آسيا (١,٤ مليار) مركزه الهند وجيرانها بنجلاديش وباكستان، ويتركز السكان هنا في حوض الجانج، ويقترّب حجم السكان هنا من حجم سكان شرقي آسيا، إذا ما ظلت معدلات المواليد كما هي، ورغم أن السكان هنا مزارعون بالدرجة الأولى كما في شرقي آسيا، إلا أن الضغط السكاني هنا أشد.

وتأتي أوروبا ممثلة للتجمع الثالث على الطرف الآخر من أوراسيا ، ويقع هذا التجمع غرب روسيا ، بعدد نحو ٥٠٠ مليون نسمة ، ومحور التجمع السكاني ليس أحواض الأنهار ولكن في نطاق الخامات والصناعة ، وأوروبا من أكثر القارات حضرية ، وتجمع السكان هنا يعتمد على الصناعة وليس على فلاحية الأرض .

هذه التجمعات الثلاثة (شرقي آسيا وجنوبها وأوروبا) تضم نحو ثلاثة بلايين نسمة من مجموع السكان الذي يزيد على ٥,٦ بليون، ولا توجد تجمعات أخرى بنفس الحجم السكاني الذي لا يماثلها فحسب، بل ولا يصل إلى نصف مجموع عددها، فتجمع أمريكا الجنوبية وأفريقية جنوبي الصحراء وأستراليا معاً يقل عدد سكانه عن سكان الهند وحدها.

وأما التجمع الرابع فهو شمالي شرقي أمريكا الشمالية الذي يتضمن جنوب شرقي كندا وشرقي الولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك فيبلغ سكانه ربع أصغر تجمع سكاني أوراسي، ولا يتميز بالكثافات العالية والإمتداد المتصل في أقاليم الكثافة العالية في آسيا، ولكن يشبه التجمع الأوربي في أن تركيز معظم السكان يرتبط بالتجمعات الحضرية الضخمة أكثر من ارتباطه بالريف المخلخل سكانياً، ويقع قلب التجمع الأمريكي في ذلك المركب الحضري للجهات الساحلية في الولايات المتحدة الأمريكية، والممتد من بوسطن إلى واشنطن ونيويورك وفيلادلفيا وبلتيمور، هذا التجمع الذي إعتاد الجغرافيون أن يطلقوا عليه ميجالوبولس.



تجمعات أصغر:

وتمثل في جنوب شرقي آسيا، في جزيرة جاوا بسكان نحو ١١٠ مليون نسمة، وفي أفريقية جنوب الصحراء في نيجيريا وحول بحيرة فيكتوريا، وفي شمالها ممثلاً في مصر، وهو أشبه بتجمع شرقي وجنوبي آسيا حول الأنهار، أما في أمريكا الجنوبية، فلا يوجد مثل هذه التجمعات، وتعتبر مدينة مكسيكو أكبر تجمع حضري في أمريكا اللاتينية.

وإذا حسبنا توزيع السكان بطريقة أخرى نجد أن ٦٠ % من سكان العالم يتوزعون على عشرة دول، يزيد سكان كل منها على ١٠٠ مليون نسمة، ١٥ % من سكان العالم يتوزعون على ثلاثة عشرة دولة ويتراوح سكان كل منها بين ٥٠ ، ١٠٠ مليون نسمة، أما باقى دول العالم فيخصصهم ٢٥ % من سكان العالم ، ويقل سكان كل منها عن ٥٠ مليونا.

التجمعات الكبرى فى العالم (٢٠٠٣) بالمليون

شرقي آسيا		جنوبي آسيا	التجمع الأوربي		تجمع الأمريكتين		
الصين	١٣٠٠	الهند	١٠٠٧	روسيا	١٤٨	الولايات المتحدة	٢٩٢
اليابان	١٢٨	إندونيسيا	٢٢١	ألمانيا	٨٣	البرازيل	١٧٧
فيتنام	٨١	بنجلاديش	١٤٧	بريطانيا	٥٩	المكسيك	١٠٥
كوريا الجنوبيّة	٤٨	باكستان	١٤٩	إيطاليا	٥٨	كولومبيا	٤٤
الفلبين	٦٧	تايلاند	٦٣	فرنسا	٦٠	الأرجنتين	٣٧
كوريا الشمالية	٢٣	ميانمار	٥٠	أوكرانيا	٤٨		
تايوان	٢٢			أسبانيا	٤١		
المجموع	١٦٦٩		١٦٣٧		٤٩٧		٦٥٥

السكان والقوة:

غير أن فى معالجة علاقة السكان بالقوة قد تظهر مشكلة تداخل متغير السكان مع العوامل الاجتماعية والإقتصادية والسياسية، الأمر الذي يصعب معه عملية القياس مثل مصطلح الضغط السكاني الذي ينطوي على عناصر أخرى كالموارد والمستوى الفني والسكان المنتجين، فالعدد المطلق لا يدل على ما إذا كان هناك ضغط أم لا، فسكان الولايات المتحدة الأمريكية البالغين نحو ٢٩٢ مليون نسمة لاشك لا يمثلون ضغطا سكانيا، على حين أن سكان مصر الذين يبلغون نحو ٧٢ مليون نسمة يشكلون ضغطا سكانيا، ثم عدد السكان الأمثل، الأمثل بالنسبة لماذا للقوة العسكرية، أم للرفاهية الإقتصادية؟ ويتجه بعض الباحثين إلى التأكيد على أهمية عامل حجم السكان فى تشكيل قوة الدولة، ولكن من خلال ما يسفر عن هذا الحجم، وأدى هذا إلى الخروج بنتيوات عن وقوع تغيرات مستقبلية فى هيراركية القوة الدولية، حيث تمثل الدول كبيرة الحجم فى السكان مركزا أكبر، حتى لقد طرحت كل من الصين والهند وإندونيسيا كقوى عالمية محتملة.

ولكن مسألة حجم السكان الذي يؤدي فى نظر البعض فى إزدياد حجم قوة العمل وإحتمالات زيادة القوة العسكرية، مرتبط بحدود القدرة الإستيعابية للإقتصاد القومي،

أى القدرة على توفير فرص العمل والتوسع فى الإستثمارات وكذلك فيما يختص بالقدرة الإستيعابية للقوات المسلحة، حيث أن هناك سقفا لا يمكن تجاوزه، فضلا عن دور المتغير التقني، حيث أن التقدم التقني يصحبه تقليص القوة البشرية سواء فى الإقتصاد القومي أو فى القوات المسلحة (أنظر إلى حرص إسرائيل على أن تكون متفوقة تقنيا من الناحية العسكرية).

وهناك من يفترض بأن زيادة السكان تؤدي إلى إحتتمالات زيادة التنمية الإقتصادية وهذا بدوره لايمكن التسليم به على علانية، لأن عملية التنمية لا تتقدم دائما فى ظل تزايد الحجم السكاني فقط، فلا بد من معرفة نسبة السكان فى سن العمل، والموارد المتاحة والمستوى التقني لأن ارتفاع نسبة صغار السن (دون ١٥ سنة) معناه ارتفاع مستوى الإعالة وإنخفاض معدلات الإدخار، وزيادة أعباء الدولة فى الخدمات الأساسية، لذلك فقد يكون الحجم البشرى مغذيا ومضيفا لقوة الدولة، وقد يكون معوقا لهذه القوة، ومع ذلك فيمكن القول بأن حجم السكان قد يكون من عوامل القوة أو عوامل الضعف، ولكن فى نفس الوقت لا يمكن لدولة قليلة السكان أن تكون قوة كبرى كسريلانكا، أو غمبيا.

ويذهب البعض إلى أنه من المستحيل أن يصبح البلد غنيا فى سياق نمو سكاني سريع، ذلك أن جعل الأشخاص الجدد منتجين وعصريين، فإن هذا يتطلب إستثمارات ضخمة، وإذا كانت هناك أعداد ضخمة من هؤلاء الجدد ، فإن الأشخاص الموجودين ينبغي أن يكون لديهم الإستعداد لتقييد إستهلاكهم بشدة بغية إستثمار الأموال التي تلزم هؤلاء الجدد، فعلى سبيل المثال، فلكي يحصل أمريكي جديد على حيز سكنى متوسط، فينبغي إستثمار ٢٠ ألف دولار لتوفير السكن، وإلى أن يبلغ هذا الأمريكي سن العمل سيحتاج إلى أغذية تقدر بنحو ٢٠ ألف دولار أخرى، ولكي يبلغ المستوى التعليمي الأمريكي، سيتطلب نفقات عامة وخاصة مقدارها ١٠٠ ألف دولار ، ولكي يبلغ متوسط الإنتاجية الأمريكية فى العمل، فإن هذا سيتطلب إستثمارات مقدارها ٨٠ ألف دولار فى مصانع ومعدات وعلى ذلك سيلزم أيضا ٢٠ ألف دولار أخرى لإنشاء البنية الأساسية العامة من الطرق، وصرف صحي، مياه شرب، ومطارات. أي أن كل أمريكي جديد يحتاج إلى إستثمارات قدرها ٢٥٠ ألف دولار لكي يكون بإستطاعته دخول الإقتصاد الأمريكي بوصفه مواطنا عاملا ومستهلكا عاديا لديه إكتفاء ذاتي ، ضربنا هذا المثل لبيان كيف أن تنشئة إنسان جديد تتكلف الكثير، وليس من اللازم أن يكون بالمستوى الأمريكي ولكنها إذا حسبت بأي المقاييس فهي كذلك، لأنها نسبة وتناسب!

التكنولوجيا (١) :

يختلف النوع البشرى عن بقية الأنواع الحيوانية فى قدرته على التحكم وتكييف البيئة قدر الإمكان فضلا عن إمكان إجراء تحسينات عليها.

فهناك كثير من الاختراعات **devices** خلقت لتحسين ما هو طبيعي، المساكن بدلا من الكهوف، الغلات المزروعة بدلا من النباتات البرية. وإختراعات أخرى زادت من قدرة الإنسان وكفاءته، أجهزة، وأدوات، وأسلحة سواء لصناعة أو لتحطيم أشياء، وسائل نقل جبارة، آلات حاسبة إلكترونية تزيد من قدرة الإنسان على التذكر (ذاكرة الإنسان) فضلا عن دقتها فى الحسابات، ومن أجل التبسيط يمكن أن يطلق على هذا " التكنولوجيا ".

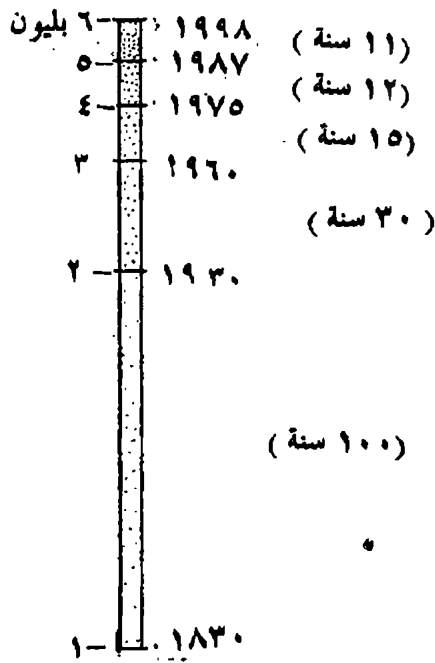
يقصد بالتكنولوجيا أو التقنية بعبارة مبسطة فن الإنتاج أي الأساليب والوسائل المستخدمة فى عمليات الإنتاج، وبالتالي يتمثل التقدم التكنولوجي فى تطوير هذه الفنون والأساليب بما يحقق التقدم، ويتم التقدم التكنولوجي نتيجة التزاوج بين البحث العلمي والإنتاج المادي. فتقدم الصناعة مثلا لم يعد يتحقق حيث توجد مصادر المواد الأولية، بل حيث توجد العقول والمهارات، فبالرغم من فقر اليابان فى الخامات، فقد إستطاعت أن تحقق نجاحا باهرا فى كثير من القطاعات الصناعية خاصة الإلكترونية والكيمويات.

كان التقدم التكنولوجي يسير قدما عبر القرون الماضية ولكنه أصبح يقفز فى العقود الأخيرة، ويذهب الباحثون إلى القول بأن المعرفة الإنسانية تتضاعف كل خمس سنوات، وأن ٩٠ % من جميع المعرفة العلمية للبشر تجمعت فى الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية . وهذا التقدم التكنولوجي هو المسئول الأول عن كثير من التغيرات التي لا يمكن تجاهلها فى الشؤون الدولية. فقد كان سكان العالم عام ١٩٣٠ يبلغ نحو الألفي مليون، بلغ ٦ آلاف عام ٢٠٠٠ ، ولم يكتف الإنسان بمسطح اليابس يخطو عليه، فوصل إلى سطح القمر، كما تعمق فى المحيطات، ويتطلع للوصول إلى المريخ.

وكان النقل الفوري للصورة والصوت إلى جميع البشر سواء كانوا فى الأكواخ أو الحقول أو القصور، له أثره فى إحساسهم جميعا بالإنتماء إلى عالم واحد، فى طرف منه يعيش أولئك الذين لا يملكون ويتطلعون إلى الانتقال إلى الطرف الآخر، وأصبح العالم الآن يقسم إلى أغنياء يعرفون، وفقراء لا يعرفون، كل هذا كان نتيجة مباشرة للتجمع المستمر للمعرفة والتكنولوجيا فى جانب دون الآخر.

(١) هناك مجموعة من العوامل غير الجغرافية تسهم فى قوة الدولة : منها التكنولوجيا والدبلوماسية وغيرها ، ومع ذلك رأينا إدراجها لتكامل الدراسة.

عدد السنين التي يحتاجها سكان العالم ليزيدوا واحد بليون



لماذا يعرف عصرنا الآن
العصر ما بعد الصناعة ؟

نأتي إلى الثورة الأخيرة، ثورة ما بعد الصناعة وهي ثورة التكنولوجيا، التي تميزت بمعدلات في التقدم العلمي غير مسبوقة، ومن ثم زادت أهمية العلم كعنصر من عناصر الإنتاج، فقد زادت درجة الارتباط وسرعته بين العلم وتطبيقه، فقد مرَّ ٥٦ عاما بين إكتشاف الهاتف وتطبيقه، ٣٥ سنة بين إكتشاف الراديو وتطبيقه ، ١٤ سنة بالنسبة للتليفزيون وهكذا وترتب على ذلك حدوث تغير في هيكل القطاعات الإنتاجية، فصناعة المعلومات دفعت بقطاع الخدمات إلى المقدمة على حساب القطاعات السلعية

بوصفها القطاع القائد للنمو والعمالة ، وأصبح العمل العقلي لا المادي هو السلعة الرئيسية، أي أن المصدر الرئيسي للقيمة المضافة قد أصبح المكون التقني للسلعة، وهي سلعة ذات صفات غريبة، فمن الممكن بيعها لأكثر من مشتر واحد في ذات الوقت دون أن ينقص هذا من رصيد بائعها (قارن هذا بالسلع التقليدية !) وهي سلعة لا يمكن حجبها عن السوق إذ تتدهور قيمتها مع مرور الزمن (نظرا لسرعة التطوير - أنظر سرعة تطور أجهزة الحاسبات، وأجهزة الكمبيوتر) بحيث بعد فترة محدودة تصبح موديلات قديمة، ويمكن أن نلاحظ ما يلي على التقدم التكنولوجي:

أولا : أن التغيرات التكنولوجية قد تحسن أو تقلل من أهمية موقع من المواقع أو مورد من الموارد (بريطانيا والطيران).

ثانيا : أن هناك إختلافات كبيرة بين الدول في قدرتها على الحصول على

الإختراعات التكنولوجية وهذا يرجع إلى إختلاف قدراتها المالية وقدراتها التكنولوجية الموجودة وسياسة الحكومة والمؤسسات الأخرى.

ثالثا : أن هناك فرق في التقدم التكنولوجي بين الدول المتقدمة والدول النامية ينعكس في أن الدول المتقدمة تكنولوجيا وفيها ٢٢ % من سكان العالم فقط، ومع ذلك فدخل الفرد فيها نحو ١٠ أمثال دخل الفرد في الدول النامية ولعل عبور الفجوة بين الأثنين هي مهمة جيل ما تبقى من القرن العشرين. ولكن المشكلة في هذا أمام الدول النامية تظهر إذا ما علمنا أن العمليات الهندسية المتعلقة بإيجاد الأنظمة التكنولوجية تقسم إلى أربعة أقسام هي: التصميم ، التصنيع والتشغيل، والصيانة ، ولا تسمح الدول المتقدمة بإفشاء سر العمليتين الأولتين، وفي الغالب الرابعة وهي الصيانة، إذ لا بد من إستدعاء خبير من الشركة الصانعة لبحث العطل وإصلاحه وكل ما يمكن أن تسمح به الدول المتقدمة هو تدريب أبناء الدول النامية على تشغيلها، ولكن تظل التبعية في النهاية للدول المتقدمة.

رابعا : التغير في مكونات وعناصر قوة الدولة نتيجة للتطورات التكنولوجية والتي أدت إلى إزدياد وأهمية المكون المصرفي للعمليات الإنتاجية على حساب المكون المادي، ولعل من أهم التطورات الدولية المعاصرة (في هذا السبيل) هو ما أحدثته التكنولوجيا الحديثة من تضاول الأهمية النسبية للموارد في قيمة الإنتاج (ليس معنى هذا فقدان أهميتها) فقد ظهر العديد من الموارد المختلفة والمستخدم من عناصر رخيصة ومتوافرة، ومن ناحية أخرى فإن القيمة المضافة المترتبة على العمل، وخاصة العمل التقني والبحث والتصميم، أصبحت تتجاوز ما توفره المواد الأولية في قيمة السلعة، بمعنى آخر كانت للموارد الدور الأول والقدح المعلى في قيام الحضارة في مصر والهند والصين، ومنذ أن كانت الزراعة هي قمة الحرف إنتاجا، ثم بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية في عصر الصناعة لفقر الفحم والحديد، ولكن الآن بعد عصر الصناعة، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا واليابان، والنفور الأربعة (تايوان، هونج كونج، سنغافورة، وكوريا الجنوبية)، والدول الخمس الأخيرة تكاد تكون عارية من المواد الأولية والطاقة اللازمة للتصنيع الكبير.

لا عجب إذن أن تأتي الترتيبات الأخيرة للجات لتخصيص حماية كبيرة لحقوق الملكية الفكرية، لأنها أصبحت مصدرا هاما للثروة الإقتصادية.

أصبح الإستيلاء على الموارد الإقتصادية له طرق غير الإستيلاء على الأرض وإحتلالها، بل هناك أساليب عديدة غير متطورة لتحقيق السيطرة الإقتصادية دون الحاجة إلى السيطرة المباشرة على هذه المصادر، فالتأثير والسيطرة الإقتصادية يتحقق بدرجة أكبر عن التأثير في الأسواق المالية وأسعار الصرف، وأسعار الفائدة وتحركات رؤوس الأموال، وتوفير المعلومات، وبراءات الاختراع، وبصفة عامة مختلف أشكال الأساليب غير المتطورة والمؤثرة في سلوك الأفراد والجماعات ، فيرى البعض مثلا أن تفكك يوغسلافيا السابقة كان فرصة ذهبية لمختلف القوى الأوروبية للتوسع وكسب

مزيد من الأرض على حساب الدولة المنهارة، ولكن ذلك لم يحدث.

خامسا : النزاعات الإستراتيجية للتطورات فى مجالات التسلح وعلاقتها بظواهر الردع والتوازن الدولي الناجم عن الإرتفاع الشديد فى القدرة التدميرية للأسلحة ، وما نتج عن ذلك من ظهور أبحاث وأنماط جديدة للصراع الدولي كالحروب المحدودة .

سادسا : تأثير التطورات التكنولوجية على عملية صنع القرار السياسي والتي أتاحت لصانع القرار أن يقوم بأجراء تقدير دقيق لمواقف الأطراف المختلفة فى أي تفاعل دولي.

سابعا : أن التقدم التكنولوجي يمكن أن يتم بواسطة الأبحاث المشتركة لعدة دول مجتمعة، ذلك أن بعضها يتطلب إستثمارات ضخمة كما هو الحال فى أبحاث الفضاء بحيث لم يتم القيام بها سوى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (سابقا)، وتقوم بها كل منفردة. والدول تقوم وحدها بأبحاثها أو مع غيرها أو قد تستوردها من الدول الأكثر تقدما على هيئة آلات وخبراء.

وتعد مؤسسة "اير باص" وهي مؤسسة لإنتاج الطائرات المدنية تمتلكها الحكومات البريطانية والفرنسية والألمانية والأسبانية، تعبيرا عن إستراتيجية على نطاق أوروبي لكسر الإحتكار الأمريكي وإعادة أوربا إلى صناعة الطائرات، وقد نجحت فى الإستيلاء على ٢٥ % من سوق الطائرات وأعلنت عن خطط للإستيلاء على ثلث السوق العالمية بعد سنوات معدودة، لكن ذلك النجاح تطلب إستثمارات حكومية مقدارها ستة وعشرون مليار دولار!! وكان هذا معناه إنخفاض حصة بوينج الأمريكية.

وفى الوقت الحاضر هناك ثلاثة مراكز أو مجموعات مسئولة عن معظم التقدم التكنولوجي الذي يشهده العالم وهي الولايات المتحدة ، غرب أوربا ، اليابان. ومنذ قرن مضى كان لغرب أوروبا والولايات المتحدة شبه إحتكار فى هذا الميدان، ومنذ قرنين من الزمان كان هذا الإحتكار من نصيب بريطانيا، وفرنسا، وهولندا.

وحتى تصبح الدولة قوة ذات بأس ، فلا بد وأن تكون متقدمة تكنولوجيا ، وقد يبدو أن هذا الأمر يقتصر على يومنا هذا، ولكن أهميته كانت معروفة أيضا فى الماضي، حتى البعيد منه، فليس من شك أن الجماعات ذات الأسلحة الحجرية، وأن أصحاب الحديد كانت لهم الغلبة على أصحاب البرونز، ولكن هذه ليست قاعدة مسلم بها فى كل الأحوال، فليس من شك أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت متقدمة تكنولوجيا فى الثلاثينات (بالنسبة لعصرها) ولكنها كانت ضعيفة عسكريا نظرا لأن التقدم التكنولوجي لم يكن موجها لخدمة السلاح، على العكس الحال حيث إستثمرت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق أموالا طائلة فى ميدان البحث العلمى الخاص بالأسلحة ومحاولة كل منهما أن يسبق الآخر فى الحصول على سلاح أشد فتكا.

ثامنا : نستدرك ونقول أن الإنسان كان وسيظل أبدا، العامل الأول في صراع البقاء وسباق التقدم، وإن بدا في ظاهر الأمر أن صراع البقاء لا يعرف غير الأسلحة الجديدة، وأن سباق التقدم محكوم بأسباب القوى المادية والتفوق التكنولوجي، ومع أننا لا نغض من خطر هذا كله وجدواه، ولكن الإنسان هو الذي يبدع الحضارة ويصمم الآلات ويضع الأجهزة، ثم أنه بغير الإنسان ، تتعطل الأسلحة نووية وغير نووية، لأنه الذي يعطى السلاح قوته وفاعليته، وبغير الإنسان، لا تعدو الأجهزة العصرية أن تكون صماء، لأنه وحده الذي يديرها، وهو الذي يوجه العقول الإلكترونية ويتحكم في الكهرباء والذرة والكمبيوتر ويغزو الفضاء، من ثم تعلق قيمة الإنسان في ميزان القوى.

عدد مستخدمي الإنترنت على المستوى العالمي عام ٢٠٠٠

الإقليم	عدد المستخدمين بالمليون	% المجموع على المستوى العالمي	% عدد السكان
العالم	٤٠٧	١٠٠	٦,٨
أفريقية	٣	٧	١,٤
آسيا	١٠٥	٢٥,٨	٣
أوروبا	١١٣	٢٧,٨	١٤,١
الشرق الأوسط	٢	٠,٥	١,١
أمريكا اللاتينية	١٧	٤,٢	٣,٢
الولايات المتحدة الأمريكية وكندا	١٦٧	٤١	٥٣,٩

لاحظ أن أوروبا وأمريكا الشمالية تستحوذ على ٦٨% من مستخدمي الإنترنت في العالم.



الباب الثالث : الأسس الاقتصادية .

الفصل الأول

الموارد والقوى

Resources and Power

ظهرت بعض أدبيات إقتصادية تقول بقلة أهمية الموارد نسبيا عن ذي قبل، ولكن نرد عليهم بسؤال هو هل لو كانت الكويت منتجة للجزر بدلا من البترول، هل كانت الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها العالم المتقدم ستحشد ما حشدت من قوة وبأس لصد العدوان العراقي على الكويت ثم كان غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق واحتلاله كان للبحث عن أسلحة الدمار الشامل أم لم يثبت وجودها، أم لأن العراق صاحب ثاني احتياطي بترولي في العالم.

تعريف الموارد: عرف ستيفن جونز الموارد بأنها " كل ما تملكه الدولة أو يمكنها الحصول عليه لتنفيذ إستراتيجيتها ". وهو تعبير غير محدود كما ترى ولكننا سنحاول إعطاء أمثلة موضوعية لتقييم الموارد المفيدة لقوة الدولة.

لعله من الأمور المستحيلة تقدير كفاءة السكان وتأثيرهم، دون بحث ومناقشة الموارد التي بين أيديهم، فلا بد للسكان من أرض يعيشون عليها ويزرعون فيها غلاتهم، ويربون حيواناتهم، وتنتج الأرض معظم الغذاء الإنساني بطريق مباشر أو غير مباشر.

وتتوقف طبيعة التربة وسمكها على نوعها وعلى درجة إنحدار الأرض وغيرها من الأمور التي تدرس في الجغرافيا الإقتصادية، ولذلك فيجب إعتبار التربة الصالحة للزراعة كأول مورد قومي يجب دراسته والعناية به. وتوجد الثروة المعدنية في الطبقات السفلي أي أسفل التربة، في التكوينات الصخرية، فهذه الصخور في الحقيقة مكونة من معادن، وبعض هذه المعادن ضروري سواء للإستخدامات السلمية أو الإستخدامات الحربية. وتشمل هذه المعادن الرمل والحصى والحجر الجيري والطين وهذه الأشياء التي تبدو قليلة الأهمية لا غنى عنها في تشييد الأبنية الضخمة والكباري التي تراها. كذلك تشمل الفوسفات والنترات وهذه لازمة للصناعات الكيماوية المختلفة وتدخل في كثير من المنتجات الصناعية، وكذلك تعتبر جميع موارد الوقود سواء سائلة أو صلبة ضمن هذه المعادن، فجميع أنواع الفحم من الأنتراسيت إلى البيتومين واللجنيت واللبد النباتي عبارة عن معادن، وكذلك الحال في البترول والغاز الطبيعي الذي يعتبر بترولا في حالة غازية، من ثم كانت الخامات التي تشتق منها هذه المعادن ذات أهمية كبرى في تقييم قوة الدولة، لأن الصناعة الحديثة والأسلحة الحديثة، لا يمكن أن تقوم بغير الخامات المعدنية، وتبدو بصفة خاصة أهمية خامات الحديد، والزنك، فضلا عن المعادن النادرة، كالمنجنيز والكروم والفانديم والنيكل والليبيدين التي تستخدم في تحسين خواص الصلب، ولا ننسى المركز الإستراتيجي

والسياسي الذي تشعر الدولة ذات الإحتياجات البسيطة من الخامات المعدنية الضرورية بضعف مركزها.

وليس من شك أن القليل من المعادن ما يمكن إستخدامه مباشرة، أما معظمها فيحتاج إلى صهر للخامات وتكسير، وأحيانا إلى شئ من التصنيع لجعلها صالحة للإستعمال . وأما الموارد التي يستلزم أستغلالها مد الخطوط الحديدية وبناء المصاهر الضخمة مما قد يقتضي عدة سنين فهي لا تسعف في الحقيقة عند الضرورة العاجلة.

فإذا إتخذت السلطات المسئولة قرارا سياسيا معنا الآن، فمعنى هذا أنها في حاجة إلى تدعيم مواردها الحالية لا في المستقبل. أما الموارد التي تحتاج إلى سنين لإستغلالها، فهذه يمكن أن نعتقد عليها مشروعات المستقبل، من ثم لابد من تكامل التخطيط والموارد، ولاشك أن القرارات السياسية قد تؤجل حتى تصل الدولة إلى مرحلة أمنة. من ثم لابد من تنمية الموارد وجعلها صالحة للإستخدام قبل أن تحسب ضمن عناصر القوة للدولة. وهذا يقتضي وجود شبكة من الطرق لجلب الخامات إلى المصانع التي توجد في أنسب المواقع . وإذا كانت درجة النمو الصناعي للدولة كبيرة الأهمية في وزنها السياسي، فإنه يجب الإشارة إلى أن جميع الصناعات لا تعتبر بدورها من عناصر قوة الدولة، أي تساعد هذه الدولة على فرض سياستها على دولة أخرى، أو مقاومة سياسة دولة أخرى عليها، ففي كثير من المجتمعات الثرية، نجد أن المصانع تخرج سلعا كثيرة للإستهلاك الداخلي، وهذه السلع أهميتها بالتالي ضئيلة، إذا نظرنا لها من جانب دراستنا ، فليس من شك أن كثرة السيارات تساعد على سرعة نقل السكان في الإتجاهات المختلفة ، ولكن ليس من الضروري لتقوم بهذه العمليات ، أن تظهر عليها الكماليات ، التي نراها اليوم . مثل هذا المجتمع ليس من الضروري أن يكون أكثر قوة من مجتمع آخر ، يأخذ نفسه بشئ من النقش . فالإستهلاك المبذر ليس دليلا على قوة الدولة ، وإنما يدل على وجود المصانع التي تقوم بعمل هذه الكماليات، وإن كان مصنع التليفزيون مثلا يمكن أن يتحول بعد شئ من الوقت والمال، إلى مصنع للمعدات الإلكترونية. كالمحولات والراديو وغيرها التي تضيف فعلا إلى قوة الدولة. وهنا تزيد أهمية المصنع وقيمته كلما كان تحوله إلى إنتاج المعدات الحربية أسرع. وقد قسم الأستاذ **Stephen Jones** الموارد بحسب درجة تيسيرها إلى الأقسام الآتية:

١- موارد ميسرة:

موجودة فعلا وتشمل المناجم المستغلة فعلا والمصانع العاملة والتي تنتج السلع ذات القوة الفعالة كالواح الصلب والكيماويات .

٢- موارد موجودة معطلة ولكنها في حاجة إلى تشغيل:

وتدخل فيها المناجم والمصانع التي لا تعمل في إنتاج السلع، وتضيف إلى قوة الدولة، وتتراوح الفترة المطلوبة لإستغلالها بين عدة أيام وعدة أسابيع، فمصنع صلب متكامل يحتاج إلى عدة أسابيع، قبل أن يبدأ إنتاجه الفعلي.

٣- موارد تتيسر ولكن بعد تحويلها:

كمصنع سيارات يمكن أن يتحول إلى مصانع عربات مصفحة وجرارات، ولكن هذا يأخذ شهورا لتغيير كثير من الآلات أو إضافة آلات جديدة محلها، وينطبق هذا على إنتاج كثير من مصانع السلع الاستهلاكية.

٤- موارد تتيسر بعد شئ من التنمية :

كاستغلال حقول بترول أو رواسب خامات معروف وجودها، ولكنها غير مستغلة في الوقت الحاضر، ولكن فتح مناجم جديدة وإستغلالها لاشك يستغرق سنوات، فاستغلال منجم للفحم، وخاصة إذا كانت طبقاته بعيدة يحتاج إلى مايتراوح بين أربع وخمس سنوات. ومن ثم تؤخذ مثل هذه الموارد في الإعتبار قبل إصدار القرارات السياسية: فقرار إعلان الحرب مثلا يأخذ بعين الإعتبار الموارد الميسرة بسرعة، وإذا كان هناك تقدير لحرب طويلة فيجب أيضا البدء بإستغلال الموارد التي تأخذ وقتا طويلا قبل أن تسهم في قوة الدولة. فمد الطرق الكبيرة كطريق ميانمار أو طريق الاسكا عبارة عن زيادة في الموارد، وكانت ذات فائدة كبيرة وقت الحرب، كذلك إستغلال ألمانيا لخاماتها من الفحم مثل آخر جيد لإستغلال الموارد وقت الحرب، بل وكان شراؤها للنحاس هي واليابان إستغلال موارد الغير لصالحها.

٥- موارد محتمل أو يفترض وجودها:

من الفحم والبتترول وغيرها من المعادن وهذه لا يمكن الإعتماد عليها إلا نتيجة أبحاث جديدة يمكن وضعها ضمن موارد القسم الرابع.

٦- وهناك نوع آخر من الموارد يختلف عن التي ذكرناها سابقا ، ففي بعض الأحيان تملك الدولة أرصدة لها في الخارج كاستغلال لأموال لها في دولة أجنبية، وعادة ما تحاول الدولة الإحتفاظ به كأرصدة ، ولكنها قد تضحي به في سبيل الحصول على موارد ضرورية لها. فقد باعت بريطانيا مثلا أرصدةها الأجنبية في سبيل شراء موارد خلال الحربين الأولى والثانية. وكذلك باعت بعض القواعد لها في الكاريبي في سبيل شراء قاذفات قنابل كانت في أشد الحاجة إليها عام ١٩٤٠ أكثر من حاجتها لمساحات صغيرة من الأرض في جزر الهند الغربية. وهذا النوع من الموارد يطلق عليها رصيد **Fat** كالأرصدة العربية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، ونادى البعض بأنه يمكن للدول التي تحتفظ برصيد ضخم من الدولار أن تبيعه بعملات أخرى، من ثم يصبح الدولار عملة غير مرغوبة. وبالتالي يتدهور سعره على حين ترتفع قيمة العملات الأخرى مما يحدث ارتباكا للإقتصاد الأمريكي. وهناك مورد آخر يطلق عليه الفاقد **Slack** وهو الإستخدام الكامل للموارد وينطبق هذا بصفة خاصة على عنصر العمل، ويمكن بتشغيل المصنع مدة الأربع وعشرين ساعة التي يعملها في الأسبوع، وذلك بزيادة عدد الورديات **Shifts** وهذا ما يحدث فعلا وقت الحرب لتعويض العمال الذين ذهبوا للخدمة العسكرية.

ومن الدول التي تعتمد اعتماداً كبيراً على الموارد الخارجية لإقامة بنيانها الإقتصادي بل والسياسي لاشك ستأتي إسرائيل، فالمعونات الأمريكية لإسرائيل لا تنتهي إقتصادياً وعسكرياً، كذلك أجادت الحركة الصهيونية استثمار ما حدث لليهود في الحرب العالمية الثانية على يد هتلر والنازية، وضخمت ما حدث، وأصبحت كلمة "هولوكست" أشبه بالسوط الذي تجلد به الصهيونية كل يوم الضمير الغربي، وتبئز بإستخدامه الدول الأوروبية، والمثال على ذلك الضغوط التي مارستها على ألمانيا كي تدفع تعويضات باهظة، وقد كشفت ألمانيا لأول مرة عام ١٩٩٦ أن إسرائيل وصلها حتى عام ١٩٩٥ مبلغ ٧٠ مليار دولار كتعويضات، وأنها ستصل عام ٢٠٣٠ إلى ٨٨ مليار دولار!

وتعتبر قدرة الدولة على التغيير السريع من الإنتاج غير الضروري إلى الإنتاج الضروري دليلاً على مرونة إقتصادها، ولا يقتصر هذا التغيير على المصانع بل يتعداه إلى الأرض بتحويلها من مراعي إلى أرض زراعية. وأخيراً يجب أن نشير إلى نوعية الإنتاج في حالات الضرورة والطوارئ فهل يستمر الإنتاج في هذه الفترة كما كان قبلها؟ وهل تزداد ساعات العمل دون أن يصيب العمل بعض الإهمال ويصاب العمال والآلات بالإرهاك؟ الواقع أن الإنتاج يقل نوعه، وينخفض مستواه، نتيجة هذه الظروف الطارئة، وهذا بدوره من الأمور التي يجب عمل حسابها في تقدير إمكانيات الدولة.

الموارد الغذائية:

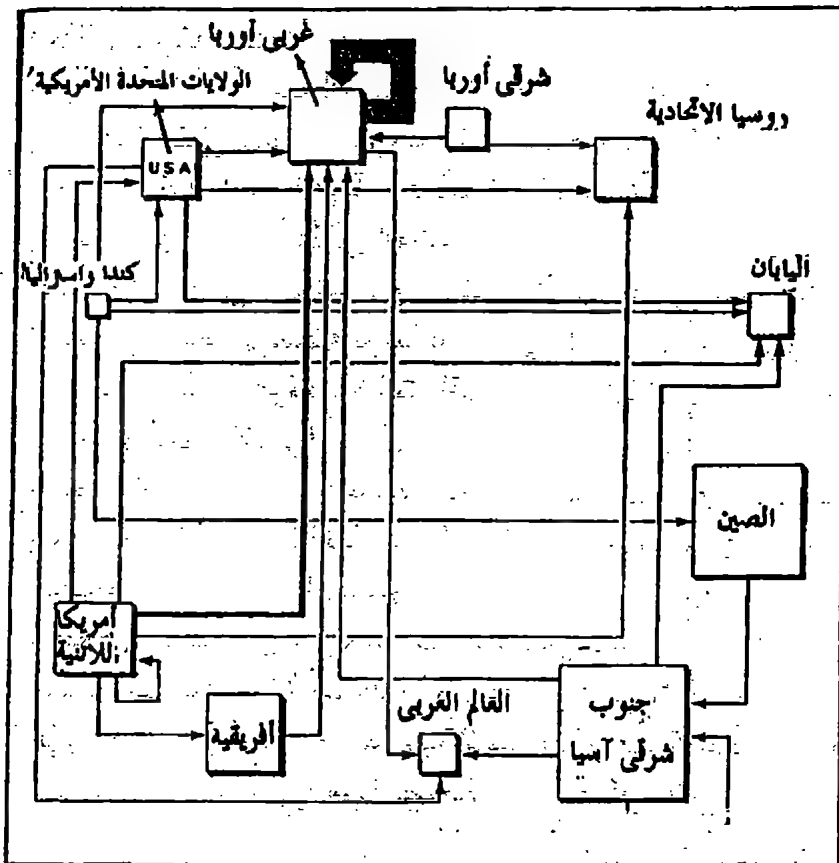
يعتبر توفير قدر مناسب من الموارد الغذائية للشعب من الأمور الأولية التي تعنى بها الحكومات. وإذا كانت الموارد الغذائية غير كافية إبان السلم فأولى بها ألا تكفي السكان وقت الحرب، وعندما يصعب النقل ونقل المعاملات الخارجية ويحول جزء من الأيدي العاملة المنتجة لها إلى الإنتاج الحربي. وفي هذا المجال لابد من الإشارة إلى أنه لا توجد دولة ذات اكتفاء ذاتي في الموارد الغذائية، لأنه لا توجد دولة كبيرة بالدرجة التي تتوفر فيها تنوع كبير في البيئات، مما ينتج عنه تنوع نمط الموارد الغذائية التي تطلبها كلها.

وتعتبر فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية في هذا المجال أحسن من غيرها من حيث الاكتفاء الذاتي، ومع هذا فليس منها ما ينتج غلات المنطقة الاستوائية. فقصب السكر ليس من الغلات الرئيسية في أي من هذه الأقطار وإن كان يزرع في الثانية بتكاليف كبيرة. ولكن يمكن لهذه الوحدات أن تعيش في إكتفاء ذاتي لفترة من الزمن وقت الضرورة، وإن كان معنى هذا أن الطعام في هذه الفترة سيصبح رتيباً، فضلاً عن ضرورة ظهور البطاقات التموينية، وعلى عكس الدول السابقة نجد المملكة المتحدة والسويد والنرويج وبلجيكا وألمانيا الغربية تعتمد كلها على الخارج في إحتياجاتها الغذائية. ذلك أن بريطانيا تستورد نحو نصف مجموع استهلاكها من الموارد الغذائية، قد يزيد الإنتاج بعض الشيء في هذه الفترات، ولكن هذا لا يتم إلا بفلاحة الأراضي الحدية، والتي يجب أن نترك بضع سنوات لتعود إلى المراعي الطبيعية. ويتميز كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بوجود أراضي فسيحة لاتساع مساحة الأراضي الزراعية وإمكان زيادة الإنتاج الزراعي. وهذه الأراضي هي المعروفة بأسم الأراضي العذراء. ولكن هذا لا يمكن تطبيقه على بقية

أقطار العالم، فمعظمها ليس لديها فائض من الأراضي بهذه الصورة، وإذا وجد فإن الظروف المناخية وظروف التربة تحد الإنتاج فيه.

ويجب أن نعترف بأن اعتماد أقطار العالم بدرجة أو بأخرى على استيراد المواد الغذائية من العوامل التي تحسب على الدولة لا للدولة، ذلك أن الحصار المستمر الناجح يمكن أن يمنع عن الأقطار المدد الغذائي، وقد حدث هذا فعلاً أثناء الحروب الأخيرة، ففي الحرب العالمية الأولى استطاعت الغواصات الألمانية تقليل الإمدادات الغذائية إلى بريطانيا حتى كادت تشرف على مجاعة، وكان هذا الحصار أقل حدة في الحرب العالمية الثانية، ذلك أن الطيران أمكنه حماية قوافل البحرية بدرجة كبيرة، وعلى العكس أصبح من أهم أهداف الحلفاء قطع الإمدادات عن ألمانيا. والأمثلة كثيرة على عمليات الحصار، ومنها الحصار الذي فرضته بريطانيا على القارة أيام الحروب النابليونية، ولكن القارة في ذلك الوقت كانت أقرب إلى الاكتفاء الذاتي بحيث لم يؤثر هذا الحصار فيها كثيراً، بل على العكس شجع هذا الحصار على زراعة البنجر ليحل محل القصب كمادة خام لصناعة السكر الذي أصبح من المتعذر إنتاجه. ولعل بريطانيا هي أكثر دول القارة تأثراً بالحصار، وذلك بحكم كونها مستوردة لجزء كبير من مواردها الغذائية، وبحكم موقعها الجزري، وإحاطتها بالبحار. مما يجعل من الخطورة بمكان حصارها بواسطة أسطول قوى. وعلى العكس روسيا الاتحادية تعتبر أقلها تأثراً بالحصار بسبب إتساعها وتنوع بيئتها من ناحية، وامتداد حدوده إمتداداً كبيراً مما يضاعف من عملية الحصار.

الاتجاهات الرئيسية للتجارة الدولية في المواد الغذائية



الموارد المعدنية:

لا توجد دولة إلا وفيها جزء صالح للزراعة، ولا توجد دولة (باستثناء الدول القزمية) لا تنتج ما يقرب من نصف إحتياجاتها الغذائية، غير أن الأمر يختلف بالنسبة للموارد المعدنية : فتوزيعها أقل إنتظاما بكثير من توزيع الأراضي الزراعية. فقد كانت الطبيعة متطرفة للغاية في توزيعها لهذه الموارد في قشرة الأرض، فلا توجد دولة على الإطلاق لديها اكتفاء ذاتي. فإذا كان الحديد منتشر إنتشارا كبيرا فإن معظم إنتاج النيكل يخرج من ثلاث دول فقط (٨٧ %) من كندا ونيوكليدونيا وروسيا، بينما تنتج الولايات المتحدة وحدها ٨٩ % من إنتاج المولبدنم، كما تنتج ٩٠ % من فانيديم، وتنتج الصين وحدها ٥٥ % من التنجستن (الوفرام) وتنتج ٥ دول ٨٠ % من الإنتاج العالمي للمنجنيز وهي روسيا الإتحادية والهند والبرازيل وجنوب أفريقيا وغانا . من ثم كان هناك تبادل كبير في هذه المعادن أو تجارة عظيمة سواء في معادن الوقود أو المعادن الفلزية. ويختلف الموقف بالنسبة للموارد المعدنية من عدة نواحي عن الموقف بالنسبة للموارد الغذائية.

فأولا : الأرض إذا ما وجدت العناية والتسميد الكافي ستستمر في الإنتاج دون تغيرات كبيرة، على العكس نجد أن المناجم فانية مستهلكة، وأي تكوينات معدنية إذا إستمر إستهلاكها فبعد مدة من الزمن لا بد وأن تنفد، وهذا العامل لا بد وأن يعطى هذا النوع من الموارد صفة عدم الثبات والإستقرار، وتصبح هناك حاجة ملحة لإستمرار البحث عن المعادن.

ثانيا: أن الموارد الغذائية نفسها تتعرض للتلف، حقيقة أن القمح والحبوب الأخرى يمكن تخزينها لعدة سنوات، ولكن هذا يقتضى درجات حرارة ورطوبة معينة إلى جانب حماية من الحشرات والقوارض. وعلى العكس يمكن تكديس المعادن فوق بعضها ومعظمها لن يصيبه ضرر إذا ماترك مكشوفاً معرضاً للأحوال الجوية، هذان العاملان يعدلان لا شك في قيمة الموارد المعدنية .

وإذا كانت الإمكانيات الزراعية تتوقف على نوع التربة والظروف المناخية، فإن الإمكانيات التعدينية تتوقف على نوع الصخور، وليس لها علاقة بالمناخ الحالي. وبينما يعمل نحو نصف القوى العاملة في العالم بالإنتاج الزراعي، فإن من يعملون في التعدين نسبتهم قليلة حتى في الدول التي تعتمد على التعدين بصورة كبيرة مثل ليبيا، وفنزويلا، وجنوب أفريقية، ويحتاج التعدين إلى إستثمارات ضخمة وعدد قليل من الكفاءات الممتازة التي تتقاضى أجورا مرتفعة، ويمكن أن نضيف أيضا أن التعدين تقوم به شركات ضخمة، وأحيانا متعددة الجنسية **Multinational** وأحيانا تقوم به الدول في ظل التأميم، ولا مجال فيها للمشروعات الصغيرة أو للهواة. وتستهلك الدول النامية والمتقدمة الحاصلات النباتية غذائية أو خامات بصورة لا نقول متعادلة ولكنها متفاوتة ولكن ٩٠ % من إستهلاك المعادن من نصيب الدول المتقدمة وحدها التي تضم نحو ٣٠ % فقط من سكان العالم، ولذلك تبدو حساسية المعادن من الناحية الإستراتيجية عن الإنتاج الزراعي.

وأخيرا يمكن أن نذكر أن إمكانات العالم الزراعية أصبحت معروفة، وإن كان التقدم التكنولوجي قد يأتي بجديد، ولكن قشرة الأرض وما تحت الطبقات السطحية لم تتم دراسته بالكامل، وكل يوم يأتي بجديد وغريب في ميادين التعدين ليبيا: البترول النيجر: اليورانيوم فضلا عن الإمكانات التعدينية الضخمة لدول الكمنولث الآسيوية التي ظهرت بعد الحرب الثانية وبترول بحر الشمال بالنسبة لبريطانيا.

موارد الوقود :

وهذه أكثر إنتشارا في توزيعها (سواء البترول أو الفحم بأنواعه أو الغاز) عن بقية المعادن الفلزية، ومع هذا نجد أن أكثر من مائة دولة مستقلة ليست لديها تكوينات فحمية، وهناك ثمانون دولة غير منتجة للبترول فهناك ستة أقطار منتجة لنحو ٨٢ % من فحم العالم وخمسة أقطار منتجة ٧٦ % من بترول. وهذا لاشك له آثاره الكبيرة على الأقطار غير المنتجة لموارد الوقود.

قد يؤدي هذا إلى تنمية موارد أخرى للوقود عادة بتكاليف باهظة أو بإستيراد وقود الخارج، وبالتالي الإعتماد الكبير على الخارج فيما يختص بمواد حيوية كهذه. والأقطار الوحيدة التي يمكن أن تعتمد على مواردها الفحمية المحلية هي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة وألمانيا الغربية وبولندا. وعلى الطرف الآخر نجد الدول الإسكندنافية وجمهورية أيرلند وأقطار الشرق العربي ومعظم أفريقية وأمريكا الجنوبية تقل فيها التكوينات الفحمية، وهناك دول وسط بين الطرفين كفرنسا التي ينقصها بعض أنواع الفحم. وقد إتجهت بعض الأقطار إلى تنمية مواردها من الطاقة الكهربائية المائية كبديل للنقص في موارد الوقود الأخرى، وظهر هذا في الأقطار القليلة الموارد الفحمية كسويسرا والنمسا وإيطاليا وفرنسا والأقطار الإسكندنافية.

وفيما يختص بالبترول نجد أن أي تقدير لكمياته وإحتياطاته عرضة للتغير من حين إلى حين مع تقدم وزيادة الأبحاث البترولية. وإذا كان من المرجح وجود إحتياطات كبيرة بالقرب من سلاسل الروكي والأنديز في العالم الجديد ، وأطلس والكربات والقوقاز وأورال وزاجروس فضلا عن جنوب شرق آسيا، فإن هناك مساحات كبيرة فقيرة في هذا المورد كأفريقية جنوب الصحراء والنصف الشرقي من أمريكا الشمالية ومعظم البرازيل فضلا عن لقارة الأوربية ذات التكوينات البترولية القليلة، من ثم كانت التجارة الدولية في البترول ومشتقاته على درجة كبيرة من الأهمية إذ لم تكن أكثر أهمية من تجارة الفحم، والعالم العربي والبحر الكاريبي هي أقاليم التصدير الرئيسية، بينما تعتمد أقطار غرب أوربا إعتمادا كبيرا على بترول هذه الأقاليم، كما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بدورها تستورد من بترول المنطقة. وذلك للإحتفاظ برصيدا البترولي الذي طالما إستهلكت منه الكثير. ونظرا لإن البترول مادة إستراتيجية ضرورية للنقل والصناعة، أصبح وضع الدولة البترولي من العوامل التي توضع في الإعتبار، ولعل أبلغ مثل يوضح هذه الحالة هو أزمة السويس وتعطيل خطوط الأنابيب في سوريا عام ١٩٥٦، مما أدى إلى ظهور نقص خطير في وقود أوربا. وكذلك البترول في الحرب العربية الإسرائيلية بعد ٦ أكتوبر ١٩٧٣

وتخفيض الدول العربية لإنتاجها من البترول، بل ومنع بترولها عن الدول المساندة لإسرائيل مما أسفر عنه فزع أوروبا وأمريكا الشمالية، حتى أن هولندا نفسها، التي قامت بتأييد إسرائيل رسمياً في بداية الحرب، عادت تتراجع وترسل ممثليها إلى الدول العربية، بل واجتمعت دول السوق المشتركة وأيدت قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ بإنسحاب العدوان الإسرائيلي إلى خطوط ١٩٦٧. ولسنا في حاجة إلى أن نسترجع ما حدث حين غزا العراق الكويت (أغسطس ١٩٩٠)، تمهيدا للسيطرة على شبه جزيرة العرب، وقامت قيامة في العالم، وحشدت الولايات المتحدة الأمريكية العالم وراءها لطرد العراق من الكويت (١٩٩١)، وسلسلة العقوبات التي فرضتها عليه مما أدى إلى تدهور أوضاعه الإقتصادية والبشرية، ثم غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق واحتلاله (مارس ٢٠٠٣) بزعم حيازته لأسلحة الدمار الشامل رغم نفي مفتشي وكالة الطاقة الذرية، ومع هذا فقد قامت بغزوه لأنه تمثل ثاني الاحتياطات البترولية في العالم وقبلها كان غزو أفغانستان لأنها تطل على بترول دول آسيا الوسطى.

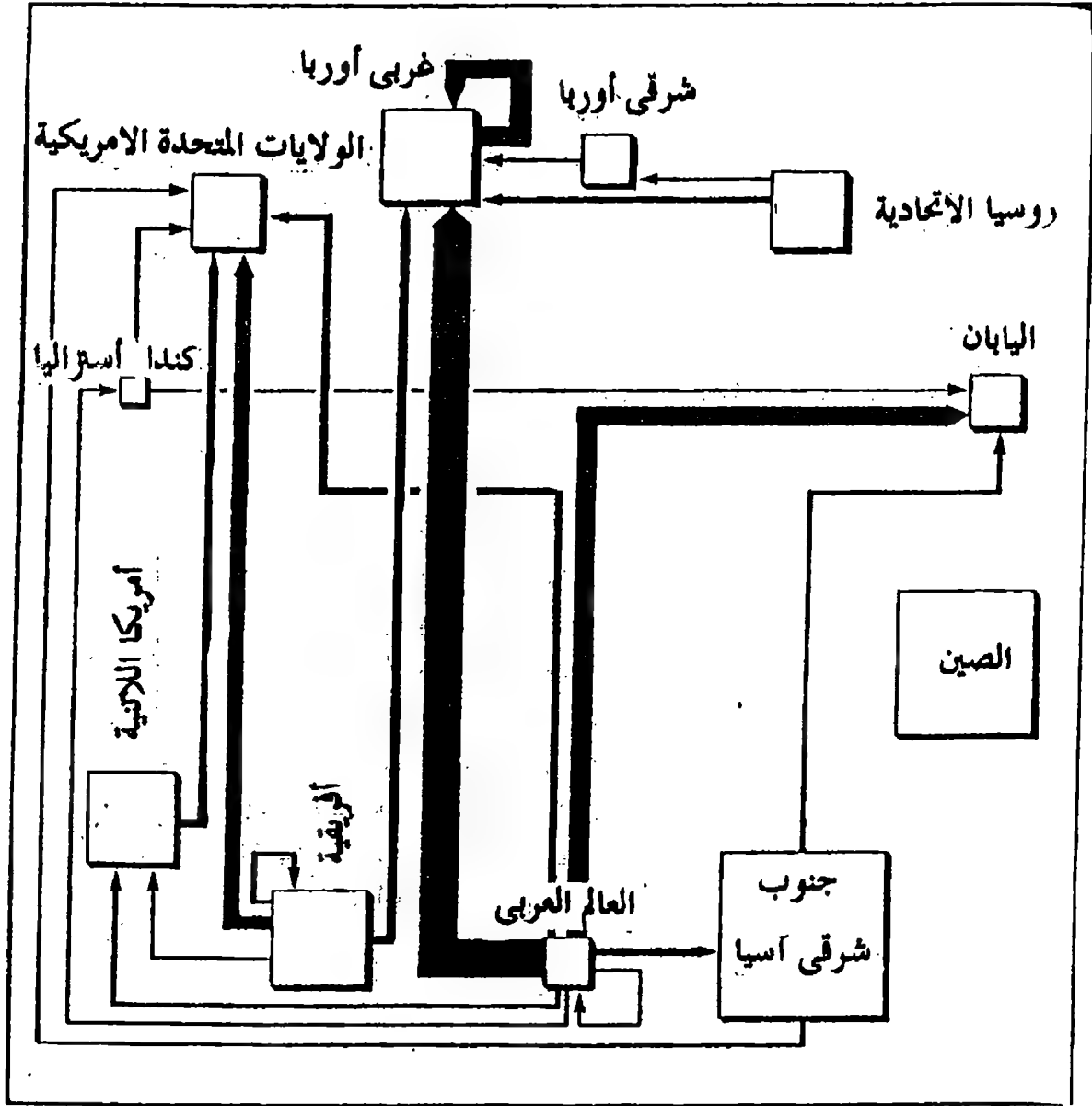
وإذا كانت الطاقة الذرية قد بدأت تدخل الميدان الصناعي، فإنها مازالت على نطاق ضيق، وتقتصر على بضعة دول، لعل أهمها الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة وفرنسا وروسيا. حيث تقتصر على الاستخدامات التكنولوجية، وقد قامت المنظمة الأوروبية للطاقة الذرية **Euratom** من أجل التعاون في هذه الاستخدامات.

المعادن الإستراتيجية:

وهي تلك المعادن التي تشتد إليها الحاجة في الأغراض الأساسية زمن الحرب، والتي لا تضمن الدولة توفرها بكميات وأنواع كافية في وقت الحاجة لسبب من الأسباب، ومن ثم يتحتم الاحتفاظ بإحتياطي مسبق منها. وتأتي هذه المعادن الإستراتيجية في الدرجة الثانية بعد موارد الوقود، ولسنا في حاجة هنا إلى تأكيد إستراتيجية معادن كالصلب والنحاس والألمنيوم والزنك والرصاص والمنجنيز والنيك، إذ إشتدت إليها الحاجة وقت الحرب بكميات كبيرة لصناعة المعدات الحربية، وضياح هذه الموارد وقت الحرب، معناه خسارة كبيرة، وخطيرة، للجانب الذي فقدها، فإستيلاء اليابان على قصدير الملايو، وقطع الألمان لموارد الحديد الخام السويدي، كذلك وقوع مناجم الزئبق في إيطاليا ويوغسلافيا، في أيدي المحور كان له نتائج خطيرة على الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية. ولأهمية هذه الموارد الإستراتيجية يعتقد البعض أن عمل ميزان لهذه الموارد بين كل من الاتحاد السوفيتي والكتلة الغربية قد يكون له قيمته في تقدير كل من القوتين ويكون مفتاحاً للمستقبل.

ولا ننسى أن هناك عامل يتدخل في الندرة النسبية للمعادن، وهو إستعمال الخردة، فقد يكون جميع هذه الخردة أثناء السلم وإعادة صهرها أكثر تكلفة بكثير من إستيراد المعدن من الخارج، ولكن هذه الخردة التي يلقي بها بعيداً خارج حدود المدن، تصبح أهميتها كبيرة وقت الحرب.

الإتجاهات الرئيسية للتجارة الدولية فى مواد الوقود



الموارد الصناعية:

يعتبر النمو الصناعي للدولة دليلا وسببا لقوتها، فكل القوى العالمية الكبرى اليوم هي قوى صناعية، ولا يمكن لأي سياسة سواء دفاعية أو هجومية أن تكون ذات أثر إذا لم تساندها قدرة على تصنيع آلات الحرب فالإمبراطورية البريطانية قبل الحرب العالمية

الأولى بنيت كما يقول **Keynes** أساسا على الفحم والحديد، أكثر منها على الدم والحديد، وعلى أساس المهارة الكبيرة في إستغلال موارد الحديد الزهر في سيليزيا العليا والساار مما أدى إلى قيام صناعات الصلب، والصناعات الكيماوية، والكهربائية، وهذا ما جعل ألمانيا في النهاية أول أمة على أرض القارة.

لقد عرفت الدول المختلفة اليوم أن طريقها إلى القوة السياسية هو طريق التصنيع، وإن كانت تتكبد الطريق أحيانا في أنسب الأنواع سيزيد إنتاج الأمة بزيادة إنتاج عمالها، فإذا افترضنا أمتين متعادلتين سكانيا، ولكن تتميز أحدهما بأنها أكثر تصنيعا، فليس من شك أنها ستكون أقوى سياسيا من زميلتها، وكلما تعددت صناعات الدولة، كلما قل اعتمادها على الخارج، وإذا كانت الموارد الصناعية جميعا، مما يفيد الدولة ويقويها، فإن هناك بعض الصناعات الإستراتيجية التي تعطى الدولة أهمية خاصة وهذه يمكن إجمالها في ست صناعات وهي: صهر المعادن وتنقيتها، الصناعات الهندسية كصناعة محركات الطائرات، والسيارات والإلكترونيات والصناعات الكيماوية بما فيها صناعة المتفجرات، والصواريخ النووية، والأسمدة، والأسمت، والأجهزة الكهربائية، ثم صناعة المنسوجات، والصناعات الغذائية.

وإذا نظرنا للدول الصناعية الكبرى لوجدنا فيها تعادلا بين هذه الصناعات سواء كانت ألمانيا الغربية، أو بريطانيا، أو الولايات المتحدة الأمريكية، بل ويظهر فيها أحيانا فائض كبير يزيد على حاجة الإستهلاك المحلي، فتذهب للتصدير، وبذلك تزيد الصناعة من رصيد الدولة.

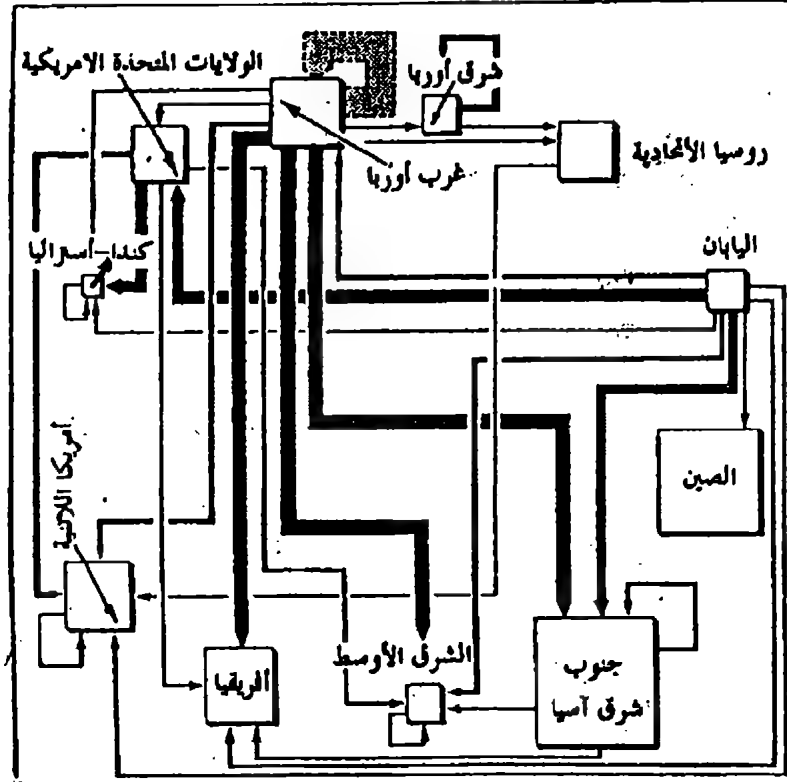
أما الدول النامية، فمن مشكلاتها، ومؤشرات تخلفها، أن الصناعة فيها لا تشترك إلا بقدر محدود في الإنتاج الحربي والعمالة، يكفي مثلا أن نقول بأن السلع المصنوعة ونسبة أقل من هذا بالنسبة لصادراتها تخرج من الدول النامية، فلا تسهم الصناعة إلا بما يتراوح من ١٠ % من الإنتاج القومي لمعظم الدول الإفريقية، ومن ١٥ إلى ٢٠ % لكثير من الدول الآسيوية، ما عدا اليابان والنمور الآسيوية (تاوان، هونج كونج، كوريا الجنوبية، سنغافورة).

وتتمثل عقبات التصنيع أمامها في نقص المواد الخام اللازمة للتصنيع، ولكن الأهم من هذا هو نقص المعرفة الفنية، التخلف التكنولوجي، ومهارة العمالة، والتمويل، وإن كانت هذه أمور يمكن التغلب عليها، ثم هناك أيضا حجم السوق الذي لا يتفق أحيانا والإنتاج الكبير، ففي أفريقية مثلا لا توجد سوى أربع دول يزيد عدد سكانها على ٢٠ مليون نسمة. وتخلق هذا السوق المحدودة، صراعا بين الحد الأدنى والحد الأمثل للمشروعات. أما عن الإستثمارات، فقد بدأت الدول الصناعية القديمة تتحرك ببعض مشروعاتها في الدول النامية لرخص الأيدي العاملة هناك، كشركة فولكس فاجن في البرازيل، وكثير من الشركات الأمريكية في كوريا ... الخ.

أما عن طريق التصنيع فمن الدول النامية ما يتجه مباشرة إلى الصناعات الثقيلة كما

فعلت الهند حينما بدأت تتبع طريق التخطيط، وأعطت هذا الفرع أهمية خاصة منذ خطتها الخمسينية الثانية ١٩٥٦ / ٦١، على اعتبار أن الهند بعدد سكانها الضخم مستهلك لحجم ضخم من السلع الاستهلاكية، ومن أجل توفيرها محليا لابد تصنيعها محليا.

المسارات الرئيسية للسلع المصنعة في التجارة الدولية



وأصبح في الهند قطاع الصناعة الثقيلة كالحديد والصلب والصناعات الهندسية، وبناء السفن من اختصاص الدولة، والبعض الآخر مشترك بين الدولة والقطاع الخاص والباقي وهو الصناعات الاستهلاكية فقد تركت للقطاع الخاص، كذلك الحال في التجربة الصينية للصناعة، إتجهت في خطتها إلى توجيه ٩٠ % من استثماراتها الصناعية نحو الصناعات الثقيلة، وإن كانت الصين في تجربتها إتجهت نحو إستغلال كثافة الأيدي العاملة فيها لتحل محل نقص رأس المال.

ولكن هناك صعوبات تتحدى الدول النامية في ميدان الصناعات الثقيلة منها:

١ - أنها أمر يحتاج إلى مدة طويلة قد تصل إلى عقدين أو ما يزيد، وفي هذه الفترة ستكون الدولة عرضة للمؤامرات السياسية خارجية وداخلية ويصبح العبء كبيرا على القيادة السياسية.

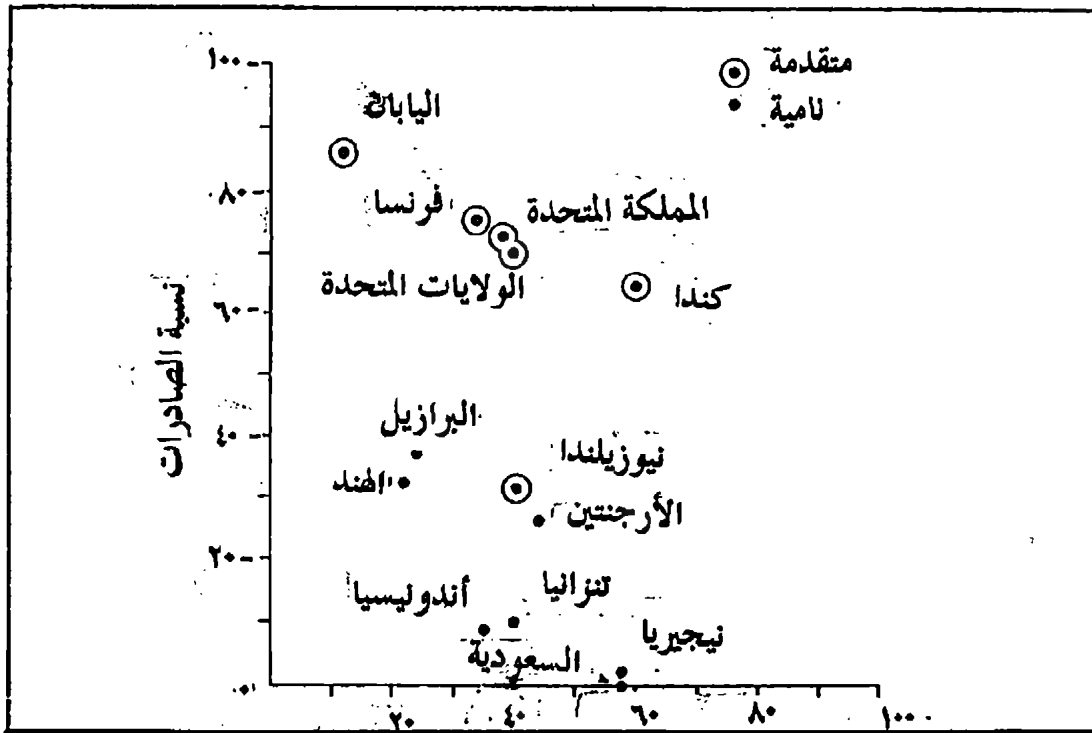
٢ - من يريد اللحاق بالدولة المتقدمة عليه أن يطارد هدفا متحركا، فسرعة الإنجازات

التكنولوجية أصبحت مذهلة.

٣ - سيطرة الدول المتقدمة على نظام النقد الدولي والإقتصاد العالمي.

هذا وتنتج بعض الأقطار إلى الصناعات التي تحتاج إلى خامات قليلة نسبيا وتوجه إلى التصدير أكثر من الإستهلاك المحلي، كما هو الحال في هونج كونج، وكوريا، وتايوان، حيث تقدمت صناعة اللعب، المنسوجات، والملابس الجاهزة، والسلع الكهربائية.

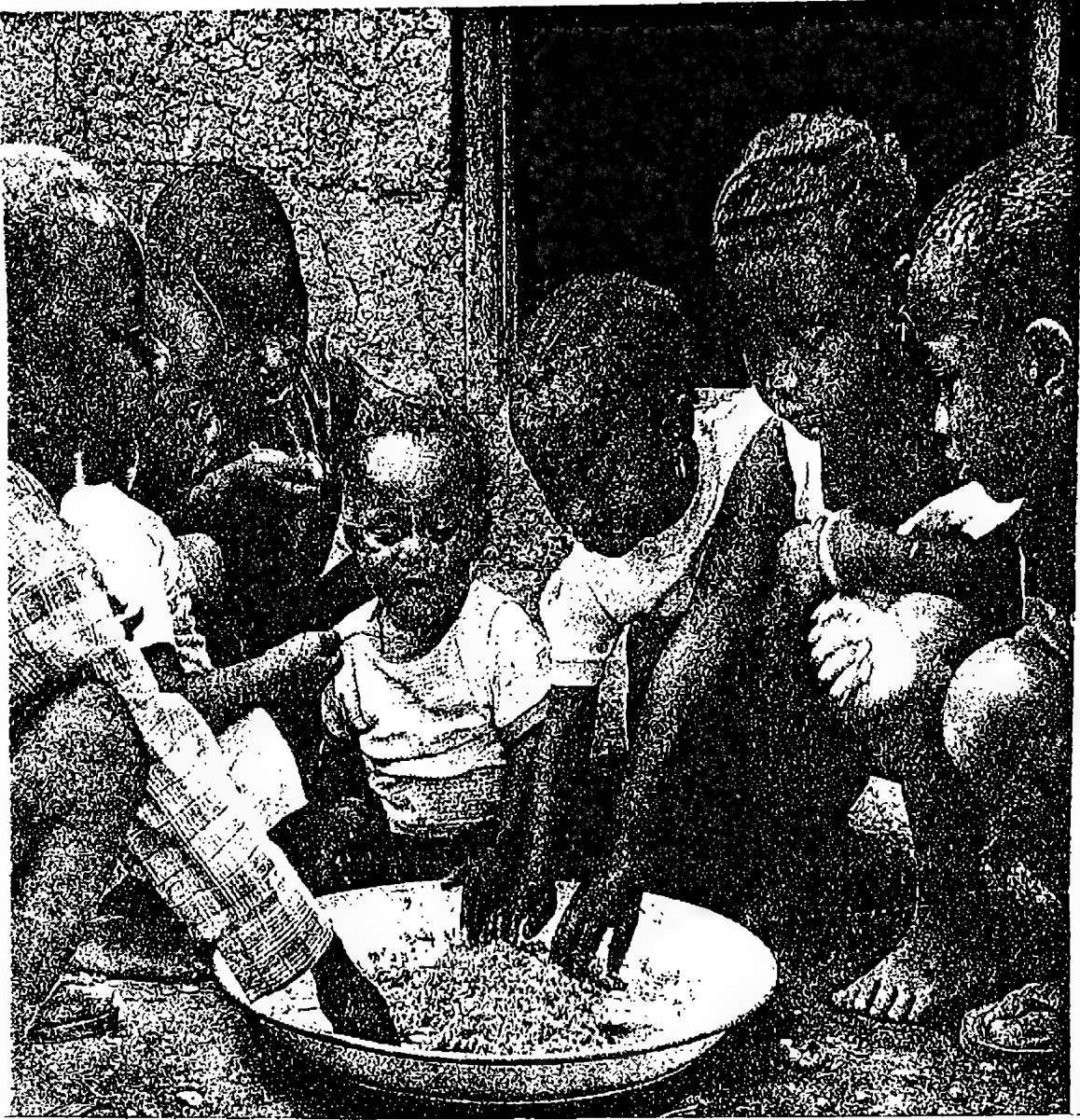
السلع المصنعة كنسبة من القيمة الكلية للواردات والصادرات في بعض الدول



النقل:

أن تقدم وسائل النقل من الأمور الضرورية لنقل الخامات إلى المصانع ولتوزيع الإنتاج على مناطق الإستهلاك، وكذلك يتعذر الدفاع والهجوم، إن لم تكن هناك وسائل سريعة للنقل تتحرك عليها الجيوش والأدوات الحربية من مكان إلى آخر، بل هناك الطرق الإستراتيجية، وتظهر هذه الحاجة إلى أدوات النقل في عمليات نقل الخطوط الحديدية من الهند إلى الهمالايا، وإحتفاظ حكومة الولايات المتحدة بعدد كبير من عربات السكك الحديدية لنقل القوات من مكان إلى آخر.

وهناك مظهران للنقل يستحقان النظر، أولهما خارجي ويتعلق بالوصول إلى الموارد الخارجية، وهذا يفتضي إستعمال السفن، والمواني، والقنوات، والآخر يتعلق بوسائل النقل الداخلية.



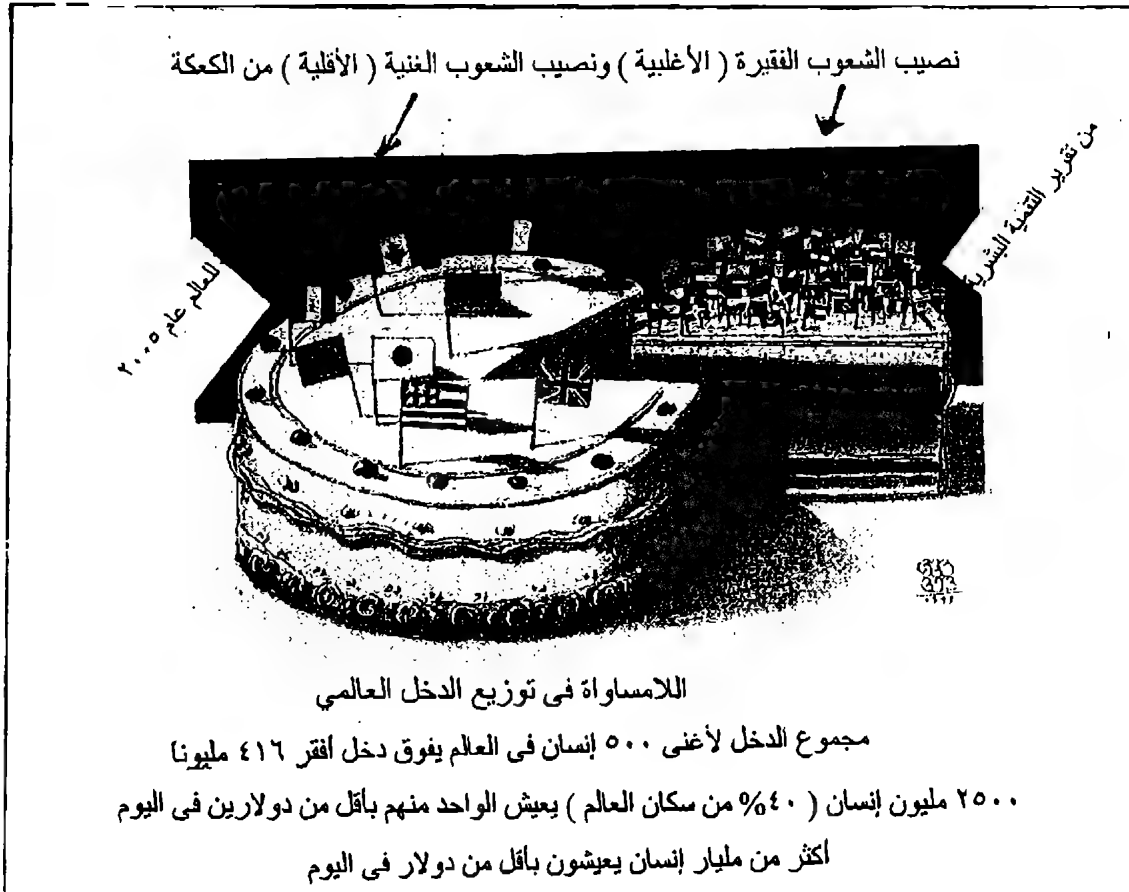
هل تكفي الموارد ؟

ويعتبر مد الخطوط الحديدية أو الطرق من العوامل التي تساعد على الوحدة القومية لأنها تربط سكان الأمة بعضهم ببعض، وتمتلك معظم الدول شبكات من الطرق أو الخطوط الحديدية، تشع من العاصمة إلى الأطراف في فرنسا وبريطانيا وروسيا الاتحادية

وغيرها، بل ان نمو اتحاد الولايات الأسترالية، والولايات الكندية كان يأتي بعد مد الخطوط الحديدية، كذلك عملت الثورة الروسية على إزدواج الخط الحديدي السيبيري الذي مد قبل الثورة، ثم خرجت من هذا الخط خطوط فرعية متعددة، ويمكن أيضا أن نعزو فكرة سيسل رودس في مد خط حديد القاهرة - الكاب إلى حلمه بسيادة بريطانيا على كل أفريقية.

هذا ويدعم الشبكات الحديدية شبكات الطرق البرية والمجاري المائية، وإن كانت الطرق في الحقيقة أكثر مرونة من الخطوط الحديدية، فيمكن أن تمتد في مناطق أشد إنحدارا، كما أنها أقل تكاليفا، وأسرع إنشاء، ولذلك تظهر أهميتها إذا لم تكن الحركة كبيرة تبرر مد الخط الحديدي، أو كانت طبيعة الأرض مما لا يسمح بمد الخط الحديدي، ومع ذلك ففي كثير من الأحيان لا تكون الطرق مكتملة للسكك الحديدية، بل موازية لها.

وأما النقل المائي فهو أيضا من النقل البري ولكنه أرخص، ومن ثم تناسبه الحمولات الكبيرة الحجم القليلة السعر، ويصلح النقل المائي بطبيعة الحال في الأجزاء الصالحة في النهر للملاحة وفي البحيرات الداخلية ومن ثم كان إنشاء القنوات التي تيسر النقل سواء لتفادي مناطق الشلالات ولإختصار الطرق، ومن الأمور المألوفة في الدول المتقدمة، ربط الأودية النهرية بواسطة القنوات الملاحية ولعل الشبكات المائية العديدة التي تربط بين أنهار روسيا، وكذلك بحيرات وأنهار الولايات المتحدة الأمريكية مثل حي لما يقدمه النقل المائي الجيد من خدمات لإقتصاد الدولة.



الفصل الثاني

المنظور السياسي لإقتصاديات العالم وأقاليمه

يختلف إهتمام الجغرافي السياسي لهذا الجانب الجغرافي عن زميله الجغرافي الإقتصادي ، فالجغرافي السياسي يهتم بمعرفة مدى الحاجة أو مدى الكفاية الذاتية لأقاليم العالم بصفة عامة لأن الحاجة تعتبر ضعفا ، وفي نفس الوقت علاقة الموارد بالتقدم التكنولوجي ومدى إستغلال الدول لمواردها الطبيعية لصالحها، ومدى إستغلالها لصالح الآخرين مما يمكن أن نلخصه فيما يلي :-

أقاليم العالم على أساس الكفاية من الموارد الطبيعية

١ - دول متقدمة وغنية بمواردها الطبيعية مثل دول أمريكا الشمالية، الأوقيانوسية والإتحاد السوفيتي سابقا وهذه الدول تستغل الموارد بكثافة شديدة وبسرعة فائقة ولكنها في نفس الوقت لديها إحتياجات كبيرة فيها.

٢ - دول متقدمة وغنية ولكنها فقيرة في مواردها الطبيعية مثل دول غربي ووسط أوربا واليابان، وكوريا الجنوبية، هذه الدول مستورد ضخم للمواد الأولية من المجموعة (١) والمجموعة (٣)، ومن ثم فغناها ومستواها الإنتاجي المرتفع على حساب الموارد الطبيعية في أقاليم أخرى.

٣ - دول فقيرة نسبيا نامية بها موارد طبيعية لا بأس بها، مثل معظم دول أمريكا اللاتينية، وأفريقية، وجنوب غربي آسيا، وهذه المجموعة تضم أكثر سكان العالم نموا، وإذا لم يتم إكتشاف معادن جديدة أو إصلاح وإستغلال مساحات جديدة من الأرض، فإنها ستتحدر إلى مصاف المجموعة الرابعة.

٤ - دول فقيرة نسبيا، نامية، وفقيرة في مواردها الطبيعية كغامبيا وموزمبيق والصومال، وهنا يزداد الضغط على مواردها الطبيعية مما يؤدي إلى نفادها.

والمجموعات الثلاث الأخيرة تضم أكثر من نصف سكان العالم، ولكنها تضم ما يقرب من خمس الموارد الطبيعية.

كذلك يهتم بالمغزى السياسي للتركيب الإقتصادي للدولة. وكيفية إختلاف هذا المغزى في الزمان والمكان، ودور السياسات المختلفة في تغيير المركب الإقتصادي. وبهذا فلا تداخل بين الإثنين وإنما يكملان بعضهما، ونضرب مثلا بالسكك الحديدية التي مدت من دار السلام في تنزانيا إلى مناجم النحاس في ندولا وكيثوى في زامبيا، فالجغرافي الإقتصادي سوف يتركز إهتمامه على آثار السكك الحديدية في تنشيط المناطق التي يمر بها من الناحية الإقتصادية، كزيادة الإنتاج الزراعي، وأثر زيادة الحركة على طاقة وتركيب مرفأ دار السلام، ولكن الجغرافي السياسي سيركز إهتماماته على أثر هذا الخط على العلاقات السياسية بين دول إفريقية الوسطى والجنوبية، وقلة إعتداد زامبيا على

الطرق المتجهه عبر زيمبابوى، وأنجولا، وزيادة إمكانات الإتصال بين بتسوانا، والدول الإفريقية شمال الزمبيزي، وزيادة التقارب بين زامبيا وتنزانيا، مما قد يكون له آثاره على السوق المشتركة لشرق إفريقيا، ثم أخيرا الدور المحتمل للصين في هذا الأقليم على إعتبار أنها مولت ونفذت المشروع.

ويضع الجغرافي السياسى عدة إتجاهات رئيسية لفحص المركب الإقتصادى للدولة :

أولهما : التركيب الإقتصادى : *Economic Structure*

بمعنى التعرف على القطاعات الإقتصادية المختلفة، ومدى التوازن وعدمه بينها مثل قطاع الزراعة والصيد، وقطاع الصناعة، وقطاع الخدمات، ومن هذه الدراسة يمكن أن يخرج بفكرة عن قوة الدولة، ودرجة الكفاية الذاتية، وإستقرارها الإقتصادى ، فمن الواضح مثلا أن نيجيريا بإنتاجها المتنوع من المواد الأولية (القطن - الكاكاو - المطاط - الأخشاب - القصدير - زيت النخيل - البترول) موقفها الإقتصادى أكثر قوة من غمبيا التي تعتمد على صادرات الفول السودانى وحدها، وأن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تواجه قطع الإمدادات البترولية، أو النقص فيها بصورة أكثر من اليابان.

وثانيهما : التعرف على التركيب الإقليمى *Regional Structure*

بمعنى التركيب الإقليمى للأنشطة المختلفة ، لتمييز الأقاليم المتقدمة، والأقل تقدما داخل الدولة، وقد يكون في هذا تفسير لبعض الحركات الإنفصالية، وتفسير بإعادة توطين النشاطات الإقتصادية.

وترجع الاختلافات الإقليمية إلى مجموعة من الأسباب قد يكون منها إختلاف الموارد المتاحة بين أقاليم الدولة المختلفة، ويمكن أن نضرب مثلا بواى النيل والدلتا والصحراء الغربية، حوض باريس وهضبة فرنسا الوسطى . وقد يرجع الإختلاف إلى تغير طبيعة الموارد أو نمط إنتاجها، ونضرب مثلا بحقول البترول، أو تعدين المناجم، بصفة عامة، حين ينضب المعين فيتوقف إنتاجها، وينفض الناس من حولها إلى نشاطات أخرى، وقد يهاجرون نهائيا إذا لم يجدوا مجال لنشاطهم فتتحول مدينة التعدين إلى مدينة أشباح.

لهذه الأسباب وغيرها يجب أن تدخل الإختلافات في التقدم الإقتصادى بين أرجاء الدولة في الإعتبار عند الدراسة السياسية، ومن المسلم به أن الحكومة تحاول أن تقلل من هذه الفروقات عندما تجد أنها ستشكل خطرا سياسيا ، وهناك عدة أوضاع تؤدي إلى ضرورة الإهتمام السياسى وهى:

عندما تزداد حالة الإقليم المتخلف سوءا، وهذا له مؤشرات عديدة، مثل إنخفاض متوسط دخل الفرد في الإقليم بصورة حادة عن المتوسط العام في الدولة، وعندما تزداد نسبة البطالة فيه بصورة أكبر عن نسبتها في الدولة، ومنها هجرة الشباب من الإقليم إلى جهات أخرى بحثا عن فرص أفضل، مما يؤدي في النهاية إلى تركيب إجتماعى في

الإقليم، عماده كبار السن والأطفال. ويبدو أيضا في مثل هذا الإقليم قلة الإستثمارات والمباني الحديثة عنها في الأقاليم الأخرى الأكثر تقدما، ودرجة المخاطرة هنا أن مثل هذا الإقليم ستعتبر نواه عدم رضا، وبؤرة معارضة قد تؤدي إلى المطالبة بحكم ذاتي، أو الانفصال كما حدث في بنجلاديش (باكستان الشرقية).

وعلى العكس أيضا إذا بلغ الإقليم درجة عالية من التنمية والثراء إذا ما قورن ببعض أجزاء الدولة، وهذا ما حدث في (شابا) في زائير حيث النحاس والذهب، والإقليم الشرقي أو بيافرا في نيجيريا (تدفق البترول)، وكلاهما نجح في إثارة الإضطراب، والانفصال لفترة، وأدى إذن إلى قيام حرب أهلية، لاشك عاقت التنمية في كلا الدولتين، وهنا تشتد النار إشتعالا إذا ما إستندت المشكلة على أساس قومي، أو لغوي، أو قبلي، وبالتالي نستغلها قوى خارجية.

كما ينبغي ملاحظة درجات النمو الإقتصادي للأقاليم المختلفة داخل الدولة، والسياسات التي تتبع أحيانا لتذويب الفروقات، ومن الطريف في هذا المجال، أن هناك سعرين للصرف بالنسبة للعملة الأجنبية في كل من شيلي، وأرجنتين، وذلك لجذب الإستثمارات إلى الأقاليم الأقل تقدما.

وتعمل إيطاليا وبلجيكا على زيادة الخدمات ووسائل النقل للأجزاء المتخلفة فيهما، بل طلبتا من السوق المشتركة إستثناء هذه الأقاليم من قوانين السوق، لأنها ستعرض لمنافسة دول أكثر تقدما. وتقدم حكومة أستراليا حوافز للصناعات التي تقوم في المناطق الريفية وذلك بغرض النهوض بها من ناحية، وللمنع الإحتقان في المدن من ناحية أخرى.

وثالثهما : طبيعة التقسيم الإقتصادي والإجتماعي داخل الدولة:

فعندما يحدث عدم توازن ضخم في توزيع موارد الثروة ووسائل الإنتاج داخل الدولة بمعنى تركزها في أيد فئة قليلة، بينما تعيش الغالبية في حال العدم، يكون هذا مثار قلق، فالثورة الأثيوبية التي حدثت عام ١٩٧٤ أطاحت بالإمبراطور، وكانت نتيجة مباشرة لحالة الجفاف الشديد التي أصابت البلاد، وإرتفاع أسعار المواد الغذائية بطريقة جنونية، بحيث عضت الجماهير الفقيرة بنيانها، وظهر التناقض واضحا في المجتمع الأثيوبي بين الغالبية المعدمة، والأرستقراطية المرفهة.

وقد يحدث أن يجتمع سكان مختلفي الأصول داخل الدولة، ويصبح التقسيم الإقتصادي موازيا للتقسيم الإجتماعي، كما حدث في شرق أفريقية، حينما وجد عيدي أمين في أوغندا أن الأسويين أو الهنود يسيطرون على قطاع تجارة القطاعي، فضلا عن قطاعات أخرى، فقام بطرد ٦٠ ألفا من الذين يحملون الجنسية البريطانية، والواقع أنه في كثير من أقطار جنوب شرق آسيا، وأفريقية جنوب الصحراء نجد الأقليات الأجنبية وقد حققت نموا بارزا في بعض القطاعات الإقتصادية، مما أدى إلى إتباع سياسة التأميم **Indignization** لكثير من القطاعات لوقف نموهم ونقله إلى القطاعات الوطنية مثلما حدث للبنانيين في غرب أفريقية بمقتضى القوانين التي أصدرتها نيجيريا، وساحل العاج،

والسنغال عام ١٩٧٣. فأصدرت نيجيريا قائمة باثنين وعشرين حرفة لايقربها إلا المواطنين، وقصرت السنغال تجارة القطاعي على السنغاليين، وحرمت كينيا حرفة السياحة على الأجانب. ويلاحظ هذا النشاط أيضا بالنسبة للأرمن واليونانيين في أثيوبيا، والصينيين في جنوب شرق آسيا . والغرض من كل الإجراءات التي تتخذ هو إشراك الوطنيين وتحويل هذه الأنشطة إلى الأيدي الوطنية.

ويظهر التباين في التركيب الإقتصادي بين الدول إذا ما نظرنا إلى المجموعات التالية:

١ - تمثل غامبيا مجموعة من الدول ذات الموارد المحدودة، ويمثل القطاع الزراعي فيها عماد الدخل القومي وتكاد تعتمد على محصول واحد هو الفول السوداني المسئول عن حصيلتها من العملة الأجنبية، كما أنها سيئة الحظ في أنها تستورد أكثر مما تصدر، مما يشكل عجزا مستمرا في ميزانها التجاري، ويضاف إلى هذا أن ربع وارداتها عبارة عن مواد غذائية ، أما عن القطاع الصناعي فهو فقير للغاية ، ويتألف من صناعات إستهلاكية خفيفة كطحن الحبوب والملابس والمشروبات، مثل هذا الوضع تجده في كثير من دول العالم الثالث مثل النيجر، (بوركينا فاسو)، سيراليون، موريتانيا، الصومال، السودان، سيرلانكا. وليس من شك أن مشكلات هذه الدول الإقتصادية والسياسية يتحكم فيها إلى حد كبير ما يحدث لسلعتها الرئيسية منذبذبة لأسعارها، وخاصة نحو الإنخفاض نتيجة لزيادة الإنتاج العالمي منها، أو ظهور بدائل لها . ويؤدي هذا إلى إعاقة خططها للتنمية ، وقد تقع في النهاية فريسة للإعتماد على المعونات الأجنبية وما يتبعها من خضوع للدول الأكثر ثراء. ولكن يخرج من هذه الفئة التي تعتمد على سلعة واحدة الدول المنتجة للبترول كالكويت والمملكة العربية السعودية.

٢ - وتمثل نيجيريا مجموعة أخرى تتميز بتنوع الموارد وتسير عجلة التنمية فيها بسرعة مما يغير في مركبها الإقتصادي، ومثل هذه الدول لديها صادرات زراعية، ومعدنية، وعدد كبير من السكا ، يمثل سوقا لبعض الصناعات التي يمكن أن تقوم بها، ومن أمثلة هذه الدول البرازيل والملايو (كوت دي فوار) ... إلخ.

٣ - تمثل الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة نوعا ثالثا من الدول التي يقوم بها قطاع صناعي نام، وصادرات متنوعة تكفي في الظروف العادية لموازنة الواردات.

وفي الحقيقة نجد أن كل الدول الصناعية في حاجة إلى إستيراد الخامات، ومع ذلك يمكن أن نفرق بينهما، فهناك فرق بين كندا وأستراليا من ناحية، وبين اليابان والمملكة المتحدة من ناحية أخرى فكندا وأستراليا تصدران كثير من المواد الخام الزراعية والمعدنية بالإضافة إلى قطاع صناعي نام، بينما المملكة المتحدة واليابان بهما قطاعات صناعية نامية أكثر تنوعا ولكن الخامات التي يصدرانها ليست بذات أهمية تذكر.

وهكذا يخلق الاختلاف في التركيب الإقتصادي تباينا في طبيعة المشكلات السياسية والإقتصادية التي تواجه كل دولة : فالحصول على قوة دفاعية ذات بأس تتطلب، أما صناعة متقدمة، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي،

حيث يمكن صناعة الطائرات، والسفن الحربية، وصناعة السلاح، وأما فائض كبير في الميزان التجاري يمكن من شراء هذه المعدات من الخارج كما هو الحال في إيران، وفيما عدا ذلك لابد وأن تعتمد الدولة على الخارج.

وتعمل حكومات الدول النامية لمواجهة هذه المشكلات على إتخاذ أساليب متعددة منها التقليل من الواردات، وبصفة خاصة واردات المواد الغذائية لتحسين للميزان التجاري، وقد وضعت بعض الدول الإفريقية مثل نيجيريا وغانا وزامبيا المخططات للإسترات من الإكتفاء الذاتي، وتسعى دول أخرى إلى التصنيع بطرق مختلفة، وتضع دول أخرى تعريفات مائنة أمام السلع الشبيهة بالمحلية والواردة من الخارج. وتذهب دول أخرى إلى وضع قيود على صادرات المواد الخام المنتجة محليا كما تفعل أسبانيا والبرتغال بوضعها القيود على صادرات الفلين الخام حتى يمكن تصنيعها محليا.

المتقدمون والمتخلفون إقتصاديا

إستخدام البنك الدولي المعيار النقدي ، والذي يعبر عنه بمتوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي سنويا (*GNP*) وقسم دول العالم إلى أربع مجموعات بحسب تقديرات ١٩٩٤ (تقرير التنمية في العالم ١٩٩٦).

١- دول ذات دخل مرتفع (+ ٨٩٥٥ دولار).

٢- دول ذات دخل متوسط (من ٧٢٦ - ٨٩٥٥ دولار).

٣- دول ذات دخل منخفض (يقل عن ٧٢٥ دولار أو أقل) وهذا هو خط الفقر.

وبلاحظ أن الدول ذات الدخل المرتفع مركزة في أوروبا وأمريكا الشمالية وعلى الهامش الشرقي للقارة الآسيوية وبذلك تضم اليابان وأستراليا، أما الدول ذات الدخل المنخفض تسود في القارة الأفريقية وأجزاء من آسيا، وفي هذا الكتاب قسمناها إلى دول متقدمة، دول نامية (متخلفة)، وهما معادلان للأغنياء والفقراء، أو الذين يملكون والذين لا يملكون، أو بتعبير قد لا يكون دقيقا مائة في المائة، المحظوظون وقليلو الحظ *Lucky , Unlucky* وكان العالم يقسم حتى العقد الماضي إلى العالم الأول (الرأسمالي)، والعالم الثاني (الشيوعي)، والعالم الثالث (المتخلف) والعالم الرابع شديد التخلف والعالم الخامس الأشد فقرا.

ولكن هذه التعبيرات فقدت مدلولاتها منذ أواخر التسعينات لما طرأ من تغييرات سياسية، وبصبح التقسيم على أساس الأغنياء والفقراء، نظرا لأن الفجوة تزداد إتساعا وعمقا بين المعسكرين، وبالتالي يصبح الإستقرار العالمي في خطر وبالتالي أمن الأغنياء.

والملاحظ أن هناك أحيانا جزر ذات نمو سريع في محيط إقتصاديات راكدة وهذا واضح في ذلك الشريط الشرقي من آسيا.

ورغم أننا قسمنا العالم إلى متقدم ومتخلف، فما زال الأمر موضع خلاف في مسألة إختيار معايير التقدم والتخلف، ويمكن القول بأن هناك سبع مقاييس ومع ذلك فهي موضع نقاش.

مقاييس النمو الاقتصادي:

ما الذي يميز الدول المتقدمة عن الدول النامية ؟

لا بد من المقارنة بين الدول على أساس مقاييس معينة: والإجابة ليست بسيطة، وليست هناك دول متقدمة تماما، وليس هناك إقتصاد متخلف بالكامل، فنحن نوازن أو نقارن بين درجات النمو، حين نميز بين الدول المتقدمة والدول النامية، الفاصل بين هذا وذاك هو حد قاطع، ولكن هذا الحد مازال موضع جدل، فهناك نقص البيانات الذي تعاني منه كثير من الدول، وأحيانا تقدم بيانات لا يمكن الإعتماد عليها ومع ذلك فهناك مقاييس متعارف عليها لقياس مستوى النمو الاقتصادي للدول:

١- نصيب الفرد من الناتج المحلي، وذلك بقسمة مجموع الدخل الناتج من الإنتاج المحلي خلال عام على عدد سكان الدولة، ويحول إلى عملة قياسية، وهذا يتم عادة بالدولار، وفي هذا الصدد يمكن أن يزيد نصيب الفرد في الدول المتقدمة على ١٠ آلاف دولار، ويقل في بعض الدول النامية عن المائة دولار.

٢- التركيب الحرفي للقوى العاملة، وهي نسبة العاملين في كل نشاط من الأنشطة الإقتصادية، فإذا كانت هناك نسبة كبيرة تعمل في إنتاج الغذاء الأساسي، فهذا مؤشر على المستوى المنخفض.

٣- إنتاجية العامل وذلك بقسمة مجموع الإنتاج السنوي على مجموع القوى العاملة.

٤- نصيب الفرد من إستهلاك الطاقة، وكلما ازداد هذا النصيب كلما كان هذا مؤشرا على زيادة النمو الإقتصادي (يجب أن ينظر إلى هذا العامل في ظل ظروف المناخ).

٥- تسهيلات النقل والمواصلات بالنسبة للفرد، وفي هذا المجال تحول السكك الحديدية والطرق والخطوط الجوية والتلفزيون والراديو والتليفون إلى رقم معياري ويحسب نصيب الفرد، وكلما ازداد دل على إرتفاع درجة النمو الإقتصادي.

٦- نصيب الفرد من إستهلاك المنتجات المعدنية، فكلما زاد نصيبه من إستهلاك الحديد والنحاس والألومنيوم والصلب وغيرها من المعادن الأساسية كلما كان هذا مؤشرا للتقدم.

٧- وتضاف مقاييس أخرى مثل نسبة المتعلمين، والسعرات الحرارية نسبة ما تصرفه الأسرة على الطعام، ونصيب الفرد من الإدخار.

وأكثر من هذا أن الدول المتقدمة حصلت على كل المزايا، ولكن لماذا لم تلحق الدول الأخرى المتخلفة بها ؟ — المسألة هنا ليست بالبساطة في القول بأن هذا التخلف يرجع إلى البيئة وظروف توزيع الثروة، أو الميراث الثقافي مثل مقاومة الجديد، ذلك أن الأحداث التي تتابعت وخرجت لنا بهذا التقسيم، ترجع إلى ما قبل الثورة الصناعية، فقد أرست أوروبا أساس التوسع الاستعماري منذ منتصف القرن الثامن عشر، ثم جاءت الإنقلابات الصناعية تضخم الطلب على المواد الخام، وزادت الصناعة من كفاءتها وقبضتها الإستعمارية، من

ثم كانت البداية قوية للغاية، بينما ظلت التوابع كما هي بفضل السياسة الإستعمارية مخازن للمواد الخام وأسواقاً للمصنوعات، وظهر نظام تبادل دولي وتدفق لرؤوس الأموال، الذي ظل دون تغيير كبير لفترة طويلة حتى بعد إنتهاء الإستعمار السياسي، ولاشك أن الدول المتخلفة تعرف هذا تماماً، وتتهم الدول الإستعمارية السابقة بالإستمرار في إستغلالها فيما يعرف بالإستعمار الجديد أي النظام القديم وإن كان متخفياً تحت قناع جديد.

أعراض التخلف الاقتصادي:

يمكن القول بوجه عام أن الدول المتخلفة أو الفقيرة تظهر فيها أعراض أخرى تدل على فقرها وتخلفها غير متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي فهي تعاني من مجموعة من الأوضاع البشرية والإقتصادية والإجتماعية، فسكانها يتميزون بمعدلات مواليد عالية، ومعدلات وفيات تتراوح بين المتوسطة والعالية، وتوقعات العمر عند الولادة منخفضة، وقد يصل صغار السن فيها (أقل من ١٥) إلى نحو نصف مجموع السكان، كما ترتفع فيها وفيات الأطفال، ولا يجد السكان الغذاء المناسب، ولا تتميز الوجبات الغذائية بالتوازن، وأهم نقص فيها هو البروتين، كذلك عدد الأطباء، وتتفشى الأمية بين السكان ويتسرب الأطفال من التعليم.

وإذا إنتقلنا إلى ريف الدول المتخلفة نجده مزدحماً، رديء في مواصلاته، وتتحمل المرأة في الريف معظم الأعباء الثقيلة، كما يتجه الأطفال للعمل في سن مبكرة، وتسود الملكيات القزمية، ويمارس العمل الحقلي بأدوات بدائية، ومحاصيلها الرئيسية الحبوب والدرنات، وتسود حياة الإكتفاء الذاتي، والفلاح مديون دائماً، وإذا خصصت مساحات للزراعة الحديثة مستخدمة آلات حديثة وتسميد جيد، فغالبا ما يكون إنتاج هذه الأراضي للأسواق الخارجية، ولا تتحسن ظروف الحياة بقدر كبير نتيجة الزراعة الحديثة.

والحياة في المدينة ليست بأفضل كثيراً من حياة الريف، فهناك الإزدحام، ومشكلة السكن، وسوء الأحوال الصحية، ونقص الخدمات، والبطالة، وإنخفاض دخل الفرد، وقلة المدخرات، كما تصرف الأسرة معظم دخلها على الطعام وأساسيات الحياة، وهناك معايير أخرى تدل على التخلف، منها على سبيل المثال عدم التوازن الإقليمي بين أجزاء الدولة الواحدة، أو بين العاصمة وبقية الدولة، وهذا واضح في مصر حيث أفقر جهاتها هو الصعيد، وتأتي محافظة سوهاج في المقدمة تليها أسيوط، ثم قنا، فالعاصمة قد تظهر وكأنها عاصمة لناطحات السحاب، كما في مدن الدول المتقدمة، ولكن ما أن تخرج من قلب المدينة إلى الأطراف حتى نجد العشوائيات وعشش الصفيح أو المزارع الفقيرة، أو الورش، أو المصانع الملوثة للبيئة، وتتجه الطرق البرية والخطوط الحديدية إلى الموانئ حيث السفن التي تفرغ السيارات الفارهة لزوم الطبقة المرفهة، وفي مثل هذه الدولة تجد العاصمة النواة وقد بدت فيها مظاهر الحضارة الحديثة جلية، فإذا ما تركتها للأطراف تكون هي صدمة المشاهد كما رأينا، وكما هو الحال في أن الدول الغنية تزداد غنى، والفقيرة تزداد فقراً، يتكرر الحال داخل الدول المتخلفة في إتساع الفجوة بين الأقاليم وهي مشكلة ذات بعد عالمي.

ليس من شك فإن النظام العالمي يعمل ضد صالح الدول المختلفة، ولكن للأسف ليس هذا هو العقبة الوحيدة التي تواجهها الدول النامية، فهناك عدم الإستقرار السياسي، والقيادات الفاسدة، وعدم تنسيق الأولويات، وسوء إستخدام المعونات والتقاليد البالية، كل هذا يساعد على إعاقة التنمية، وكان للتدخلات الخارجية من جانب الدول المتقدمة لها أثرها السلبي أيضا على هذه الدول، خاصة في فترة الحرب الباردة، مستغلة الحروب الأهلية، فكانت الولايات المتحدة الأمريكية تقف في جانب والإتحاد السوفيتي في الجانب الآخر، وليست أحداث أنجولا وإثيوبيا والصومال وأفغانستان وفيتنام وغيرها التي عانت نتيجة تدخل هذه القوى العظمى، بالأمر البعيد . ويلاحظ أن هناك إختلاف في درجات التنمية حتى بين المستويات المتقاربة، على سبيل المثال نجد أن الدول الأكثر تطرفا في أمريكا الجنوبية كشيلى وأرجنتين وأرجواي أكثر تقدما من نظائرها في الشمال كالبرازيل وبوليفيا وأرجواي، وكالفرق بين شرقي أوروبا وغربها.

عدد السكان الذين يعيشون في فقر مدقع

أقل من دولار واحد في اليوم

الإقليم	١٩٩٠	٢٠٠٤	٢٠١٥
آسيا الشرقية والباسفيك	٤٧٠	٢٦١	٤٤
بدون (الصين)	١١٠	٥٧	٣
أوروبا وآسيا الوسطي	٦	٢٠	٦
أمريكا اللاتينية والكاريبي	٤٨	٥٦	٤٦
آسيا الجنوبية	٤٦٦	٤٣٢	١٦٨
الشرق الأوسط وأمريكا الشمالية	٥	٨	٤
أفريقية جنوب الصحراء	٢٤١	٣٢٣	٣٦٦
المجموع	١٢٣٧	١١٠٠	٧٣٤
بدون (الصين)	٨٧٧	٨٩٦	٦٩٢

زيادة الفجوة : الأغنياء يزدادون غنا، والفقراء يزدادون فقرا:

في مقابلة مع السيد محبوب الحق أحد مستشاري الأمم المتحدة قال "بالإمكان وقف إيقاف الأشخاص الفقراء عند نقاط الحدود، لكن من المتعذر إيقاف الفقر وضبطه فهو يسافر في هيئة مخدرات وإرهاب، وأعراض نقص المناعة المكتسبة ، والحل هو في وضع مشكلات سكان العالم النامي موضع الإعتبار وإلا تركت مشكلات هؤلاء البشر أثرها وضررها على المناطق الأكثر إزدهارا ونموا في العالم ."

تَجَلَّى زيادة الفجوة الطبقيّة بين الأغنياء والفقراء، فيما أورده جيمس جوستاف سيبث في مقال نشرته له جريدة الشرق الأوسط في أغسطس ١٩٩٦ رقماً مذهلاً، ورد في عنوان مقالته ذاتها الذي يقول: "ثروة ٣٥٨ مليارديرا أكثر من ثروة ٤٥ في المائة من سكان العالم مجتمعين"، أى قرابة ٢,٣ مليار إنسان، وليس بروز الفجوة الطبقيّة الهائلة هو المعلم الوحيد من معالم توحش الرأسمالية، فالمعلم الثاني الذي بدأ يبرز في السنوات الأخيرة، ونتيجة لما أطلق عليه "أزمة دولة الرفاهية" هو التقليل الشديد في ميزانيات الضمان الاجتماعي والصحي والمساعدات الإجتماعية، والتي ربما كان أبرزها التشريعات التي أصدرها الكونجرس الأمريكي (١٩٩٥)، والتي ستؤدى إلى دفع الملايين في محيط الفقر المدقع ونفس الاتجاه نجده في أوربا الغربية، وإن كان باستخدام وسائل أخرى غير مباشرة، ويكشف عن هذه السياسة الإجتماعية الرجعية كلود جولييان في مقالته الهامة في لموند دبلوماتيك (عدد سبتمبر ١٩٩٦) وعنوانها "النظريات الإقتصادية على محك الواقع: نحو الصدمة الإجتماعية" ويحلل جولييان بعمق أزمة النظام الرأسمالي الراهن، التي تبدو في اتجاهه إلى سحق الطبقات الفقيرة.

١- أكثر من ١,٣ مليار شخص يكافحون من أجل البقاء أحياء معتمدين على دخل يقل عن دولار واحد للشخص في اليوم عام ٢٠٠٠ وكان هذا العدد أقل بنحو ٣٠٠ مليون شخص منذ خمس سنوات.

٢- أكثر من ١٤٠٠ طفل يموتون يوميا تحت سن الخامسة ضحية لأمراض سوء التغذية وأمراض يمكن التحصين ضدها.

٣- ١٣٠ مليون طفل معظمهم من الإناث لا يذهبون إلى المدارس.

٤- بلغ الدخل القومي في عام ١٩٩٠ لشريحة العشرين في المائة من أكثر سكان العالم ثراء ٦٠ مرة أكثر من أفقر الشرائح عالميا ونسبتها ٢٠ %، وذلك بالمقارنة بثلاثين عاما مضت، إذا كان الدخل أكثر بنسبة ٣٠ مرة.

وكشف التقرير الأخير لمؤتمر الغذاء العالمى الذي عقد بروما مؤخرا عن تزايد نسبة الفقر والجوع في العالم وقال جاك ضيوف مدير عام منظمة الأغذية والزراعة "أن القرن القادم سيكون قرن الحروب المائية والغذائية"، ومن أغرب ما أشار إليه أن ميزانية المنظمة الدولية "الفاو" بعد خفض العديد من دول العالم المتقدمة لمساهمتها تقل عن تكلفة إطعام الكلاب والقطط في تسع دول متقدمة لمدة ٦ أيام فقط، وقد قام بمهاجمة الدول الغنية التي تدمر محاصيلها الزراعية للحفاظ على أسعارها في الأسواق العالمية بينما تعاني دول فقيرة في العالم من عدم وجود غذاء يسد رمق شعوبها الجائعة.

هذا بينما تعادل فوائد الديون الخارجية لدول العالم الثالث أكثر من ثلثي القروض والمنح الجديدة المقدمة لها سنويا بحيث يمكن أن يقال — وهنا وجه الغرابة أن الدول الفقيرة هي التي تمول في الواقع الدول الغنية.

كيف السبيل ؟

يسألون : إلى متى ؟ وكيف الخروج من وطأة الفقر قديمة كانت أم جديدة ؟ وهل هناك أمل في المستقبل ؟ في البداية أجاب البنك الدولي مستخدماً مفهوم " عبور الصحراء " وقال أن الأمل يلي التّكشف وأن الشّدة ستزول قريباً، ولما إستفحل الفقر بلا بصيص من الأمل في الدول النامية عدل البنك الدولي موقفة مستخدماً مفهوم " التّضحية من أجل التّنمية ". ولخصت أحدث دراسات البنك الدولي لتسعة وعشرين دولة إفريقية أن معظمها لن تستعيد دخل الفرد سابقاً إذا ما طبقت برامج الإصلاح الإقتصادي قبل مالا يقل عن ٤٠ أو ٥٠ عاماً أوصت بدعم الصندوق الإجتماعي، فالخلاص إذن لن يتم على يد البنك الدولي أو صندوق النقد بل يتم فقط بواسطة البلدان المعنية نفسها ، ومن هنا أصبح الفقر يهدد سطح الكرة الأرضية بعدم الأمان.

الفقر والإضطرابات

تعريف الفقر :

يعرف الفقر عادة بأنه عدم القدرة على إشباع الحاجات الفردية لإستمرار الحياة. ويشمل ذلك الغذاء والملبس والسكن والصحة، وبهذا التعريف فإن حق إشباع هذه الحاجات هو من الحقوق الإنسانية . فإذا كانت الحرية والديموقراطية من حقوق الإنسان الأساسية ، فما بالك بحق الحياة نفسها ؟ ولذا يطالب البعض ومنهم بعض المنظمات الدولية — بأن المجتمع ملزم بإشباع هذه الحاجات لأفراده.

مؤشرات الفقر:

١- هل إذا شعرت بالفقر، فأنت فقير ؟ ولكن مصداقية هذا المؤشر غير مؤكدة، فالفقير لا يعرف أو يعترف بفقره بينما قد يدعى غير الفقير فقراً.

٢- هل هو الإحساس بالتفاوت بين الغنى والفقر؟ وهذا مؤشر ذاتي ومتشائم، فمهما كنت غنياً هناك دائماً من هو أغنى منك، وإذا لم يكن هنا تساوى كامل بين الناس فإن الفقر سيلازمنا إلى الأبد ومع ذلك فإن التاريخ يعلمنا أن الإحساس بالفقر أو الإحساس بالتفاوت الفاحش بين الفقراء والأغنياء هو أقصر الطرق إلى الثورات والتقلبات والإضطرابات السياسية.

٣- القياس الكمي لحجم هذا الإستهلاك من مجتمع لآخر وأن كانت هناك محاولات إحصائية للوصول إلى حجم مطلق يطبق على جميع المجتمعات، هو الذي جرى العرف على إستخدامه لسهولة.

٤- حجم الدخل النقدي المطلوب لتحقيق حجم الإستهلاك المطلوب لإستمرار الحياة من طعام أولاً ثم غير الطعام من مسكن ورعاية صحية، وعادة ما يختلف حجم هذا الإستهلاك المطلوب لإستمرار الحياة، وبمجرد أن يحدد حجم هذا الدخل في مجتمع ما، فإنه يستخدم لما يسمى بخط الفقر النسبي لهذا المجتمع، ومن هو تحت هذا الخط فهو بحسب من الفقراء

ومن هو فوقه فهو من غير الفقراء. وإقترح البنك الدولي إستخدام ما يسمى بخط الفقر المطلق والذي يمكن إستخدام ما يسمى بخط الفقر المطلق والذي يمكن إستخدامه في كل المجتمعات للمقارنة بين الدول والفترات.

الفقراء التقليديون :

وهم الذين إفتقدوا القدرة أو الرغبة الفردية في دخول سوق العمل أو التكسب المنتظم وأمثلته هو المعوق بدنيا أو عقليا أو المدمن أو السكير الذي يلفظه سوق العمالة ، وهناك أيضا الفرد سئ الحظ الذي أصابته كارثة طبيعية أو إجتماعية ، ويصبح فقره فقرا فرديا ولو لفترة وأمثلته ضحايا الزلازل والفيضانات وتزحلق أجزاء من الهضاب والجبال، ومعوقي الحرب وضحايا المعارك، أو الحوادث و من يفقدون عائلهم كالأرامل ، والمطلقة والطفل، والمسن . ويعيش الفقراء الذين يتوارثون الفقر جيلا بعد جيل بلا مخرج أو أمل أمام أنجالهم، فهم ضحايا عوامل إجتماعية أو إقتصادية عامة يفرضها عليهم المجتمع نفسه، ويعيشون في جزر جغرافية بين المحظوظين من غير الفقراء والأغنياء ولكنها جزر تعزلهم إجتماعيا ويسمونهم في مصر " مناطق عشوائية " وهى تسمية غير موفقة تلقى اللوم عليهم، ويعيشون في المدن، والحضر، والقرى، والنجوع، وهم الفقراء المنسيون رغم علانيتهم الواضحة للعيان، وهم أيضا أغلبية الفقراء الصامته التي لا تمتلك القنوات الشرعية للتأثير على المجتمع لتغيير ما بها، وقدرتهم الوحيدة للتعبير عن حالهم هى القنوات غير الشرعية، مثل العنف والإرهاب.

الفقراء الجدد:

هم فقراء الخفاء ونتاج هذا العصر والزمان فهم يشكون من ضيق ذات اليد، ولكن لا يعترفون عادة بالفقر مظهرا أو قولا، وهم قادرين ويرغبون في العمل ولا يجدونه أو هم يعملون فعلا - شرعا وحلالا. ولكن لا تسمح دخولهم بإشباع إحتياجاتهم وإحتياجات من يعولونهم، وهم عادة على حافة خط الفقر أو تحته، لأن معدل النمو الإقتصادى يقل عن معدل الزيادة السكانية - وزاد من سوء حالهم برامج البنك، وصندوق النقد ، التي أدت إلى تدهور أكثر في دخولهم وتوسيع قاعدة الفقراء الجدد، فهذه البرامج هى كمن يضع الملح على الجرح، فلقد أدت معظم برامج الإصلاح الإقتصادى في ٨٨ دولة من دول العالم إلى نفشى ظاهرة الفقراء الجدد، إما بإنخفاض الدخل أو زيادة تكلفة المعيشة، وكان ضحية ذلك من هو على حافة الفقر أو يكاد. وإحدى بوادر نفشى ظاهرة الفقراء الجدد في المجتمع تبدأ بالجمع بين عدة وظائف أو أعمال أو التكسب بطرق ملتوية واللجوء إلى أساليب غير شرعية مثل الإرتشاء لزيادة الدخل، ورغم أن برامج الإصلاح الإقتصادى تصيب من جديد من إصابه فعلا فقر الفرد، ومن يعيش في جزر الفقر حتى أنهم يصبحون من المعدمين إلا أن دراسات البنك الدولي ركزت على الفقراء الجدد وألقت كثيرا من الضوء عليهم، فهم فقراء الخفاء ونوضح هذه الدراسات أن الفئات التالية تضاف، إلى قائمة الفقراء الجدد في الدول النامية بعد تطبيق برامج الإصلاح الإقتصادى.

- ١) طلبة المدارس والجامعات والأطفال والمسنون وغيرهم ممن يدخلون في الفئات المعالة لإنخفاض أو إنقطاع دخل عائلهم.
- ٢) أصحاب الدخل الثابتة مثل المحالين إلى المعاش، المطلقات الذين رتب لهم نفقات زوجية، ملاك الأراضي والعقارات الخاضعين لتحديد الإيجارات وذلك لزيادة تكلفة أعباء المعيشة.
- ٣) المرأة عائلة الأسرة والتي عادة يقل دخلها عن الرجل وتتخلف عنه في الترفيات والإمتيازات.
- ٤) أصحاب الأعمال الهامشية أو شبه الهامشية أو من يعيشون على دعم الدولة المباشر للسلع الإستهلاكية أو الإعانات الحكومية والصدقات لإنخفاض دخولهم.
- ٥) خريجو المدارس والجامعات وغيرهم من المتعطلين طالبي أو فاقدي الأمل بعد رفع الدول يدها عن توفير العمل.
- ٦) العمال والموظفين ذوو الإنتاجية الحدية المنخفضة والذين لا يساهمون في زيادة معدل ربح الشركات الحكومية التي تباع، أو الشركات الخاصة التي يباح لها حرية إنهاء عقود العمل، ويسمى هؤلاء بالعمالة الزائدة، أو من يشملهم تعريف للبطالة المقنعة، أو الوظائف الهامشية.

الإخفاق الإقتصادي والعنف:

شهد عقد التسعينات زيادة كبيرة في القلاقل وأحداث الشغب العامة في قلب المدن الكبرى داخل ما يسمى بالعالم الأول، وشملت معظم الإضرابات في الدول الكبرى والصغرى على حد سواء، وهزت أحداث الشغب والعنف الضواحي الفرنسية، والمدن الداخلية البريطانية، وأحياء اليهود والأسبان في أمريكا، وقام بها الشباب بصفة رئيسية من الأحياء المدنية الفقيرة والمعزولة والمهمشة حيث تغذيها على ما يبدو التوترات "العنصرية" المتنامية في هذه الأحياء والمناطق المحيطة بها، ومن ثم فإن التفسير السائد في التقارير الإعلامية والمناقشات السياسية هو أنها "أحداث شغب عرقية" تعبر عن العداء ضد "الأقليات" العرقية أو المهاجرة في تلك البلدان، أو العداء فيما بين أفرادها.

وثمة دلائل عديدة تؤيد هذا الرأي، فقد اجتاحت أوروبا خلال الثمانينات موجة عارمة من المشاعر العنصرية التي بدأ أن من الصعب الوقوف في وجهها، إذ تفجرت في المشاعر العدائية " المناهضة للعرب " والتي ظلت كامنة لوقت طويل ، حيث اتخذت صورة عنصرية وأدت إلى زيادة الإعتداءات العنصرية، كما عبرت عن نفسها سياسيا في شكل موجة العداء للأجانب التي يتبناها " الحزب المسمى الجبهة الوطنية " وفي المملكة المتحدة، اشتعل العداء بين الملونين القادمين من جزر الهند الغربية والأسويين من ناحية والبيض في صورة مواجهات متعددة بالشوارع، وازدادت شدتها إلى درجة أصبح ينظر فيها على نحو متزايد باعتبارها مشاكل " سوداء " في المقام الأول، وفي ذات الوقت،

ظهرت حركة واسعة النطاق في الولايات المتحدة الأمريكية ضد المكاسب التي حققتها ما تسمى بالأقليات الأمريكية من أصل أفريقي بصفة أساسية، إلى جانب أبناء أمريكا اللاتينية وبعض التجمعات الآسيوية، غداة حركة الحقوق المدنية في الستينات، وأدت إلى تدهور حاد في العلاقات العرقية كان من مظاهره تصاعد الجرائم ذات الدوافع العرقية أو ما يعرف بجرائم " الكراهية "، وكشف عنه الخوف العام من الذكور السود في الشوارع، والحوادث العرقية التي وقعت في الجامعات، والإستغلال السافر للمشاعر المناهضة للسود من جانب بعض الساسة.

منطق الإضطرابات الداخلية :

تشير النظرة الفاحصة لشكل تلك الإضطرابات إلى أنها قد جمعت ، بنسب متفاوتة بين منطقتين:

(١) منطق الإحتجاج على الظلم العنصري.

(٢) منطق الثورة من جانب الفقراء على الحرمان الإقتصادي والتفاوت الإجتماعي المتزايد، بما يملكونه من سلاح فعال، إن لم يكن هو السلاح الوحيد، وهو تمزيق الحياة المدنية بالقوة وعلى نحو مباشر.

(٣) وربما كانت الثمانينات والتسعينيات هي العقد الذي إكتمل خلاله تدريجيا نمو أحداث الشغب المختلفة — وهي مختلطة على ضوء دوافعها وأهدافها، وكذا نظرا إلى تركيبها العرقي المتعدد، فالضواحي الفرنسية والمدن الداخلية البريطانية لا يقطنها، خلافا لما تصوره وسائل الإعلام، المهاجرين وحدهم أو حتى يشكلون النسبة الغالبة فيها، كما أن أولئك الذين إشتبكوا في الإضرابات التي وقعت كانوا يتألفون من أصول عرقية مختلفة في كثير من الأحوال، وفضلا عن ذلك، فإن مطالبهم هي نفس مطالب الشباب من الطبقة العاملة في كل مكان : أى الحصول على الوظائف والتعليم بمدارس ملائمة، وتوفير المساكن أو تطويرها، والإستفادة بالخدمات العامة، والمعاملة اللائقة من جانب الشرطة، وبالمثل فإن الآلاف الذين نهبوا السلع من المتاجر والمراكز التجارية بعد إشعال النار بها خلال أحداث الشغب التي إندلعت في منطقة " ساوثوست " بمدينة لوس أنجلوس، لم يكونوا كلهم من السود: إذ كان أكثر من نصف الذين تم إعتقالهم في بداية الأحداث من أبناء أمريكا اللاتينية، و ١٠ في المائة منهم من البيض، كما أن الحركة لم تكن مجرد إحتجاج من جانب الأمريكيين الذين ينحدرون من أصل أفريقي على التفرقة العنصرية الجسيمة، وإنما كانت كذلك ثورة ضد الفقر والجوع والتدهور المادي الشديد ، الذي نجم عن الركود الإقتصادي، وخفض البرامج الإجتماعية الحكومية، ويصف أحد المعلقين ثاقبي البصيرة في المدينة ذلك بقوله، " لقد كانت أحداث الشغب الأولى التي وقعت من جانب عناصر الأمة المتعددة تعزى إلى أسباب تتعلق بالبطون الخاوية والقلوب البائسة بقدر ما تتعلق بهراوات الشرطة ".

(٤) وهذا العنف يتكون من عناصر أساسية : البطالة الجماعية التي تجلب وراءها

انتشار الحرمان المادي، والنفي إلى الأحياء المتردية، وهي جميعها عناصر فتاكة يزداد أثرها نظرا لكونها تحدث في ظل زيادة ملحوظة في عدم التكافؤ بوجه عام.

وكان التحول من التصنيع إلى الخدمات التي تحتاج إلى تعليم مكثف، والآثار المترتبة على استخدام التكنولوجيا الإلكترونية والأوتومية في المصانع والمكاتب، وتلاشي النقابات — فضلا عن تقلص الإنفاق الحكومي في مجالات التأمينات الإجتماعية والأسكان الخاص بذوي الدخل المنخفض، مرادفة للزيادة غير العادية في معدلات البطالة طويلة الأمد، وتردى الأوضاع المادية، وكان على الدول المتقدمة، في الوقت ذاته، إستيعاب تدفقات جديدة (أو إستيطان نهائي) من المهاجرين من العالم الثالث الذين يتجهون بصورة نمطية إلى نفس الأحياء التي تتضاءل فيها الفرص الإقتصادية والموارد. وهذا الانفصال المكاني من شأنه أن يؤدي إلى زيادة الصعوبات نتيجة تركيز الأسر التي تزداد أوضاعها سوءا وتنتمي إلى الطبقة العاملة الوطنية، أو إلى السكان المهاجرين ذوي القوميات المختلطة من الشباب، والأسر الهشة من الناحية الإقتصادية والمحرومة من المهارات التي يمكن تسويقها. بسهولة في الإقتصاد الجديد، داخل هذه الأحياء السكنية التي تعاني بالفعل من تضائل الفرص الإقتصادية والموارد بصفة عامة.

(٥) وهذا التراكم في الآفات الإجتماعية يفسر المناخ الثقيل للكآبة، والضيق واليأس، الذي يخيم على المجتمعات الفقيرة في العديد من المدن الغربية الكبرى، إذ يشعر سكان هذه الأحياء المزدهمة أنه لا مستقبل لهم، ولا لأولادهم سوى حياة البؤس، والعزلة التي أصبحت قدرهم فيما يبدو، أضف إلى ذلك الغضب الذي يستشعره الشباب الفقراء، من سكان المدن نتيجة للتفرقة الثقافية والكرهية المفروضة على سكان المناطق الحضرية المتدهورة.

(٦) ولم يعد العنف العنصري هو التعبير الفظ عن السيطرة ذات الطابع الإستعماري. بل قد ينشأ كذلك عن أزمة إقتصادية، تتقلب فيها إحدى الجماعات المحرومة، المهددة بتدهور مركزها الإجتماعي أو إقصائها عن المسار الرئيسي، ضد جماعة أخرى في محاولة لإزاحتها — على أسس عنصرية — من سوق العمل الآخذ في التقلص، فقد ظهرت عنصرية البيض الفقراء، التي أدت إلى شنق السود دون محاكمة قانونية في جنوب الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر، وإلى إندلاع أحداث الشغب العرقية من المدن الكبرى في شمال الولايات المتحدة خلال النصف الأول من القرن العشرين، حينما نظر البيض إلى جيرانهم السود باعتبارهم منافسين خطرين في سوق العمل الصناعي.

غير أن العنف العنصري قد تقوم به الطبقات الأكثر ثراء، التي تريد الحفاظ على الفجوة الفاصلة بينها وبين الطبقات الأقل ترفا، وهي تلجأ في ذلك إلى إستخدام أسلوب هو مزيج من التفرقة الإجتماعية والعنصرية، وهو ما قد يؤدي إلى مزيد من أشكال العنف القاسية، فقد قام المواطنون البيض الأثرياء في جنوب الولايات المتحدة، في مستهل هذا القرن بتنظيم فرق للشنق دونما محاكمة قانونية، عقابا للرجال السود المتهمين بإغتصاب النساء البيض أو السرقة.



ليس فقراً ولكنه إملاق !!

الشعور بالقهر والظلم يولد قوة كامنة

لا حدود لها في البشر

في دراسة عوامل قوة وضعف الدولة، نجد أن جزءاً كبيراً منها يتعلق بالقوة العسكرية التي تساندها القوة الإقتصادية، ولكن هناك قوة أخرى يغفل عنها الجغرافيون السياسيون يمكن أن تقف أمام قوة الدولة، إن كانت غاشمة، تقتل، وتحطم، وتشرذم، وتطحن البشر، وتجرف المساكن والبنية الأساسية دون وجه حق، هذه القوة لا تنتهي بنفاد الذخيرة، فالذخيرة هنا هي إرادة البشر، حين يأخذ المقهورون الأمر بيدهم، ويروعون هذا الغاشم ويفزعونه، يقضون مضاجعهم ليلاً، ويجعلهم يتلفتون حولهم نهاراً وكأنهم فئران مذعورة، مهما كان معهم من سلاح.

انظر صور أطفال الحجارة، صورة الإستشهاديين الذين يواجهون أعني الجيوش سلاحاً، شباب أثار الموت على الحياة في سبيل الحرية على الحياة تحت ذل العبودية، وشعب أعزل يواجه جيش نظامي مفرط في قوته العسكرية، تفوق عسكري، وخبرات

قتالية مما لا يتناسب مع ما يملكه المجتمع الفلسطيني من إمكانيات، بل ما لا يملكه. لذلك كانت الإنتفاضة تمثل حرب تحرير، حروب كر وفر.

هذه الظاهرة نلاحظها بوضوح قبل نصف قرن بوجه خاص في حركة التحرير الجزائرية في الخمسينات وبداية الستينيات من القرن العشرين، ومقاومة الفيتناميين للأمريكيين في الستينيات (باعت فيها الولايات المتحدة الأمريكية نصف إحتياطياتها من الذهب)، قبل ذلك في الصين في حرب تحريرها الطويل من العشرينيات حتى عام ١٩٤٩.

إن إستخدام العنف في حركات التحرير، لم يكن أبداً اختياراً من بدائل متعددة متاحة، فالإعتماد على الحكومات أبداً حركة وأقل إنطلاقاً، وأكثر قيوداً، لأنها مسئولة عن إدارة الشؤون العامة للجماعة، وهي من ناحية أخرى عضو في الجماعة الدولية، بما يفرضه ذلك عليها من علاقات وتبعات، من ثم كان الخيار الوحيد أمام الفلسطينيين هو الإعتماد على النفس بالرد على العنف بالعنف رغم أنه لا يملك الأباتشي ولا المجنرات، ولا المدفعية، ولا المظلة الأمريكية، فهي حرب غير متكافئة *assymetrical*.

إن الإستشهاد معناه خسائر باهظة في أعز ما تملك الجماعة البشرية، وهو النفوس والأرواح، وما من جماعة مستعدة لأن تقدم أرواح أبنائها إلا إضطراراً، وذلك مصداقاً لقوله تعالى " كتب عليكم القتال وهو كره لكم ".

هل إنتفاضة الأقصى (٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠) تحرير أم إرهاب؟

• إذا كان ما يقوم به المنتفضون في فلسطين إرهاباً، فهل كان الفيتناميون إرهابيين وهل كان الجزائريون إرهابيين؟

• هل آيات الأخرس ذات الثمانية عشر رباعاً، والنظرة البريئة، والتي نشرت صورتها على غلاف الينوزويك " إرهابية " لم تكن منضوية تحت أي تنظيم، بل لم تكن حتى بشهادة الجميع ذات اهتمامات سياسية، لم تذهب للثأر والشهادة إلا بعد أن رأت جارتها يخرق الرصاص جسده من نافذة منزله وهو يلعب بالمكعبات الملونة مع صغيرته.

• ألم يكن الإسرائيليون إرهابيين منذ أن هبطوا أرض فلسطين إلى الآن، إن تنسي فلا تنسي دير ياسين وصبرا وشاتيلا و ... قتل الأطفال والشيوخ والشباب والنساء، والحوامل منهن تبقر بطونهن.

• ولما نذهب بعيداً والذي يحدث اليوم للفلسطينيين لا يتصوره عقل، قتل جماعي وإبادة وتجريف للمباني والمرافق، ووقوف الأحياء من الفلسطينيين في العراء.

• وفي اليوم الذي لا يكون فيه قذف للمدفعية والصواريخ يجبرون على خلع ملابسهم عند عبور مناطق التفتيش، ويتحكم عليهم العسكر، تلد نساؤهم عند هذه النقاط في العراء قبل الوصول إلى المستشفيات، منع التجول لأسابيع متواصلة لا يستطيعون العمل

خلالها حظر التجول لأسابيع لا يستطيع الإنسان فيها الحصول على حاجاته الأساسية، يمنع المعتقلون من الذهاب إلى دورات المياه حتى يتبولوا في ثيابهم ليتندروا عليهم.

• مع ذلك فكما إزداد الإسرائيليون شراسة، كلما أشد ساعد المقاومة، فضعف الفلسطينيون المادي يتحول إلى قوة معنوية جبارة، الأمر الذي يجعل الصهاينة يفشلون في كسر إرادة الفلسطينيين، وأن الاستخدام المفرط للقوة الذي يمارسه الصهاينة هو دليل ضعف قبل أن يكون برهان قوة.

• يعد ثمن باهظ يدفعه الفلسطينيون من دمائهم وفلذات أكبادهم، ومع ذلك فإن خيار المقاومة أصبح محسوماً خصوصاً بعد ما أثبتت الخيارات الأخرى أن أوصلو، طابا، وغيرها لا تساوي ثمن الورق الذي سيطرت عليه، وأن المجتمع الدولي بدلاً من أن يلتفت إلى الكارثة أعرض عنها، ومن ثم فالعمليات الإستشهادية تذكر المطحونين بأن شيئاً لم يمت.

هل كانت الإنتفاضة في صالح الفلسطينيين أم عليهم؟

• عمليات الإنتفاضة هي رسالة لكل إسرائيلي تبليغه بأن حياته في خطر حيثما وجد، من ثم فعليهم الاختيار بين بدائل أخرى، بدليل كثير من الإسرائيليين حزموا حقائبهم وعادوا من حيث أتوا.

• أزمة تهرب خطيرة من الخدمة العسكرية، وكان عدد الفارين من الخدمة العسكرية ٢١١٦ جندياً عام ٢٠٠٢.

• يعالج الجنود الإسرائيليون الذين يتم تسريحهم من الجيش بعد تجاربهم مع الإنتفاضة في قري علاجية علاجاً نفسياً، ومنهم من يرسل إلى الهند وتايلاند وغيرها من دول الشرق الأقصى، ولكنهم هناك يدمنون المخدرات ويعودون أشخاصاً غير طبيعيين، في حالة إنهيار تام.

• أصدر البنك المركزي الإسرائيلي تقريراً عن الوضع الإقتصادي عام ٢٠٠٢ ذكر أن نسبة البطالة تجاوز ١٠,٥%، وأن نسبة العجز في الميزان التجاري ستصل إلى ٩٥% نتيجة إختلال العلاقة بين الصادرات والواردات، وهذا معناه إن الصادرات أو الإنتاج أصبح شبه متوقف، وبالتالي تزداد حاجة إسرائيل إلى الاستيراد، وتراجع الاستثمارات الأجنبية وفقدان الثقة في أوضاع إسرائيل ذلك البلد المضطرب.

• ثبت أن الأمر ليس في يد إسرائيل كما تريد، بل إن الإنتفاضة لاعب مؤثر يثير الفرع، وتجعل الإسرائيليين يحسون بأنه لا أمن ولا أمان بالإتفاق وليس بالصواريخ والمتفجرات.

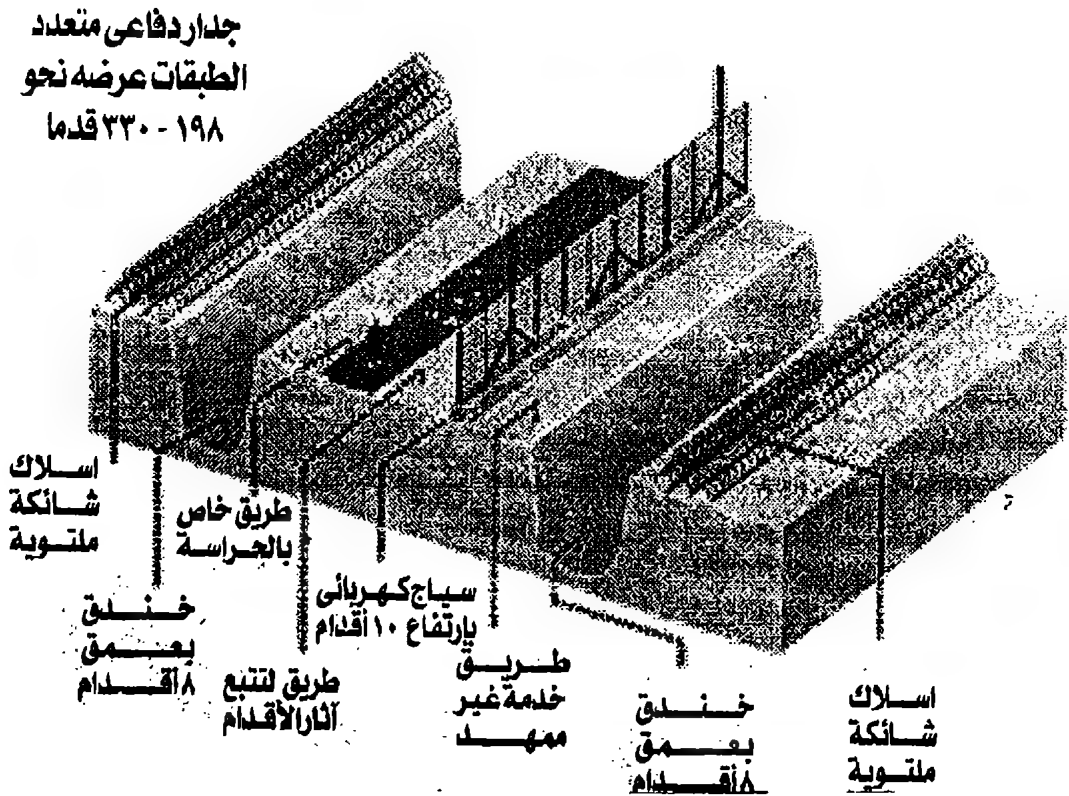
• نشرت جامعة تل أبيب في ٢٠٠٢/٦/١٢ مقياسها الشهري لاتجاه الجماهير، ومن بين الأسئلة الرئيسية جاء السؤال التالي :

"فسي الواقع الإسرائيلي الأليم، هل نعتقد أن المستوطنات الإسرائيلية تسهم في مصلحة إسرائيل أم تضعف هذه المصلحة؟".

يوليو ٢٠٠٢	يونيه ٢٠٠١	
٥٤%	٣٣%	تضر المصلحة الوطنية لإسرائيل.
٣٥%	٥٨%	تقوي المصلحة الوطنية.

هل لو لم تهب الإنتفاضة، أو توقفت كانت ستأتي النتيجة كما سبق.

* إن المقاومة هي حق مشروع في كل ثقافة ودين عندما ينتزع شعب من أرضه، ويخرج من دياره، ويشعر بأنه يقف وحده في العراء.



٤, ٣ مليار دولار تكاليف الجدار

نماذج تطبيقية لمشكلات معاصرة

الفصل الأول

مشكلات أساسها الظروف الطبيعية

الدول الحبيسة *Land locked States* (الموقع الجغرافي)

كان هناك إحدى وثلاثين دولة لا تطل على البحر بأي شكل من الأشكال وبطلق عليها الدول الحبيسة، وزاد العدد بعد التطورات الأخيرة في أوربا ، فأصبح عددها الآن ثلاثة وأربعين دولة، ومعظم هذه الدول الحبيسة تجاورها أكثر من دولة وتعتمد الدول الحبيسة على الدول المجاورة في تصريف تجارتها، إذ تعتمد على البحر لتصريف جزء من تجارتها الخارجية، فضلا عما تجنيه منه، ولعل النزاع وعدم إتفاق الدول الساحلية على المياه الإقليمية والمياه الاقتصادية خير دليل. وتصبح الدول الحبيسة بالتالي في وضع لا تحسد عليه، إلا إذا ضمنت حق المرور البري في المياه الإقليمية، والحصول على تسهيلات من مواني الدول الساحلية، ووسائل نقل من هذه المواني إلى الداخل، أى أنها تبحث عن مجموعة من الضمانات وإلا أصبحت من ناحية الموقف السياسي الدولي في عزلة، وقد يترتب على هذا الوضع قيام كثير من نزاعات الحدود بغرض تأمين ممرات أو منافذ حرة ودائمة إلى البحر.

فأقد أصبحت المحيطات مسالك وطرقا للقوة في عصر التقدم التكنولوجي بعد أن كانت تمثل فواصل مائية ضخمة تعزل البشر بعضهم عن بعض . إذ نقلت البحار ثروات المستعمرات من خامات زراعية وصناعية إلى الدول المستعمرة، وساعدت على غناها وقوتها، وما زالت تفرغ السفن إلى الآن هذه الخامات في مواني الدول الصناعية، حيث تقوم الصناعة في أحوال كثيرة لتفادي تكاليف النقل إلى الداخل، هكذا يتدفق سيل من السلع والأفكار على هذه المدن والمواني، وفي كثير من الأحوال تمثل القلب النابض بالنشاط الإقتصادي (المواني الشرقية للولايات المتحدة الأمريكية. مواني غرب أوربا ... إلخ)، هذا بينما لا تجد الدول الحبيسة مفرًا من نقل السلع منها وإليها عبر المواني الأجنبية، وأملها الوحيد أن يتم هذا عبر أقرب المواني إليها وأرخص الطرق دون أن تجد صعوبات أو عقبات، وهذا يتوقف على علاقة الدولة الحبيسة بجاراتها أو جيرانها، لأن الدولة أو الدول الساحلية قادرة على غلق هذه المسالك في وجهها.

الدول الحبيسة

أفريقية	آسيا	أوروبا	أمريكا الجنوبية
بتسوانا	أفغانستان	أندورا	بوليفيا
بوروندي	بوتان	النمسا	براجواي
أفريقيه الوسطى	لاوس	تشيك	
تشاد	منغوليا	سلوفاكيا	
ليسوتو	نيبال	ليشتنشتاين	
مالاوى	سكيم	لوكسمبورج	
مالى	أرمينيا	سويسرا	
النيجر	أذربيجان	سان مارينو	
زيمبابوى	طجيكستان	مدينة الفاتيكان	
رواندا	كازخستان	المجر	
سوازيلاند	تركمستان	بلوروسيا	
أوغندا	أوزبكستان	مولدوفا	
بوركينافاسو	قرغيزستان		
زامبيا			
إثيوبيا			

الوصول إلى البحر عن طريق الأنهار:

إذا كان النزاع للوصول إلى البحر قديماً، فقد ظهر بصورة جلية فى القرن التاسع عشر، ويجب أن تشير فى هذا المجال أنه ليس من الضروري أن تكون الدولة محرومة من السواحل لتكون فى حاجة إلى موانئ غيرها ، فقد يكون الساحل قصيراً أو صخرياً أو لا يصلح لقيام الموانئ فيه لسبب أو لآخر، من ثم تقوم مثل هذه الدولة بتمتية ميناء أو موانئ على نهر يمر فيها، وينتهي فى دولة أجنبية مجاورة، وإذا أغلقت دولة المصب هذا المنفذ عزلت الدولة الداخلية تماماً، وهذا ما حدث فعلاً عندما أغلق الهولنديون مصب الشلدا أمام البلجيكي فى منتصف القرن السابع عشر، وعزل ميناء أنتورب البلجيكى عن البحر لمدة بلغت نحو قرن ونصف، حتى أمكن لجيوش الثورة الفرنسية غزو هولندا، وفتح مصب الشلدا للملاحة عام ١٧٩٢، وأعلن مجلس قيادة الثورة الفرنسي بأن العقوبات التى وضعت أمام التجارة، هي مناقضة تماماً للمبادئ الأساسية للقانون الطبيعى ، فمجارى الأنهار ملكيتها وإستخدامها لكل الدول التى تجرى فيها، ثم كانت لاتحة الملاحة الدولية التى أقرتها الدول فى مؤتمر فيينا عام ١٨١٤، والتى إستندت إليها الولايات المتحدة الأمريكية فى حق مرور تجارتها فى نهر سنت لورنس إلى المحيط الأطلنطي.

وتستخدم المجارى النهرية أيضا بواسطة الدول الساحلية التي بحثت عن مخرج إضافية، ففي المثل السابق مازال الشلد يعتبر مخرجا رئيسيا لبلجيكا التي تطل على بحر الشمال، كذلك يخدم نهر بارانا وروافده جنوبي البرازيل ويخدم سانت لورنس الولايات المتحدة الأمريكية، كما تستخدم ألمانيا أنهار وقنوات هولندا في حركتها التجارية رغم أن لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية سواحلها وموانئها المتعددة.

الوصول إلى البحر بواسطة الممرات :

كانت فكرة الممرات **Corridos** تعتبر حلا مناسباً ومستخدماً لحل مشكلات الدول الحبيسة وخاصة في أوروبا، قبل أن تستقر الحدود السياسية، وقبل تبادل الأراضي، ولكن هذه الفكرة غير مقبولة الآن ولا ينصح بها أحد لأوغندا أو زامبيا أو بوليفيا، ولكنها كانت مستخدمة في أوربا منذ نحو نصف قرن كحل لسلام دائم لا تقطعه عزلة الدول الحبيسة، وأشهر هذه الممرات هو الممر البولندي الذي ظهر على الخريطة السياسية عقب الحرب العالمية الأولى، ذلك أن بولندا بدون مخرج على بحر البلطيق تصبح دولة حبيسة، فضلا عن أن منافذها إليه سوف تكون تحت رحمة دولة لها معها تاريخ طويل من العداء والبغضاء (ألمانيا). فكانت فكرة الممر البولندي لإيجاد مخرج طبيعي في مقابل حرية حركة الألمان على الطرق والسكك الحديدية التي تمر بين ألمانيا وبروسيا الشرقية، وكان تحديد الحدود السياسية في المنطقة القريبة من بحر بلطيق صعبا لأن أغلبية السكان من الألمان، وأدى هذا إلى فصل بروسيا الشرقية عن بقية الوطن الألماني، وتحويل ميناء دانزينج الذي يسكنه الألمان إلى ميناء حر تحت إدارة عصبة الأمم، وظل سكان دانزينج الذي يسكنه الألمان إلى ميناء حر تحت إدارة عصبة الأمم، وظل سكان دانزينج من الألمان (٤٠ ألف نسمة) على ولائهم لألمانيا، وظلوا يطالبون بالعودة إليها وشيدت بولندا ميناء جديدا إلى الشمال الغربي من دانزينج عام ١٩٢١، وبعد إنتهاء هذا الميناء الجديد توقفت الحركة في ميناء دانزينج، ونظرا لما أصاب هذا الميناء من ركود، فقد أصبح مركزا للدعاية النازية في الثلاثينيات، وإستغل هتلر بطالة سكان ميناء دانزينج والممر البولندي في المطالبة بعودة هذه الأراضي، حتى كانت الحرب العالمية الثانية وضم ألمانيا له، ثم طرد الروس للألمان مرة أخرى، وتحركت حدود ألمانيا إلى نهر الأودر. وعندما تحصل الدولة الداخلية على ممر، فإن هذا معناه إتساع في مساحتها وإن كان قد يؤدي إلى تشويه في شكلها، ولكن المهم إنها تمد سياستها على الممر وهو حل مستحب للدولة الداخلية بدلا من الحصول على تسهيلات في السكك الحديدية أو الأنهار أو مواني الدولة الساحلية المجاورة، لأنها لا تمتد بسيادتها في الحالة الأخيرة.

وكان البولنديون يصرون دائما على أنهم لم يحصلوا على منطقة الممر لأنهم يمثلون دولة حبيسة فحسب، بل وإن من يعيشون فيها بولنديون وليسوا بألمان، وطبقا لحق تقرير المصير الذي إنتشر عقب الحرب العالمية الأولى، فإنه (يصبح من حق بولندا وليس من حق ألمانيا).

والممر القطبي **Arcatic corridor** أو الممر الفنلندي نموذج لوصول الدولة إلى البحر، فعندما حصلت فنلند على إستقلالها من روسيا عام ١٩٢٠، حصلت أيضا على الممر الفنلندي وكأنه كان هدية عيد ميلاد الدولة الجديدة، ويشبه الممر الفنلندي نظيره البولندي، وفي نفس الوقت يختلف عنه، يشبهه في أنه يعطى منفذا إلى البحر، ذلك أنه رغم أنه لفنلند سواحل على خليج فنلند وخليج بوثنيا، فموانئها متجمدة طوال الشتاء، وبالتالي يتيح الممر القطبي ميناء شتويًا يصله تيار الخليج الدافئ ولكن وجه الاختلاف عن الممر البولندي يأتي من كون الممر الفنلندي شبه خالي من السكان، ذلك أن فنلند في فصل الشتاء تعتبر معزولة، وقد أقيم ميناء بتسامو على أمل أن يبرر خلق هذا الممر، ولكن بينما يتصل الممر البولندي بقلب الدولة تقريبا، فإن الممر الفنلندي بعيد عن قلب الدولة ومراكز نشاطها الإقتصادي في الجنوب، فالرحلة البحرية الطويلة إلى ميناء مفتوح شتاء، فضلا عن نقل السلع مرة أخرى إلى جنوبي البلاد جعله ذو أهمية ضئيلة بالنسبة لنشاط فنلند التجاري، ولم يزد عدد سكان ميناء بتسامو بعد عشرين عاما من إنشائه على ألفين من السكان، لذلك لم يكن هناك ما يبرر أهمية هذا الممر الفنلندي، وقد ضمه الإتحاد السوفيتي عام ١٩٤٥، أي بعد الحرب العالمية الثانية.

وتتعدد الممرات في القارات الأخرى، وفي أفريقية نجد نموذجين للممرات في كل من زائير وناميبيا، فقد إستبدلت الحكومة البلجيكية (المستعمرة للكنغو) عام ١٩٢٧ مساحة ميل مربع واحد بأربعمائة وثمانين ميلا مربعا مع البرتغاليين، وكان هذا الميل المربع لتنمية ميناء متادى على مصب نهر زائير. أما أصبع كابرقي في ناميبيا، فقد وافق عليه مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ تحت ضغط ألمانيا لربط جنوب غرب أفريقية بنهر الزمبيزي الدولي (وإن كان الغرض الفعلي غير ذلك، بل ربط جنوب غرب أفريقية بتتجانيا الألمانية وقطع طريق القاهرة - الكاب البريطاني ولم يؤد هذا البروز في خريطة جنوب أفريقية الغرض المطلوب، وإن كان قد أدى غرضا آخر إستراتيجيا منذ عام ١٩٦٥ مع ظهور زامبيا المستقلة المعارضة للنظام العنصري في جمهورية جنوب أفريقية فبدأت الحكومة الأخيرة في إنشاء قواعد عسكرية في هذا الأصبع لمواجهة الحركات التحررية التي تغير عليها من زامبيا.

المرور أو الترانسيت:

والحل الثالث والأخير لمشكلة الدول الحبيسة هو حرية المرور لتجارتها، وهذا فعلا ما تعتمد عليه معظم الدول الحبيسة في العالم، وقد عقد مؤتمر دولي في برشلونة عام ١٩٢١، ووقعت أربعون دولة ساحلية على إتفاق يقضى بالسماح ومساعدة حركة التجارة للدول الحبيسة عبر أراضيها إلى أقرب ميناء، دون تمييز أو ضرائب أو مكوس، كما عقدت إتفاقيات ثنائية كثيرة بين الدول التي لم توقع على ذلك الإتفاق، عقدت الأمم المتحدة مؤتمرا بهذا الخصوص عام ١٩٥٨، ودعت له ممثلوا إثنتا عشر دولة حبيسة، وكان هناك إعتراف بحق هذه الدول في حرية المرور، ولكننا نلاحظ أنه في عام ١٩٥٨، لم تكن هناك دولة أفريقية واحدة ممثلة، بينما هناك اليوم خمسة عشر دولة أفريقية حبيسة، وهذا معناه

مضاعفة عدد الدول الحبيسة، بالتالي يحمل هذا معه مشكلات مضاعفة، فقد تضطر مالي وبوركينا فاسو إلى التحول بتجارتها عن أقرب الموانئ إليها وهو داکار، وذلك لسوء العلاقات في بعض الأحيان مع السنغال، كذلك الحال في أوغندا، فمفذهما الوحيد على المحيط الهندي وهو ميناء ممبسا الكيني كما تعتمد تشاد على الموانئ النيجيرية، وتعتمد بوركينا فاسو على أبيدجان في كوت ديفوار.

وتعتبر زامبيا في أفريقية نموذجا لما عانته وتعانيه دولة حبيسة تعتمد على النحاس كصادرها الرئيسي، وكان خام النحاس يخرج من زامبيا قاطعا طريقا طوله ١٥٠٠ كم (كالمسافة بين باريس وموسكو) أما إلى ميناء بيرا في موزمبيق، أو ميناء لوبيتو في أنجولا، وكلاهما كان مستعمرة برتغالية حتى عام ١٩٧٥، كما أعلنت روديسيا استقلالها غير الشرعي عام ١٩٦٥^(١)، وكان الطريق عبر روديسيا وموزمبيق هو أفضل الطرق بل كان أهمها جميعا قبل توليد الكهرباء من سد الكاريا لأنه يمر في حقول فحم وانكي في روديسيا، ويتزود منها بالوقود، وتحمل العربات الفحم إلى زامبيا في رجوعها لتعدين نحاس زامبيا، ولكن هذا الطريق الذي استخدم كمخرج للنحاس وكمدخل لواردات زامبيا لعقود عديدة، لم يكن من السهل استخدامه لتوتر العلاقات بين زامبيا وروديسيا، وإيواء زامبيا لحركات التحرير.

وأدى هذا إلى صعوبات جمة أول الأمر، ونظمت بريطانيا طلعات جوية تحمل الوقود الضروري إلى زامبيا حتى لا يصاب إقتصادها بشلل، ولم تستطع زامبيا أن تصدر سوى ٣٠ ألف طن من النحاس بدلا من المتوسط العام، وهو ٦٠٠ ألف طن بالطريق البري إلى تنزانيا، والتي كانت بدورها تستقبل واردات زامبيا، بينما الباقي كانت تحمله الخطوط الحديدية إلى لوبيتو على المحيط الأطلنطي، ولما كانت هذه الإجراءات غير كافية، وقعت كل من تنزانيا وزامبيا إتفاقا عام ١٩٦٩ مع الصين لمد خط حديدي يمتد من زامبيا إلى تنزانيا بقرض قدره ١٥٠ مليون جنيه إسترليني يسدد بدون فائدة على مدى ثلاثين عاما.

بدأ العمل فيه عام ١٩٧٠، وإنتهى عام ١٩٧٤، ودشن في أكتوبر ١٩٧٥، ويربط هذا الخط سكك حديد زامبيا عند موبوشي، ويسير لمسافة ١٨٧١ كم ليصل إلى دار السلام عبر أراضي وعرة وخاصة في قطاعه الجنوبي، ولكن الإنهاء منه حرر زامبيا من القيد الذي وضع لها، كما زاد في عزلة روديسيا وقوى الروابط بين زامبيا وتنزانيا.

وهكذا رغم أن الدول تحترم تعهدا بحرية مرور التجارة للدول الداخلية فيمكن للدول الداخلية أن تواجه صعوبات، إذا ما تدهورت العلاقات، كما رأينا في حالة زامبيا، وكما هو الحال في برلين الغربية، قبل الوحدة الألمانية، ويذهب البعض أن حرية المرور لم تكن ذات أهمية لإقليم في أوروبا كما هو الحال بالنسبة لبرلين الغربية، فعندما تقدم الحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية نحو ألمانيا كان الروس أسبق إلى إحتلال العاصمة برلين، وبذلك وقعت في كاملها ضمن القطاع الروسي وإتفق على تقسيمها إلى برلين الشرقية

(١) نالت روديسيا استقلالها الفعلي عام ١٩٨٠ باسم دولة زيمبابوي.

(النفوذ الروسي) وبرلين الغربية (كانت مقسمة بين قوات الإحتلال الفرنسية والإنجليزية والأمريكية)، وبنت ألمانيا الشرقية سور برلين - فضلا عن شبكة الأسلاك المكهربة على نهر سبيري، وأصبح مركز الكتلة الغربية حرجا لأن برلين بشطريها تقع ضمن ألمانيا الشرقية، وكانت الكتلة الغربية تتصل ببرلين الغربية عن طريق خط حديدي، وطريق سيارات، وكان هناك تهديد فعلى يحاصرها، وقطع هذين الطريقين عام ١٩٤٨، وعزلت برلين الغربية عن ألمانيا الغربية.

قضية المياه فى الوطن العربى (الموارد الطبيعية)



المياه رمز الحياة وسرها،
كانت وما تزال، السبب في
إزدهار الحياة ونموها، وربما
في تدميرها أحيانا، في العالم
قاطبة وفي الوطن العربى
تخصيصاً.

ندرة المياه :

تعتبر قضية المياه هي قضية العصر بحق لأن ندرة المياه العذبة تشكل خطورة على الإقتصاد والحياة فى جزء كبير من العالم، فهناك نحو ٣٠ دولة معظمها تقع فى المنطقة العربية وأفريقية لا تفي الموارد المائية فيها بإحتياجات السكان فى الوقت الحاضر، فما بالك بعد سنوات عشر، فيجب النظر إلى المياه على أنها مورد محدود، وإذا كان هذا حقيقة الآن فى الوطن العربى، فإنه يمكن القول بأن هذه المشكلة قديمة فيه، فالمنطقة العربية يغلب عليها الجفاف وفى أحسن الأحوال تدخل أجزاء منها فى الإقليم شبه الجاف، على حين ما يخرج من هذه النطاقات هي أقصى الأطراف الشمالية حيث المطر شتاء، والأطراف الجنوبية ذات المطر الصيفي.

السكان كما وكيفاً: غير أن ما يزيد من هذه المشكلة فى الوطن العربى فى عالمنا المعاصر هو زيادة السكان زيادة كبيرة، ففي منتصف الستينيات كان عدد سكان الوطن العربى يدور حول ١٠٠ مليون وأصبح عام ٢٠٠٠ نحو ٢٩٠ مليوناً، ولاشك أيضاً أن هناك زيادة فى المساحات المزروعة والتي تتطلب زيادة مياه الري لمواكبة هذه الزيادة، وتختلف نوعية السكان الآن عن نوعيتهم منذ نصف قرن، إذا ارتفع مستوى المعيشة،

ويصحب ارتفاع مستوى المعيشة زيادة في استخدام المياه، وقد قدر أن الإنسان البدائي يستهلك نحو ٢,٥ لتر يوميا، على حين أن الإنسان في الدول المتقدمة يستهلك نحو ١٤٠ لتر يوميا، كذلك صاحب زيادة السكان زيادة النمو الحضري السريع، ثم لا ننسى التصنيع في هذا المجال، فتغليب كجم واحد من الخضروات يستهلك نحو ١٠ لترات من الماء، في حين أن كجم واحد من الألبان الصناعية يستهلك ٤ لترات، بينما تقفز في حالة الألبان الصناعية إلى ١٤٠ لترا، ومما هو جدير بالذكر أيضا موجه الجفاف والتصحر التي تضرب المنطقة العربية وأجزاء كبيرة من إفريقية تدخل في الحساب.

الموارد السطحية: وإذا نظرنا للوطن العربي وأنهاره لوجدنا ظاهرة جديرة بالتسجيل، وهي أن ١١ دولة غير عربية تتحكم في ٨٥ % من مياهه، وحتى في مناطقه الممطرة وجدنا أمطارها غير منتظمة وتسقط على هيئة رخات ثقيلة في مدد قصيرة، فسواحل الشام وسواحل الجزائر يسقط عليها (بيروت، الجزائر) نحو ٧٥ سم وهو ما يعادل ما يسقط في بعض أجزاء بريطانيا ولكن هناك يسقط أو موزع على معظم العام، على حين أنه يتركز في الشام والجزائر في نحو ١٥ يوما، تعاني أيضا المنطقة من الذبذبات الحادة، فدمشق يسقط فيها نحو ٢٦ سم في المتوسط سقط منها في أحد الأيام نحو ١٠ سم.

(١) تركيا ونهب المياه العربية

مشروع السلام الذي تجمد:

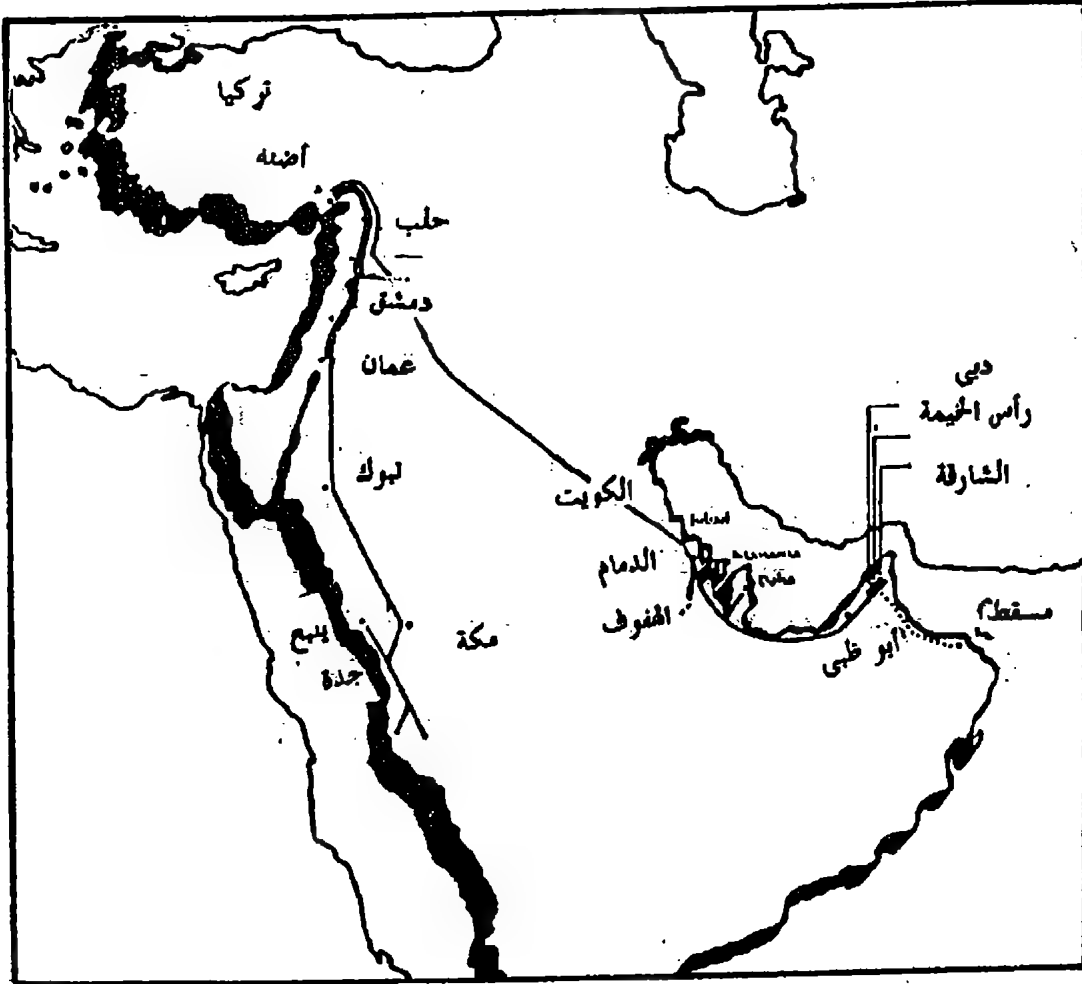
خرجت تركيا على العالم العربي عام ١٩٨٦ بمشروع أنابيب السلام، وخلاصة هذا المشروع هو مد أنابيب من المياه من منابعها في نهري سيحان وجيحان، خط شرقي يتجه إلى سوريا والأردن وغربي المملكة السعودية (المدينة المنورة، ومكة المكرمة)، ويحمل ٣,٥ مليون متر مكعب يوميا، والخط الشرقي ويحمل ٢,٥ مليون متر مكعب، ويمتد في العراق، ودول الخليج حتى الإمارات، ومن ثم تباع تركيا المياه لهذه الدول، ويتكلف المشروع ما بين ١٧، ٢٠ مليار دولار ولم يلق المشروع نجاحا إذ عارضته أكثر من دولة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية.

دجلة والفرات:

وإذا بدأنا بدجلة والفرات ومشكلة المياه بين سوريا وتركيا والعراق لا بد وأن نعلم أن منابع النهرين في هضبة الأناضول، وحين يتجهان نحو الجنوب ترصد دجلة أنهار عديدة من سفوح الهضبة الإيرانية، ولذلك فمتوسط تصريف دجلة نحو ٤٤ مليار م^٣، على حين أن متوسط تصريف الفرات نحو ٢٩ مليار م^٣، وبعد أن يجري الفرات من منابعه التركية باتجاه سوريا يدخلها عند جرابلس، ويخترق سوريا لمسافة ١٨٠ كم قبل أن يدخل العراق عند البوكمال، وبلنقى الفرات بدجلة ليشكلا معا شط العرب الذي ينتهي في الخليج العربي، وتمثل هذه الثلاثية في الإشتراك في مجرى نهر الفرات والإفادة منه مزيدا من التعقيد على مسألة هذا النهر، وقد قامت تركيا بتنفيذ المراحل الأولى من مشروع الأناضول الكبير

الذي يهدف إلى ري أراضي جنوب شرقي تركيا وزيادة إنتاج تركيا من الكهرباء بمقدار الثلث، ويتكلف هذا المشروع نحو ٣٠ مليار دولار.

مشروع السلام : خط الأنابيب الغربي وخط أنابيب الخليج



والذي يتضمن إقامه ٢١ سدا على نهري دجلة والفرات (منها ١٧ سدا على الفرات) ،
١٩ محطة كهربائية ، وبدأت بإقامة أربعة سدود كبرى وهي :

أتاتورك، وكيبان، كراكب وأخيرا سد برجيك الذي بدأت فيه تركيا قرب الحدود السورية وكلها على نهر الفرات، بل وحبست المياه عن سوريا والعراق لمدة شهر كامل من ٣ يناير / ٣ فبراير ١٩٩٠ غير عابئة بالإحتياجات السورية العراقية، بل وأعلن سليمان ديميريل رئيس الوزراء التركي " بأن تركيا سيدة على مياه الأنهار التي تتبع فيها "، وإن كان قد رجع في هذا وعزاه إلى سوء فهم حدث لدى وسائل الإعلام، وكان نتيجة إحتباس المياه خطره بالنسبة لسوريا، نقص الماء اللازم للري، عدم تشغيل سد الطبقة (في سوريا) بالكامل لتوليد الكهرباء، وملء خزانات المياه في المنازل بواسطة

العربات، هذا فضلا عن أن تركيا قبل ذلك حولت مياه نهر قويق الذي كان يمد حلب بالمياه.

وتعتبر سوريا أكثر تضررا من المشروعات التركية، لأن العراق لديها نهر دجلة وأقامت مشروعات من قبل كسد سامراء، وملء بحيرة الحبانية من سد الرمادي، وكذلك سد الهندية، وإذا كانت سوريا قد أقامت سد الطبقة بمساعدة السوفيت ويحجز بحيرة مساحتها ٦٠٠ كم^٢ ومحطة كهرباء تضم ٨ تربينات ولكنها تعمل بثلاث طاقتها ويتدنى مستوى التشغيل لعدم إمتلاء البحيرة كما ذكرنا (١).

١ - موقف تركيا :

(أ) أن نهري دجلة والفرات ليسا نهري دوليين وينطبق عليهما وصف المياه العابرة للحدود *Transboundary Rivers* وأن لتركيا حق السيادة على مياههما، وأن المباحثات حول وضع النهرين، يجب ألا تتركز حول موضوع قسمة المياه، وإنما على موضوع الإستخدام الأمثل، وأن هذين النهرين اللذين ينبعان من أراضيها يشكلان مصدرا طبيعيا خاصا بها، وبالتالي فإن لها مطلق الحق في التصرف بمياههما على اعتبار ((أن الفرات ودجلة وروافدهما هي ملك لتركيا إلى الحدود مع هذين البلدين وأن تركيا يمكنها أن تستخدمهما مثلما تريد)) . وإذا كانت هناك قسمة فيجب أن تكون على أساس الإستخدام الأمثل للمياه.

(ب) أن تطبيق مبدأ " الإستخدام الأمثل " وفق وجهة النظر التركية ، يتطلب القيام بدراسات فنية موسعة للتربة في البلدان الثلاثة ويتم بتشكيل لجان فرعية تتولى تحديد أصناف التربة وتحديد أنواع المحاصيل الزراعية التي يتوجب زراعتها دون غيرها، وفي ضوء ذلك يتم تحديد الإحتياجات المائية ، وبذلك يضيع الوقت حتى تتم مشاريعها ، وتضع سوريا والعراق أمام الأمر الواقع.

(ج) إعتبار حوضي نهر دجلة والفرات حوضا واحدا معتبرة أن النهرين ينبعان من حوض واحد في تركيا وبلتقيان في العراق مكونين شط العرب وعلى ذلك فإن دجلة والفرات هما رافدان للنهر المذكور ويترتب على ذلك أن يجري التعامل معهما على هذا الأساس، وأن يتم وضع الحسابات الفنية وبحث موضوع الإحتياجات المائية للبلدان الثلاثة وفقا لذلك ، وعلى هذا الأساسى تستمر تركيا في تنفيذ مخططاتها متجاهلة حقوق سوريا والعراق، متبعة مبدأ المغالطة، وتضييع الوقت.

٢ - الموقف العراقي السوري:

(أ) أن نهري دجلة والفرات هما نهرا دوليان وفق مختلف القواعد والمبادئ القانونية الدولية المستقرة، ويترتب على ذلك أن تكون السيادة على مياه النهرين مشتركة بين الدول

(١) أنظر سوريا والعراق في كتابنا الوطن العربي، الأنجلو المصرية، ٢٠٠.

الثلاث. وأن تأكيد تركيا لأكثر من مرة على سيادتها المطلقة على نهري دجلة والفرات حتى حدودها الإقليمية، وكذلك تأكيدها على اعتبار مياه نهري دجلة والفرات مياه تركية عابرة للحدود وعدم إعترافاها بكون النهرين نهريين دوليين لتبجح لنفسها حقاً مطلقاً في التصرف بمياههما، غير آبهة بحقوق الدول الأخرى التي تشترك معها في حوض النهرين، يعد إنتهاكاً فاضحاً لقواعد القانون وللأعراف الدولية.

(ب) ضرورة التوصل إلى إتفاق ثلاثي يحدد الحصص المائية لكل بلد على أسس عادلة ومنصفة تقوم على قواعد القانون الدولي وما جرى عليه التعامل بين الدول في مجال إستغلال مياه الأنهار الدولية إضافة إلى الأحكام القانونية المتعلقة بهذين النهرين. وفي هذا الصدد قدم العراق مقترحات تهدف إلى قسمة عادلة لمياه نهر الفرات بما يضمن حقوق الأطراف الثلاث، ولكن يبدو أن تركيا ومن خلال حججها قد سارت بالموضوع مساراً آخر مما يعنى تنصلها من التزاماتها بشأن موضوع تحديد الحصص المائية الذي كان يفترض أن يتم في فترة أقصاها سنتين من تاريخ تشكيل اللجنة المشتركة عام ١٩٨٠. ولذلك فإن اللجنة وبالرغم من عقدها لستة عشر إجتماعاً كان آخرها في عام ١٩٩٢، فشلت في تحقيق هذه المهمة.

(ج) إن دجلة والفرات نهرا ن منفصلان قائمان كل بذاته، ويؤكد بذلك الواقع الفعلي والظروف الجغرافية، فكل نهر ملهما، حوضه، ومساره، ومنطقته، وأن إتقائهما بعد آلاف الكيلو مترات من الملتح لا يعنى ألهما راقدان للنهر الذي يشكلانه لمسافة لا تتجاوز الـ (١٠٠) كم وعلى ذلك فهما نهرا ن مستقلان بكل المقاييس والحسابات والإعتبارات الفنية والجغرافية والقانونية والتاريخية.

إسرائيل ولهب المياه العربية

يمتد نهر الأردن بطول ٢٥٣ كم ومن روافده الرئيسية بالباس، والدان، والحصباني، من جنوب لبنان ومدخل بحيرة طبريا حاملان في المتوسط نحو ٩٠٠ مليون م^٣ وقد سبق لإسرائيل أن جفلت بحيرة الحولة وحولتها إلى أراضى زراعية.

وتكاد إسرائيل الآن أن تكون المستفيد الوحيد من مياه نهر الأردن، فضلاً عن إستنزاف المياه الجوفية لمصالحها، فهي تغلق الآبار في غزة وتسحب المياه الجوفية من منطقة النقب، وتحفر آبار أكثر عمقا في تل أبيب وحيفا ويافا، ومنذ عام ١٩٦٤ تحصل إسرائيل على ٧٥ % من المياه بطرق غير شرعية فأقامت خزان البطوف، لتغذية قناتان واحدة من بحيرة طبرية، والثانية من اللبثاني، وقد ردت قمة الرؤساء العرب عام ١٩٦٤ على المشروعات الإسرائيلية الخاصة بإستنزاف مياه الأردن بمشروعات تشغيل ١١٠ مليون م^٣ من البانياس إلى نهر اليرموك، وأقامة سد المخبية على نهر اليرموك لتغذية الغور الشرقية (الأردن) الغور الغربية (الضفة الغربية) ولكن المشروع العربي لم يكتمل لقيام حرب ١٩٦٧، بل وأصبح تحت يدها مياه اللبثاني والوزاني والحصباني وفي عملية اللبثاني عام ١٩٨٢ إستغلت الشريط الحدودي على نهر لتسرق مياه اللبثاني وحين إتفقت

الأردن وسوريا على إقامة سد الوحدة على نهر اليرموك، أو عزت إسرائيل إلى البنك الدولي بعدم الموافقة وتمويل المشروع إلا بموافقة الدول الثلاث المعنية سوريا، الأردن، إسرائيل، فتوقف المشروع، وقامت إسرائيل بتحويل جزء من مياه نهر اليرموك إلى بحيرة طبريا (٧٠٠ مليون م^٣) وكان إحتلالها للجولان من أهم أدوات تحكمها في نهر اليرموك، هذا فضلا عن إستنزاف مياه الجولان الجوفية في خدمة المستوطنات الإسرائيلية هناك.

هكذا أصبحت إسرائيل تتحكم في مياه بلاد الشام بضخ ثلث مياه الليطاني بأنبوب طوله ١٢ كم عند بلدة الخردالي، فضلا عن إستغلالها مياه الحصباني الواقعة في أسفل جبل الشيخ، ومنع السكان من الوصول إلى منابع النهر ومن الطريف أن بعثه البنك الدولي التي زارت لبنان في مارس ١٩٩٦ إقترحت أن يبيع لبنان ما يلقيه نهر الليطاني في البحر وقدره ٢٥٠ مليون م^٣ بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار.

وفي الحق أن المشروعات الإسرائيلية لنهب المنطقة العربية لا تنتهي، فهي تستولي على الأرض ولكن الماء ليس أقل أهمية، فضلا عن مطالبتها بالسلام دون أن تعطي العرب شيئا، فمشروع ليشح كالي للسلام، يدعو إلى تحويل نهر الليطاني واليرموك إلى بحيرة طبريا، وإرواء صحراء النقب بمياه النيل ١١، وهذه الفكرة الأخيرة راودت أذهانهم، ولكنها مستحيلة بطبيعة الحال، لأن مصر دائما تشكو من نقص المياه المتزايد، وفي أشد الحاجة إلى نقطة المياه للتوسع الزراعي في سيناء والصحراء الغربية، فضلا عن أن نهر النيل نهر دولي تشترك فيه تسع دول أخرى غير مصر، فهو ملك لدول الحوض.

(٢) مياه النيل بين مصر والسودان

كان لإعتماد مصر إعتقادا يكون تاما على النيل في إنتاجها الزراعي، وفي إقتصادها بعمامة أثره الكبير في الإهتمام بالنهر، وبالكشف عن منابعه، ثم بمحاولة الإستفادة منه إلى أقصى حد وتأمين إحتياجاتها من مياهه، فأهمية النيل لمصر تختلف عن أهميته بالنسبة لبقية أقطار حوض النيل، فهو في أوغندا مثلا لا تعدو أهميته أكثر من توليد الكهرباء لوفرة الأمطار، ومن ثم لم يكن مشروع سد أوين الذي نفذ على مخرج بحيرة فيكتوريا إلا مشروعا لتوليد الكهرباء، بينما هو لجمهورية مصر العربية مشروع لزيادة إيرادات النيل من الهضبة الإستوائية. ثم يزداد الإعتداد على النيل كلما تقدمنا نحو الشمال أي نحو المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، وفي السودان مساحات شاسعة يمكن أن تعتمد على المطر في الزراعة وتشمل السودان الجنوبي ومساحات كبيرة في السودان الأوسط. ولكن تصبح الأراضي الزراعية بعد الخرطوم مقصورة على أراضي الوادي الضيق الذي يظهر أحيانا ويختفي أحيانا أخرى.

ولم يكن هناك إتفاق رسمي قبل سنة ١٩٢٩ حتى عقد في ذلك العام إتفاق يستمر العمل به حتى سنة ١٩٥٩، حينما عدل باتفاقية أخرى راعت الظروف الجديدة والتطورات الحديثة التي مر بها كل من القطرين الشقيقين.

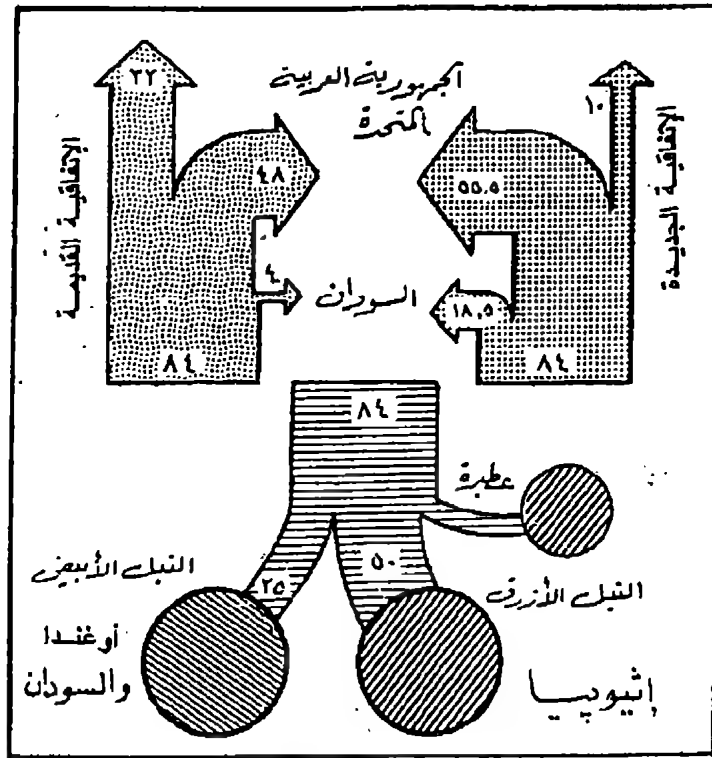
إتفاقية نوفمبر ١٩٥٩:

بعد ما يقرب من ثلاثين عاما من إتفاقية ١٩٢٩، ونظرا لحاجة القطرين إلى إستغلال مياه النيل والإنتفاع بإيراده، رأى الجانبان ضرورة عمل إتفاقية جديدة للإتفاق على عمليات ضبط النهر، وتضمنت الإتفاقية عدة جوانب.

أولا - الحقوق المكتسبة الحاضرة:

- ١- ما تستخدمه جمهورية مصر من مياه حتى هذا الإتفاق (وهو ٤٨ مليار من الأمتار المكعبة عند أسوان) هو حق مكتسب لها.

توزيع مياه النيل (المقدار بالبيليون متر مكعب)



- ٢- ما تستخدمه جمهورية السودان من مياه النيل حتى هذا الإتفاق (وهو ٤ مليارات من الأمتار المكعبة مقدرة عند أسوان) وهو حق مكتسب لها.

ثانيا - توزيع فوائد مشروعات ضبط النهر:

- ١- توافق الجمهوريتان على أن تنشئ جمهورية مصر العربية خزان السد العالي كأول حلقة من سلسلة مشروعات التخزين على النيل.
- ٢- توافق الجمهوريتان على أن تنشئ جمهورية السودان خزان الروصيرص أو أي أعمال أخرى تراها جمهورية السودان لازمة لإستغلالها لنصيبها.

٣- يحسب صافى فائدة السد العالي على أساس متوسط إيراد النهر الطبيعي عند أسوان سنويا (٨٤ مليار) ويستبعد من هذه الكمية الحقوق المكتسبة للجمهوريتين (بند أولا) مقدرة عند أسوان، كما يستبعد منها فائض التخزين المستمر فى السد فينتج عن ذلك صافى الفائدة التي توزع بين الجمهوريتين.

٤- يوزع صافى فائدة السد العالي بين الجمهوريتين بنسبة ١٤,٥ مليار م ٣ للسودان و ٧,٥ مليار م ٣ لجمهورية مصر العربية فى ظل الإيراد فى المستقبل فى حدود المتوسط (٨٤ مليار) وإذا ظلت فواقد التخزين المستمر على تقديرها الحالي بعشرة مليارات ، فإن صافى الفائدة فى هذه الحالة.

$$٨٤ - (٤٨ + ٤ + ١٠) = ٢٢ \text{ مليار.}$$

ويصبح نصيب السودان منها ١٤,٥ مليار ونصيب جمهورية مصر العربية ٧,٥ مليار، وبضم هذين النصيبين إلى حقهما المكتسب فى البند الأول يصبح :

$$\text{نصيب السودان} = ٤ + ١٤,٥ = ١٨,٥ \text{ مليار .}$$

$$\text{نصيب مصر} = ٤٨ + ٧,٥ = ٥٥,٥ \text{ مليار .}$$

ويصير هذا بعد تشغيل السد العالي بالكامل، أما إذا زاد المتوسط عن هذا فإن الزيادة فى صافى الفائدة تقسم مناصفة.

٥- توافق الحكومة المصرية على دفع مبلغ خمسة عشرة مليونا من الجنيهات لحكومة السودان كتعويض شامل عن الأضرار التي تلحق بالتملكات السودانية نتيجة التخزين فى السد العالي لمنسوب ١٨٣ (١).

٦- من المسلم به أن تشغيل السد العالي الكامل للتخزين المستمر سوف ينتج عنه إستغناء جمهورية مصر عن التخزين فى جبل الأولياء. ويبحث الطرفان المتعاقدان ما يتصل بهذا الإستغناء فى الوقت المناسب.

ثالثا - مشروعات المياه الضائعة فى حوض النيل:

١- يتولى السودان بالإتفاق مع جمهورية مصر إنشاء مشروعات لزيادة إيراد النيل يمنع الضائع فى مستنقعات بحر الجبل وبحر الزراف والنيل الأبيض، ويوزع صافى الفائدة مناصفة، كما يساهمان فى تكاليفهما مناصفة وتتولى جمهورية السودان الإتفاق على المشروعات السابقة من مالها وتدفع جمهورية مصر نصيبها فى التكاليف.

٢- إذا دعت حاجة جمهورية مصر إلى البدء فى أحد المشروعات السابقة بعد إقرارها من الحكومتين فى وقت لا تكون حاجة جمهورية السودان قد دعت إلى ذلك، فإن

(١) قامت مصر بدفع هذا المبلغ على النحو التالي :

٣ مليون جنيه فى أول يناير ١٩٦٠ ، ثم ٤ مليون جنيه فى أول يناير من أعوام ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ .

جمهورية مصر تخطر السودان بالميعاد الذي يناسبها للبدء في المشروع، وفي خلال سنتين من تاريخ هذا الإخطار تتقدم كل من الحكومتين ببرنامج للإنتفاع بنصيبها في المياه، وبعد إنتهاء السنتين يمكن لمصر التنفيذ بتكاليف من عندها، على أن تدفع السودان نصيبها من التكاليف عندما تنهيا لإستغلال نصيبها.

اللجنة الدولية للري والصرف:

وبهذه المناسبة فإن اللجنة الدولية للري والصرف التي مركزها الهند والتي مصر عضو أساسي فيها بدأت فعلا في وضع شروط دولية في معاملة الدول مع بعضها التي تقع في حوض نهر واحد يسمونها الأنهار الدولية.

- ١- يبدأون في تحديد نصيب كل دولة من مياه النهر التي تستعملها فعلا في مطالبتها المختلفة وتعرف بحقوق الإتفاق وتكون هذه أساس المحاسبة.
- ٢- يؤخذ في الإعتبار إذا كانت الدولة لها مصدر آخر للمياه.
- ٣- هل تستعمل الدولة مياه هذا النهر من قديم الأزل تاريخيا . ٤- مقدار إعتماد الدولة على الزراعة كلية أم تعتمد على مصدر آخر مثل الصناعة.
- ٥- نصيب كل دولة من الأمطار.
- ٦- نصيب كل دولة من المياه الجوفية.
- ٧- هل توجد الغابات والصحارى والأراضي الصالحة للزراعة.
- ٨- عدد سكان كل دولة.



Better health

through better

water

الفصل الثاني

مشكلات أساسها الظروف البشرية والإقتصادية

أولاً : قضية الدين

(١) الدين وإسرائيل

تحتل فلسطين في قلب كل عربي مكانة فريدة، ذلك أنها أرض عربية إغتصبت من أهلها، لتقع في أيدي مهاجرين من شتى أنحاء الأرض، لا يربطهم جنس، أو لسان، ولا يتحدثون في قومية، منهم أجناس مختلفة، يتكلمون السنة متعددة، منهم من هاجر من روسيا، ومنهم من هاجر من ألمانيا، وفي نفس الوقت منهم من أتى من اليمن، ومن المغرب، وأشتات من سكان الأرض لا يجمعهم سوى أنهم يهود، أي أساسها الدين والثقافة الدينية، فقد وظفت الحكومة الصهيونية العامل الديني لخدمة أهدافها السياسية، خاصة في مجال تشجيع عملية الهجرة إلى فلسطين وتشجيع الإستيطان في بداية تأسيس الدولة، والواقع أن لجوء الأيديولوجية الصهيونية السياسية إلى تبني الأفكار والرموز الدينية بشكل مباشر كانت تمده عدة دوافع لعل أهمها أن تحقق من خلالها نوع من المشروع الدينية التي تحقق لها إنتشاراً جماهيرياً واسعاً وتكون محل قبول من كافة التيارات الإجتماعية والعرفية والحضارية وإستيعاب الجميع تحت مظلة الدين.

وما كانت إسرائيل منذ نشأتها - في واقع الأمر إلا " حارة يهود" كبرى كان حلم اليهود ومنتهى آمالهم أن تضمهم "حارة اليهود الكبرى" هذا وقد راودهم هذا الحلم منذ القرون الوسطى، إلى أن جاء " هرتزل " (١٨٦٠-١٩٠٤) في مؤتمر عقد بمدينة " بازل " السويسرية الذي حول هذا الحلم الخيالي إلى نظرية سياسية عنصرية، هي الصهيونية " وقد حرص " هرتزل " على أن يجمع اليهود تحت مظلة الصهيونية، ليس من منطلق المصلحة وحماية الذات فحسب بل عمل على صبغ دعوته بطابع ديني، هو التجمع حول معبد سليمان، وإعادة أمجاد دولة اليهود في "أورشليم" التي إندثرت منذ ألفي عام أو تزيد، وأصبح الشعار الذي يتبادلته اليهود طوال القرن الماضي هو "تراكم العام القادم في أورشليم" وقد كان في إمكانهم - لو حسنت نياتهم، أن يقبلوا ما عرض عليهم من تأسيس وطن قومي في بلاد أكثر خصوبة وأوفر خيراً، فقد عرض عليهم الإنجليز - إتقاء لشركهم وتنفيذاً لوعده إستلبوه منهم - وهو وعد بلفور - الذي قيل عنه وبحق أنه صدر ممن لا يملك لمن لا يستح، عرضوا عليهم، بعض مستعمراتهم في أواسط إفريقية أو في الأجزاء الخالية من أستراليا.

وكان هناك رأى عام لا يستهان به بين اليهود - وعلى وجه خاص بين اليهود الشرقيين ومن كانوا يقيمون في مصر - يدعوا إلى قبول هذا العرض السخي.

المتطرفون:

الا أن هؤلاء المغالين الذي تمتلكهم دعوة "العام القادم في أورشليم" تغلبوا على هؤلاء

المعتدلين . . . وبدأت بعصابات الإرهاب مثل " أرجون زفاى ليومي وبقايا الفيلق اليهودي في الحرب العالمية " الهاجانا " وتوصل اليهود إلى إغتصاب أرض فلسطين من أهلها العرب عنوة وغدرا، وقامت إسرائيل.

ورغم أن المسار التاريخي للحركة الصهيونية أدى إلى تغليب الاتجاه العلماني فإنها دعت إلى توظيف الاتجاه الديني لخدمة أهدافها السياسية خاصة من أجل تشجيع الهجرة إلى فلسطين في بداية تأسيس الدولة الإسرائيلية، حيث كان أنصار الاتجاهات الدينية غالبا من يهود شرق أوروبا.

أحزاب دينية:

بعد قيام الدولة تم تهميش هذه التيارات، فترسخ الطابع العلماني للدولة، وقام على أساسه نظام سياسى على النمط الغربي - وفي هذا الإطار شكلت التيارات الدينية - أحزابها الخاصة، واضطرت إلى الإعراف بشرعية الدولة وأن لم يمنع ذلك من وجود طوائف دينية شديدة التطرف خارج نطاق هذه الأحزاب، لا تعترف بشرعية الدولة أصلا، كذلك لم تكن الأحزاب الدينية ذات توجه واحد بل وجدت بينها دائما الكثير من الاختلافات الأيديولوجية وكانت الإتفاقات إحدى سماتها المميزة.

والواقع أن استمرار وجود هذه الأحزاب الدينية وتصاعد دورها يرتبط وطبيعة المجتمع الإسرائيلي بكل ما يحمله من تناقضات. فقد شكلت موجات الهجرة المتتالية ذات الأصول الغربية والشرقية تيارات ثقافية ولغوية وحضارية متباينة، طبعت بقوة التركيبة السكانية للمجتمع الإسرائيلي وأبرزت هويته غير المتجانسة، وقد أفضت هذه الخاصية التي يغذيها المد الديني المتطرف، خاصة بين أبناء الطوائف اليهودية ذات الأصول الشرقية، الذين وجدوا أنفسهم في وضع أدنى إجتماعيا، وأحيانا مهماشا، قياسا بأقرانهم من ذوى الأصول الغربية، فضلا عن الفروقات الثقافية بينهم والتي جعلتهم يبحثون عن الاحتفاظ بهوية متميزة من خلال الدين ، وقد غذى هذا الصراع بدوره الأبعاد الإجتماعية والإقتصادية التي وقفت وراءه.

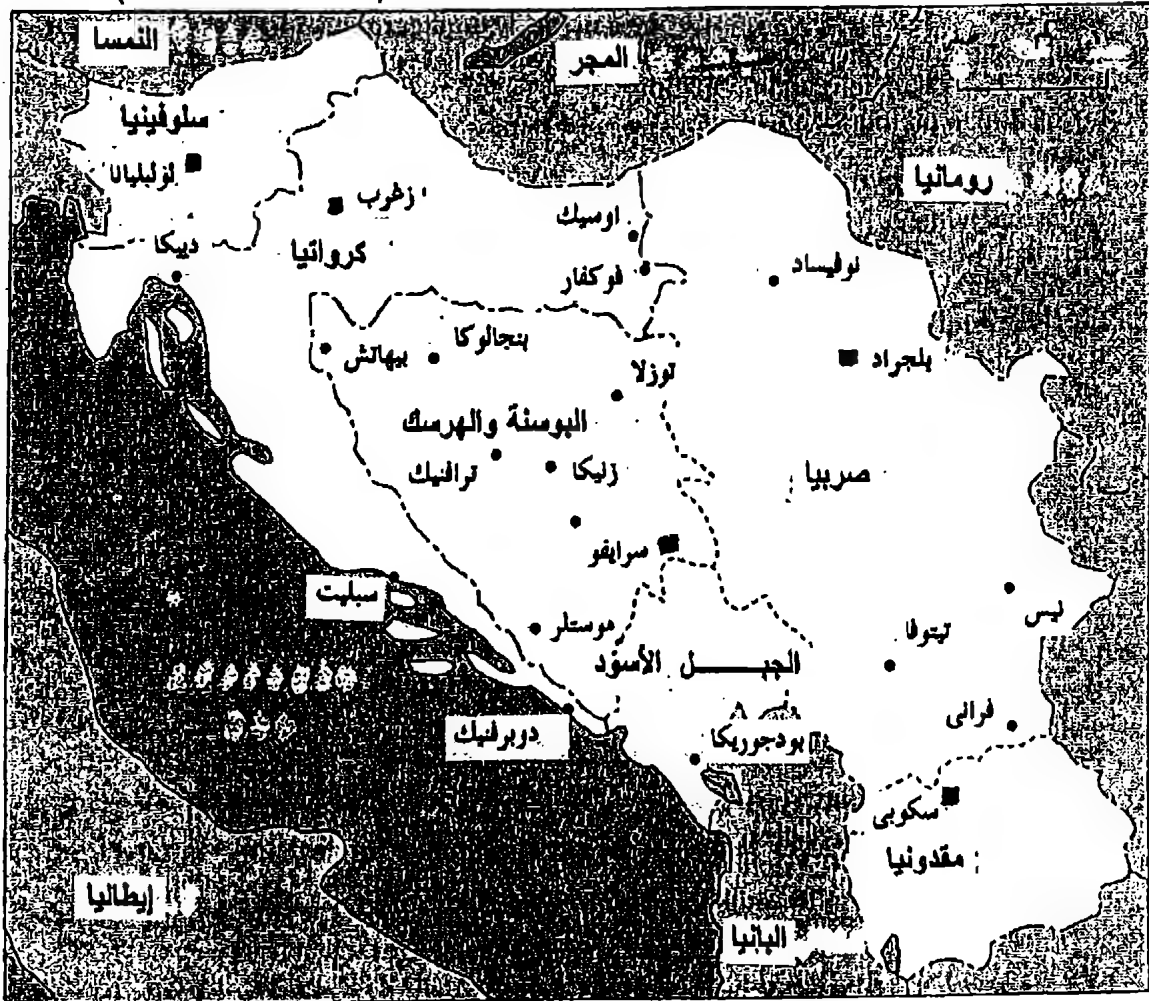
وتضغط هذه الأحزاب إلى جانب الليكود على تكثيف النشاط الإستيطاني ووضع مدينتي القدس والخليل اللتين تعتبرهما هذه الأحزاب ومعها الطوائف الدينية المتطرفة من المناطق الدينية المقدسة التي لا يجوز الإنسحاب منها، وبالتالي تزداد النيران اشتعالا في المنطقة.

(٢) قضية البوسنة والهرسك

خصوصيات يوغسلافيا (السابقة): كان لموقع يوغسلافيا بين الإمبراطوريتين العثمانية والنمسا والمجر قبل الحرب العالمية الأولى له أثره في أنها كانت تمثل خط المواجهة بين الإمبراطوريتين من ناحية، ومن ناحية أخرى تعددت فيها الأديان، الإسلام والمسيحية بفرعيها الكبيرين من الكاثوليكية والأرثوذكسية، وعلى عكس ما يعتقد البعض بأن الإسلام دخلها مع تقدم العثمانيين في القرن الخامس عشر، فإنه بدأ يتسرب إليها

تدرجيا منذ القرن التاسع الميلادي، وبلغ ذروته مع تقدم العثمانيين، وإحتلالهم لهذا الإقليم نحو أربعة قرون، ثم خضعت بعد ذلك لإمبراطورية النمسا والمجر، حتى كانت نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨، وإتحاد الصرب والكروات وسلوفينيا معا باسم مملكة صربيا وأصبح إسمها يوغسلافيا (السلاف الجنوبيون) عام ١٩١٩، ثم تعرضت مرة أخرى للغزو الألماني والإيطالي في الحرب العالمية الثانية، ودمرت البلاد تدميرا شبة تام، وكان الكروات في تلك الحرب يميلون إلى الألمان، بينما كان الصربيون يميلون إلى بريطانيا. على العموم كان الغزو والدمار الذي أصاب البلاد له أثره في توحيد الجميع تحت قيادة "تيتو" في جيش التحرير السري الذي كان يقاوم الإحتلال الألماني، حتى إنتهت الحرب عام ١٩٤٥، وقد إزدادت الشعوب اليوغسلافية تماسكا.

شكل رقم (٢٤) : جمهوريات يوغسلافيا السابقة (البوسنة والهرسك)



وعملت الظروف الطبيعية الوعرة الصعبة على عدم الإندماج الكامل بين شعوب الإقليم، فالبلاد ثلاثة أرباعها جبلي (يزيد على ٢٠,٠٠٠ متر) تمزقه الأودية الضيقة التي قد تنتهي بأحواض متسعة بعض الشيء مثل حوض لوبليانا، وتتحد المرتفعات الساحلية إلى ساحل الأديراتي بمدرجات شديدة الإنحدار وسهول ضيقة للغاية.

يوغسلافيا السابقة فيدرالية :

لذلك كانت يوغسلافيا — السابقة — نموذجا للدولة الاتحادية التي تضم داخل حدودها مزيجا من الأعراق والقوميات المغايرة، حيث ضمت ست جمهوريات بالإضافة إلى إقليمين يتمتعان بالحكم الذاتي، والجمهوريات هي صربيا، الجبل الأسود، كرواتيا، سلوفينيا، مقدونيا، والبوسنة، الهرسك، أما الإقليمان فهما كوسوفو وفوودينا.

وقد عبر تيتو باتقان شديد وهو يتحدث عن يوغسلافيا، بقوله شعوب لها حروف مكتوبة مختلفة (السيريلية واللاتينية). وثلاثة أديان (الأرثوذكسية والكاثوليكية والإسلام) وأربع أمم (الصرب والكروات والسلافينيون والمقدونيون). وخمس لغات (السلوفينية والصربي كرواتية والمونتينيغرية والمقدونية والألبانية). وست جمهوريات (سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والجبل الأسود والصرب ومقدونيا) وأخيرا حزب واحد هو الحزب الشيوعي.

ومن هذا المنطلق، نص الدستور الفيدرالي في يوغسلافيا على السماح لشعوب هذا البلد بالتعامل بلغتهم بحرية، ودون ممارسة أية تفرقة من جراء ذلك ولكن مع إرساء الشعور في نفس الوقت بأن الجميع متساوون داخل مجتمع اشتراكي في دور التكوين، وحق كل مواطن في يوغسلافيا أن يعيش في أي جمهورية يشاء. ويتمتع بكامل حقوق وصلاحيات أي مواطن آخر وكذلك عرف الدستور اليوغسلافي الأقليات بأنها فقط الذين ينتمون إلى دول خارج الاتحاد الفيدرالي كالأقلية الإيطالية أو الألبانية، ولما كان لصربيا وضعا فريدا من حيث عدد السكان نحو ١٢ مليون نسمة، أي نحو نصف مجموع السكان فقد أنشأ تيتو داخلها إقليمين يتمتعان بالحكم الذاتي (فوودينا) وكوسوفو.

بداية الانفجار في يوغسلافيا:

إذا كان تيتو قد نجح في التحكم في التناقضات الموجودة بين مكونات الاتحاد وداخل جمهورياته، فإن رحيله عام ١٩٨٠، وعدم وجود شخصية تتمتع بثقل سياسي أو تاريخي، فضلا عن الفشل في التأقلم مع التغيرات التي سادت بلدان شرق أوروبا وسقوط الهياكل الفيدرالية للاتحاد السوفيتي، أدى إلى تفجر الصراعات في يوغسلافيا.

وكانت البداية إعلان الحزب الشيوعي اليوغسلافي في أوائل ١٩٩٠ تخليه عن إحتكار السلطة في البلاد ، والسماح بتعدد الأحزاب، وقامت أحزاب جذورها عرقية، وإذا بكرواتيا وسلوفينيا تناديان بالإستقلال عن الاتحاد ، وإن كان ثمة إتحاد فليكن كونفدرالي (إتحاد جمركي عملة واحدة ، توحيد سياسة النقل والمواصلات والزراعة والطاقة مع إحتفاظ كل دولة بحقها في تشكيل قوات مسلحة، وتظل هناك إمكانية تشكيل فرق عسكرية مشتركة) كما يحتفظ الأعضاء بحقهم في إبرام معاهدات دولية، وإقامة مجتمع دبلوماسي مع المجتمع الدولي.

وعارضت صربيا النمط الكونفدرالي نظرا لوجود نحو ثلاثة ملايين صربي خارج صربيا، وبالتالي سيتحولون إلى أقليات في وحدات الإتحاد الكونفدرالي.

أما البوسنة والهرسك فقد تمت نونجا وسطا يقوم على أساس تحويل يوغسلافيا إلى إتحاد يضم جمهوريات ذات سيادة (كوفندرالي) مع وجود قوات مشتركة تتوازن فيها الإنتماءات العرقية، ويراعى في تنظيم جميع مؤسسات الدولة المساواة في أعداد ممثلي كل جمهورية.

صراع الصرب مع سلوفينيا وكرواتيا:

أعلن برلمان جمهورية سلوفينيا وكرواتيا الإستقلال في ٢٥ يونيو ١٩٩٠ وأندلع الصراع بين الحكومة المركزية والجيش الإتحادي من جانب وجمهورية سلوفينيا من جانب آخر، وبعد وقف القتال، عاد الإندلاع بين الحكومة والجيش الإتحادي وصرب كرواتيا من جانب، والجيش الكرواتي من جانب آخر، وهو القتال الذي إستمر قرابة نصف العام وسقط خلاله نحو عشرة آلاف قتيل بسبب وجود أقلية صربية ضخمة في كرواتيا (٦٠٠ ألف نسمة أو نحو ١٢ % من السكان) وفي أعقاب ذلك إعترفت المجموعة الأوربية بإستقلال سلوفينيا وكرواتيا في ٢٥ يناير ١٩٩٢٧.

تعميد الصراع في البوسنة والهرسك :

ما أن تمكنت المجموعة الأوربية ومعها الأمم المتحدة من وضع حد للمعارك الدائرة في سلوفينيا وكرواتيا، حتى بدأت الأنظار تتجه إلى جمهورية البوسنة والهرسك، وكانت المخاوف كبيرة من إندلاع صراع في هذه الجمهورية للعديد من الأسباب نذكر منها :

١- من الواضح أن أراضي البوسنة تقع بين فكي كماشة (الكروات مما يجعلها شبه محاصرة من جانب الكروات في الشمال والشرق والغرب، ومن جانب الصرب في الجنوب.

٢- الإنقسام العرقي الحاد في هذه الجمهورية، حيث توجد ثلاثة أعراق (قوميّات إذ ينظر إلى الدين على أنه قومية) وهي المسلمون ويشكلون نحو ٤٣,٧ % من عدد سكان الجمهورية البالغ ٤,٣ مليون نسمة ، ثم الصرب ٣١,٣ % من السكان ، وأخيرا الكروات ويشكلون نحو ١٧,٢ % من السكان.

٣- وظف الدين كعنصر من عناصر الصراع ، سواء كان الإختلاف دينيا أي مسلمون / مسيحيون أو مذهبي بين الأرثوذكس (الصرب) والكاثوليك (الكروات).

٤- تقاطع الإنقسامات العرقية / القومية / الدينية مع الخريطة الجغرافية حيث لكل عرق / دين / قومية مناطق تركّز خاصة به، فضلا عن وجود مناطق أخرى مختلطة المزيج العرقي / القومي / الديني يحمل معه في نفس الوقت ميراثا من العداء الشديد سواء بين الصرب ، والكروات والمتمثل في التاريخ الطويل بينهما حيث يتهم الصرب، الكروات بالتعاون مع النازي إبان الحرب العالمية الثانية، أو بين الصرب والكروات من ناحية والمسلمين من ناحية ثانية، إذ ينظر الصرب والكروات للمسلمين في البوسنة وباقي مناطق يوغوسلافيا (مقدونيا وكوسوفو) على أنهم إمتداد للإمبراطورية العثمانية.

أن الصرب يوجهون الاتهامات إلى المسلمين ولا يزالون بأنهم إرتكبوا ذنبا تاريخيا لأنهم "خانوا دين أجدادهم المسيحيين" ثم يقولون بأن المسلمين لا يشكلون مجموعة عرقية متميزة بل يؤكدون بأنهم صرب إعتنقوا الإسلام ويعتبر هذا أحد تبريراتهم لتصفية المسلمين وتشريدتهم وهدم حضارتهم المادية والمعنوية، لكن التاريخ يشهد بأن البوسنيين قبل إعتناقهم الإسلام في القرن الخامس عشر والسادس عشر لم يكونوا صربا ولا كرواتا لأن الوعي القومي الكرواتي والصربي لم يتكون في البوسنة والهرسك إلا في القرن التاسع عشر، إن المسلمين قبل الإسلام كانوا بسنويين أو بوشناق.

٥- إن إندلاع الصراع في هذه الجمهورية يعنى تحويلها إلى قطعة من الجحيم حيث أن الصراع سوف يدور بين مناطق داخل الجمهورية المحاطة بباقي جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي، ومن ثم يمكن أن تتدخل كل جمهورية لصالح إمتدادتها في البوسنة فصربيا والجبل الأسود إلى جانب صرب البوسنة، وكرواتيا إلى جانب كروات البوسنة ويظل المسلمون دون سند خارجي لإستحالة تدخل تركيا أو أية قوى إسلامية قريبة من يوجسلافيا فهو أمر غير مسموح به أوربيا ودوليا الأمر الذي يعنى أن أي صراع يأتي على حسابهم.

حرب السنوات الأربع ١٩٩٢ - ١٩٩٥:

تعود الشرارة الأولى لصراع البوسنة - الهرسك إلى الإستفتاء العام الذي جرى في الجمهورية في فبراير ١٩٩٢ ، إذ صوت أغلبية السكان لصالح الإستقلال عن يوغسلافيا، وما إن تم إعلان النتائج حتى إندلاع الصراع بين الصرب من ناحية، أخرى وتدخل الجيش الإتحادي بجانب الصرب من أجل تمكينهم من السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من أرضي الجمهورية وفرض الأمر الواقع لحين التوصل إلى تسوية سياسية تأتي إنعكاسا لهذا الأمر الواقع، وأعلن صرب البوسنة دولتهم المستقلة في إبريل ١٩٩٢.

وكالمعتاد تدخلت المجموعة الأوربية وأبرمت العديد من إتفاقات وقف إطلاق النار إلا أن جميعها لم تصمد أكثر من عدة ساعات إذ سرعان ما كانت المعارك تتجدد بهجمات من ميليشيات الصرب المدعومة من الجيش الإتحادي الذي سيطر عليه الصرب.

وأسفرت المعارك الدائرة على أرض البوسنة - الهرسك عن تمكن الصرب من السيطرة على نحو ٧٠ % من أراضي الجمهورية على حساب المسلمين أساسا الذين دفعوا في جيوب كان من السهل محاصرتها. والملاحظ هنا أن الخطوط الفاصلة بين الفريقين المتصارعين غير واضحة . وأحيانا كان يتم تحالف إسلامي - كرواتي ولكنه تحالف مؤقت لتشابه الهدف في التصدي للعدوان الصربي، ومن ثم فإنه في الوقت الذي إتسم فيه الصراع بتحالف المسلمين والكروات في مواجهة الصرب، فإن مسار الصراع شهد العديد من التوترات بل والصراعات المسلحة بين المسلمين والكروات، وظهرت الصورة الحقيقية للصراع فكانت هناك معارك بين الصرب والكروات، وبين المسلمين والصرب في مناطق أخرى وثالثة بين المسلمين والكروات حسب التركيب العرقي للمكان والرغبة في تثبيت

إنتصارها على أرض الواقع ينعكس في الإتفاق النهائي لتقسيم الأراضي الجمهورية.
إتفاق دايتون:

بدأت المفاوضات بمشاركة رؤساء البوسنة وكرواتيا — والصرب — في نوفمبر ١٩٩٥ وتوصل زعماء الدول الثلاث إلى إتفاق سلام شامل ينهي الحرب في البوسنة.

ومن أبرز المبادئ التي تم إقرارها:

- الحفاظ على البوسنة — الهرسك كدولة واحدة في حدودها الراهنة المعترف بها دوليا.
- تقسيم الدولة إلى قسمين متساويين تقريبا: الإتحاد الفيدرالي المسلم — الكرواتي، وكيان مستقل لصرب البوسنة.

- الإبقاء على مدينة سراييفو موحدة، إذ ستكون هناك حكومة مركزية فاعلة تضم برلمانا ورئاسة ومحكمة دستورية تتولى السياسة والتجارة الخارجيتين، والسياسة المالية والمسائل المتعلقة بالمواطنة والهجرة.

- إن إختيار الرئيس والبرلمان سيتم من خلال إنتخابات ديموقراطية تحت إشراف دولي.

(٣) العنف الديني في الهند

يبلغ عدد سكان الهند نحو ١٠٠٠ مليون نسمة، يدين ٧٠٠ مليون منهم بالهندوسية، بينما يبلغ عدد المسلمين نحو ٢٥٠ مليون نسمة (أكبر تجمع إسلامي في إندونيسيا)، وأما الباقي منهم موزعون بين المسيحيين ٢٥ %، ٧ % من البوذيين، ثم طوائف أخرى، وكان شعار الهند منذ الإستقلال " الوحدة في إطار التعدد، والتعدد في إطار الوحدة " ورغم ذلك مازالت التعصب الهندوسي يعصف بوحدة الهند، فقد شهدت الهند أحداث عنف متعددة من جانب الهندوس ضد المسلمين ولعل آخرها كان هدم مسجد أبوديا.

القومية العلمانية أم الطائفية الهندوسية:

وثمة حركتان إنبثقتا في الهند بعد حصولها على الإستقلال، القومية العلمانية، والطائفية (أو الهندوكية) والمسيحية والإسلامية، وفي السنوات الأخيرة طوقت دولة الهند بتجمع كبير من أحزاب المعارضة قام على أساس من الكفاح الديني، ولعل الحركة الدينية القائمة على فكرة " هندوتفا " *Hindutva* هي دون شك أشد هذه الحركات خطورة.

ما هي الهندوتفا ؟

الهندوتفا، أيديولوجية تجعل التفوق للهوية الهندوسية، وتكرأية حقوق للأقليات الدينية، أو الهندوسية من الطبقات الدنيا، وقد ظهرت فكرة الهند الهندوسية عام ١٩٢٥. ويقول أصحاب هذا المذهب أن هندوستان هي أرض الهندوس، الأرض التي تزدهر عليها أمة الهندوس وحدها، ثم أكدوا أن " على الجماعات الأجنبية الموجودة في هندوستان، أن تعتنق

ثقافة البلد ولغته، والا تشغل بشيء سوى تمجيد الجنس والثقافة الهندوسيين، وتتخلى عن هويتها الخاصة وتذوب في الجنس الهندوسي (وهل الهندوسية جنس ؟).

والنتيجة الطبيعية في نظرهم هي أن غير الهندوسيين ليس لهم الحق في "أية مزية"، بل وأية معاملة طيبة، ولا في حقوق المواطنين، ويهاجمون غاندي ونهرو، دعاة الوفاق والصدقة بين الجماعات واتهماهما بأنهما "إرتكبا أبشع الخطايا، إذ هدما روح شعب قديم وعظيم".

وساعدت أفكار هذه الطائفة على قطع الرباط الهش الذي كان قائما من قبل بين الهندوسيين والمسلمين، ومع ذلك فليس ثمة عملية حربية منذ إنقسام البلد في عام ١٩٤٧ أسهمت في قطع هذا الرباط بقدر ما أسهم تدمير مسجد أيوديا عام ١٩٩٢، وهو الذي شيده الإمبراطور المغولي بابر، ويعتقدون أنه مبنى فوق معبد الهم المقدس رام.

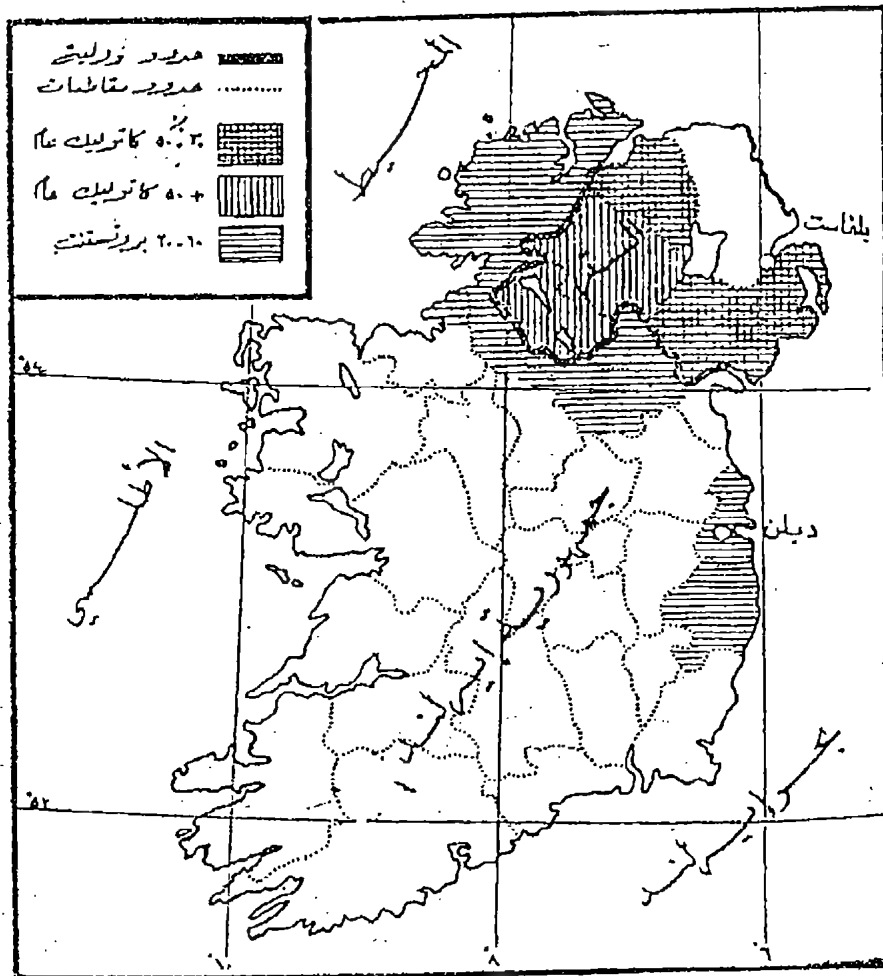
يقول رشيد الدين خان مدير المعهد الهندي للدراسات الفيدرالية "في ذلك اليوم بمدينة أيوديا القديمة في شمال الهند، أقبل المتعصبون الهندوسيون يحتفلون بشعائر دينية فنهبوا المسجد المقام على هذا الموقع المقدس لدى المسلمين، على إعتقاد بأنه رأس رام، وفي غضون الساعات التالية جرت مصادمات في كل أنحاء البلاد خربت فيها مساجد ومعابد هندوسية، وأجرت جماعات صغيرة من المتطرفين مذابح منظمة، وبخاصة في ممباي، وقتل عدد من المسلمين برصاص الشرطة أثناء المظاهرات، وإستمرت المصادمات بين الجماعات عدة أسابيع، وحدث رد فعل ضد الهنود في العديد من البلاد الإسلامية، وبخاصة في باكستان وبنجلاديش، سقط فيها قرابة ألفي قتيل".

(٤) أيرلند

تتكون جزيرة أيرلند من سهل منبسط لايزيد إرتفاعه على ٥٠٠ متر تحيط به المرتفعات من جوانبه، وكان لزحف الجليد آثاره السيئة على التصريف المائي في أيرلند، ذلك أنه ترك بعد تفهقره كثيرا من البحيرات والمستنقعات التي تصلها الأنهار البطيئة الجريان وأهمها نهر شنن، وكان لنظام التضاريس الذي تتوزع فيه المرتفعات على الأطراف والمنخفضات في الوسط أن ساء التصريف المائي، وأصبحت الأجزاء الوسطى والغربية مليئة بهذه المستنقعات وإذا كانت مساحة هذه الجزيرة نحو ٣٢,٠٠٠ ميلا مربعا، فإنه لا يسكنها سوى ما يقرب من ٤,٧٥ مليون نسمة. وعلى العكس المملكة المتحدة تعتمد أيرلند على الإنتاج الزراعي والحيواني. وتبلغ المساحة المزروعة ربع مساحة البلاد. وقد عانت البلاد كثيرا من جراء إعتمادها على الإنتاج الزراعي وحده وسوء الأحوال الجوية، مما أدى إلى نقص محصول البطاطس وحدث المجاعات، ولعل مجاعة عام ١٨٣٠ هي أشهرها حين كان يسكن الجزيرة نحو ٨ ملايين نسمة. فهلك منهم نحو المليون بين ١٨٤٦، ١٨٥٠، وهاجر نحو نصفهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا. وتهتم أيرلند بتربية الماشية وخاصة الأبقار وذلك لإنتشار المراعي التي تبلغ مساحتها ثلاثة أمثال المساحة المزروعة. ويأتي الشوفان في مقدمة الحاصلات الزراعية يليه القمح والشعير إلى

جانب البطاطس والبنجر. وقد حاولت الحكومة منذ الحرب العالمية الأولى زيادة مساحة القمح والبنجر لزيادة إكتفائها الذاتي ولكنها فشلت لعدم ملائمة المناخ والتربة للتوسع الزراعي فيها. وتفتقر الجزيرة إلى الموارد المعدنية وموارد الوقود بحيث تستغل اللبـد النباتي *Peat* وهو من النباتات القديمة المتحجرة، وذلك عكس بريطانيا الغنية بموارد الفحم. وكان لهذه الاختلافات في إقتصاديات كل من البلدين وإنعزال الجزيرة عن بريطانيا، وفضلا عن غلبة الكاثوليكية على الجزيرة بإستثناء القسم الشمالي الشرقي الذي تغلب عليه البروتستانتية. مما أدى إلى إختلاف أحوال السكان.

مشكلة أيرلند



التمييز ضد الكاثوليك:

بانتهاء الحرب الأهلية البريطانية عام ١٦٩٠ في موقعه بوين شمالي دبلن، بإنتصار أوليم الثالث ملك إنجلترا البروتستانت على جيمس الثاني (مازال البروتستانت يحتفلون بيوم أول يولية إلى الآن في شمالي أيرلند) ظهرت قوانين التفرقة العنصرية ضد الكاثوليك،

والعمل على منعهم قدر الإمكان من الحصول على الوظائف العامة، بل وإملاك الأرض، وأغلقت القنوات السياسية الطبيعية أمامهم، مما أدى إلى تراكم السخط وعدم الرضاء، ولم يحصل الكاثوليك على حق عضوية البرلمان إلا في عام ١٨٢٩ بعد مصائدات كاثوليكية / بروتستانتية عنيفة، من ثم كان سجل هذه العلاقات يتميز بالقسوة والدموية، فتاريخ الأيرلنديين هو تاريخ إستياء وإمتعاض، زاد منها تلك الصراعات، الرهيبة التي تعرضت لها البلاد، من ثم فهذا التاريخ من الحزازات والبغض، هو الذي يغذى إلى اليوم تلك الإضطرابات العنيفة التي تحدث في أُلستر *Ulster* حتى الوقت الحاضر.

وكانت إستجابة بريطانيا لمأساة إيرلند بطيئة في نظر الأيرلنديين، يكفي أن عملية التسوية التي بدأت عام ١٨٨٠ واستمرت ٣٥ عاما حتى إنتهت بإتفاق ١٩٢٠، وبمقتضاه منح القسم الجنوبي والغربي إستقلالاً ذاتياً، ويضم هذا القسم ٨٤ % من المساحة، ٦٨ % من السكان، وأخذ الجزء المستقل أسماء عديدة، منها جمهورية إيرلند الحرة (١٩٢٢ - ١٩٣٧) وإيرلند (١٩٣٧ - ١٩٤٩)، جمهورية إيرلند منذ ١٩٤٩، وكان هذا الإستقلال على أساس أن تظل ضمن مجموعة الأمم البريطانية، بينما ظل القسم الشمالي (أُلستر) تابعا لبريطانيا، ولا ترضى إيرلند عن بقاء الجزء الشمالي أو إقليم أُلستر تابعا لبريطانيا، بل تعتبره جزء منها.

الوضع الخاص بأُلستر (شمالي أيرلند) :

وإذا كانت العلاقات البريطانية الأيرلندية كانت سيئة لعدة قرون، فقد زادت سوءا خاصة في القسم الشمالي من الجزيرة منذ بداية هجرات البروتستانت من سهول اسكتلند وإنجلترا منذ عام ١٦٠٨، وزرعهم في إيرلند، فكان تثبيت لغرباء في أرض جديدة في شمالي أيرلند أو في إقليم أُلستر، ومحاولة إخضاع المقاومة الكاثوليكية العنيفة، من ثم أصبح لأُلستر خصائص تتميز بها عن بقية إيرلند التي إستوطنها بروتستانت يفلحون الأرض، فإن القسم الشمالي أو أُلستر تغلب عليه البروتستانتية والأقلية الكاثوليكية، وإذا كانت جمهورية أيرلند يغلب عليها الكاثوليكية تبلغ نحو ثلث السكان، وإذا فصلنا قليلا وجدنا نسبة البروتستانتية إلى الكاثوليكية ٣ : ١ في ثلاث مقاطعات بينما في مقاطعة فرماناغ يمثل الكاثوليك الأغلبية، وفي الحق من الصعب تحديد حدود لايرلند الشمالية دون ترك أقاليم فالحدود التي أتفق عليها، لم يقصد بها أن تكون حدودا دولية، ولم تتخذ هذه الصفة إلا في عام ١٩٤٩، بعد أن أصبحت أيرلند جمهورية مما أدى ببريطانيا إلى إصدار تشريع يضم أيرلند الشمالية إليها، إلى أن يأتي وقت ترغب فيه الغالبية إتخاذ وضع آخر، وظل هذا موقف الحكومة البريطانية. وفي ذلك الجزء الذي ضم إلى بريطانيا (أُلستر)، أصبحت البروتستانتية شعارا ورمزا لهؤلاء المستوطنين، والذين يؤيدون البقاء كجزء من البيت البريطاني، بينما الكاثوليكية هي هوية الذين تمسكوا بعقيدتهم.

وإذا كان وضع الأقلية الكاثوليكية إختلف اليوم عن القرن الثامن عشر، وأن البروتستانت مازالوا يسيطرون على كل شئ في البرلمان، والحكومة والبوليس والإسكان، وكل ما في الحياة اليومية، ويكفي أن البروتستانت في برلمان أيرلند الشمالية المحلي

يكادون يحتكرون مقاعده منذ ١٩٢١ نتيجة تخطيط حدود الدوائر الانتخابية بحيث تضم أغلبية بروتستانتية.

وفي مدينة لندن ديرى ثان أكبر مدن إيرلند الشمالية (بعد بلفاست العاصمة) يتألف مجلس المدينة من البروتستانت، على حين أن ثلثي سكانها من الكاثوليك، وأتفق التقسيم المذهبي مع التقسيم الإجتماعي، فإذا كانت هناك طبقة متوسطة من كل من الكاثوليك والبروتستانت، فإن أغنياء البروتستانت يفوقون أغنياء الكاثوليك، بل الأكثر فقرا تجددهم من بين الكاثوليك، ولديهم نسبة البطالة أعلى، وأدى هذا إلى قيام حركة الحقوق المدنية للكاثوليك **Catholic Civil right movement** مقابل الحركة الوحشية **Loyalist Movement** بين البروتستانت أى الوحدة والولاء لبريطانيا لمقاومة مطالب الإستقلال عن بريطانيا، وكان غرض حركة الحقوق المدنية الكاثوليكية التي تأسست عام ١٩٦٧ في بلفاست جميع أنشطة الجمعيات العديدة التي تهدف إلى إصلاح أحوال الكاثوليك، وقامت الجمعية بعدة مظاهرات غير مخططة بحيث خرج الأمر من يدها، وقابلت الحكومة البريطانية الحقوق المدنية ببرنامج إصلاحى، أعلن في ١٩٦٨ بالمساواة، في كل الميادين، وبدأت مناقشات خاصة بإيجاد مجلس للنواب والشيوخ يكون فيها التمثيل على أساس نسبي، ولكن تطورت الأحوال بسرعة وتدهورت الأحوال لنشاط الجيش الجمهوري الأيرلندي **IRA** (*) الذي صعد الجهاد، والذي كان له دور كبير قبل ذلك في إستقلال جمهورية إيرلند، وأدى هذا بالحكومة البريطانية إلى إرسال آلاف الجنود البريطانية، وأخذت الأمر بيدها وجمعت الإدارة في يد وزير شئون إيرلند.

وقامت بإستفتاء في الإقليم عام ١٩٧٣ قاطعة الثلث الكاثوليكي، بينما صوت الثلثان من البروتستانت في جانب البقاء مع بريطانيا، وحرر بالتالي الكتاب الأبيض الخاص بالإصلاح الدستوري لإيرلند الشمالية، مؤكدا بقائها جزء من بريطانيا طالما رغبت الأغلبية هذا الوضع، ولكن مع إقامة هيئتين تنفيذية وتشريعية يمثل فيها كل من الكاثوليك والبروتستانت، وإن ينتخب ثمانية عشر عضوا لبرلمان وستمنستر (مجلس العموم)، وتظل الحكومة البريطانية مسئولة عن الشؤون الخارجية والدفاع وقد ازدادت أعمال العنف بين الطائفتين في أيرلندا الشمالية أو الستر، بل ونقل الجيش الجمهوري الأيرلندي عنفه إلى خارج إيرلندا إلى قلب لندن ذاتها، وقابل البروتستانت هذا بزيادة أعمال العنف التي يقومون بها داخل الأحياء الكاثوليكية إتفاق الجماعة العظيمة (١٩٩٨) بتدخل من الولايات المتحدة الأمريكية وضعت خطوط عريضة للتسوية أهمها:

- ١ - انتهاء مطالبة الجيش الجمهوري الأيرلندي بالوحدة مع جمهورية إيرلند.
- ٢ - موافقة حزب الستر الاتحادي (بروتستانت) على تقاسم السلطة مع الجمهوريين (الكاثوليك) عبر تشكيل برلمان للإقليم وهيئة تنفيذية مشتركة تدبر أموره باستقلالية على

(*) الشين فن هي الجناح السياسي للجيش الجمهوري الأيرلندي (كاثوليك) ويقابله حزب الستر الاتحادي (بروتستانت).

السلطة المركزية في لندن.

ويكن :

- لم يتضمن الاتفاق على موعد محدد لنزع أسلحة الميليشيات العسكرية أو وضع القوات البريطانية في الإقليم.
- عدم تحديد علاقة هذه المسائل بعملية اقتسام السلطة في الإقليم، من ثم سرعان ما ظهرت الخلافات والأزمات بين القوتين السياسيتين (الشين فين وحزب الستر الاتحادي لاختلاف رؤى كل منهما.

ثانياً: قضية التركيب العرقي

(١) تشيكوسلوفاكيا والانشطار السلمي

ودع ١٦ مليون تشيكوسلوفاكي عام ١٩٩٢ كمواطنين في دولة واحدة، وأستقبلوا العام الميلادي الجديد وقد إنقسموا إلى ١٠,٥ مليون تشيكي و ٥,٥ مليون سلوفاكي. وخرج الأولوف من السكان، لاسيما الشباب، إلى شوارع براج، عاصمة تشيكيا، وبراتيسلافا عاصمة سلوفاكيا، يحتفلون ويلوحون بالأعلام.

عوامل التفكك وظروف الإنهيار:

على الرغم من أن الدعوة للإنفصال ليست جديدة على التاريخ التشيكوسلوفاكي، وبخاصة فيما يتعلق بمحاولات إستقلال سلوفاكيا، إلا أن التغير والتحويلات التي شهدتها تشيكوسلوفاكيا وأوربا منذ عام ١٩٨٩ والممثلة في إنهيار المنظومة الإشتراكية ثم إنهيار الإتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، وما أعقبها من إحترام الأزمة الإقتصادية التي شهدتها تشيكوسلوفاكيا، و التي إنعكست أثارها السلبية على الشطر السلوفاكي بوجه خاص، كل ذلك أدى إلى إنبعث فكرة الإنفصال بين الشعبين، وأخذت الفكرة تكتسب تدريجيا، ولنتذكر في هذا السياق وعبر إحدى محطات التحضير للإنفصال، القرار الرسمي الصادر عن البرلمان الفيدرالي في عام ١٩٩٠ والقاضي بتغير إسم الجمهورية من جمهورية تشيكوسلوفاكيا إلى (جمهوريتي تشيكيا وسلوفاكيا)، حتى تطورت خطوات العملية الإنفصالية سريعا، ومن المفارقات التي لا تخلو من دلالة على أن يكون عمر جمهورية تشيكوسلوفاكيا المحتضرة، هو عمر الإتحاد السوفيتي السابق نفسه، ذلك أنها بزغت للوجود كدولة بعد عام واحد بالضبط من قيام ثورة أكتوبر البلشفية عام ١٩١٧. كما أنها لفظت آخر رمق من حياتها بعد عام واحد بالتمام والكمال من إعلان وفاة الإتحاد السوفيتي أي في مطلع ١٩٩٢. لكن هناك بونا شاسعا بين طبيعة وظروف الإنهيارين .. فلم تكن تشيكوسلوفاكيا طوال عمرها تحت ظل النظام الشيوعي، إذ أن ثلث عمرها قضته تقريبا بعيدا عن ذلك النظام، كما تشهد الأقليات القومية فيها وعلى وجه الخصوص أكبر هذه الأقليات، (القومية السلوفاكية) مظاهر الطمس والتذويب كالتى عانت منها شعوب الإتحاد السوفيتي، ومن ثم كانت العضلات الإقتصادية في تشيكوسلوفاكيا، والأخطاء التي

ارتكبتها القيادات الشيوعية السابقة هي التي مهدت الطريق لدعاة الانفصال، وأحياء النعرات القومية المتطرفة.

إدعاءات الطرفين:

تأسست جمهورية تشيكوسلوفاكيا في نوفمبر ١٩١٨ على أثر توحيد الحركتين القوميتين التشيكية والسلوفاكية، وهما القوميتان اللتان تعايشتا وتجاورتا معا تحت حكم إمبراطورية النمسا والمجر التي تفككت في أواخر الحرب العالمية الأولى بعد هزيمتها أمام الحلفاء الذين شجعوا الأقليات القومية على الانفصال عن الإمبراطورية المحتضرة.

وقبل ذلك التاريخ (تاريخ تأسيس الدولة الاتحادية التشيكوسلوفاكية) كان التشيك يعتبرون أنفسهم هم سكان تشيكوسلوفاكية الأصليين حتى أنهم كانوا يتطلعون إلى إقامة دولة تمثل الشخصية التشيكية. أما سلوفاكيا فقد ظلت طوال ألف عام وحتى ميلاد الدولة الاتحادية تابعة لبودابست (المجر) التي كانت تسميها العليا على الرغم من أن الذين يعيشون فيها هم أقلية قياسا بالعنصر السلوفاكي. وعلى ذلك فقد كان التشيك ومازالوا يذكرون السلوفاك بدورهم في إحياء القومية السلوفاكية من الأندثار باعتبارها كانت مطموسة ومهمشة في ظل سنوات حكم المجر الطويلة. وينكر التشيكيون أنهم مارسوا سياسة التفرقة القومية أو الإضطهاد ضد السلوفاك، سواء كان ذلك قبل الحكم الشيوعي في ١٩٤٨ أم في كنفه، بل على العكس فإنهم يردون على ذلك بأنهم أتاحوا للسلوفاك الفرصة للتعبير عن تراثهم القومي، وفتحوا المدارس لتعلم اللغتين التشيكية والسلوفاكية على حد سواء. أما مايقال عن إنعدام تكافؤ الفرص بين القوميتين فمرده، كما يقولون إلى عدم تفهم السلوفاكيين إلى حقيقة موضوعية، تتمثل في أن سكان الشطر التشيكي هم ضعف سكان الشطر السلوفاكي، ناهيك عن أن مساحة الأول أكبر من مساحة الثاني.

تقسيم التركة : الكاسبون والخاسرون:

وفقا لقاعدة إثنين إلى واحد والتي تنطلق من واقع نسبة سكان الشطر التشيكي (١٠,٥ مليون) إلى سكان الشطر السلوفاكي (٥,٥ مليون) تم التقسيم وكانت القومية هي الأساس، وكانت متركزة عند السلوفاكيين الساعين لإنهاء الاتحاد القائم منذ ٧٤ سنة، رغم أنهم لم يحصلوا على الإستقلال فعلى من هيمنة الإمبراطورية المجرية عليهم لزمّن طويل، إلا عندما أقيمت الدولة التشيكوسلوفاكية. ولا يوجد أحد الآن يعتبر قيام دولة سلوفاكية بين ١٩٢٩ و ١٩٤٤ م تحت سيطرة النازية الألمانية أكثر من إستقلال صوري بثمن باهظ. أما التشيكيون فقد كان تحولهم إلى التعجيل بالإنفصال نتيجة نظرة واقعية، (أن مصيرنا غير مرتبط بالسلوفاكيين) مشيرين بذلك إلى الخسارة المالية والإقتصادية الأكبر المتوقع أن تصيب سلوفاكيا في الدرجة الأولى .. وبالمقابل فإن الشعور الأوسع إنتشارا على المستوى الشعبي هو تضاعف مشكلات سلوفاكيا بالمقارنة مع تشيكيا، إنها لن تواجه الجانب الإقتصادي فقط، بل تخشى أيضا من إزدياد التوترات المتصاعدة مع المجر المجاورة، ولا يقتصر ذلك على الخلاف بصدد مشروع توليد الطاقة على نهر الدانوب

فقط، بل يتعداه إلى المخاوف على مستقبل الأقلية المجرية في سلوفاكيا، وعددها ٧٠٠ ألف نسمة، أي ١٢ % من السكان. فضلا عن بوادر تعامل الدول الغربية مع تشيكيا بما يميزها عن سلوفاكيا، نظرا لتفاوت الطاقة الصناعية والإقتصادية ما بين الدولتين.

(٢) بلجيكا مشروع إنشطار

مسرح للنزاعات الأوروبية:

بلجيكا من أصغر الدول الأوروبية نسبيا، مساحتها في حدود ٣٠ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها في حدود عشرة ملايين نسمة، وكانت مسرحا للهجرات وللنزاعات الأوروبية في التاريخ القديم، وآخر حلقاتها ماكان بين النمساويين والفرنسيين والبريطانيين، بل كان قيام الدولة البلجيكية بإعلان الإستقلال في ٤ / ١٠ / ١٨٣٠م من صنع فرنسا، وجاء إعتراف الدول الأوروبية الرئيسية بها خلال مؤتمر لندن في العام التالي حلا وسطا، وتضمن تنصيب الملك ليوبولد الأول وفق التفاهم الفرنسي - البريطاني.

ورغم صغرها تكاد بلجيكا تصبح أول دولة أوروبية غربية تصل إليها عدوى ظاهرة الإنقسامات التي مزقت يوغسلافيا حربا، وتشيكوسلوفاكيا سلما والسبب الرئيسي هو أنها توفر المعطيات الرئيسية لهذه الظاهرة تاريخيا.

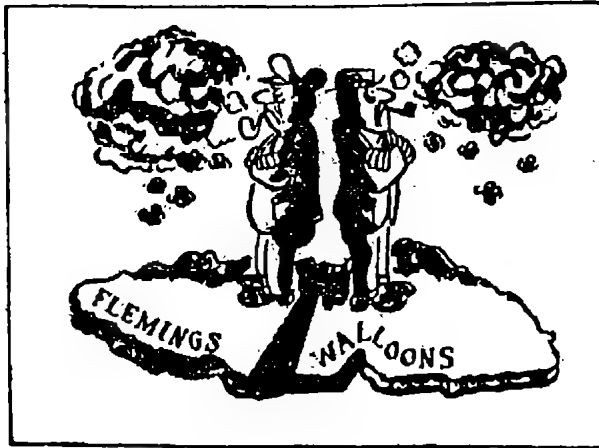
إنقسام لغوى:

جمعت بلجيكا بين الفلامنكيين في منطقة فلاندرز شمال البلاد حيث تنتشر اللغة الهولندية أو الفلمنكية ونسبتهم حوالي ٥٨ % والوالون في منطقة والونيا جنوبي البلاد حيث تنتشر اللغة

الفرنسية، ونسبتهم حوالي ٣٣ % بالإضافة إلى حوالي ٧٠ ألف من ذوى الأصل الألماني في شرقي البلاد، ينطقون لغتهم الألمانية، وتتميزت مع الزمن منطقة بروكسل العاصمة وما حولها، بما يشمل أكثر من مليون نسمة أي زهاء ١٠ % من السكان، كفتة رابعة تحمل وصف البروكسليين، وتبلغ نسبة الأجانب فيها زهاء ٣٠ % وهي من أعلى النسب في أنحاء أوروبا .. وعند اللقاء نظرة على بلجيكا تبدو وكأن أرضها قابلة للذوبان عبر الحدود الهولندية شمالا، والفرنسية جنوبا والألمانية شرقا.

فلا تبقى سوى النواة البروكسلية (الأوروبية) الصبغة. وهذا التقسيم الذي لعبت اللغة فيه دورا رئيسيا، يعطى الدعوة الانفصالية أبعادا تتجاوز الجانب القومي المجرد، الأكثر ظهورا في أوساط الفلامنكيين، لاسيما عن طريق حزب فلاندرز اليميني الذي كان من

النفور بين الفلمنك والوالون



أواخر تصريحاته قوله (لقد عشنا معا منذ ١٦٠ عاما ، دون أن نكون سعداء بذلك، فعلام لا نفصل عن بعضنا بسلام كما جرى في تشيكوسلوفاكيا؟).

وتتبين الأبعاد الأخرى للدعوات الانفصالية عندما يقول المؤرخ البلجيكي دهنيزيس مثلا (ينكر الفلامنكيون أن نكون هولنديين، وينكر الوالونيون أن نكون فرنسيين .. فمن نحن ؟) .. والسؤال بحد ذاته تعبير عن أزمة التميز لدى البلجيكيين الذين تقول عمليات إستطلاع الرأى في صفوفهم أن نسبة ٢٦,٥ % فقط يعبرون عن إعترازهم بالإنتماء البلجيكي بصورة قاطعة.

فجوة بين الشمال والجنوب:

ومن الدعامات الرئيسية للدعوة الانفصالية الهوة القائمة بين (الشمال والجنوب) داخل بلجيكا ، والتي تجعل من الضروري تحويل ماقيمته سبعة مليارات دولار سنويا من المنجزات الإقتصادية في الشمال البلجيكي لدعم جنوب البلاد، وبينما يشكو الفلامنكيون من أن هذا يجرى على حسابهم، يشكو الوالونيون من أن إهمال مناطقهم إقتصاديا هو السبب في إضطرارهم إلى العيش على المعونة.

ماذا تفعل الدولة ؟

ولم يكن إضعاف فاعلية الدعوة الانفصالية عن طريق دعم وحدة بلجيكا كدولة جامعة تصهر سائر الفئات السكانية فيها، بل على النقيض من ذلك فقد كانت تواجه واقعا بأسلوب الإستجابة بالمهدئات والمسكنات، على شكل زيادة الصلاحيات الإدارية في كل منطقة على حساب السلطة المركزية، وتلبية المطالب المتعلقة بالجوانب الثقافية والتعليمية والفكرية وغيرها، وهذا ماساهم بصورة غير مباشرة في تعزيز الفروق بدلا من إزالتها، وجعل الدعوة الراهنة إلى تحويل بلجيكا إلى دولة إتحادية (فيدرالية) دعوة جادة.

هل تتفكك عاصمة الوحدة الأوروبية ؟

إن إنقسام بلجيكا غير محتمل في الوقت الحاضر، ولا يريد أحد أن يتصور إحتمال حدوثه، ليس بسبب الأوضاع الداخلية فقط، بل وبسبب ما يمكن أن يرمز إليه من مغزى يولد أثارا سلبية على صعيد أوربا الغربية عامة، إذ لا يشمل — أن وقع — مجرد إنقسام دولة أوروبية غربية لأول مرة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بل يتعدى ذلك إلى حقيقة وقوعه في الدولة التي تضم عاصمتها المقر الرئيسي للرابطة الأوروبية الساعية الى توحيد نفسها، والصدمة التي يمكن أن يحدثها التقسيم في بروكسل عاصمة أوربا.

(٣) المشكلة القبرصية

الأهمية الإستراتيجية:

بالرغم من صغر مساحة قبرص (أقل من عشرة آلاف كيلو متر مربع) فإنها ذات أهمية جيواستراتيجية، فهي نقطة إنطلاق للقوى البحرية والجوية الدولية بإتجاه تركيا

والمضائق، ونحو المنطقة العربية حيث يحتدم النزاع العربي - الإسرائيلي " وهي محطة بحرية تسكن إليها القطع البحرية بعد مناورات الأساطيل الضخمة، ولطالما شكلت قبرص موقعا إستراتيجيا متقدما للأسطول السادس الأمريكي خصوصا في مرحلة السبعينيات بعد ما نزل الأسطول البحري السوفييتي بقوة إلى مياه البحر المتوسط، ولاشك بأن الأتراك الذين سيطروا على قبرص منذ عام ١٥٧١ م وحتى عام ١٨٧٨م يتعاملون مع هذه الجزيرة الصغيرة المساحة والكبيرة الأهمية الإستراتيجية وكأنها شأن داخلي تركي، كيف لا وأن جزيرة قبرص تبعد عن الساحل التركي أربعين كيلو مترا فقط.

ولبريطانيا تاريخ طويل مع جزيرة قبرص، شأنها في ذلك شأن تركيا وهي التي فرضت إشرافها المباشر على الجزيرة بموجب معاهدة القسطنطينية مع تركيا في يونيو ١٨٧٨، ثم ضمت الجزيرة إلى ممتلكاتها عام ١٩١٤، وإستمرت السيطرة البريطانية الكاملة حتى عام ١٩٥٩ حيث أعلنت جمهورية قبرص المستقلة بعد معاهدة لندن في فبراير ١٩٥٩، والتي وقعها ممثلو بريطانيا وتركيا واليونان والجاليتين التركية واليونانية وقد تولي الأسقف مكاريوس (يوناني) رئاسة الجمهورية وفاضل كوسوك (أصول تركية) منصب الرئيس عقب إعلان الاستقلال عام ١٩٦٠، وبعد عامين إنضمت قبرص إلى الكومنولث البريطاني، لكن هذا الإنضمام لم يعف الجزيرة من الإضطرابات منذ عام ١٩٦٣، بسبب الخلافات حول نسبة تمثيل الجاليتين في البرلمان والمجالس البلدية والوظائف الرئيسية، وكثيرا ما تدخلت القوات التركية واليونانية مباشرة، ونزلت على أرض الجزيرة، فعانت من الإضطرابات ولم تعرف الإستقرار السياسي، وظن الرئيس الراحل المطران مكاريوس أن سياسة عدم الإنحياز يمكن أن توفر للجزيرة نوعا من الحماية الدولية، أو الإستقرار النسبي، وأن تساهم في الحفاظ على وحدة الجزيرة، غير أن التدخلات الخارجية بقيت أقوى من هذه السياسة.

ثلاثة عوامل دولية تؤثر مباشرة في المشكلة القبرصية، فضلا عن عوامل أخرى إقليمية ودولية تؤثر بصورة غير مباشرة، وهي:

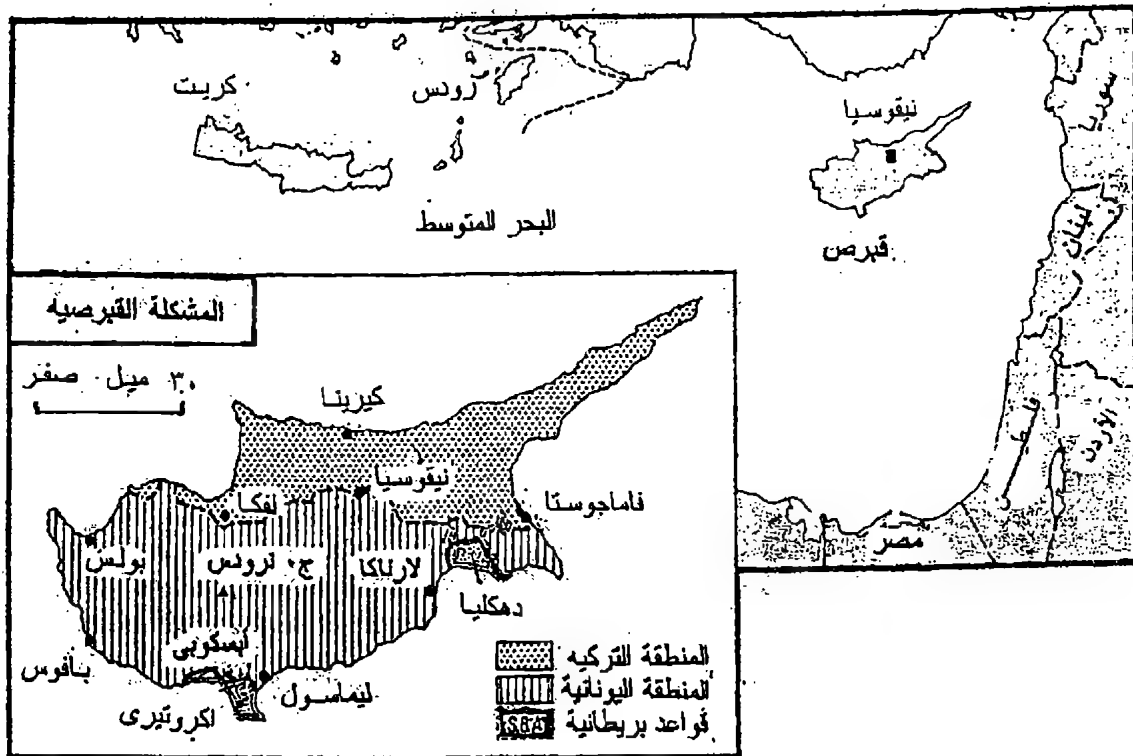
العامل اليوناني الناتج عن غالبية سكان جزيرة قبرص (حوالي ٧٧ %) وهم من اليونانيين الأرثوذكس، ولطالما صدرت دعوات قبرصية يونانية للإتحاد مع اليونان، كان آخرها دعوة زعيم الإنقلاب العسكري في قبرص الذي أطاح بالرئيس السابق الأسقف مكاريوس في العام ١٩٧٤م بدعم مكشوف من السلطات العسكرية اليونانية.

العامل التركي المستند إلى وجود حوالي ١٨ % من القبارصة الأتراك المسلمين والذي إشتد صراعه ولا يزال مع الجانب اليوناني خصوصا بعد إنقلاب عام ١٩٧٤ ودخول القوات المسلحة التركية إلى الجزيرة خوفا من الوحدة مع اليونان وسيطرتها على ٣٨ % من الأراضي بعد إشتباكات مسلحة مع القبارصة اليونانيين، وبذلك زادت المساحة الجغرافية الخاضعة لسيطرة القبارصة الأتراك، ومنذ ذلك التاريخ، وقبرص مقسمة واقعا إلى منطقتين تركية ويونانية.

العامل البريطاني حيث لا يعرف الكثيرون بأن بريطانيا تسيطر على ٦% من الأراضي القبرصية، وهي تشمل المناطق التي أقام عليها البريطانيون قاعدتي "أكروتيري" و "ديكيليا" ومحطة رادار في جبال ترودوس، مما يعني بأن السيطرة البريطانية هي مباشرة، وأن القواعد الحربية المذكورة لعبت دورا في النزاعات والحروب التي دارت في منطقة شرق البحر المتوسط خصوصا، إبان حرب السويس في عام ١٩٥٦، "والحرب العربية - الإسرائيلية" عام ١٩٦٧.

ومن الطريف أن العاصمة نيقوسيا مقسمة بين الأتراك واليونانيين، وقد قسم خط التقسيم الشارع الواحد إلى شارعين ١١

المشكلة القبرصية



إقتراحات لحل المشكلة

إقامة جمهورية فيدرالية تضم قطاعين مستقلين إداريا هما القطاع القبرصي التركي والقطاع القبرصي اليوناني، وتعديل مساحة القطاع القبرصي التركي، بتصغير هذه المساحة، مقابل تقديم تعويضات مالية إلى القبارصة الأتراك تمكنهم من المساواة الإجتماعية مع القبارصة اليونانيين الأكثر غنى.

حل مشكلة اللاجئين الذين يبلغ عددهم ١٦٠ ألف يوناني و ٤٥ ألف تركي، هاجروا من مناطقهم إثر الغزو العسكري التركي للجزيرة عام ١٩٧٤، بما يشمل ذلك تأكيد حق القبارصة اليونانيين في أملاكهم داخل المناطق التي هاجروا منها.

صيانة الحقوق والحريات الأساسية كحرية التنقل والإقامة والتملك ، وصياغة دستور جديد يتضمن هذه الحريات، وينسجم مع النظام السياسي والدستوري الفيدرالي على أن يوزع بين السلطات والصلاحيات السياسية والإدارية بين الجاليتين اليونانية والتركية.

إيجاد حلول أمنية للمشكلات القائمة بما يوفر الإطمئنان للمجموعتين الأساسيتين في البلاد وتقديم ضمانات لهما كفيلة بعدم تجدد الإضطرابات والتدخلات الخارجية في المستقبل.

بناء الثقة:

رفض الجانب التركي هذه الأفكار مطالبا بإتحاد كونفدرالي على أساس وجود دولتين، وليس جاليتين، وتراجعت المفاوضات مرة أخرى لبحث ما تقدم به أمين عام الأمم المتحدة السابق من إجراءات بناء الثقة بهدف التقريب بين الجانبين قبل بدء السعي للتسوية الشاملة. هذه الإجراءات تتضمن أساسا إعادة فتح مطار نيقوسيا الدولي، وفتح مدينة فاروث، وهي جزء من منطقة فاماغوستا المحتلة للشعبين على أن يكون تحت إدارة الأمم المتحدة.

ولكن هذه الإقتراحات لم تصادف قبولا لأي طرف من الطرفين، وتجمد الوضع، حتى إستغل الموقف مرة أخرى عام ١٩٩٦ بإندفاع عدة مئات من القبارصة اليونانيين بدراجاتهم البخارية إلى داخل المنطقة العازلة بين الطرفين متحدين القوات التركية التي بادرت بإطلاق النار عليهم خاصة بعد محاولاتهم إنزال العلم التركي.

خطة الأمين العام للأمم المتحدة ٢٠٠٢:

قدم الأمين العام خطة لحل المشكلة القبرصية في فبراير ٢٠٠٢، وعدلت الخطة ثلاث مرات تبعا لأراء الطرفين وتتلخص مشروع خطة الأمم المتحدة فيما يلي : —

١ — اسم الدولة الجمهورية القبرصية المتحدة وستكون لا حكومة فيدرالية وولائيتين / قبرصية وتركية.

٢ — العلاقة بين الحكومة الفيدرالية والولائيتين اليونانية والتركية ستكون مماثلة للوضع في سويسرا بين الحكومة الفيدرالية والكانتونات، وسيكون للحكومة الفيدرالية صوت واحد في المحافل الدولية، ومن مسؤوليتها حماية الوحدة والحدود والموارد، على حين يتمثل اختصاص الولايات في كل ما يتعلق بحياة المواطنين اليومية وأن تكون هناك آليات للتعاون بين الولائيتين.

٣ — إنشاء مجلس رئاسي يتكون من ٦ أعضاء، اثنان من القبارصة والأترك وأربعة من القبارصة اليونانيين (لاحظ نسبة السكان)، يكون منصب الرئيس بالتناوب بين الأعضاء الستة، وأن يتناوب الأعضاء الرئاسة ويتم اتخاذ القرارات بالأغلبية حتى لو كانت بسيطة، شريطة أن تضم الأغلبية على الأقل عضو تركي وعضو يوناني.

نتائج عرض مشروع الأمم المتحدة لاستفتاء (أبريل ٢٠٠٤).

وقد طلب الأمين العام للأمم المتحدة عرض المشروع في استفتاء في القسمين القبرصي واليوناني وجاءت النتيجة كما يلي :

• موافقة قبرص الشمالية التركية بنسبة ٦٠%.

• رفض قبرص اليونانية بنسبة ٧٥%.

أسباب موافقة القبارصة الأتراك.

— أن قبرص اليونانية ستنتضم إلى الاتحاد الأوروبي في مايو ٢٠٠٤ سواء وافقت أم لم توافق.

— إظهار أن التعتن ليس من جانب الأتراك ولكن من جانب القبارصة اليونانيين، ولعل هذا يكون في صالح القبارصة الأتراك، وفعلًا وعد الاتحاد الأوروبي تقديم المساعدات لقبرص التركية بقيمة ٢٩٥ مليون يورو وفك الحصار الاقتصادي عليها والاعتراف بهم دوليًا كجمهورية مستقلة.

— أن حل المشكلة القبرصية سوف يزيد من فرص دخول تركيا الاتحاد الأوروبي.

أسباب معارضة القبارصة اليونانيين :

• أن قبرص اليونانية ستصبح عضواً في الاتحاد الأوروبي بصرف النظر عن القبول أو الرفض، وفعلًا أصبحت عضواً في الاتحاد الأوروبي في أول مايو ٢٠٠٤.

• أن تمنح الخطة منح الجنسية القبرصية لنحو ٦٠ ألف تركي هاجروا إلى الشط الشمالي عام ١٩٧٤ وهذا مطلب أساسي للأتراك ويرفضه اليونانيون.

• ضرورة عودة نحو ٢٠٠ ألف قبرصي يوناني الذين هجروا من الشمال إلى أراضيهم ومساكنهم، وهو ما يرفضه الأتراك لأنه سيكون بمثابة قنبلة سكانية وسط القبارصة الأتراك، ولأنه أيضا أن يترتب على هذا تهجر قبارصة أترك ليحل محلهم هؤلاء اليونانيون.

وهكذا عادت المشكلة معلقة مرة أخرى كما كانت من قبل أي إلى المربع الأول !!.

(٤) المشكلة الكردية

التوزيع الجغرافي والأكراد:

يتوزع الأكراد كقومية في منطقة جغرافية واسعة تمتد من شمال العراق وجنوب تركيا وسوريا وشمال إيران، وغرب أذربيجان، وحتى الحواف الجنوبية للهضبة الأرمينية بمجموع يتراوح بين ١٥ / ٢٠ مليوناً، ولم تكن هناك طوال التاريخ دولة معروفة بأسم كردستان، بل كانت هناك إمارات كردية حاولت الاستقلال، وإستغلت التناقضات بين

الإمبراطوريات التاريخية التي امتد ظلها في هذه المنطقة، ولعبت الإمبراطوريتان الإيرانية والتركية (العثمانية) دور مهما في تاريخ الإمارات والقبائل الكردية، فقد أعطت كل إمبراطورية الإمارات والقبائل القاطنة قرب حدودها من الضرائب، وأعطت شيوخها قدرا من حرية التصرف الإداري، وسلطة جمع الضرائب وإمتلاك الأرض مقابل الدفاع عن الحدود، ويحفظ التاريخ أنوارا هامة لقبيلة " بابان " مع العثمانيين وقبيلة " موكرى " مع الفرس هذا الدور العسكري تطور دوما بتصاعد الصراع بين الإمبراطوريتين، فأنطلقت كل إمبراطورية ترضى القبائل الكردية الموالية لخصمها، وتحاول إختراقها وزرع فكرة إقامة دولة من قبيل التتخيم على الخصم.

حلم الدولة الكردية:

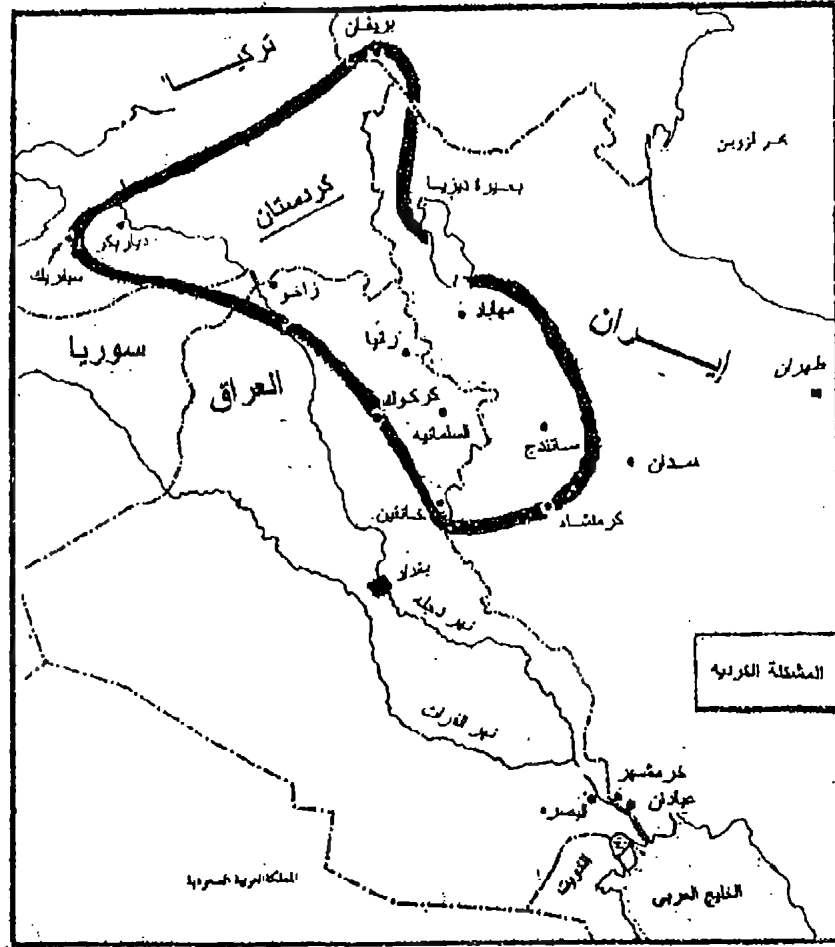
ولعل المتابعين للأدبيات الكردية يعرفون هذا تماما، وكيف بلور شاعر الأكراد العظيم " أحمدى خاينى " (١٥٩١ - ١٦٥٢) في ملحمة الشهيرة " ميم وزين " هذا التاريخ كله وصاغ الحلم الذي مازال حتى اليوم يكمن داخل كل كردى فأحمد خان يقول في قصيدة شهيرة له في الملحمة " هؤلاء الأكراد الذين بالسيف فازوا بالمجد . . كيف جرى أنهم كانوا محرومين من دار الدنيا وخاضعين للآخرين ؟ والأتراك والفرس محاطون بأسوار من الأكراد، وفي كل مرة يعبئ فيها العرب والأتراك الجيوش نجد أن الأكراد هم الذين يغرقون بدمائهم.. وفهم دائما متفرقون، ودائما على خلاف فهم لا يذعنون لسلطان واحد منهم . فلو أننا توحدنا إذن ، لأصبح هذا التركي وهذا العربي وهذا الفارس خادمين لنا. "

عوامل الضعف :

العزلة الجغرافية :

هناك عقبة إضافية أمام الوحدة الوطنية للأكراد. وتتمثل هذه العقبة في العزلة الجغرافية للأقاليم الكردية في الدول الثلاث، حيث يعيش معظم الأكراد في مناطق جبلية شديدة الوعورة، بعيدة عن العواصم ومراكز النشاطات السياسية. وغالبا ما كانت تجرد هذه المناطق من المخصصات المالية اللازمة للتطوير بالمقارنة مع المناطق الأخرى في الدولة، وخاصة في تركيا وإيران، وبالتالي بقيت هذه المناطق مهملة ومتخلفة . وبالتالي كانت الطبيعة الجبلية لمعظم مناطق كردستان تزيد من عملية العزلة ومظاهر الإنفصال بين الأكراد. ومن ثم حافظ الأكراد في عزلتهم على الابنية القبلية والعشائرية بدرجة كبيرة جدا تفوق تلك التي لدى الشعوب الموجودة في المناطق المجاورة. وقد أعاق الحفاظ على النظام الإقطاعي الإجتماعي عملية التطوير السياسي الحديث، ولم يستطيع المجتمع الكردي تجاوز مرحلة الروابط والالتزامات الإقطاعية والعشائرية.

المشكلة الكردية



القبلية والعشائرية والفردية :

فالأكراد ليسوا شعباً موحداً فهناك نظام من النزعة الفردية القوية ضمن قبائلهم وجماعاتهم، يسيطر بصورة مهيمنة على المجتمع الكردي، حتى أنه يؤدي بانتظام إلى وقوف عشيرة ضد أخرى طبقاً للمصالح الآنية لهذه المجموعة أو تلك. ولم يتحد الأكراد أبداً على مدار تاريخهم حول قضية عامة مشتركة وحتى أثناء الإنتفاضات الوطنية داخل الدول التي يقيمون فيها، كانت تقاتل ضد بعضها، وعادة ما يكون ذلك بأمر يصدر من الدولة الأخرى. يضاف لذلك أن سيطرة زعماء القبائل ورجال الدين بقيت قوية على مدار القرون.

الـلـغـة :

ولا يتحدث الأكراد لغة واحدة . فهناك ثلاث لهجات رئيسية مع إختلافات ملحوظة في المفردات واللفظ والقواعد، يشبهها البعض بالخلافات الموجودة بين الألمانية والإنجليزية، والإيطالية الفرنسية. ومع أنه يمكن اعتبار هذه اللهجات لغات مختلفة إلا أنها للتداخل مع بعضها يستطيع الأكراد التأقلم مع لهجات بعضهم البعض عندما يتطلب الأمر ذلك.

التشـتت :

وهناك عدد من العوامل التي ساهمت في خلق هذا الإحساس الضعيف لدى الأكراد إتجاه مسألة الأمة المستقلة . إذا أن تشتتهم الجغرافي بين دولة مختلفة لما يزيد على ألف سنة، أعاق بحدة قدرة الأكراد على تطوير رؤية وحدوية. ناهيك عن أن الأكراد قد جردوا من الفرصة التي تسمح لهم بالتطور في إطار ثقافة أو بيئة سياسية واحدة، حيث اضطروا لتطوير أنفسهم في إطار ثلاث نظم حكومية وثقافية مختلفة.

وكان الفارق الهائل في درجة النمو بين المركز والهامش في هذه المنطقة من العالم سببا إضافيا كي تغذى حالة التمرد الكردي، فقد ظلت المناطق الجغرافية التي يسكنها الأكراد في الدول الثلاث هي أقل مناطق هذه الدول نموا وأكثرها فقرا وبالتالي أشد سخونة. وشهدت المنطقة ثورات شهيرة في أعوام ١٨٣٩، ١٨٤٣، ١٨٥٥ إلا أنها أحبطت بقسوة هائلة من الجانبين التركي والإيراني على حد سواء، وجاءت معاهدة لوزان ١٩٢٦ لتقضي إلى الأبد على الحلم الكردي، فقد كانت المعاهدة واضحة في ترسيم الحدود بين العراق وتركيا وضمت بموجبها الموصل وشمالها إلى العراق وهي مناطق سكانها من الكرد وهكذا فإن الرقعة الأكبر التي يسكنها الأكراد ، قد قُسمت بين ثلاث دول هي العراق وتركيا وإيران، ورقعة صغيرة في سوريا.

فبدأ يظهر ما يعرف بأسم كردستان العراقية، كردستان الإيرانية ، وكردستان التركية، وبدأ الأكراد يدركون أن حلم إقامة دولة لهم دونه الصراع مع ثلاث دول كبرى.

ومن المؤكد أن مختلف قوات المتمردين الأكراد قد تم إستخدامهما من قبل القوى الخارجية باعتبارها أداة ملائمة لإضعاف الأنظمة المحلية. إذ ساعدت بريطانيا على إثارة المشاكل في منطقة كردستان التركية في العشرينيات، وقدمت أمريكا و "إسرائيل" الدعم للأكراد ضمن نظام البعث العراقي في السبعينيات كما ساعد السوريون الأكراد ضد تركيا والعراق بين فترة وأخرى، كما وظفت إيران في ظل الشاه وفي ظل الجمهورية الإسلامية — أكراد العراق وجندتهم في خدمة الصراع الجغرافي السياسي لطهران ضد بغداد، وفي المقابل تقوم العراق بانتظام بدعم أكراد إيران ضد الجمهورية الإسلامية، وبصورة ثابتة تقريبا ، كان يتم التخلي عن الأكراد في الوقت الذي لم يعد لهم دور في خدمة الأهداف السياسية للقوى الخارجية.

وقد ظلت مشكلة الأكراد، ذلك الشعب العريق الذي خرج منه قادة وحكام عظام مثل

صلاح الدين الأيوبي، مشكلة مستعصية على الحل، لم تنجح أي من الدول الإسلامية الأربع التي تنتشر القبائل الكردية على حدودها، وهي تركيا وإيران والعراق وسوريا في علاجها والإستجابة للأمانى المشروعة للأكراد ، وأستغلت هذه المشكلة بصفة دائمة من أطراف خارجية لتوسيع شقة الخلاف وإثارة النزعات والمنازعات ، ليس فقط بين الدول الإسلامية الأربع ، بل وبين الفصائل الكردية ذاتها، وزاد المشكلة الكردية تعقيد لعبة تغيير الولاءات للزعماء الأكراد أنفسهم وحيث وجدت هذه الدول أن من السهل شراء تأييد هذا الزعيم أو ذاك فقد ظل الشعب الكردي البائس يدفع الثمن.

فالحزب الديمقراطي الكردستاني العراقي يستعين بحكومة العراق للقضاء على حزب الإتحاد الوطني الذي تدعّمه إيران وهكذا، وها هي الولايات المتحدة الأمريكية تحاول التوفيق بين الفصائل المختلفة لتكون ورقة في يدها لإعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة، وفي إيران وتركيا والعراق ظلت مطالب الأكراد وتأكيد الذات من خلال إعتقاد لغة رسمية بجوار اللغات الوطنية.

أوضاع دولية جديدة :

ولكن التطور السياسي الكردي ربما يأخذ على المدى الطويل شكلا مختلفا، حيث تعمل قوى عاتية على أحداث تحول في البيئة السياسية الكردية. فمع إنتهاء الحرب الباردة تم جزئيا تخفيف القيود والعوائق المتعلقة بتطوير المشكلة الكردية، لأن إنتهاء الحرب الباردة جعل المشاكل القومية والإقليمية تحظى بمعالجة أفضل من أجل التوصل إلى حلول إيجابية لهذه المشاكل.

وهكذا فإن هذه الظروف قد تكون ملائمة جدا للأكراد من أجل الضغط بإتجاه الحصول على دعم دولي لحل مشكلتهم، كما أن إضطراب السياسات الإقليمية وإهتزازها فتح أمام الأكراد فرصة إضافية أخرى، إذ أن الحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج، والتغير الداخلي في تركيا، هذه كلها ساعدت على خلق حقائق جديدة للأكراد ولا يمكن التراجع عنها الآن بسهولة، فبعد أن كان الأكراد معزولين في مناطقهم المنفصلة أصبحوا اليوم يتنقلون ويسافرون على نطاق أوسع، ويدرسون في الخارج ويلتقون مع الأكراد في الدول الأخرى حيث يتبادلون وجهات النظر، ويطورون إحساسا أكثر تماسكا بعرقيتهم الخاصة من أى وقت مضى ، كما ساعدت المؤتمرات الدولية في باريس عام ١٩٨٩، وفي ستكهولم عام ١٩٩١ على إلتقاء الأكراد مع بعضهم وتركيز إهتمام عالمي أكبر حول مشكلتهم بإعتبارهم شعبا له حقوقه الخاصة.

واليوم فإن التحالف الأمريكي البريطاني الذي أطاح بالنظام العراقي ساهم في خلق ظروف لم يسبق لها مثيل في التاريخ الكردي وهو إمكان إنشاء منطقة حكم ذاتي بفرض الأمر الواقع، في ظل حماية القوة.

والسؤال المطروح الآن هل سينتهي إقتتال الفصائل الكردية بعضهم مع بعض وهل ينجحون في إبطال إتخاذهم لعبة الأمم، وما الوضع الجديد للدول التي يعيشون فيها

وخاصة العراق؟

ثالثاً: التباين الاقتصادي

(١) تمرد الشمال الإيطالي

في منتصف عام ١٩٩٦ قامت مظاهرات تضم عشرات الآلاف من أبناء الشمال الإيطالي في مدينة بونتيدا يهتفون بالإستقلال عن روما، وذلك بعد ١٣٠ عاماً من وحدة إيطاليا، فقد إنقسمت البلاد معنوياً ونفسياً بعد أن إنقسمت إقتصادياً، وتآلف " حزب رابطة الشمال " الذي يدعو للإنفصال وإعلان جمهورية " بادانيا " التي تشمل كل المنطقة الشمالية، ويستند الانفصاليون الإيطاليون في حملتهم الانفصالية إلى واقع معاش في إيطاليا منذ عشرات السنين، ومن سمات هذا الواقع أنه على الرغم من وحدة اللغة والدين، بل والمذهب الكاثوليكي، توجد فجوة واسعة في إيطاليا بين ثقافتى الجنوب والشمال، فالجنوبيون مهتمون بأنهم محبوبون للمرح، موسيقى، وغناء، ورقص، وفنون أكثر من حبهم للعمل والإنتاج، وتحسين مستوى معيشتهم، وهم مهتمون بأنهم يستمرأوا العيش عالية على أهل الشمال، وعلى فائض إنتاجهم ، بينما حقق الشمال الإيطالي نمواً وإزدهاراً إلى حد أن أصبح بلقب " التتين الأوروبي " وأقام أكبر تجمع صناعي في أوربا الجنوبية، على حين فإن منطقة الوسط والجنوب الإيطالي لم تحقق تقدماً إقتصادياً يذكر، وتبخرت المساعدات الأوروبية التي بلغت نحو ٤٠ ألف مليار ليرة إيطالية خلال الفترة من ١٩٨٤ - ١٩٩٤، في الجنوب، كما يقولون بسبب سوء الإستثمار، كذلك هجرة الجنوبيين إلى الشمال، ذلك أن ٨٠ % من رجال البوليس والمدرسين والبريد الذين يعملون في الشمال هم من أبناء الجنوب، ثم أنهم مهتمون أيضاً بأنهم جعلوا من الجنوب الإيطالي عساً للجرام ، الدولي والأوروبي وأسأوا إلى سمعة الإيطاليين في كافة أنحاء العالم، ومن ثم يطالب بعضهم إذا لم يتم الإنفصال بفصل الميزانيات، ومنح السلطة التشريعية والتنفيذية للمقاطعات، ومازال الإيطاليون يحلمون بكلمات كافور صانع الوحدة الإيطالية التي قال فيها (لقد صنعنا إيطاليا، والآن يجب أن نصنع الإيطاليين).

(٢) ثورة الهنود في المكسيك

في أوائل عام ١٩٩٤ قامت ثورة الفلاحين الهنود في إقليم (شيابا) الذي يقع في جنوبي المكسيك، ففي هذا الإقليم يعيش أفقر فقراء المكسيك، فرغم أن هذا الإقليم غنى بإنتاجه الزراعي ، وتخرج منه ٧٠% من الكهرباء ، ويتمتع بثروة بترولية تجعله بالإضافة إلى أن إقليم التاباسكو المجاور له مسؤولاً عن نصف إنتاج المكسيك من البترول، فإن سكان شيابا الأصليين وهم الهنود لا يحصلون على أى قدر من هذه الثروة، بل وتتراوح عدد ساعات العمل لديهم بين ١٠ ، ١٢ ساعة يومياً ولا يحصلون سوى على الحد الأدنى الذي يضعهم دون كافة مستويات الفقر ، بينما يملك ٩٠ % من ثروة الإقليم حفنة من المكسيكيين من أصل أوروبي ، لذلك كانت ثورة (الزباتيسا) أو جيش التحرير الوطني، وهذا الاسم نسبة إلى المناضل بطل تحرير الهنود (إميلييا نوزاباتا) الذي قاد ثورة التحرير

بين عامي ١٩١١، ١٩١٧.

(٣) مشكلة دارفور في السودان

يعتبر إقليم دارفور من أكبر أقاليم السودان (نحو نصف مليون كم) وتشتد حدوده في الغرب مع تشاد وليبيا وأفريقية الوسطى، وكان يمثل ولاية واحدة حتى عام ١٩٩٤ حين قسم إلى ثلاث ولايات شمالية وغربية وجنوبية. وهو يسكنه البالغين أقل من ٧ مليون نسمة يمثل ٢٠% من سكان السودان، تعيش فيه منذ أمد طويل العناصر العربية وغالبية من السرعة (وأهمها الرزيقات والتعايشة، بنو هلبه) والعناصر الإفريقية (وأهمها الفور والمساليت) زراع، وتعتبر قبائل الفور والزراعة والمساليت أهم قبائل هذا الإقليم، والتي يزيد عددها على مائة قبيلة وقبائل دارفور من أفضل الشعوب الإسلامية تمسكا بدينها وأخلاق الإسلام، تزوجوا من بعضهم وبذلك اختلطوا ببعضهم وأندمجوا، ناصروا الثورة المهدية ضد الإنجليز، وكانوا السند الأول للثورة فاجتذبهم المهدي إلى الخرطوم وبعض المدن وشاركوا في بناء السودان، وتولوا كثيرا من المناصب الإدارية، في الوزارات المختلفة. والاشتباك بين الرعاة والزراعة معروف على طول تاريخ البشرية في أي مكان فحين يحل جفاف طارئ، يتجه الرعاة بماشيتهم بقرا أو إبل إلى أراضي الزراعة، وتلتهم الحيوانات جهود الزراعة مما يؤدي إلى الاشتباكات، حدث هذا في دارفور في كل العصور، وكانت الأمور تسوى من قبل بواسطة حكما القبائل وفقا لنظام (الحواكير) وهي الاتفاقات التي تنظم هذه العلاقات وتحدد الآليات والتعويضات في حالة حدوث الخسائر، ولكن هذه الأعراف ألغاهها الرئيس السابق جعفر نميري حين حل نظام الإدارات الأهلية عام ١٩٧٢ ليضع نظاما بديلا، ولكن لم تستطع الدولة أن تفرض هيبتها دون تمويل عملية التنمية الاقتصادية في الإقليم، وبالتالي فقدت صراعات المرعى والماء عناصر إنضباطها وأصبح على كل فريق خاصة الزراعة حماية نفسه، فالقصة ليست بين عرب وأفارقة، ولكنها بين رعاة وزراعة في إقليم مهمش، وكان انشغال حكومات السودان بعد الاستقلال بقضية الجنوب وحرب الجنوب، مما جعل من الصعب أن تكون هناك تنمية لهذا الإقليم، ولغيره مما أطلق عليها الأقاليم الهامشية **Prephiries**.

زيادة حدة المشكلة.

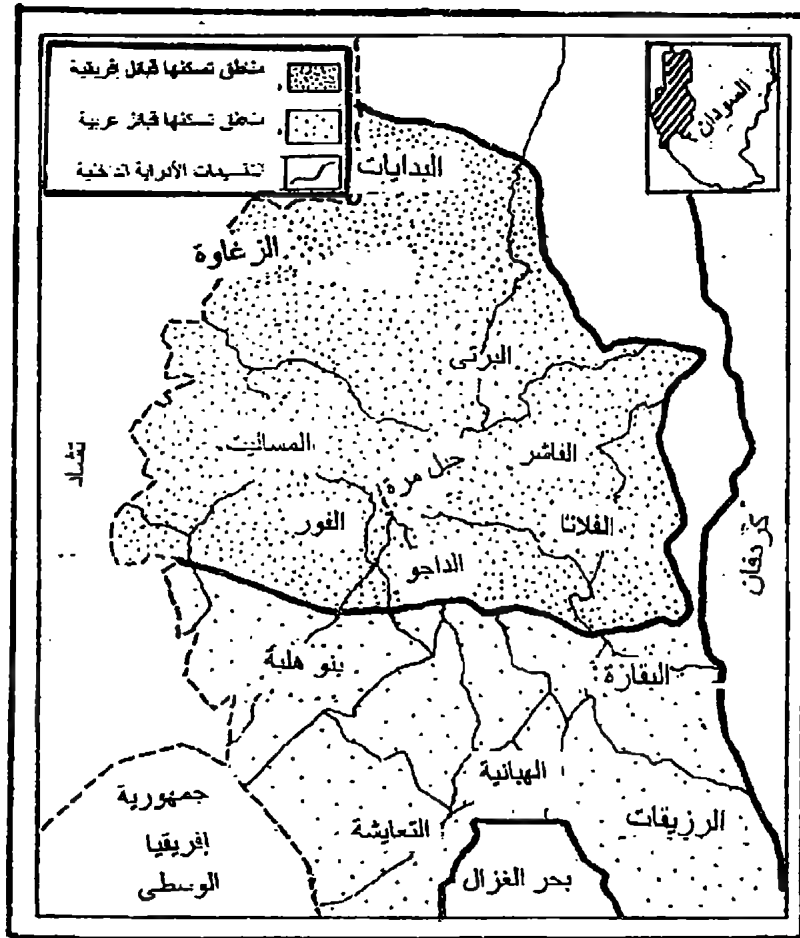
زادت حدة المشكلة أواخر القرن الماضي لعدة أسباب :

اعتاد الرعاة في جنوبي وشمالي دارفور على الاتجاه نحو الأراضي الزراعية بعد حصاد أهلها للمحاصيل ونقلها لرعي ما تبقى من حشائش وبقايا المحاصيل، وكان الزراعة يسمحون بذلك، لتطهير الأرض من الحشائش، وحصول الأرض على سماد طبيعي من الماشية، ولكن حين يحدث الجفاف مبكرا وبالتالي يحدث خلل في هذا النظام، فيسوق الرعاة حيواناتهم إلى الحقول المزروعة، تلتهم المحاصيل، وتحدث الاشتباكات التي ينتصر بها عبادة الرعاة، راكبو الخيل والمسلمون على الزراعة. وقد شهد السودان أزمة جفاف وتصحر مستمر عصفت به، حتى تقدمت الصحراء إلى الجنوب من الخرطوم بنحو ١٥٠

كم، وكان الجغرافيون يعتبرون أن الإقليم الصحراوي يبدأ من خط عرض عطبرة تقريباً، وهكذا كان الجفاف المستمر لسنوات دافعا إلى زيادة اشتباكات الرعاة والزراع، مما اضطر الزراع من الضور والمساليب وغيرهم غل تسليح أنفسهم للدفاع عن أراضيهم.

— كان للحرب الأهلية بالسودان ونفقات هذه الحروب الباهظة بالنسبة لدولة نامية، والضائقة الاقتصادية التي يمر بها السودان، وانشغال حكومة الخرطوم، إلى عودة الرعاة إلى الإغارة على الزراع وإعمال السلب والنهب، وأحيانا حرق المساكن (معظمها من البوص) وقد حاولت الدولة للسيطرة على الوضع وبذلك أصبحت طرفا في النزاع، واستعان البدو ببعض المقاتلين (المرتزقة) تضم أفراداً من القبائل العربية في دارفور، ومن تشاد والكنغو والنيجر وغيرها، الذين عرفوا بالجنجويد (*).

— كان لوقوع دارفور على الحدود مع تشاد، وأفريقية الوسطى أن أصبحت كثير من القبائل ممثلاً في الدولتين وسهل تهريب وتجارة السلاح، وخاصة وأن تشاد كانت فيها كثير من الصراعات الأهلية من قبل، هذا فضلا عن استغلال جون جاراج للموقف في أثناء حربه مع القوات الحكومية، وبالتالي المساعدة في تسليح القبائل، وفتح جبهات متعددة أمام الحكومة السودانية، وأخيراً وليس آخراً انتهاء فرصة إنشغال الحكومة بمشكلة الجنوب التي أغرقتها إلى أذنيها.



(*) جيم من جن أي العفريت، وجيم من Gun أي البندقية، وجيم من جواد، والمعنى الجان المسلح ببندقية وراكب جواداً.

الفصل الثالث

زيادة السكان كمشكلة سياسية (سكان وإنتاج)

تكاثر الإنسان في عهده الأول:

كان الإنسان في عهوده الأولى شأنه شأن جميع أنواع الحياة الأخرى يناضل الطبيعة والطبيعة تناضله، يفترس الحيوان، فلا ينسى الحيوان، أن يرد له الجميل جميلين، تصرخ معدته الخاوية فيترك كهفه ويضرب في الأرض بحثاً عن غذاء، وإذا مرض فكثيراً ما كان المرض يغلبه، وإذا برأ من مرضه وتغلب على حيوان بيئته لم يسترح بل قام بمجازر بشرية ليقضى فيها على نفسه أو على أخيه. فإذا أضفنا إلى هذا ارتفاع وفيات الأطفال فلا بد أن هذا الإنسان كان على درجة من الخصوبة عالية حتى أنه رغم هذا عمر وأتشر في الأرض، وقد أيدت الأبحاث الأنثروبولوجية هذا القول.

وأما أسباب الوفاة فقد شاهد *Weidenreich* أن معظم حفريات إنسان العصور الحجرية تدل على نوع من الوفاة عنيف، مثل الحرب، صيد الرؤوس الواد، والأمراض، وغير ذلك، من ثم لم يكن إزدحام سكاني، وإنما جماعات مبعثرة هنا وهناك حتى أن أعظم الكثافات كانت من البساطة لدرجة لا يمكن وضع متوسط لها.

تكاثر الإنسان في الحضارات الزراعية:

وعندما بدأ يستقر ويعرف الزراعة بدأ يزداد نموه، وتزداد كثافته ويقدر أن معدل مواليد كان يتراوح ما بين ٢٥، ٥٠ في الألف. فهذه النسبة لوحظت على الجماعات الزراعية سواء في القرن السادس عشر في إيطاليا، أو السابع عشر في فرنسا، أو التاسع عشر في الهند.

أما الوفيات فكانت عالية أيضاً بين ٣٠، ٤٠ في الألف، ولذلك فالمجتمعات الزراعية زادت فيما يتراوح بين ٢٠ و ١٥ في الألف. هذه الزيادة ليست ضئيلة ولكن يخفف منها أحياناً دورات نكبات قد تصل فيها الوفيات إلى ما يتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ في الألف، وهذه الدورات كانت تتفق مع الحروب والمجاعات والأوبئة.

وقد أثبتت الأبحاث التي قام بها الأب *Mols*، لأوروبا في العصور الوسطى هذه التقديرات، وذهب إلى أن وفيات الأطفال في الظروف العادية كانت تتراوح بين ٢٠٠، ٤٠٠ في الألف. وجزء كبير كان يموت قبل السابعة من عمره حتى أن *Jermo* وهو طبيب إيطالي عاش في القرن السادس عشر، كان يقول أنه على إستعداد لأن يشفي أي مريض على شريطة ألا تكون سنة أقل من السابعة أو فوق السبعين.

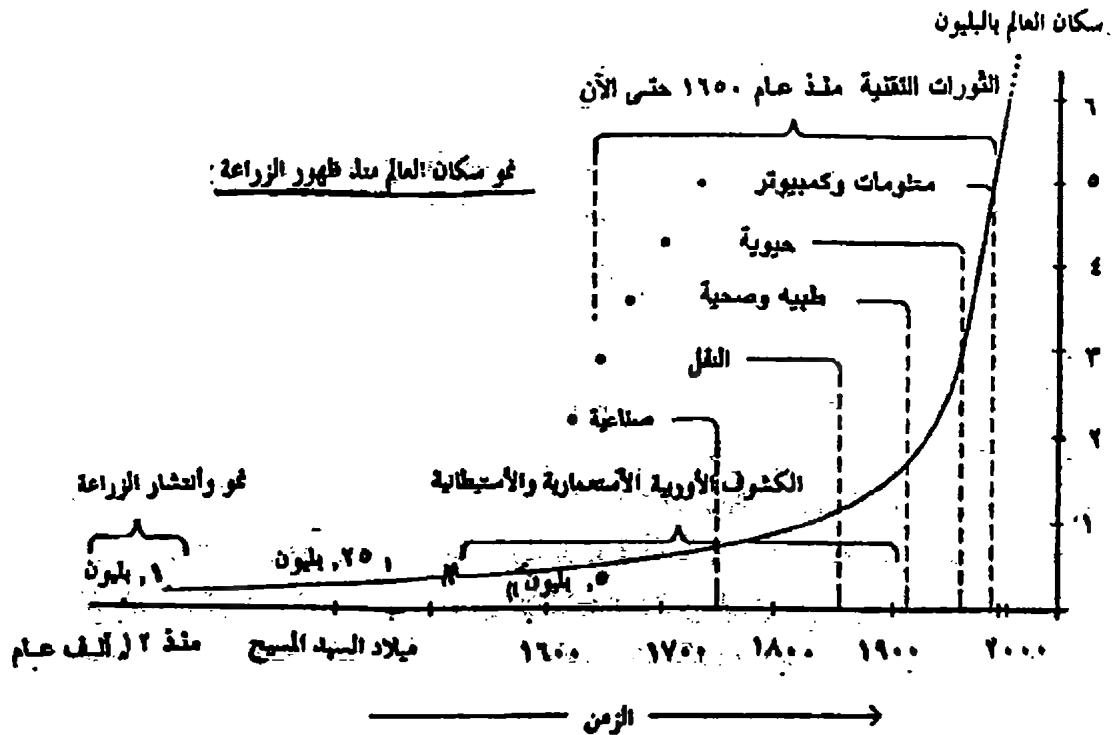
هذه الوفيات في مرحلة الطفولة وما قبل الشباب لاشك كانت تقطع خط الحياة.

تكاثر الإنسان في الحضارة الصناعية:

ثم تغير الوضع في المجتمع الآلي الصناعي تماما نتيجة التقدم العلمي خاصة في الفنون الطبية والعلاجية.

فقد دلت التجارب على أن عملية رش جزر الباسفيك بمسحوق الـ د . د . ت التي قام بها الجيش الأمريكي قبل إحتلاله لها أدت هبوط نسبة الإصابة بالمalaria، وكذلك كان الـ د . د . ت أثره الفعال في جزيرة سيلان، وفي اليونان، فأنخفضت معدلات الوفيات بعامة، وإنخفضت وفيات الأطفال بخاصة، مما أفسح الفرصة للأطفال لأن يصلوا إلى سن البلوغ، وما كان يصل إليه منهم إلا القليل. والكثير من البالغين لأن يصلوا إلى الشيخوخة أو بمعنى آخر زيادة متوسط الأعمار، أو زيادة أمل الحياة.

شكل رقم (٢٩) : نمو سكان العلم منذ ظهور الزراعة



ميل الزيادة السكانية نحو الإرتفاع:

لاحظ الباحثون أن معدل النمو السكاني أصبح في إرتفاع مستمر، وأنه يصعد بسرعة لم يعدها أحد في العهود الماضية، فقد كان هذا المعدل ٧ في الألف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثم إرتفع إلى ٢١ في الألف بين عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٩، ولكن إنخفض إلى ١٦ في الألف في سنويا، ومع ذلك تقدر الزيادة حاليا بنحو ١٠٠ مليون نسمة سنويا ، فسكان العالم يزيدون على ٦ مليار عام ٢٠٠١ ويقدر بأنهم سيبلغون ٨ مليار عام ٢٠١٠.

إن إزدياد السكان وحده لا يعنى شيئاً ، فقد تستمر الزيادة دون أن تسبب مشكلة لو كانت موارد العالم تكفي لإمداد كل فرد بحاجته.

الأرض :

ذلك هو الإنسان، فماذا عن الأرض ؟ يقولون أن ٧٠ % من مساحتها غير صالحة لإقامة الإنسان لشدة البرودة كما في جرينلاند والقارة القطبية الجنوبية أو لأنها صخرية لا يغطيها إلا الرقيق من التربة إن وجد ، أو الجفاف الشديد الذي يستحيل معه النبت وبييس الأخضر. أما الـ ٣٠ % الباقية ، وتقدر بنحو عشرة آلاف مليون من الأفدنة فلا تشغل منها الآن إلا نحو أربعة فقط، أي أن نصيب الفرد في العالم أكثر من الفدان بقليل، بينما يحتاج الفرد إلى نحو ٢,٥ فدان لتمده بالحد الأدنى من الغذاء بتقدير دكتور **Benett** وبذلك لا يخص الفرد ما يحب أن يحصل عليه من غذاء.

علاقة الإنسان بالأرض :

معنى هذا أن إنتاج الأرض الحالية لا يكفي ما عليها، وأنه يجب أن يزداد لمواجهة الأفواه الجديدة كل عام من ناحية، ثم يزيد مرة أخرى إذا تطلعتنا إلى الأخذ بيد ثلاثة أرباع البشر الذين يستوي لديهم الوجود والعدم.

حقاً لقد إزدادت الكمية المنتجة من الغذاء في العالم بأسره بمقدار يتراوح بين ١٠ % و ١٥ % خلال السنوات الأربعين التي سبقت بداية الحرب العالمية الثانية، غير أن الزيادة السكانية بلغت ٣٠ % في نفس تلك الفترة، وكان للحرب العالمية الثانية أثرها الواضح في نفس كميات الغذاء المنتجة حتى أن مستوى الإنتاج الغذائي قبل الحرب لم يصل إليه العالم إلا بعد إنقضاء ثلاثة عشر عاماً من إنتهاء تلك الحرب.

من ثم دقت طبول الخطر، بأننا نسير من سئ إلى أسوأ، لأن السكان يزدون بمعدل أسرع من زيادة إنتاج الأرض.

مالتوس ومصيدته :

والواقع أن هذا الناقوس سبق سماعه منذ نحو قرن ونصف على يد القس الإنجليزي مالتوس، حين ذكر أن السكان يتزايدون بمتوالية هندسية أى بالتضاعف بالضرب (٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦) بينما الغذاء يتزايد بمتوالية عددية (٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨) أى بإضافة ٢، وشتان بين التضاعف والإضافة فالتضاعف يؤدي إلى زيادة أكبر من الإضافة.

وحذر بأن الطعام لن يكفي مهما ضاعفنا إنتاجه إلا إذا توقف التضاعف البشري، غير أن هذا التضاعف العددي يبطئ أحياناً نتيجة للحروب والأوبئة والمجاعات.

وقد تعرض مالتوس للنقد المرير، خاصة وأن الظروف في تلك الفترة والتي أعقبتها لم تساعد على إنتشار مذهبه بل أحبطت فكرته، ذلك أنه لم يعمل حساب لمساحات شاسعة خالية أو شبه خالية في الأمريكتين وأستراليا، فعندما بدأت أوروبا في الإزدحام إمتصت هذه

العوامل الجديدة ذلك الفائض، وكانت تقول هل من مزيد، ثم ظهر إنقلاب صناعي قلب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وبدلهم من بعد عسرهم يسرا، وممكنهم من أن يعدوا أو ينسحبوا فقط ثورة في النقل تأخذ ما صنعت أيديهم وتأتيهم بطيب عيش منوع من أراضي بعيدة.

لا مجاعة ولا قحط:

غير أن هذا الرأي واجه معارضة الكثيرين، وعلى رأسهم جون رسل كبير علماء الزراعة البريطانيين فرغم أنهم لا ينكرون أزمة الطعام، ففي رأيهم أنه لن تحدث مجاعة في المستقبل لأن الجوع ممكن تلافيه. فإلى جانب الانفجار السكاني المتوقع في نظر هؤلاء، فإن هناك انفجارا فنيا فنحن نعيش في عصر مزيد من العلم والمعرفة.

وأنه من الممكن زيادة الإنتاج، لأننا لا نستغل من وجه الأرض أكثر من ثلث الواجب زراعته، فإذا أكملنا الإستغلال فإن أرضنا تطيق البشر ثلاثة أمثال ما عليها.

تطبيق عملي :

غير أننا نلاحظ آراء الإقتصاديين في هذا المجال ، فهناك فرق في رأيهم بين إمكان إستخدام نوع معين من الأرض في الزراعة وبين إستخدامها الفعلي، فعلى سبيل المثال قد يقال أنه يمكن زراعة الصحراء وجعلها تعج بالنبات، ولكن قد يكون هذا غير صحيح من الناحية الإقتصادية، فقد تكون تكلفة المشروع باهظة لدرجة تمنع تنفيذه، وفي المعادن يجب أن نفرق بين الوجود المطلق للمعدن وبين الوجود النسبي له، وكثيرا ما تؤدي دراسات الجيولوجيين إلى حقائق غريبة غاية في الغرابة من الناحية الإقتصادية، فمعدن النيكل مثلا، إنتاج العالم منه قليل بالنسبة للمعادن الأخرى، ولا يستخرج إلا بمقادير قليلة في مناطق معينة من الأرض، فكندا وحدها تنتج ٨٠ % من الإنتاج العالمي، ومع ذلك فهذا المعدن النادر نسبيا نجد أنه في صخور القشرة يبلغ ضعف مقدار النحاس وخمسة أمثال الزنك وعشرة أمثال الرصاص ونحو مائة مثل القصدير. لذلك كان الفرق واسعا بين مجرد الوجود الجيولوجي للمعدن وسهولة الحصول عليه إقتصاديا.

وفي ميدان الحشرات تعمل منظمة الأغذية والزراعة وكل دولة جهودها ومع ذلك تستهلك هذه الحشرات في الولايات المتحدة الأمريكية التي بلغت قمة في التقدم الفني الحشري ما قيمته ١٠٠٠ مليون دولار سنويا.

وفي تفصيل هذا الجزء من النبات أو ذلك نجده قد إرتبط عند الشعوب بالعادات الغذائية المنتشرة في المنطقة التي يعيشون فيها، وليس من السهل أن تغير في أذواق الطعام، فمن السهل أن يتغير ذوق اللباس لأنه يتوقف على حكم المجتمع الذي نعيش فيه، ولكن الطعام يتوقف على حكم النفس واللسان، فهو شرطي المرور الذي يشير إلى إمكان إبتلاع هذا ولفظ ذاك.

خريطة العالم لوحة من الفسيفساء :

ولنفرض جدلاً أن هذه الإمكانيات ميسورة المنال سهلة التحقيق، سنجد أن هناك من الأمور ما يستحق النظر مرة أخرى، فكثير من الكتاب الديموغرافيين حين يعالجون مشكلة الغذاء، يعالجونها على أساس وجود علاقة توازنية بين المنتجات الزراعية في العالم وبين سكانه، أي يفكرون على مستوى عالمي، وهذا النوع من التفكير يدل على التفاؤل المفرط، فيحق للمرء أن يشعر بالسعادة والسرور حينما يزداد إنتاج القمح في العالم بمعدل أسرع من معدل زيادة السكان. ولكن ليس في ذلك حل للمشكلة التي تواجهنا ، فليس هناك مخزن عالمي يتجمع فيه المحصول ، فتقوم الحكومة العالمية بتوزيعه حسب الإحتياجات، بل أن خريطة العالم السياسية تعددت ألوانها وتضاربت وأصبحت أشبه شئ بلوحة من المزايكو أو الفسيفساء. من الإتحاد السوفييتي الذي تربو مساحته على ثمانية أميال ونصف مليون ميل مربع إلى إمارة ليشتنشتين التي لا تزيد مساحتها على ستين ميلاً مربعاً. وحتى حبيبات هذا الموزايكو عرضة للتغيير بحيث يمكن للحبيبة أن تتمدد وتتكشف أو يصيبها إنقسام حسب الظروف السياسية.

ونتيجة لهذا أصبح المتوسط العام لما يخص الفرد في العالم وهو أكثر من فدان بقليل، أصبح غير ذي موضوع، وأما الأقرب إلى الحقيقة فقد قام به السير جون رسل حيث قسم أقطار العالم إلى الأقسام الآتية:

١- أقطار يخص الفرد فيها (أكثر من ٢,٥ فدان) تشمل الأمريكتين وأستراليا وشرق أوروبا، وهي في بحبوحة من عيشها.

٢- أقطار يخص الفرد فيها (١ - ٢,٥ فدان) وتشمل غرب أوروبا ووسطها وهذه الأقطار تكفي نفسها بنفسها من الغذاء بنسبة ٨٠ %.

٣- أقطار يخص الفرد فيها (أقل من فدان) وتشمل بلجيكا وسويسرا وبريطانيا واليابان وهذه الأقطار مستوردة للطعام إعتقاداً على صناعتها.

٤- أقطار يخص الفرد أقل من الفدان وهي الهند والصين وجنوب شرق آسيا بعامه، وجمهورية مصر العربية. وهذه المجموعة الرابعة بإستثناء الهند أستبعدت اللحم من غذائها أو قللت منه وبذلك أمكن للفرد أن يعيش في الهند على ٠,٨ من الفدان وفي الصين على نصف فدان.

تناقض غذائي:

وليس أدل على التناقض الغذائي الدولي من أن الولايات المتحدة ظل بها فائض كبير عن حاجة سكانها من القمح والذرة، والبيض واللبن، والجبين، بحيث أن تخزين هذا الفائض كان يكلفها نحو خمسة آلاف مليون دولار سنوياً ووضعت المشروعات لشراء هذا الفائض ولتخزينه في مخازن وصوامع هائلة وشجعت المزارعين مالياً للإقلال من الزراعة حتى يمكن إنتاج المحاصيل بالقدر اللازم للإستهلاك، حتى لا تنخفض أسعارها نتيجة زيادة

العرض على الطلب، وهكذا ظلت الحكومة تشتري الفائض حتى أصبحت المخازن والصوامع لا تكفي ل تخزينه، بدأت تستغل المدرعات والسفن الحربية في التخزين، كما دب الفساد إلى جزء كبير منه.

ثم آتت الحرب العالمية الثانية، وحلت المشكلة لحاجة الجيوش إلى الغذاء، ولكن ما أن طويت صفحة الحرب العالمية حتى عادت المشكلة تطل برأسها من جديد فوزعت منها إعانات للبلاد التي خربتها الحرب وبدأت تتخذ في تصريف هذا الفائض أكثر من إتجاه.

ومن هنا بيع الفائض للدول الأخرى وتسديد الثمن بعملاتها المحلية أو بالدولار، فإذا تم التسديد بالعملات المحلية فإن الثمن ينفق في نفس القطر لمواجهة مصروفات السفارة فيه ومشروعات التبادل الثقافي وغيرها، وإذا تم بالدولار يقسط على عشرين عاما، وأحيانا يتم البيع بالمقايضة بالمعادن أو الخامات، أي تقاضى الثمن بأي شكل من الأشكال.

وإتجاه ثان وهو المعونة في حالة الكوارث كالزلازل أو القحط الفجائي في بعض الأعوام، وهذه حالات وقتية.

والإتجاه الثالث وهو الهبات السنوية، وقد تمت الهبات منذ عشرين عاما لأسباب سياسية، سواء تمثلت في مشروع مارشال أو المساعدات الأمريكية لشان كاي شيك.

الأمر الذي يعنى أنه توجد حتى يومنا هذا هبات بالمعنى الحقيقي للكلمة وحتى هذه الهبات بدأت بعض الدول تعارض قبولها لأنها إستهلاكية وليست إنتاجية، فهي لا تأخذ بيدهم لتساعدهم على أن يقفوا وحدهم، بل تعطيتهم سمكة لتخلصهم من الجوع يوما، ولكنها لا تعطيتهم شبكة تخلصهم من الجوع طول حياتهم.

وحتى البنك الدولي الذي يمكن أن تقترض منه الدول النامية لتطوير إنتاجها، كان ينحرف أحيانا عن الطريق القويم، ويقع تحت تأثير الولايات المتحدة الأمريكية، وليس رفضه لتمويل السد العالي، وما تبعه من تأميم لشركة قناة السويس عام ١٩٥٦ ببعيد.

ولا يسعنا قبل أن نترك هذه النقطة، إلا أن نطرح مقارنة طريفة بين حالة الفرد في الهند وزميله في الولايات المتحدة الأمريكية.

قد يزيد الإنتاج في الولايات المتحدة أو أستراليا بمقدار ٥ % أو ٦ % فإن هذا الإنتاج الإضافي ليس ذو فائدة كبيرة لسكان العالم في مناطق أخرى مثل الهند أو الصين أو اندونيسيا إلا إذا إستطاع سكان هذه الدول الأخيرة أن يبادلوا هذه المنتجات الزراعية بما عندهم من فائض في هذا الإنتاج، وما لم تتوفر هذه السلع المطلوبة فمن الصعب الحصول على المواد الغذائية وكلنا يعرف أن فائض هذه الدول النامية ضئيل.

المشكلة إذن ليست في أن العالم يستطيع أن ينتج الطعام الكافي للعدد المتزايد، ولكن المشكلة تظهر فيما إذا كانت الهند والصين تستطيع أن تستبدل ما تحتاجه بمنتجاتها، هذا هو الوضع الصحيح للمشكلة.

المشكلة تزداد حدة:

ويزيد من حدة المشكلة عاملان، أولهما التوزيع غير المتساوي للسكان على سطح الأرض بحيث يتجمع نصف أولاد آدم في شرق آسيا وجنوبها، خلية نحل في ١/٣٠ من مساحة اليابس، بينما هناك مناطق تعاني تخلخلا سكانيا مع وفرة في أراضيها كما في كندا والبرازيل وأستراليا وغيرها (١)، بحيث يمكن أن تعول عددا أكبر من السكان دون خفض لمستوى معيشتهم، كما أن هناك مناطق أخرى يمكن أن ترتفع مستوى معيشتها بزيادة سكانها، ومع ذلك لا يستجيب السكان لما في أيديهم من موارد.

وهكذا تجد الناس فريقين: قلة من الناس لها من الغذاء نصيب الفيل، وكثرة ولها من الغذاء القدر للضئيل.

أما العامل الثاني فهو عدم تكافؤ الزيادة السكانية، فأقل الناس زيادة في الوقت الحاضر يملكون من الأرض ومن موارد أكثر مما هم بحاجة إليه، على سبيل المثال فإن الزيادة الطبيعية لمعظم البلاد الأوربية كما يقول أينشتاين ستخف في العشرين عاما المقبلة بسبب كبر السن وما يؤدي إليه من قلة المواليد، وزيادة في الوفيات على العكس سكان الهند أو الصين أو إندونيسيا فإنهم يزدون دون النظر إلى ما بين أيديهم من موارد. فنمو السكان في الدول النامية يسير بدرجة عالية، إن التقدم الطبى الذي وصل إليه الغرب بعد محاولات من التجربة والخطأ استمرت لمدة قرنين، قدم إلى هذه الشعوب خدمات جليلة فأنخفضت الوفيات بمعدل أسرع منه في غرب أوربا، فبعد القضاء على الملاريا في سيلان، إنخفضت الوفيات من ٢٢ في الألف إلى ١٢ في الألف في سبع سنوات من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢، هذا المعدل في الهبوط استغرق في بريطانيا ٧٠ عاما وفي جزر موريشس كان هناك هبوط من ٢٧ في الألف إلى ١٥ في الألف استغرق سبع سنوات بينما استغرق هذا الهبوط في بريطانيا ١٠٠ عام. ولم يكن هذا الإنخفاض السريع عالية في تلك المناطق بحيث تصل إلى ٢٥ في الألف.

المشكلة في إطار إقليمي:

إذن كيف تحل الدولة النامية مشكلاتها السكانية، وأقول مشكلاتها وليست مشكلتها لأنها في الحقيقة تطوى بين ضلوعها مشكلات إجتماعية وإقتصادية وسياسية؟ كيف تحل مشكلاتها في إطارها الإقليمي، لا في الإطار العالمي؟ كيف تلحق الزيادة الإنتاجية إكسبريس الزيادة السكانية السريع؟

يا ترى فلاحه الأرض فيها على الطريقة الهولندية؟ إن هذه الطريقة تستلزم وجود آلات زراعية معينة، وحتى هذه الآلات الزراعية لا يمكن إستعمالها في الهند أو الصين لوجود أعداد ضخمة من السكان (في ظل الوضع الحالى) لا تجد عملا، فما بالك بعد إدخال

(١) يتجمع ٦٥% من سكان العالم في ثلاثة أقاليم هي أوربا . جنوب آسيا (الهند والباكستان) الصين وهذه الأقاليم لاتزيد على ١٥ % من بمجموعة مساحة اليابس ، وهناك تجمعات تعد بعشرات الملايين كما في مصر ونيجيريا وشرق أمريكا الشمالية واليابان .

الآلات الزراعية؟ ستزداد الأمور لاشك تعقيدا، تتضمن هذه الطريقة أيضا قسما من المعرفة الفنية والخبرة عند المزارع، وهذا يقتضى تدريب المزارعين الهنود والصينيين ولكن كم من الوقت يمر قبل أن تصل إلى النتائج الموجودة؟ كما أن المزارع الأمي الذي تقدمت به السن سيعجز دون شك عن هضم هذه المعارف الجديدة. وقد يتحقق هذا ولكن في المدى الطويل، فهذه التقديرات تتجاهل مفهوم الزمن أو تتناساه، تنسى أن الصين تزيد كل عام ما يزيد على ١٥ مليونا، وأن الهند تزيد كل عام نحو ٦ ملايين. وأنه إذا كان في الإمكان زيادة الإنتاج الزراعي، فيجب أن يكون فوراً لأن كل عام يزيد المشكلة تعقيدا.

إن فلنرجع إلى أوروبا، ماذا فعلت عندما بدأت تحس بضغط سكانية ملحة في بعض أطرافها سنجد أنها إستجابت بالتصنيع وبالهجرة؟

تصنيع:

والواقع أن التصنيع قد يقلب الأوضاع السكانية، فبدلاً من أن تكون الدولة قبل التصنيع مزدحمة بالسكان نجدها بعد التصنيع قد تكون في حاجة إلى أيدي جديدة، فالصناعة أحد المخارج الرئيسية من المصيدة المالتوسية، لأنها ستشرب الفائض من سكان الأرض الزراعية. وكان هذا من العوامل التي هربت بها أوروبا من هذه المصيدة.

ألا أنه في الدول النامية تظهر بعض عقبات في وجه التصنيع على نطاق كبير منها ضعف السوق الداخلي، لأنه لا يستطيع أن يستوعب كميات كبيرة من السلع لضعف القوة الشرائية بين السكان، لأن هذه الشعوب بحكم هبوط دخلها النقدي، لن تستطيع أن تنفق إلا قدراً بسيطاً من هذا الدخل على شراء المنتجات المصنوعة، فالجزء الأكبر منه يتجه للمأكول والمشرب والسكن. أي المطالب الضرورية للمعيشة، وأن تبقى شئ للمصنوعات الضرورية مثل الملابس. أما الأسواق الخارجية فنجد أن الدول الصناعية القديمة قد اكتسبت معظمها، ثم هناك عقبة وهي قلة رأس المال المستثمر.

هجرة:

أن سياسة تقوم على تهجير سكان آسيا تهجيراً مصحوباً بمعونة مالية ومدرسة دراسة عميقة إلى بعض البلاد القليلة السكان، لذات أثر عميق في الأحوال الاقتصادية للبلاد التي سيهاجرون إليها. ولنا ندعى أن الهجرة التي يوضع لها نظام مدروس من البلاد المخلخلة ستقتضى على جميع المشكلات السكانية في الصين، أن الهند أو اليابان، ولكن التهجير سيعمل على ظهور أثر الجهود الزراعية والصناعية ومايصحبه من إرتفاع لمستوى المعيشة، فإذا إرتفع الشعب إلى مستوى معين، فهناك رغبة في التمسك بهذا المستوى والإرتفاع به أن أمكن، ولكن لم يحدث أن كانت هناك رغبة لدى الأفراد أو المجتمعات في الإنحطاط بمستواهم، ستخفض معدلات المواليد بدورها تلقائياً. وتبدأ هذه المناطق تمر بالدور السكاني الذي مرت به دول غرب أوروبا.

ثم هناك عامل آخر لا يمكن إغفاله. وهو أن معظم المهاجرين ليسوا من العجزة

المسنين ولا من الأطفال . ولكنهم في الغالب من الشباب ذوى الإخصاب القادرين على الإنجاب. ومن هنا كان لابد من نقص في مواليد الوطن الأم كلما هاجر منها عدد من الشباب .

سدود وموانع:

وتعترض في وقتنا الحاضر قوانين الهجرة المختلفة التي سنتها الدول فإذا كانت الهجرات الجماعية في الماضي قد حلت من مشكلة أوروبا. إلا أن أمريكا لم تعد غابة مفتوحة أمام كل قادم . فبعد أن كانت تسير طبقا لما هو منقوش على تمثال الحرية في نيويورك مخاطبة أوروبا " إلى بالمتعب والفقير وبالجماعات المضطهدة التي تنشد الحرية . إلى بالتعساء الذين تلفظهم سواحلك. أرسلى هؤلاء المشردين والفقراء أرسلهم إلى " . أصبحت الآن تضع شروطا للهجرة تحدد عدد المهاجرين بنحو ١٥٠ ألف نسمة سنويا . يقسم على أفراد القوميات المختلفة بنسبة عددها عام ١٩٢٠.

وترفض بعض الدول هجرة الأجناس غير البيضاء كالصينيين واليابانيين والهنود وسكان الملايو والباكستان والزنوج.

فالمهاجرون الإيطاليون يقبلون في فرنسا بسهولة، وبهاجر العمال البلجيكيون للعمل في شمال شرق فرنسا ويرجعون إلى بلجيكا، كما إستقبلت ألمانيا نحو نصف مليون إيطالي لتنشيط الصناعة فيها، ثم أن الأوروبي الذي يرغب في الهجرة يود أن يذهب إلى بلاد أعلى مستوى، فالهجرة على النقيض من الماء تسير من المستوى المنخفض إلى المرتفع.

فالنتيجة التي لا مهرب منها هي أن الطراز الوحيد للمهاجر الذي ينجح في تحويل الأرض الخالية إلى أرض زراعية هو الفلاح الآسيوي الصيني أو الهندي أو الياباني. فاستراليا كما يقدر الجغرافي الكندي دكتور جريفت تايلور، تستطيع أن تتحمل عددا يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ مليونا بدلا من ١٤ مليونا الآن.

ولكن الأستراليين يطلقون على جيرانهم الآسيويين، لقب الخطر الأصفر ويدعون أنه إذا تدفقت الهجرات الآسيوية، فإن هذا سيؤدي إلى إنخفاض الأجور. ذلك أن التشريعات الصناعية عملت على رفع أجور العمال حتى غير الفنيين منهم، كما نجحت في خلق ظروف مناسبة لهم تعتبر بصفة عامة أكثر تقدما، مما وصل إليه الحال في أوروبا وأمريكا الشمالية. وربما هددت هذه الهجرات هذا المستوى المعيشي لإنخفاض مستوى معيشة الآسيوي وقبوله أجور أقل من الحد الأدنى . ولكن الرد على هذا أن الآسيويين إذا هاجروا فلرغبة في رفع مستوى معيشتهم لا لخفض مستوى معيشة الشعب الذي إستضافهم، ولا يمكن أن نتخيل أن الآسيوي أو غير الآسيوي يحب الفقر ويعيش الكفاف.

ما يقال عن قدرة أستراليا عن تخفيف الضغط السكاني ، يقال عن كندا، فإنها تستطيع أن تستوعب ثلاثة أمثال هذا العدد دون خفض لمستوى معيشة سكانها.

كذلك الحال في أمريكا اللاتينية وأرضها العذراء التي قدر لها أن تستوعب ٢٥٠

مليوناً، والتي لم تكن لديها عقدة اللون والجنس بدأت للأسف الشديد تتأثر في هذه الناحية بأمريكا الشمالية. ونتيجة ذلك أصدرت كثير من جمهوريات أمريكا اللاتينية القوانين التي تحد من الهجرة إليها، فالبرازيل مثلاً حددت عدد المهاجرين إليها من أي بلد بحيث لا يتجاوز ٢ % ممن وفدوا إليها بين عامي ١٨٨٤ و ١٩٣٣ ، ولعل الطريف أن أكبر نصيب للمهاجرين (طبقاً لهذا القانون) للبرتغال مع أنها ليست مزدحمة بالسكان، ولا هي في حاجة ملحة إلى الاستفادة من هذا القانون.

مشكلة السكان مسئولية عالمية:

هكذا إزداد سكان العالم هذا القرن بمعدل أعلى منه في أي وقت مضى، ويبدو أنهم سيزيدون مرتين أو ثلاث مرات قبل أن يحدث ما يشبه التوقف، وليست هناك طريقة بطبيعة الحال لمعرفة متى يتم هذا التوقف في الزيادة السكانية، ولكن ما يمكن قوله أنه إستناداً إلى ما حدث على فترات متفاوتة خلال العقد الماضي (في فرنسا وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية والآن إيطاليا واليابان والسويد) فهناك مؤشرات تدل على أنه مع التصنيع وزيادة الحضرية تصبح العائلة الصغيرة هي المستحبة، ولحسن الحظ أن الثورة التقنية جعلت في الإمكان زيادة إنتاج الغذاء وإستخدام موارد جديدة، في نفس الوقت الذي أدى فيه تقدم الطب إلى الزيادة السكانية الهائلة التي شهدها النصف قرن الأخير.

إختلاف مشكلات سكان الشمال عن سكان الجنوب :

في الشمال الصناعي المتقدم ورغم المستوى المعيشي اللائق في المجمل العام، هناك مشكلات جديدة لم تكن لتخطر على بال أوروبي في نهاية القرن الماضي منها على سبيل المثال: تناقص عدد المواليد، وإرتفاع نسبة الشيخوخة ، وتزايد الهجرة غير المشروعة وتفكك نظام الأسرة، وبالتوازي مع ذلك تظهر مشكلات جديدة تفرض نفسها بعنف على النظم الأخلاقية والمعنوية منها الحمل المعلمي بدون أب معروف أو باب مات منذ سنوات، والمطالبة بإباحة الإجهاض قانونياً، وإجازة إنهاء الحياة بعد اليأس في العلاج، أنها مشكلات لا تقل أهمية عن بطالة الشباب والمخدرات ومرض نقص المناعة وتلوث البيئة والإرهاب.

أما في الجنوب فمشكلاته تذكرنا بتلك التي توقعها روبرت مالتوس في منتصف القرن الماضي فالسكان يترادون بمتواليات هندسية، على حين تتناقص إمكانات المصدر الأساسي لإشباع الإحتياجات الضرورية، أي الأرض، بكل ما يصاحب هذا من أمراض ومجاعات وحروب وتصفيات عرقية. والأمر بالغ الخطورة بالنسبة للجنوب، إذ تتكاثف فيها كل هذه الكوارث بشكل لا يهدد الحياة نفسها فحسب، بل وبما يهدد باتساعها وانتقالها إلى أوربا، وقليلون حقا هؤلاء الذين يدركون أن هذه الآفات على نوعياتها في كل من نصفي الكرة الشمالي والجنوبي متصلة غير منفصلة، بحيث لم يعد ممكناً تصور حلول لها في الشمال بمعزل عن الجنوب، أو العكس.

أن المقارنة بين الماضي والحاضر تتوقف عند هذا الحد لأن الأزمة العالمية اليوم

تحتوى على عوامل جديدة لا مثيل لها في العصور السابقة، وإذا كانت وجوه التشابه في مشكلة محدودة ثروة الأرض عديدة، فالفرق بين اليوم والأمس يكمن في أن إستغلال الأرض وصل إلى أعلى مرحلة إلى جانب أن أي حلول جديدة كالـتكنولوجيا البيولوجية في الزراعة تتطلب رؤوس أموال وتراكمات تكنولوجية لا تملكها البلدان الأكثر فقرا في الجنوب، إن دول إفريقية وأمريكا الوسطى والشرق الأوسط والهند والصين ستواجه على الأقل في العقود القليلة المقبلة ورغم الجهود الجبارة التي تبذلها، مشكلة تضاعف السكان، فالمشكلة السكانية أشبه بحاملة نطف هائلة الحجم يلزمها كثير من الوقت حتى تتوقف تماما، مع ذلك فليس من المتوقع أن يتقدم هذا الإدراك نحو التوصل إلى سياسة كونية عامة، بل يعتقد البعض أن الهوة ستتسع أكثر وأكثر بين الشمال والجنوب، فإذا كان الشمال يمتلك الوسائل التي تسمح له التوصل إلى حلول لمشكلاته، فإن التقدم التكنولوجي باهظ التكلفة بالنسبة للجنوب، وخاصة بالنسبة لتلك البلدان التي لا تمتلك منذ الآن الإمكانيات أو البنيات الأساسية لذلك، بما يعنى أن بلدان الجنوب متفاوتة الحظ في إمكان التغلب على أزماتها.

وفي كل الأحوال فإن الهوة ستتسع أكثر وأكثر بين الشمال والجنوب (كما ذكرنا) لأن التحدي نفسه جديد على أجهزة الشمال والجنوب، بسبب الترابط والتداخل الآن بين مشكلات الشمال ومشكلات الجنوب، ومن ذلك على سبيل المثال الترابط والتداخل بين الانفجار السكاني في الجنوب وتزايد الهجرة أو الهروب إلى الشمال، وبين ثورة الصناعة الآلية وتفاقم البطالة في الشمال والجنوب، وبين إنتاج ثاني أكسيد الكربون في الشمال وإهدار الثروات الطبيعية والمواد الأولية في الجنوب، وبين تقدم التكنولوجيات المعلوماتية والمالية في الشمال.

إن ما يزيد على ١,٣ بليون من سكان الأرض يعيشون دون مستوى الفقر، وليس مؤكدا أنهم ينطلقون إلى الرخاء على الطريقة الغربية كما يشاهدونه على شاشات التلفزيون، وإذا كانت الإصلاحات البنوية في البلدان النامية تلقى مقاومات عنيفة، لأنها تتجاوز أحيانا حدود ما هو محتمل إنسانيا، فالبعض قد لجأ إلى الهجرة ولكن الأغلبية تلجأ إلى الإنغلاق والإنطواء، إن الإرهاب الأصولي يجد تربته الخصبة ليس في بور الفقر والبؤس وحسب بل أنه يعتمد على الكتل البشرية التي تتحمل في صمت غياب رعاية المجتمع لهم وإهمالهم وكأنهم منفيون في وطنهم.

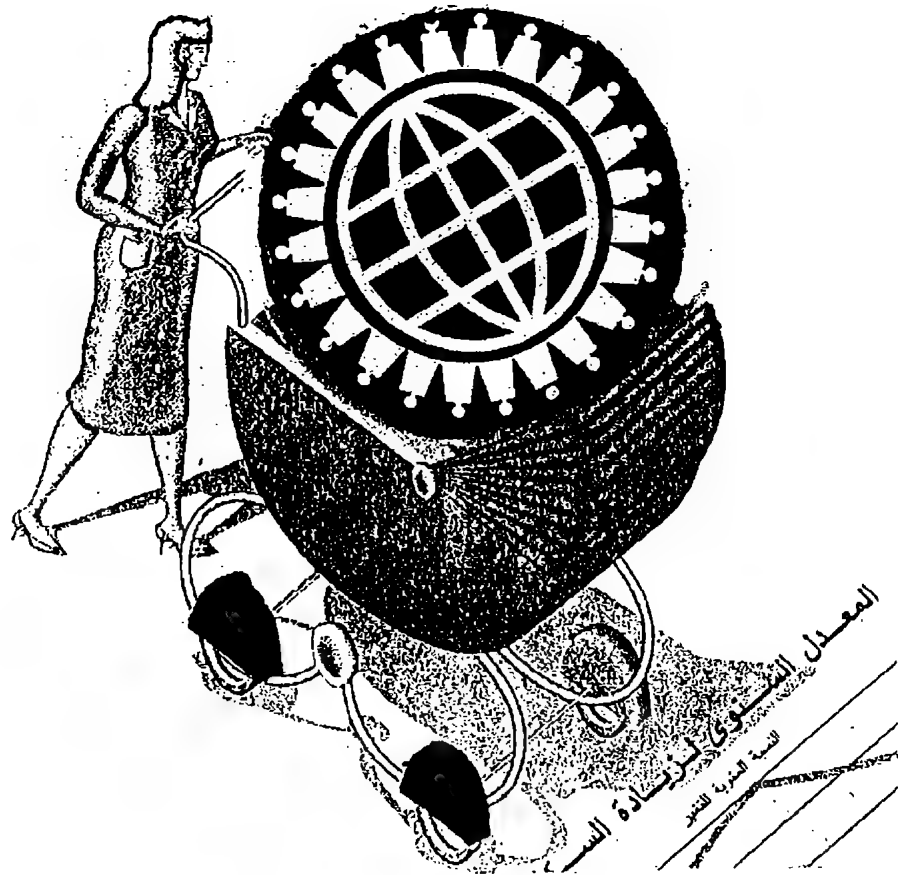
هذا التأثير المباشر لإتساع هوة الفقر وتفاقم البؤس في الداخل، مصحوبا بتزايد عدم التفاهم بين الشمال والجنوب، وتزايد غضب سكان الدول النامية أمام العوائق التي تفرضها المؤسسات الدولية على خطط التنمية، ومحاولات الخروج من الأزمات الإقتصادية الطاحنة.

واقع الأمر أن الأقطار الفقيرة أكثر حاجة لدعم ميزانيات للأمن الغذائي والصحة والتربية والإسكان، أن تكنولوجيا التصنيع الآلي والزراعة البيولوجية والإتصال ستفيد الدول ذات النمو المتوسط التي تملك البنيات اللازمة ولكنها لن تفيد الأكثر فقرا.

إن تترك السكان يتزايدون بهذه المعدلات دون إشراك العالم المتقدم سوف يحولها إلى مشكلة سياسية وإقتصادية عالمية تمس البشر جميعا المتقدم والنامي على السواء، ذلك أن الدول التي تواجه هذه المشكلة سوف تخصص مبالغ متزايدة لإستيراد المواد الغذائية الضرورية لإطعام أفواه الملايين من المواليد الجدد كل عام، ومعنى هذا تقليص المبالغ اللازمة لأغراض التنمية الزراعية والصناعية، وبالتالي سيتقلص حجم إستيرادها من الدول الصناعية، والتي لن تجد أسواقا لتصريف منتجاتها، وبالتالي تغلق مصانعها وتتفشى فيها البطالة وقد تنهار بعض إقتصادياتها.

وفي نفس الوقت لاشك أن الدول تعاني نقصا في المواد الغذائية وليست لديها القدرة الإقتصادية لإستيراد المواد التموينية، ستضغط على الدول المجاورة، ولو أدى الأمر إلى الإلتجاء إلى النزاع المسلح.

لابد إذن من حل المشكلة على المستوى العالمي، وإعتبار البشر جميعا مسؤولين عز حلها: المتخومون بالغذاء وذوو المسغبة، الذين لديهم أراضى خالية لا تستغل على الوجه الأكمل، والذين ليس لديهم منها شبر غير مستغل، ونظن أن مليار دولار تصرف يوميا على السلاح للخراب، يمكن أن تنخفض إلى الربع مثلا، ويوجه الباقي لصالح البشرية.



الفصل الأول

الحـ دود السـ ياسية

التخوم والحدود:

تعتبر دراسة التخوم والحدود السياسية من الموضوعات الهامة التي تدرس في الجغرافية السياسية، من هنا كان من المفيد في بداية هذا الموضوع تفسير مفهوم التعبيرين، وفي الحق نجد أنهما مترادفان في الإستعمالات العادية لغير الفنيين، فالحدود الدولية يعبر عنها أحيانا السياسيون والمؤرخون وغيرهم بتعبير *International Frontiers* وأحيانا *International Boundaries* وليس من تفسير لهذا التعميم أو الخلط سوى عدم وضوح الرؤية في حدود كثير من الدول — باستثناء حالات قليلة — لنقص معرفتها الجغرافية ولعدم وجود خرائط تفصيلية لها، وذلك حتى فترة قريبة. ولكن مع تقدم علم المساحة وأجهزته، وتقدم فن الخرائط، وتطور الدول إلى ما هي عليه الآن أصبحت غالبية الحدود ليست واضحة بجلاء فحسب، بل محدودة على الطبيعة أيضا .

ونعود فنقول مرة أخرى قبل أن يعبا في هذه الوحدات السياسية كانت هناك مساحات واسعة من الأرض غير الصالحة للتوطن البشرى أو غير جذابة لظروف طبيعية غير مواتية، كان تكون مغطاة بالمستنقعات أو الغابات أو غير ذلك مثل هذه المناطق كانت تقوم بوظيفة منع الإتصال وكانت تترك كمناطق دفاعية، تفرق بين مجموعات بشرية تعيش على جوانبها، وتنمو في أمان وإطمئنان، ومع مرور الزمن تغلب الإنسان على هذه العقبات الطبيعية بطريق أو آخر، ودخلت هذه المناطق داخل الوحدات السياسية، حتى في المناطق الصحراوية أصبحت تمتد سيطرة الدولة حتى تتقابل مع سيطرة دولة أخرى. من ثم يمكن أن نفرق بين التخوم *Frontiers* والحدود *Boundaries* كما يلي :

١- التخوم عبارة عن مسطحات من الأرض ، بينما الحدود عبارة عن خطوط .

٢- الأولى يمكن القول بأنها طبيعية لأنها أجزاء من سطح الأرض. بينما الثانية أختبرت وحددت بواسطة الإنسان.

فوادى الراين مثلا يعتبر منطقة تخوم طبيعية بين فرنسا وألمانيا، ولكن إستخدام النهر ذاته كحد فاصل بين ألمانيا وفرنسا يعطى هذا الخط صفة صناعية . وكذلك الحال في جبال الألب تعتبر منطقة تخوم بين إيطاليا وفرنسا ولكن خط الحدود نفسه ما هو إلا خط إستقر عليه الرأي أخيرا كحدود بعد نحو قرن من التعديل والتغيير والإتفاق.

٣- يمكن أن يتضح هذا أكثر إذا عرفنا أن التخوم سواء كانت طبيعية، لغوية أو دينية لا يمكن تحريكها أو زحزحتها، قد تفقد بعض الخصائص التي أعطتها صفة التخوم،

ولكنها تظل في موضعها على عكس الحدود التي تتغير وخاصة مناطق الصدام.

٤- يشق لفظ **Frontier** من **Front** أي المقدمة **foreland** الأراضي المتقدمة وأحيانا تسمى **borderland** وكلها على هامش الدولة، وهي عادة الأراضي الفاصلة بين معمرين **Ecumene** زراعي ورعوى مثلا، ومع التطور يتقدم كل معمر نحو التخوم، وتصبح منطقة إلتقاء مجتمعين، وبالتالي لم تكن التخوم في الذيل، بل في مقدمة الدولة أما لفظ **Boundary** فيشير إلى إرتباط السكان داخله وقد عبر عن ذلك **L. Kristof** بقوله:

all that which is within the boundary is bound together that is, it is fastened by internal bond .

٥- كانت التخوم تقوم بوظيفة منع الإلتصال بين الجماعات أو الدول، بسبب طبيعتها الطاردة، بينما الحدود السياسية اليوم لا تقوم بهذه الوظيفة، بل على العكس يتم عن طريقها الإلتصال العضوي بين سكان الدول، السكان من كل جانب يتحركون عبرها، من ثم فهي خط إلتصال وإحتكاك.

٦- توجيه التخوم خارجي **Outer Oriented** بمعنى أنه لا سلطة للظهير عليها، كما تبين لنا دروس التاريخ أن سكان التخوم يدبرون أمورهم بعيدا عن السلطة المركزية ولا يشعرون بأنهم مرتبطون بهذه السلطة أو يدخلون في نظامها، عكس الحدود فهي ذات توجيه داخلي **Inner Oriented** فالحكومة المركزية هي التي خلقتها وهي التي تحافظ عليها، وليس لسكانها حياة خاصة، لأنها غير موجودة من الناحية المادية، فهي مجرد رمز على الخريطة وإذا كانت قوى الجذب والترابط يجمع بينها خط الحدود، فإن ناتجة عن القوى الطاردة.

وقد قامت البحار والغابات الفسيحة والمناطق الجبلية، ومناطق المستنقعات والصحارى كحواجز ضد التوسع البشرى أو الإختلاط، ولكن بدأت وظيفتها تتعدل تبعا للنشاط البشرى، وتقدم وسائل المواصلات.

فجبال الأبلش كانت التخوم الغربية للثلاثة عشرة مستعمرة على الساحل الشرقي للولايات المتحدة في مبدأ إستعمار القارة. وعندما إكتشفت الأودية التي تصل الساحل بالداخل فقدت هذه الجبال وظيفتها كتخوم لهذه المستعمرات وحلت محلها برارى غرب الوسط. وهذه لم تلبث أن حلت محلها الجبال الغربية حتى وصلت أخيرا إلى المحيط الهادي .

ضرورة الحدود السياسية في العصر الحديث:

أن الدولة الحديثة لا بد لها من حدود التخوم، الحدود تبين المدى الذي تمارس فيه الدولة سيادتها بل واللغة التي سيتكلمها الملايين والأفكار التي ستلقن للناشئة والكتب والصحف

التي سوف يتمكن السكان من قراءتها والعملية التي سيستعملونها وأحيانا الطعام الذي يتناولونه والجيش الذي سيدخلونه للدفاع عن الأرض وللحدود السياسية أثرها أيضا على النظم المتبعة داخل الدولة ويتضح هذا في الوظيفة التجارية للحدود، فيمكن للحكومة أن تقيم حاجزا جمركيا عاليا ضد المنافسة في أسواقها، وبالتالي تساعد على نمو صناعاتها، وفي نفس الوقت قد تفصل بين مجتمعين يضمنان نظاما ومؤسسات مختلفة، وقد يكون هذا الاختلاف حادا كما هو الحال في الحد السياسي بين ألمانيا الغربية وهولند، أو ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا.

أى أن الحدود تعتبر الفاصل بين سيادة دولة أخرى. فهي ذلك الخط المحدد الذي تتقابل عنده سيادتان، فقد مضت تلك الفترة التي كانت تفصل فيها سيادة دولة عن سيادة الأخرى بواسطة مساحة كبيرة من الأرض أي تخوم. إذ كانت سيادتها الفعلية تتضاءل تدريجيا بالبعد عن مركز الدولة.

وهكذا اختلفت وتغيرت طبيعة الحدود على طول العصور التاريخية بسبب اختلاف وظيفتها، وهي فصل السیادات بعضها عن بعض.

فالإمبراطوريات القديمة كالإمبراطورية الصينية والرومانية كانت لها حدود فاصلة وواضحة على الأقل حول جزء كبير من مساحتها، وكانت وظيفتها عند الرومان هي فصل المتحضرين عن بقية الشعوب الأخرى الهمجية، فكان حدهم في أوروبا على طول خط يمتد من الراين إلى الدانوب، وعزوه بالأسوار في شمال إنجلترا وجنوب ألمانيا وبالقرب من مصب الدانوب، هذه الإنشاءات ليست لمقاومة الغزو بطبيعة الحال، ولكن إختراقها بالنسبة للبرابرة معناها الحرب. كذلك الحال في سور الصين العظيم، وإن كان من الناحية الحربية أكثر فعالية من السور الذي بناه الأوروبيون، إلا أنه كان في مغزاه يفصل ما هو صين عما هو غير صيني. ولم يكن الرومان ولا الصينيون هم الوحيدين الذين بنوا هذه الحوائط. وإذا كان مفهوم السيادة في العصر الحديث بمعنى أنها سيادة على مساحة معينة من الأرض وعلى الذين يعيشون فوقها إلا أن مفهوم السيادة يختلف عما كان عليه في العصور الوسطى، فالسيادة الحديثة سيادة إقليمية بينما السيادة في العصور الوسطى كانت شخصية، سيادة بشرية فسيادة الإقطاعي أو الأمير لا حدود أرضية لها ولكنها تمتد بامتداد الأشخاص أو الناس الذين يفرض عليهم سيادته، ولم تكن حماية الفرد حينئذ ترجع إلى إنتماء الفرد إلى شخص قوى، فيصبح رجله، يقدم له فروض الولاء والطاعة كما يقدم له الخدمات المختلفة نظير حمايته له. كان هذا بدوره — أي البارون — أو الإقطاعي يخضع لسلطة إقطاعية أعلى وهي الأخيرة قد تنتهي إلى سلطة الملك. ولم تكن هناك مشكلة حدود لدى الملك. إذ لم يكن هناك نظام ضرائب عام، إنما كانت هناك فئات تدفع دون أخرى، كالتجار ورجال الدين وكان الفرسان يؤدون ضرائبهم على هيئة خدمة شخصية في الجيش لمدة معينة أو يدفعون بعض المال بدلا من الخدمة. ولم تكن هناك ضرائب على الأرض، بالمعنى المفهوم. ومادام الملك لا يجمع ضرائب على الأرض فمن المعقول ألا يكون هناك إهتمام بحدود هذه الأرض غير أن الإهتمام بحدود

الأرض كان أظهر فيما يختص بنظر الدعاوى والشكاوى ، فنظرها كان مصدر ربح أو رزق للبارونات الذين كان لهم حق سماع هذه الدعاوى فكان النزاع يدب بينهم على الحدود الجغرافية التي تفصل بين حق كل منهما في سماع هذه الدعاوى وقد أدت هذه المسألة إلى ضرورة تخطيط للحدود.

وكان التحول من مفهوم الحدود في العصور الوسطى إلى العصور الحديثة مرتبطاً أشد الارتباط بظهور دول القوميات، فكما قلنا كانت دولة العصور الوسطى فردية شخصية، يمكن لذلك أن يقسمها بين أولاده أو يمكن أن يبيع أو يتنازل عن جزء منها، فلم تكن تعبر عن رغبة مجموعة من الأفراد في العيش معا تحت ظل حاكم واحد. فالشعور القومي ثمرة نضجت ولكن ببطء ولكن الدولة القومية مادامت قد ظهرت فلا بد من تطور مفهوم الدولة.

فلم يعد السكان عبارة عن تابعين يدفع بهم من حاكم إلى آخر، فقد أصبحوا على الأقل مجموعات من الناس ذوي ميول وإتجاهات واحدة ، تميل إلى الانتماء إلى هذه الدولة أو تلك، ومع نمو القوميات كان لابد من تحديد واضح للحدود مع مراعاة ميول هؤلاء السكان وشعورهم.

وإذا كان تاريخ الحدود يتضمن زيادة التحديد والوضوح في الحدود ثم يشمل أيضا زيادة الموائمة بينها وبين الأصول الجغرافية، كمراعاة القوميات واللغات والنواحي الاقتصادية وغيرها، فإنه يمكن القول بأن العملية الأولى قد تمت، بينما العملية الثانية لم تتم بعد فالحد المثالي هو الذي يفصل بين شعبين ذوي حضارتين مختلفتين، وفي نفس الوقت يجب ألا يخلق مشكلات بسبب فصله وحدات وظيفية. كاحواض فحم أو نظم تروى، وإذا كان لهذا الحد وظيفة حربية فقد تضاعفت أهميته وزاد نجاحه.

وفي الحق لا يوجد حد سياسى في العالم يجمع بين المميزات جميعا، فمعظم الحدود السياسية ظهرت بأوضاعها التي عليها نتيجة ضغوط مختلفة ومنها ما هو مباشر أي نتيجة لعلاقات الدولة مع الجيران ولكنها أحيانا ما تتعدى هذا إلى علاقات غير مباشرة أي حلفاء وأعداء هؤلاء الجيران.

غير أن زيادة الوضوح في تحديد الحدود ليس معناه أنها ليست عرضة للتغير، فمعظم الحدود هي حدود قومية بإستثناء حدود بعض المستعمرات أو التي كانت خاضعة للإستعمار، والحد بين القوميات المختلفة غالبا ما لا يكون دقيقا، فالمجموعات السكانية تعيش مختلطة ببعضها على طول نطاق عريض بين هذه القوميات من ثم فالإختلافات أو تغيير الحدود عبر هذا النطاق العريض من الأمور المحتملة ويكون تحديد الخط وتغييره في هذا الجانب أو ذاك تبعا لإختلاف وتطور ميزان القوى على جانبيه، وليس من الضروري أن يسير هذا مع الوضع الصحيح والمعقول في معظم الأحوال. وهذا واضح في كثير من الحدود الأنتوجرافية في أوربا مع نهاية الحرب العالمية الأولى، فقد إعتدى على الوضع الصحيح للحدود في كل من بلغاريا والمجر لصالح بولنده وتشيكوسلوفاكيا، ولعل هذا كان من الأمور التي بررت تعديل هذه الحدود قبل الحرب العالمية وأثنائها.

تعيين خط الحدود ورسمه:

الأصل في وصف الحدود في المعاهدات أن يكون دقيقاً ومفصلاً لمختلف أجزاء الحد، لذا يراعى استخدام المصطلحات الفنية المعروفة والتي لا تتحمل التأويل وإيجاد مواقع يسير بينها الحد حتى يسهل الأمر مع اللجنة التي ستؤتي تعليمه، وتبدأ عملية التخطيط السياسي بالاتفاق على موائد المؤتمرات على الخط، وعادة ما يعقد هذا الاتفاق أناس ليس لهم خبرة بالأراضي المقسمة، وإنما يستمدون معلوماتهم من التقارير التي يضعها المختصون، ومن الخرائط التي غالباً ما تكون بمقياس صغير، ويوصفون الخط والأرض التي يمر فيها بأنه على سبيل المثال يمتد من النقطة (أ) إلى النقطة (ب) أو من الظاهرة كذا، أو بعده عن هذه الظاهرة بمسافة كذا، وقد تكون هذه الظاهرة نهراً أو تلاً أو طريقاً... إلخ، وكلما كان الوصف تفصيلاً تقل احتمالات النزاع فيما بعد، وتعرف هذه العملية الأولى بتعريف **definition** الحد السياسي.

وبعد ما ينتهي واضعوا المعاهدة من عملية تعيين الخط، تنتقل العملية إلى المختصين في علم الخرائط والمساحة حيث يستخدمون الخرائط ذات المقياس الكبير والصور الجوية لرسم الحد السياسي وتعرف هذه العملية ترسيم الخط على الخريطة **Delimitation** وقد يستغرق الفرق بين العمليتين السابقتين عشرات السنين.

وأخيراً تأتي عملية تحديد الخط على الطبيعة **demarcation** حيث يقوم مندوبون من الطرفين ومعهم فريق من المساحين ومعهم نص المعاهدة والخرائط التفصيلية لتحديد الخط على الطبيعة ووضع علامات، قد تكون أكواما من الحجارة أو ظاهرة طبيعية أو كتلاً من الأسمنت، وهي عملية مكلفة للغاية لذلك فالعملية الأخيرة مؤجلة في معظم الأحيان.

وفي حالة التنفيذ الفعلي يجب على اللجنة أن تراعى كثيراً من الأمور التي تظهر على الطبيعة ولا تظهر على الخريطة كعدم فصل قرية عن حقولها، وبلدة عن مورد مائها، وجبانة البلد الذي دفن فيه أمواته.

تصنيف الحدود

التصنيف الوظيفي :

يقصد به التصنيف القائم على أساس العلاقات الحضارية، أي أنها تنظر إلى علاقة الحدود بالمظاهر البشرية كأنماط الإستيطان واستخدام الأرض، وتوزيع السكان في وقت تحديد الخط السياسي وهي من هذه الناحية تقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

١- حدود سابقة **Antecedent** لنمو جميع المظاهر الحضارية للشعب الذي تضمنه وبعد نمو المجتمعات المختلفة من الجائز أن تكيف نفسها مع الحدود التي وضعت من قبل كالحد بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية الذي إتفق عليه وعدل باتفاقيات ١٧٨٢/ ١٨٤٦، فهو ينتمي لاشك إلى هذه المجموعة. ففي هذه الفترة لم يكن هناك مستقرون أو

مستوطنون لمنطقة الحدود إلا قلة ، وبعض الصيادين من الهنود الحمر هنا وهناك مثل هذا الحد السياسي كان سابقا لمد الخطوط الحديدية والطرق، وقبل ظهور المزارع والمصانع والمدارس على جانبيه ، وإن كان دكتور هارتشون يعتبر أن مجرد وجود الهنود الحمر وبعض الصيادين هو بداية لتطور الإستيطان لذلك فهو يفرق بين الحد السياسي " السابق " والحد السياسة الرائد *Pioneer* فالأخير يمتد في أراضي غير مسكونة تماما وغير مستخدمة ولذلك يصفها بالأرض العذراء، كما هو الحال في الحد بين كندا والاسكا الذي إتفق عليه بموجب معاهدتي ١٨٢٥، ١٨٧٢ يجرى في أرض مختلفة لا يسكنها أحد المستوطنين، ثم بعد ذلك مدت الطرق وأقيمت المطارات . . . إلخ.

٢- حدود تالية *Subsequent* لعملية تكون القومية أو النقط الفاصلة بين الأقاليم الجغرافية أو الحضارية أي فاصلة في الغالب بين الحضاري المعين لشعب من الشعوب. وهذه في الغالب تتفق مع حدود القوميات وفي الحق هناك ميل لأن تقترب الحدود وخاصة في أوروبا تدريجيا من الأقسام الحضارية التي تخلقها الاختلافات اللغوية. ومن هذه الأمثلة أيضا التقسيم الذي حدث في شبه القارة الهندية إلى هند وباكستان، ويمكن أن تضيف إلى هذا أن عمليات تبادل السكان التي حدثت أو تحدث، ما هي إلا خطوة نحو ضم المجموعات المتجانسة داخل حد سياسي واحد. كذلك تدخل الحدود السويسرية ضمن هذا النوع لأنها تفصل الذين يتكلمون الألمانية عن ألمانيا والذين يتكلمون الفرنسية عن فرنسا وهكذا، وكذلك الحدود التي تفصل ألمانيا الشرقية عن الغربية ولمعرفة مدى صعوبة وخطورة الحدود التالية، لن نجد خيرا من الحدود الهندية الباكستانية ، فقد ظهر بعد تقسيم شبه القارة الهندية أن باكستان ضمت ٣/٢ عدد المسلمين (٩٢ مليونا حينئذ) على حين ضمت أيضا ٧% من مجموع الهندوس (٢٢٥ مليونا) . ولم يؤثر هذا التقسيم في المسلمين والهندوس فحسب، بل كان هناك عدد ضخم من السيخ في البنجاب (باكستان) وكان قادتهم يكونون العداوة للمسلمين ، وقامت مذابح ضخمة بين الجماعات المختلفة قبل يوم الإستقلال وهو ١٥ أغسطس ١٩٤٧، فأعلن قادة السيخ الثورة، وقامت المذابح لا تفرق بين ذكر أو أنثى، كهل أو طفل ، ومع نهاية شهر أغسطس بدأت عمليات هجرة ضخمة في اتجاهات متعددة ، يترك فيها البشر كل شيء، ويحاول الإنسان أن يخلص بحياته ، المسلمون يتجهون غربا، والسيخ والهندوس يتجهون شرقا، ليس لديهم خطة وليس هناك تخطيط أين يأوون أو ماذا سيعملون، وليت الهجرة كانت وسيلة للنجاة، بل كانوا يذبحون في الطريق، وتقلب القطارات والسيارات، ولا يعرف عدد الذين تركوا مواطنهم الأصلية، وإن كانت التقديرات تعطيهم خمسة عشر مليون نسمة!!

٣- وهناك الحدود الموضوعة أو المفروضة *Superimposed* وهذه وضعت بعد توطن السكان أي تشبه الحدود التالية (التي ذكرناها) ولكنها تختلف عنها في كونها لا تراعى الفواصل الحضارية ولا الخصائص القومية للمنطقة موضوع التقسيم منها الحدود الأفريقية فكل منهما يقسم قبيلة أو أكثر من قبيلة ومنها كذلك خطوط الهدنة التي تترك أحيانا دون تعديل كالحد بين بلجيكا وهولندا، وبين كوريا الشمالية والجنوبية، بين فيتنام

الشمالية والجنوبية خطوط الهدنة في فلسطين المحتلة، كلها خطوط لوقف القتال ولكن لم تعدل كما لم تؤيدها أى إتفاقات دولية، ومنها الحد السياسي بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية، والحيائط الذي يفصل بين برلين الشرقية وبرلين الغربية الذي قسم مدينة ظلت عاصمة لدولة واحدة لقرون عديدة. ومثل هذا النوع من الحدود يجد معارضة من السكان ، لذلك كثيرا ما يشتد الضغط على هذه الحدود، وبالتالي يبدأ النزاع بعد خروج المستعمر، وهذا ما حدث بالنسبة لكثير من الحدود السياسية في أفريقية (النزاع الصومالي الأثيوبي والصومالي الكيني ... إلخ) ويتبادر السؤال وهو إلى أى حد يظل هذا النوع يقوم بوظيفته في الفصل بين الأمة الواحدة وفي الحق أنه كلما ازداد قدما صعب تغييره أو التحول عنه.

٤- الحدود التذكارية *Relic* قد تختفي الحدود السياسية أحيانا نتيجة عمليات الضم التي تحدث وخاصة بعد تحول المستعمرات إلى دول مستقلة، فالصومال مثلا تكون من اتحاد مستعمرتين سابقتين إحداهما بريطانية والأخرى إيطالية، والكمرون تكون نتيجة ضم الكمرون الفرنسية بالإضافة إلى القسم الجنوبي من الكمرون البريطانية، ويمكن أن تضرب أمثلة أخرى في أوروبا، فمثلا عندما تحرك خط الحدود الألمانية البولندية وإذا كان خط الحد السياسي قد اختفى، مع ذلك فإنك تحس به في المظاهر الحضارية بل يمكن تتبع الحد السياسي القديم بالانتباه إلى التغيرات الفجائية في المظاهر الحضارية، كتغير فن البناء، وأسماء الأماكن، والأشخاص، ويلاحظ هذا في تأثير الإمبراطورية العثمانية في شرقي أوروبا، وتأثير العنصر الأسباني في جنوب غربي الولايات المتحدة. وقد يتخذ هذا النوع من الحدود كحدود إدارية في داخل الدولة.

التصنيف المورفولوجي *Morphological* :

وهناك تقسيم آخر للحدود على أساس طبيعتها ووضعها وهي في هذا المجال تنقسم إلى قسمين كبيرين، حدود طبيعية *Natural Boundaries* وحدود إصطناعية *Artificial Boundaries* وكان صاحب هذا التقسيم لورد كرزون *Curzon* عام ١٩٠٧ وتبعه هولندش *Holdish* عام ١٩١٦.

١- الحدود الطبيعية:

هي الحدود التي تتفق والحواز الطبيعية مثل :

- | | | |
|---------------|-------------------|---------------|
| أ (البحر . | ب (الصحراء . | ج (الجبال . |
| د (الغابات . | هـ (المستنقعات . | و (الأنهار . |

٢- الحدود الإصطناعية :

(أ) الخطوط الفلكية أى خطوط طول أو دوائر العرض.

(ب) الخطوط الهندسية أي خطوط مستقيمة ، أو خطوط ممتدة أو أقواس مرسومة من نقطة معينة وغير ذلك.

(ج) خطوط إتفاقية *Lines of Reference* :

وهنا يتبادر إلى الذهن هذا السؤال : هل وظيفة الحدود هي الفصل بين الوحدات السياسية؟ هل تجعل الإتصال والانتقال صعبا؟ في الحالات المتطرفة للغاية تصبح منطقة الحدود هي منطقة الحواجز الطبيعية، وبذلك تحدد من الحركة عبرها. وفي المناطق التي ليست فيها هذه الحواجز قد تكون حواجز بشرية كأسلاك شائكة مثلا نجد هناك بضعة مواضع لأختراق الحدود، وفيها نجد الموظفين الذين يراجعون وثائق السفر والحجر الصحي وللتفتيش إلى غير ذلك. وعلى هذا الأساس إذا قلنا أن الحدود في مناطق الإلتقاء بالأجانب، كان معنى هذا ظهور حقيقة قد تبرز تساؤلا جديدا، هل يجب أن تختار الحدود لتسهيل هذا الإتصال؟

الجبال والتلال:

وهذه كتب عنها هولدرش " أن خط تقسيم مياه جرى عبر حافة أن سلسلة جبلية ليعتبر من أكفأ الحواجز الظاهرية والتي لا يخطئها إنسان " فهذه السلاسل الجبلية غالبا (وأن لم يكن ضروريا على الخط) ما تفصل بين الجماعات بعضها والبعض الآخر لصعوبة إختراقها نسبيا ، ولذلك أيضا إعتبرت حدودا إستراتيجية جيدة . وترجع ميزة الجبال كأقاليم قاحلة نتيجة لعوامل عدة منها :

١- التضاريس الوعرة : مما يجعل الانتقال أمرا شاقا وعسيرا وحتى في الجهات الجبلية التي شققتها السكك الحديدية، فإن نفقات إنشائها كبيرة لدرجة تجعل أجور السفر والنقل بواسطتها أغلى منها في الجهات الأخرى . حقا لقد أصبح إجتيازها سهلا بفضل النقل الجوي وتطوره وبفضل شق الأنفاق ولكنها مازالت أمام سلاحى المشاة والمدركات تمثل أمرا له قدره.

٢- تخلخل الهواء في الطبقات العليا مما يقلل من القوة والنشاط مما يسبب مرض الجبل.

٣- إنخفاض درجة حرارة الجهات المرتفعة وهذا يحدد موسم الانتقال ويقتصره على هذه الأشهر الخالية من الثلوج.

٤- أن كثيرا منها يعتبروا فواصل طبيعية كجبال الهمالايا وجبال الأنديز. هذه العوامل مجتمعة تجعل المناطق الجبلية مناطق غير جذابة للسكان، وبالتالي تكون مخلطة، وإن كانت في الجهات الإستوائية تعتبر مناطق إزدحام. ولكن على العموم مناعة الجبال تتناسب تناسباً عكسيا وسهولة إجتيازها، وإجتيازها يتوقف على عدة عوامل منها: إرتفاع الممرات بالنسبة إلى خط الثلج الدائم، ومقدار إنحدارها، فجبال الألب ترتفع بالتدرج من السهول الألمانية والسويسرية نحو الجنوب، وتطل على إيطاليا بطرقها الطبيعية وممراتها، هذا في حين أن شدة إنحدارها جنوبا (أى نحو إيطاليا) قد جعل عبورها من الجنوب إلى الشمال أمرا عسيرا.

من أهم السلال الجبلية التي اتخذت كحدود سياسية سلاسل إسكنديناوه بين السويد والنرويج، وجبال الألب بين إيطاليا وجيرانها وجبال البرانس بين أسبانيا وفرنسا، وجبال الهمالايا بين الهند والتبت.

غير أن إتخاذ الجبال حدودا سياسية لا يخلو من تعقيد، فهذه الجبال غالبا ما يكون لها عمق أو عرض فأين يسير خط الحدود فيها؟ وعادة ما تكون من عدة سلاسل متوازية تفصلها عن بعضها أودية، أحيانا ما تسكنها جماعات وظدت نفسها واقتصادها عدا إستغلال السهل والجبل معا. ولذلك نجد أن الخطوط التي تتبع السلاسل الجبلية كثيرا ما تكون مثار نزاع.

وقد ثبت فعلا أن الحدود التي تتبع الجبال كثيرا ما تكون مثار نزاع كالحدود بين الولايات المتحدة وكندا في منطقة نيوانجلند، وتلك التي بين كندا والاسكا، فهنا تظهر فعلا صعوبة تطبيق التحديد النظري مع التعقد التضاريسي. وكذلك الحد بين الأرجنتين وشيلي في جبال الأنديز فقد إستمرت مثار جدل لمدة تبلغ نحو نصف قرن نتيجة للجهل بظروف الجغرافيا والتخمينات عن مناطق لم تكتشف تماما، حتى وصلت الدولتان إلى إتفاق عام ١٩٠٢. كذلك الحال في النزاع على الحدود بين الهند والصين في التبت في الوقت الحاضر.

البحيرات والأنهار:

أما في البحيرات فعادة ما يمر خط الحدود بوسطها، وبطبيعة الحال ليس هناك تخطيط فعلى داخل البحيرات، ولكن هذا يؤثر بدوره مشكلات كمشكلة مياه الصيد وحوادث السفن، وهل هذا الخط يقسم البحيرات إلى قسمين متساويين أم لا؟ وفي بعض الأحيان تمر خطوط مستقيمة عبر البحيرات كما هو الحال في بحيرة فكتوريا في شرق أفريقية.

ويفضل البعض إتخاذ مجارى الأنهار كوسيلة لتعيين الحدود السياسية غير أن هذه الآراء لا تلقى قبولا عند الجغرافيين، وأهم إعتراض وجه إليها أن الأنهار لا تصلح بطبيعتها للقيام بمهمة الفصل بين الوحدات. ومما لاشك فيه أن مجارى الأنهار تلعب دورها الكامل لتحقيق وظيفتها الرئيسية في الوصل بين أجزائها بعضها ببعض الأخر، وأن هذه المجارى المائية تعمل دائما على إقامة نوع من المصلحة المشتركة بين أجزاء الأقاليم التي تجرى فيها. وهذا ظاهر في حالة الأنهار الكبرى وعلى الأخص تلك التي تزداد صلاحيتها للملاحة، أو التي إستغلت قوة المياه من مساقطها أو التي تستخدم قوة تيارها في نقل الكتل الخشبية الكبرى، أو إدارة الآلات أو التي تستغل مياهها في مشروعات الري الكبرى.

جميع هذه النواحي تجعل من الميسور وجود مصلحة مشتركة تهم جميع سكان حوض النهر. وإذا أضفنا إلى هذا كما سبق أن ذكرنا، سهولة السطح والتدرج الذي تعطيه أوديتها، من جعلها ممرات لعبور الهجرات البشرية، ثم صلاحيتها ذاتها كوسيلة للنقل إلى جانب خصوبة التربة وإمكان قيام الزراعة فيها مما يؤدي إلى جذب السكان إليها.

على أن النجاح أن كان قد حالف بعض عمليات التحديد بواسطة الأنهار ونخص بالذكر نهر كلورادو الذي إتخذ جزءا من مجراه ليؤدى وظيفة الفصل بين الولايات المتحدة والمكسيك لمسافة تزيد على ٥٠٠ كلم وأظهر هذا الخط شيئا من الجودة كحد فاصل. إلا أن النجاح لا يرجع إلى النهر ذاته بل إلى طبيعة المنطقة من حيث التضاريس ، حيث تسود المنطقة المرتفعات الوعرة ويسود الجفاف، إلى جانب ما يجرى فيه النهر من خنادق عميقة تشبه الأخاديد.

وحين يصل النهر إلى مرحلة الشيخوخة بكثير من الانحناءات، بل في كثير من الأحيان ينجح في هجر مجراه القديم ويتخذ لنفسه مجرى جديدا والأمثلة عديدة : منها نهر الهوانجهو في مجراه الأدنى ونهر الراين دائم التغيير والتبديل في فروع دلتاه. وينجم عن ذلك تغيرات طبيعية وبشرية على شئ من الخطورة إذ تصبح بعض الأماكن منعزلة حين يبتعد عنها النهر أو يطمى الفرع الذي كانت تقع عليه المدينة. وكذلك الحال في دلتا النيجر والدانوب، بل ما أصاب الدلتا المصرية ليشمل حقيقة التغيير المستمر في حالة بعض الإنهيار. فنحن نعلم أنها كانت كثيرة الفروع، وأن هذه الفروع أخذت تتلاشى بالتدرج واستقرت على فرعى دمياط ورشيد.

الملاحظ أيضا أن بعض أجزاء النيل قد شهدت كثيرا من التغيير وأن كنا لا نشعر بهذا في الوقت الحاضر، فإن هذا يرجع إلى مواصلة العناية بمجرى النهر وإخضاعه لرقابة شديدة ، ومحاولة وزارة الري التقليل من الثنيات وجعله أقرب إلى الإستقامة. وهناك وجه آخر في استعمال الأنهار كحدود سياسية، وهو أين سيقع خط الحدود ! هل سيتخذ وسط المجرى **Median Line** أساسا لهذا الخط؟ أم سيتخذ منتصف المجرى الصالح للملاحة **Thalweg** (١) أو أحد الضفتين **Banks** أو إعتبار ضفتى النهر كحدود؟

في الحالة الأولى يكون الخط عبارة عن الخط المار بجميع النقاط على المجرى التي يتساوى بعدها عن أقرب نقط على الضفتين، وهذا يستدعى عمليات حسابية وهذا معناه تقسيم متساوي لسطح الماء وأن كان غير متساوي لحجم الماء، وعادة ما يتبع هذا في الأنهار غير الصالحة للملاحة.

في الحالة الثانية أي حالة الجزء الصالح للملاحة وهو عادة أعرق شريط فقد من هذه الصفة حيناً ومن تلك أحيانا، ولهذا يقطع الخط المتوسط للمجرى، ويمكن أن نضيف إلى صعوبة هذا الاختيار أن الجزء الصالح قد يتغير موضعه هو الآخر.

(١) كلمة ألمانية بمعنى المجرى المستعمل للملاحة بصفة مستمرة ويعرّفه S. Jones بأنه المحور الأكثر أمنا والأكثر ملاءمة للسفن ذات

الحجم الكبير .

المستنقعات الكثيفة:

كثير إستخدامها في الماضي ولكن يظهر أنها فقدت الكثير من أهميتها، لأن الإنسان قد نجح في تجفيفها وبالتالي أمكنه التغلب عليها.

وأعظم مبررات إستخدامها كحدود سياسية كانت صعوبة عبورها وعدم جاذبيتها وقلة سكانها. فإذا ما قضى على هذه المبررات بعد تجفيفها تقل صلاحيتها للتحديد السياسي قلة ملحوظة. ويكفي للدلالة على هذا أن التقدم البشري قد نجح في التغلب على مستنقعات بنسك وبربيت بين روسيا من ناحية وبولند وألمانيا من ناحية أخرى ، ولم تمنع هذه المستنقعات الإحتكاك والإتصال بين الدول التي تتأخمها.

وهناك مثل آخر هو مستنقعات شواطئ أفريقية الغربية فقد عملت على حجب القارة عن الأنظار . ففرضت هذه المستنقعات حماية على هذا القسم من أفريقية لمدد طويلة، ولكن التقدم العلمي نجح في أن يخضع هذه المستنقعات لرغبة الإنسان بتجفيفها والقضاء على الكثير من أمراضها.

الحدود الاصطناعية:

وهي إما حدود فلكية تتبع دائرة عرض أو خط طول، أو تنشأ عن خطوط إتفاقية هندسية وكلاهما لا يراعى فيه ظروف السكان ورغبات حدود المستعمرات التي أقامها الأوروبيون في قارة كأفريقية، فإذا إختارنا المواطنين بقدر ما يراعى القوى النسبية للدول المستعمرة على سبيل المثال جنوب غرب أفريقية المستعمرة الألمانية السابقة التي تبلغ مساحتها ٣١٧,١٨٧ ميلا مربعا ولها ما يقرب من ٢١٠٠ ميل من الحدود منها ٧٢٥ ميلا تلتو، وننشى، وتتبع نهر الأورانج وكوينين والأوكافانجو والزمبيزي، وأما الحدود الباقية فهي خطوط مستقيمة رسمها أناس لم يزوروا المنطقة، ولا يعرفون شيئا عن جغرافيتها التي يقسمونها، ولم يأخذوا في الإعتبار أي مصالح للمواطنين . وهذا يتكرر في كل حدود المستعمرات الأفريقية تقريبا فكثير من الخطوط بدأت من نقطة أو أخرى وأحيانا تتبع ظاهرة رئيسية طبيعية واضحة بدرجة كافية لهم في هذه العصور، ومن ثم جاءت معظمها لا تتفق وحدود القبائل بأي حال، أحيانا تقسم أرض القبيلة الواحدة وأحيانا تضم قبائل متنافرة، تنشأ بينها عداوة.

وكذلك الحدود في أستراليا أو الحدود في المناطق الصحراوية قسمت مناطق غير مسكونة ولم يكن قد تم كشفها حينذاك.

والواقع أن وضع مثل هذا النوع معناه الإهتمام بشئون المواطنين الذين يعيشون في المنطقة كما ذكرنا في مسألة الحدود في أفريقية.

كذلك هي خطوط وضعت في الغالب على موائد المؤتمرات : دائرة عرض شمالا ٣٨ في كوريا الذي إتفق عليه بين الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٥ دون إشتراك المواطنين الأصليين فيه، كذلك دائرة عرض ١٧ شمالا بين فيتنام الشمالية

والجنوبية والذي يعكس توازن القوى بين فرنسا وحلفائها من ورائها وبين الصين عندما إنتهت حرب الهند الصينية عام ١٩٤٥. في كلتا الحالتين واضح أن الحد مفروض على السكان من الخارج بواسطة خطوط إتفاقية لا تراعى ظواهر طبيعية أو فواصل ورغبات قومية.

ومن أمثلة هذه الحدود الصناعية والحدود السياسية في العالم الغربي وفي القارة الأفريقية بعامة. فإذا أخذنا الحدود المصرية السودانية التي تعتبر مع دائرة عرض ٢٢ شمالا من العوينات نجدها تمتد حتى ساحل البحر الأحمر بلا إنقطاع سوى لسان وادي حلفا الذي يتعمق ٢٥ كم على جانبي النيل حتى يبعد وادي حلفا عن الحدود مباشرة. وليس من تفسير لإختيار هذا الخط بالذات إلا عامل الصدفة التاريخية. فلقد كان الحد الجنوبي للمناطق التي لم تتخل عنها مصر مطلقا أثناء الثورة المهدية، فيما عدا وادي النهر نفسه لا يمر الخط حاليا بمعمور إلا في شرق النيل، حيث نطاق خفيف الكثافة من البشارية والعبادة يصل بين ساحل البحر الأحمر والنيل. هنا يظهر فشل هذا الخط في أن يصبح حدا حيويا لأن المصالح متداخلة متشابكة فتظهر الثنائية أو الإزدواج في الحدود فوضع خط حدود إداري متعرج سنة ١٩٠٢ إلى جانب الحدود السياسية، يعتبر دليلا على عدم كفاءة الخط الأصلي كفاصل أو حد سياسي.

هذا الإزدواج يقع شرق النيل على هيئة مثلثين، غربي يقطع من السودان وهو مثلث بارتزوجا مساحته ٦٠٠ كم^٢ وشرقي يقطع مصر وهو مثلث جبل علبة ومساحته ١٢٥٠٠ كم^٢. وقد تحدد مثلث جبل علبة لتوحيد إدارة شئون بشارى مصر مع كتلتهم الرئيسية في السودان، بينما مثلث بارتزوجا ليوحد إدارة شئون عبادة السودان مع كتلتهم الرئيسية في مصر. ولكن من الواضح أن الحدود الإدارية كالسياسية لا قيمة لها في وسط رعوي، لاسيما وأن حدود جبل علبة مازالت تترك جزءا من البشارية حتى أسوان.

فالثابت أن المحرك خلف الحدود الإدارية كان الأطماع البريطانية، فالقطاع الذي سلخ من مصر يبلغ أكثر من ٩ أمثال مساحة النوء الذي ضم إليها، كما يشمل منطقة مرتفعات غنية بالرطوبة والحياة والمعادن.

أي الحدود افضل:

كتب كثيرون في هذا الموضوع، وكان الكثير منهم يفترض في الحد الجيد أنه الحد الإستراتيجي الذي لا يشجع على هجوم الجيران، وفي نفس الوقت يسهل الهجوم بالنسبة للدولة، وكان هذا الشرط الحربي في الحدود هو السائد في القرن التاسع عشر، والأمثلة على هذا كثيرة منها إدعاءات روسيا فيما يختص بضم جزء من كاريليا عام ١٩٣٩، وإستندت في مطالبتها إلى أن الحدود الفنلندية لا تبعد أكثر من ١٧ ميلا عن ليننجراد ومعنى هذا أنها على مدى ضرب المدفعية الفنلندية مما يهدد أمن المدينة، وعندما رفضت فنلند هذا الطلب قامت حرب الشتاء، وفي معاهدة موسكو عام ١٩٤٠ تقدم الإتحاد السوفييتي بنحو ٩٠ ميلا بعيدا عن ليننجراد وكذلك الحال في مدينة بلفور **Belfort** الفرنسية، فقد

إحتج الألمان عام ١٨٧١ بأن حدودهم تقع على مدى ضرب مدفعية هذه المدينة.

وروعي في خط الحدود بين الهند والتبت أن يسير مع قمم الهيمالايا، وروعي في الحد بين الهند الصينية وبين تايلاند ترك مسافة على جانبي نهر ميكونج. وهكذا يمكن أن تتعدد الأمثلة على مراعاة الإعتبارات الإستراتيجية بترك أشرطة من الأرض الحرام، حتى تصبح حدودا آمنة.

وفي الواقع أن الإستراتيجية التقليدية أو البرية والتي سادت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية والتي كان مجالها الأساسي الحروب البرية بمساعدة الأسلحة المعاونة، كانت تعتبر الوظيفة الدفاعية هي الوظيفة الأساسية، من ثم سادت فكرة الحدود الدفاعية **Defensive boundaries** أي التي تتبع مظهرا طبيعيا، يتمشى مع المظهر الطبيعي للأرض **Physical landscape**، لأنها ظاهرة مرئية، وفي نفس الوقت تتمتع بقدرة عالية في إعاقه تقدم قوات العدو. وإذا كانت مثل هذه الإعتبارات صالحة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فأنها فقدت صلاحيتها الآن في عصر الأسلحة الذرية والصواريخ، وإن ظلت محتفظة بقمته في ظل إستخدام الأسلحة التقليدية.

الحدود الأنثوجغرافية أو الحدود القومية:

تعتبر الحدود السياسية الأنثوجغرافية أفضل الحدود جميعا، ذلك أنها تفصل بين الشعوب بعضها والبعض الآخر، ولكن للأسف قليل جدا من الحدود السياسية في العالم ما يتفق والحدود الأنثوجغرافية، ويرجع هذا إلى عاملين رئيسيين هما: أولا الإختلاط والتداخل بين الشعوب بعضها والبعض الآخر بحيث لا يمكن عمل فاصل واضح وعازل بينها، وهذا معناه أنه لا يمكن تخطيط الحدود التي ترسم لفصل الشعوب فصلا دقيقا، ومن ثم نجد كثيرا من الشعوب تتوغل داخل حدود شعوب أخرى مجاورة. وثانيا أن تخطيط الحدود عادة ما يتم على أسس غير أنثوجغرافية، بل على أسس المصالح الإقتصادية والحربية. فعقب الحرب العالمية الأولى مثلا أعيد تخطيط الحدود في كثير من جهات وسط وشرقي أوروبا، وعملت إستفتاءات لمعرفة رغبات الشعوب، ومع ذلك فقد كان هناك ما يزيد على ٣ مليون ألماني، ٧٠٠ ألف هنجاري، ٨٠٠ ألف بولندي داخل حدود تشيكوسلوفاكيا، كما ترك نحو ٩٠٠ ألف ألماني داخل الحدود البولندية، ٤٢٠ ألف ألباني داخل حدود يوغسلافيا وهكذا.

على أن الحدود السياسية يمكن أن تفصل بين الشعوب في بعض الحالات كأن يكون الأساس الذي يعتمد عليه في تخطيط الحدود هو الفصل بين شعبين متجاورين كالحدود بين أستونيا ولتفيا ولتوانيا فيما بين الحربين كذلك الحال إذا ما مد خط الحدود في منطقة جبلية خالية من السكان كما هو الحال في جبال الألب والبرانس، وإن كانت الشعوب كثيرا ما تعبر هذه الحواجز الجبلية بدلا من أن تقف عندها، فالهيمالايا لم تمنع المغول من الوصول إلى الهند، والبرانس لم تمنع الباسك من الإنتشار على جانبيها في فرنسا وأسبانيا ويعيش الألمان على جانبي هضبة بوهيميا، ومن الحالات التي تفصل فيها الحدود السياسية

بين الشعوب أيضا إذا جاء تخطيط الحدود بين شعبين متجاورين، ومضى عليها مدة طويلة بحيث سمح لكل منها، بالإستقرار في المنطقة التي يعيش منها، كالحدود بين فرنسا وأسبانيا، ومنها أن يكون تخطيط الحدود سابقا لوصول العناصر البشرية على جانبيه كالحدود بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا غرب البحيرات العظمى، وإن كان الاختلاف بين الشعبين قليلا على طول الخط الفاصل لإتحادهما في الأصول واللغة وبيئة الوطن الأم، ويمكن أن تتفق الحدود أيضا مع الأوضاع الأثنوجرافية، إذا خططت الحدود أولا، ثم تحرك الشعوب على جانبيها، أي يحدث تهجير حتى تصبح أثنوجرافية كما حدث في الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية عقب الحرب العالمية الثانية. وهذا النوع إن كان يحل مشكلات الأقليات إلا أنه يأخذ جهدا ويسبب متاعب جمة.

خصائص مشكلات الحدود السياسية بعد الحرب العالمية الثانية:

١- تميزت نزاعات الحدود في القرنين السابقين للحرب العالمية الثانية بأنها كانت منازعات حول أقاليم أكثر منها تحديد وتوضيح لمعالم الحدود كما حدث بعد تلك الحرب فقد كانت الأولى حروبا إقليمية بالدرجة الأولى وذلك بالغزو الشامل للدولة للضغط عليها للتنازل عن إقليم من الأقاليم وتعديل الحدود السياسية.

٢- أن معظم النزاعات على الحدود السياسية بعد الحرب العالمية الثانية كانت خارج أوروبا وقد يفسر هذا على أن أوروبا قد بلغت مرحلة النضج السياسي، أو أنها إنتهت إلى تحديد واضح لحدود دولها، أو لعدم وجود قوى يمكنها تحدى الأوضاع الراهنة.

٣- إزدياد منازعات الحدود عن ذي قبل ويرجع ذلك لعدة أمور مثل:

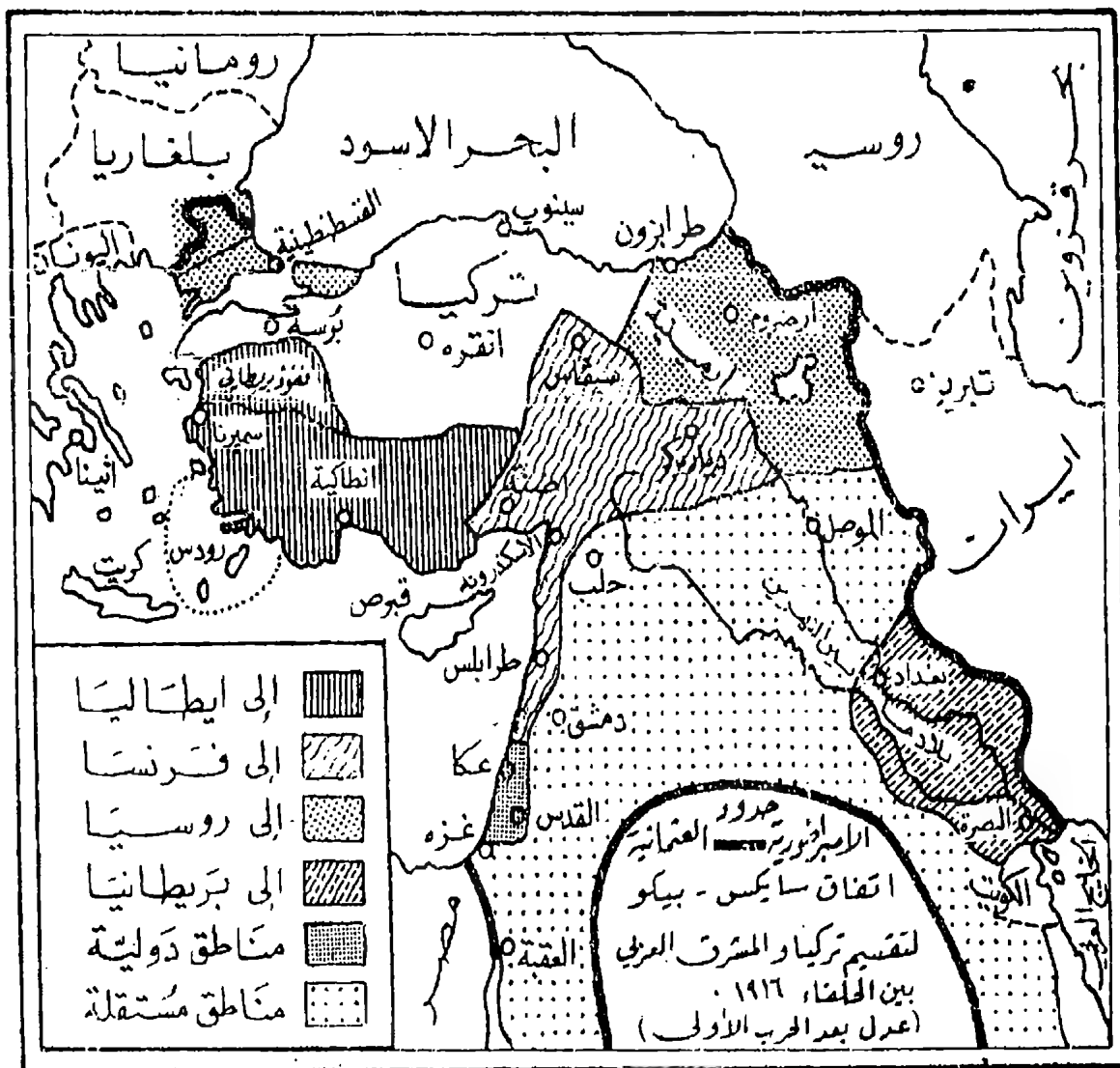
(أ) حصول كثير من المستعمرات على الإستقلال (قارن عدد الدول الأعضاء المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ عند تكوينها) (٥٠) بعدد الأعضاء عام ١٩٨٠ (١٥٢) وبالتالي ظهرت كثير من الإدعاءات التي كان الإستعمار يمنع ظهورها مثل مطالبة المغرب في فترة ما بمروريتانيا، ثم دعوى موريتانيا والمغرب في الصحراء الغربية بخروج الإستعمار الأسباني، ودعوى الصومال على كينيا وأثيوبيا، والنزاع الهندي - الباكستاني على كشمير .

(ب) ظهور الثروات المعدنية وإزدياد قيمة اليابس والماء حتى ولو كانت رقعة محدودة كالنزاع في بحر إيجة بين تركيا واليونان (بترول) والنزاع بين تونس وليبيا في خليج قابس (بترول) النزاع المغربى الجزائرى في (حديد تندوف). والطريف مثلا في دولة الإمارات العربية المتحدة أن نجد الخلافات بين الإمارات بعضها وبعض على كيلومترات.

(ج-) زحف العمران إلى مناطق الحدود السابقة والتي ذكرنا أنها إتفق عليها قبل ظهور أى هينات حضارية **Cultural Landscape** وبالتالي يبدأ الإحتكاك لتوضيح الحدود كنزاع الحدود الهندية الصينية.

وفي غالب الأحوال تكون الدعاوى الإقليمية على أساس الروابط الجغرافية أو القومية وعلى أساس أن المعاهدات التي أبرمت بمقتضاها الحدود كانت غير متكافئة أو غير شرعية لأنها أبرمت مع من ليس له الحق في عقدها وهي القوة الإستعمارية التي كانت رابطة في الأقاليم، مثال النزاع الأفغاني والباكستاني بالنسبة لأقليم بلو شيشتان ونزاع الحدود الصينية الروسية ومعظم منازعات الحدود السياسية في أفريقية.

٤- وإذا كانت منازعات الحدود السياسية على الياض في طريقها للانقراض لتقدم وسائل المسح، والقياس، ولم يعد هناك جزء غير مكتشف من سطح الأرض فقد زادت مشكلات النزاع على الحدود البحرية وتحديد المياه الإقليمية والأقاليم الاقتصادية.



ذلك أن الخريطة السياسية الحالية ترجع في معظمها إلى عمليات التفتيت السياسي للغميمة التي استلبتها القوى البحرية الأوربية من الدولة العثمانية .

الفصل الثاني

مشكلات الحدود السياسية

تعتبر مشكلات الحدود السياسية من الموضوعات التي يعنى بها الباحثون في الجغرافيا السياسية، ولا ينفرد الجغرافيون وحدهم ببحث مشكلات الحدود بل هي ميدان ثرى للمشغلين بالعلوم السياسية والمؤرخون ورجال القانون الدولي، ولكن الجغرافي يتميز عليهم جميعا بتفهمه للخصائص الإقليمية وسهولة إستخدامه للخرائط. وإن كانت هناك بعض مظاهر للنزاع لا يمكن للجغرافي أن يكون منافسا لغيره فيها. كإتخاذ القرارات والحكم على مدى قانونية المعاهدات والمناقشات التي تدور في صالح جانب أو آخر . ولكن لا يزال هناك المجال كبيرا أمام الجغرافي لكي يضيف الكثير لإجلاء المواقف المختلفة.

أنماط منازعات الحدود السياسية:

يعتبر نزاع الحدود السياسية مظهرا أو صورة من صور التوتر **Tension** الدولي لمشكلة من مشكلات الحدود، لأنه قد تكون هناك مشكلة ما **Problem** دون أن تثير نزاعا **Dispute**، ويتضمن نزاع الحدود بوجه عام أنماط أربعة رئيسية، قد يقوم أحدهما بين وحدتين سياسيتين مستقلتين وهي:

١- يعرف النمط الأول بالنزاع الإقليمي **Territorial Dispute** ينشأ نتيجة وجود خصائص معينة في أطراف الدولة، يجعلها ذات جاذبية للدولة البادئة في إثارة النزاع. كان تسكنها قومية تابعة لها، أو تظهر فيها ثروة معدنية، أو تريد أحياء حدود قديمة كانت تضم هذه الأطراف أو تكون إحدى الدولتين قد إنفردت بتعين نطاق حدودها البحرية الإقليمية دون مراعاة مصالح وحقوق الدول الأخرى أى إتخذت سياسة الأمر الواقع، والأمثلة متعددة وخير مثال للنزاع على أساس تفتت القومية وسياسة الأمر الواقع هي الحدود الألمانية عقب الحرب العالمية الأولى وتقطيع أوصال ألمانيا، أنظر إلى ما قاله هتلر في مؤتمر نورنمبرج عام ١٩٣٨ مدافعا عن ألماني السوديت.

أنسى أقولها وأكررها. أنه إذا لم يقدر لهذه الفئة المعذبة أن تأخذ حقوقها وحرياتها، فإن لها أن تعتمد علينا في الحصول عليها، أن الألمان لا يطالبون سوى تقدير مصيرهم، وهو حق مقدر لكل أمة غيرهم، كذلك الحال في نزاع الصومال مع أثيوبيا على إقليم أوجادين الذين يسكنه جزء من الأمة الصومالية في معظم الأحوال يكون هناك طرف متضرر وينتهز الفرصة للإشتباك كالألمانيا في الحالة الأولى، والصومال في الحالة الثانية، وطرف مستفيد يدافع عن بقائها مثل تشيكوسلوفاكيا في الحالة الأولى وأثيوبيا في الحالة الثانية.

وقد شجع على النزاع عدم وجود معاهدات بين الأطراف المعنية يمكن اللجوء والإحتكام إليها فضلا عن جاذبية المنطقة موضوع النزاع، كالنزاع على واحة البوريمي بين أبو ظبي والسعودية (قبل تسوية ١٩٧٤) وكذلك إدعاءات المملكة المغربية على

الصحراء الغربية لأن المعيار في كل منها كان إستقراء تحركات القبائل وولائها ، فقد إعتمدت السعودية عندما طالبت بواحة البوريمي على جباية الزكاة وولاء القبائل لأن السعوديون كانوا يجبون الزكاة منها أعوام ١٨٤٥ ، ١٨٥١ ، ١٨٦٩ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٩ ، وهم يرون أن دفع الزكاة معناه إعتراف بسيادة السعوديين ، كذلك إستند المغرب في دعواه على الصحراء الغربية بأن ملوك المغرب كانوا يعينون القضاة والقادة المدنيين وكانت قبائل الصحراء ترسل مندوبين إلى البلاط المغربي ليقدّموا فروض الولاء.

٢- ويعرف النمط الثاني بالنزاع الموضوعي . . **Positional dispute** إلا أنه يتعلق لوضع الخط السياسي ، وغالبا ما يكون النزاع حول التفسير الصحيح لمعاهدة سبق أن قبلها الطرفان ، كالنزاع بين شيلي وأرجنتين حول تفسير خط تقسيم المياه أو على القمم الجبلية.^١

هكذا فالنوعان السابقان يتطلبان تغييرا في وضع خط الحدود السياسية بينما نجد النوعين الآخرين لا يتطلبان تغييرا في وضع ذلك الخط ، وبالتالي كان أقرب المشكلات منها إلى المنازعات.

٣- أما النوع الثالث فينشأ نتيجة تأثير الخدمات أو الوظائف التي يحصل عليها سكان أطراف الدولة من جراء رسم خط حدود معين لذلك تطلق عليها منازعات وظيفية **Functional Dispute** كالمشكلة التي نشأت بعد تعيين الحد السياسي بين إيطاليا وفرنسا في جبال الألب عام ١٩٤٧ إذا كان من نتيجة ذلك أن بعض الجماعات الرعوية الفرنسية على الحدود حرمت من مراعيها الصيفية بينما حرمت الجماعات الرعوية الإيطالية على الجانب الآخر من مراعيها الصيفية الربيعية لأنها أصبحت داخل الحدود الفرنسية ونظرا لأنه ليس من الممكن تحريك خط الحدود ، فقد تمت التسوية بالإتفاق على السماح لكل من الجماعات الرعوية الفرنسية والإيطالية بعبور خط الحدود للاستفادة بالمراعي على الجانبين ، وهذا يشبه الإتفاق الذي تم أخيرا بين تونس والجزائر.

ويختص النوع الرابع بإستخدام بعض الموارد مثل الموارد المعدنية والنهرية ويطلق عليه نزاع حول الموارد **Dispute over Resources** كإستخدام مجرى مائي (شط العرب) أو إستخدام النهر عبر الحدود والأنهار الدولية.

ماوراء مشكلات ومنازعات الحدود السياسية:

لابد للوصول إلى حل لمشكلات الحدود من معرفة عدة أمور أساسية:

أولا : الأسباب الفعلية للمشكلة.

ثانيا : فهم الطرف المناسب الذي أدى بالدولة إلى إثارة إدعاءاتها.

ثالثا : أغراض هذه الدولة من هذه الإدعاءات. ويمتد التحليل إلى تنفيذ هذه الإدعاءات على أسس جغرافية ، ثم تقدير نتائج هذه الإدعاءات سواء فيما يختص بأثرها على المناطق

المتاخمة أو على العلاقات الدولية.

ولفهم وجهة النظر هذه نضرب مثلاً مختصراً بنزاع قام بين أفغانستان والباكستان، فتدعى أفغانستان بأن قبائل الباتان *Pathan* في غرب باكستان يجب أن يسمح لهم بتكوين دولة مع إخوانهم في أفغانستان وتكرر لباكستان بدورها رغبة قبائل الباتان في الانفصال وتكوين دولة الباتان المزعومة فإذا نظرنا إلى السبب الأساسي نجده في المعاهدة الإنجليزية الأفغانية التي ترجع إلى عام ١٨٩٣ التي حددت مناطق النفوذ بين بريطانيا وأفغانستان، وهذه الإتفاقية أيدتها معاهدات كثيرة أعوام ١٩٠٥، ١٩١٩، ١٩٢١، ١٩٣٠. وقد قسم ذلك الخط الإقليم الذي تعيش فيه قبائل الباتان بطريقة جعلت هناك ٢,٤ مليون نسمة داخل منطقة النفوذ البريطانية (باكستان الآن) وكانت الظروف المشجعة على إعلان أفغانستان لمطالبها هي تقسيم الهند إلى هند وباكستان عام ١٩٤٧ حين كانت الباكستان تواجه صعوبات التقسيم داخلياً وخارجياً. أما الأسس التي قامت عليها مطالبها، فتتضمن في أن إتفاقية ١٨٩٣ غير ذات موضوع لأن أفغانستان وقعت تحت ضغوط، ثانياً أن أفغانستان لا يمكن أن تترك تبعات إنتهت (وهي بريطانيا في الهند) وهذه مناقشات قانونية بطبيعة الحال لا تقع في ميدان البحث الجغرافي، وثالث الحجج أن حدود أفغانستان كانت في وقت ماتمتد بعيداً في الهند ومنها بطبيعة الحال باكستان الآن، وبالبحث التاريخي يظهر أن أقصى إتساع لأفغانستان كان عام ١٧٩٧ حين إمتدت أفغانستان إلى دلهي ولاهور ثم سقطت لاهور في أيدي المغول عام ١٧٩٨ وسقطت بيشاور عام ١٨٢٣.

فإن كانت هناك فترة توسع منذ قرن ونصف يعتمد عليها الآن في تخطيط الحدود اليوم، فإن معنى هذا أن خريطة العالم يمكن أن تتعرض لتغير جذري خطير، ورابعاً: هناك إدعاء أكثر الإدعاءات وجاهة وهو أن هذه القبائل على الجانبين تكون وحدة أثنولوجية، ويجب أن تلتئم في وحدة سياسية.

إذ بحثنا بعد ذلك أغراض أفغانستان الحقيقية في بلوخستان، فيمكن إستنتاج أمل أفغانستان في خضوع الدولة الجديدة لنفوذها وإستغلالها كمخرج لها على البحر العربي.

وأما نتائج هذا النزاع فكانت واضحة على المستوى المحلي، وقد تكون أكثر أهمية على المستوى الدولي، فقد قطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في سبتمبر عام ١٩٦١ وإستعيدت في مايو ١٩٦٣، خلال تلك الفترة أغلقت الحدود بإستثناء فترات قصيرة في يناير عام ١٩٦٢ لتصل المعونة الأمريكية إلى أفغانستان عن طريق باكستان ونظراً لأن معظم صادرات أفغانستان إلى الهند ومعظم وارداتها من اليابان والهند والولايات المتحدة الأمريكية حدث تغير في التوجيه التجاري لأفغانستان فأصبح الإتحاد السوفييتي يسهم بقدر وافر من الصادرات والواردات. وأدى القتال والمناوشات في المنطقة إلى أن تقوم الباكستان بتعزيز خطوطها الحديدية فيها، وكان إغلاق الحدود سبباً في منع الهجرة الفصالية لنحو مائة ألف من الرعاة إلى باكستان حيث كانوا يهاجرون بقطعانهم شتاءً. وكان هؤلاء الرعاة يتكسبون أيضاً بالإشتراك في الأعمال اليدوية أثناء إقامتهم في باكستان

وخاصة جمع محصول قصب السكر ، وكان من نتيجة هذا أن أصبحت باكستان تطلب منهم تأشيرات خروج ودخول ومستندات لا يطبقونها وحتى بعد فتح الحدود وعودة العلاقات، نجد أن باكستان بدأت عمليات توطين لهم في مشروعات زراعية مما يترتب عليه هجرهم المراعى في أفغانستان.

أما على المستوى الدولي فيلاحظ أن أفغانستان وجدت تشجيعا من الهند والإتحاد السوفييتي، فالحكومة الهندية يهملها أن تنشغل باكستان عنها في مشكلة جديدة غير مشكلة كشمير. ووجد الإتحاد السوفييتي نفسه قادرا على إضعاف دولة في الحلف المركزي لجنوب شرق آسيا، وفي نفس الوقت تقوية لعلاقاته مع أفغانستان التي كانت هدفا للدبلوماسية الروسية حتى قبل الثورة الشيوعية.

هذا المثل الذي ضربناه يبين أوجه النزاع على الحدود والتي يمكن للباحث الجغرافي أن يراعيها ويركز عليها في هذا المجال من الجغرافية السياسية.

الحدود السياسية في أفريقية

من المعروف أن غالبية الحدود الأفريقية هي حدود مفروضة أو موضوعة من الخارج، وضعتها القوى الأوروبية خلال العقود الذين تبعوا مؤتمر برلين عام ١٨٨٤، أما قبل الإستعمار الأوروبي للقارة، فلم تكن هناك حدود وكان البناء السياسي الوطني كقيام ممالك معينة من السكان الأصليين، كان يفصلها عن بعضها تخوم، كان تكون أراضي غير مسكونة، أو مناطق مستنقعات وكان من نتائج وضع هذه الحدود أن أصبحت تمر أحيانا في أرض القبيلة الواحدة، ويرجع هذا إلى عاملين أولهما عدم إتفاق الطرفين الأوروبيين لسبب من الأسباب، وثانيهما التغلب على مصلحة إقتصادية أو إستراتيجية.

وكانت السلطات الإستعمارية تخفف من حدة فصل أعضاء القبيلة الواحدة بين المستعمرين، وذلك بالتخفيف من قيود الانتقال على الجانبين، وقد يرجع هذا إلى أن كثيرا من السلطات الإدارية لم تعرف الحدود الفعلية لكل وحدة سياسية لذلك كانت عمليات الانتقال والهجرة من الأمور المألوفة، غير أن إستقلال هذه المستعمرات السابقة دون تعديل للحدود، ومحاولة كل دولة جديدة ممارسة حقها في السيادة بوضع القيود على الانتقال عبر الحدود، أدى إلى ظهور مشكلات خطيرة على طول تلك الحدود فعلى سبيل المثال نجد أن حكومة توجو تضع مراقبة شديدة على طول خط الحدود بين غانا وتوجو خشية تهريب السلاح للأحزاب المعادية للحكومة، بينما نجد الحدود بين نيجيريا والكامرون وقد إنتشرت عليها للمحطات المراقبة لمنع الهاربين من الكامرون وإتخاذ نيجيريا ملجأ لهم. كما شددت أنيوليا الحراسة على حدودها مع الصومال وألغت إتفاقية مع الصومال كانت قد عقدت، تسمح لرعاة الصومال بعبور الحدود الأنثيوبية بحثا عن الكلا والماء لقطعانهم.

لقد وضح أن الحدود السياسية في أفريقية في الوقت الحاضر في حاجة إلى تعديل حتى تتفق وتتسجم الحدود مع الحقائق الجغرافية من ناحية، ومع الإتجاهات السياسية للدول الأفريقية المستقلة من ناحية أخرى ومع ذلك فقد إستقر رأى منظمة الوحدة الأفريقية على

الإبقاء على الوضع الراهن منعا للإنشقاق بين الدول الجغرافية^(١).

أنواع الحدود السياسية فى أفريقية

وتظهر الخريطة السياسية لأفريقية غلبة الخطوط الفلكية والهندسية وعادة ما تسير فى المناطق المخلخلة السكان (كما هو الحال فى الصحراء الكبرى) وأن كان هذا ليس بقاعدة . وقد ظهر أن نسبة كل نوع على وجه التقريب كما يلى : الخطوط الفلكية ٤٤%، والخطوط الهندسية ٣٠%، الخطوط التى تتفق والمظاهر الطبيعية ٢٦%.

وإذا قارنا أفريقية بقارة أخرى . فإن النسب ستتغير لاشك، ففي استراليا مثلا لا توجد حدود دولية على الإطلاق وإنما هي حدود داخلية بين الولايات، وحتى إذا اعتبرناها دولية، نجد غلبة الخطوط الفلكية، أما فى أوروبا فلا تمثل الخطوط الفلكية فيها إلا نسبة ضئيلة للغاية، ويرجع هذا إلى أنه مضى وقت طويل على القارة، كثر فيها النزاع على الحدود وتحركها من مكان إلى آخر بينما تزيد نسبة الخطوط التى تتبع الحواجز الجبلية والأنهار، وإذا حاولنا تحليل أسباب كثرة استخدام خطوط تقسيم المياه فى عمليات التحديد السياسي، لوجدنا أن هذا يرجع إلى عمليات الكشف الجغرافي لأفريقية، إذا أنها كانت تتضمن إلقاء الأضواء على أنماط التصريف النهري للقارة، ولم يكن يعرف من حوض النهر سوى منطقة المصب، ولذلك كان من الطبيعي أن تتفق القوى الإستعمارية على أن تكون الحدود بينها فى الداخل المجهول، هي مناطق تقسيم المياه بين الأحواض النهرية ، لذلك إعترفت بريطانيا عام ١٨٩٤ بنفوذ الملك ليوبولد فى حوض الكونغو حتى تقسيم المياه أو حتى الحافات الجبلية التى تحد الأحواض النهرية المجاورة، وخاصة حوض النيل فى الشمال، أما مدى مراعاة هذا لمصالح السكان الوطنيين فيمكن أن نستشفه من رسالة وصلت إلى السلطان زيمو أحد سلاطين الزاندى (فى جنوب غرب السودان) عام ١٩٠٠ " أنك على بينة من السدود التى إتفق عليها الإنجليز والفرنسيين والبلجيكين، أن النفوذ المصري الإنجليزى يبدأ حيث تتبع المجارى المائية إلى تتدفق نحو الشمال أو نحو النيل.

أما النوع الآخر الشائع فى أفريقية وهو الخطوط الفلكية، فهذا يتفق عليه عادة على موائد المؤتمرات، وعلى بعد مئات وآلاف الأميال من القارة، من ثم كانت تظهر صعوبات كبيرة أمام هؤلاء الذين يقومون بالتخطيط العملي على الطبيعة، والأمثلة عديدة على ذلك، فعند تخطيط الحدود السياسية بين الكمرون الألمانى ونيجيريا البريطانية عام ١٩٠٣، إختلف الفريقان نظرا لأن كل فريق كان يقدر خطوط الطول بطريقة مختلفة عن الآخر، وحيث تسير خطوط الطول بطريقة مختلفة عن الآخر، وحيث تسير خطوط الحدود (الفلكية) فى مناطق أو عبر طرق هجرات فصلية ، تصبح غير مناسبة.

ومن هنا خط الحدود بين مصر والسودان الذى إتفق على أن يسير مع دائرة عرض ٢٢

(١) أصدرت جمعية رؤساء الدول والحكومات الأفريقية فى دورتها الأولى عام ١٩٦٤ بالقاهرة بشأن منازعات الحدود بين الدول الأفريقية القرار الثانى " تمهد جميع الدول الأعضاء بإحترام الحدود القائمة عندما يتم إستقلالها الوطنى " .

شمالاً، مما أدى ضرورة إتخاذ خط آخر للحدود الإدارية بحيث يجمع قبيلة البشاريين بأكملها في السودان وقبيلة العبايدة في مصر.



ولعل إستعمال الأنهار كحدود سياسية كان أقل أنواع التحديد السياسي تعقيدا من الناحية الفنية، إلا في المناطق التي تغير فيها الأنهار مجاريها المائية، أو حين كان المجرى المائي معروفا في جزء منه، ومجهولا في جزء آخر عندما وقع إتفاق الحدود لذلك نجد أن كارل بيترز الألماني يدعى أن نهرا غير مجراه، وذلك بغية الحصول على أرض جديدة في شرق أفريقية، أو للمساومة على منطقة من جهة ثانية، وفي مناقشة لتخطيط الحد السياسي بين السودان وأثيوبيا نجدهم يقترحون إستخدام نهر اليبور . ولكن إذا لم يصل اليبور إلى دائرة عرض ٦ شمالاً، فإن مجراه حتى خط طول ٣٤ شرقا يصبح هو الحد السياسي. ويؤدي جهل السياسيين أحيانا ببعض المصطلحات إلى ضياع لمصالح بلادهم ، فعلى سبيل المثال وافق مندوب ليبيريا مع مندوب فرنسا عام ١٨٩٢ على أن يتبع خط الحد السياسي بين ليبيريا وساحل العاج الضفة اليمنى لنهر كافالي المتجه جنوبا نحو المحيط ، وكان يظن أن الخط تبعا لذلك الإتفاق يسير مع الضفة الشرقية ، وبذلك تشرف ليبيريا على الملاحة في النهر ، ولكن الحقيقة ظهرت أن الخط بهذا التحديد يسير على الضفة الغربية ، ويضع

المجرى برمته تحت النفوذ الفرنسي، ولهذا النهر أهمية ملاحية كبيرة للبيريا، نظرا لأن مزارع فايرستون تقع على الجانب الليبيرى مجاورة للنهر، من ثم المستخدمة للنقل من الأمور الضرورية للشركة.

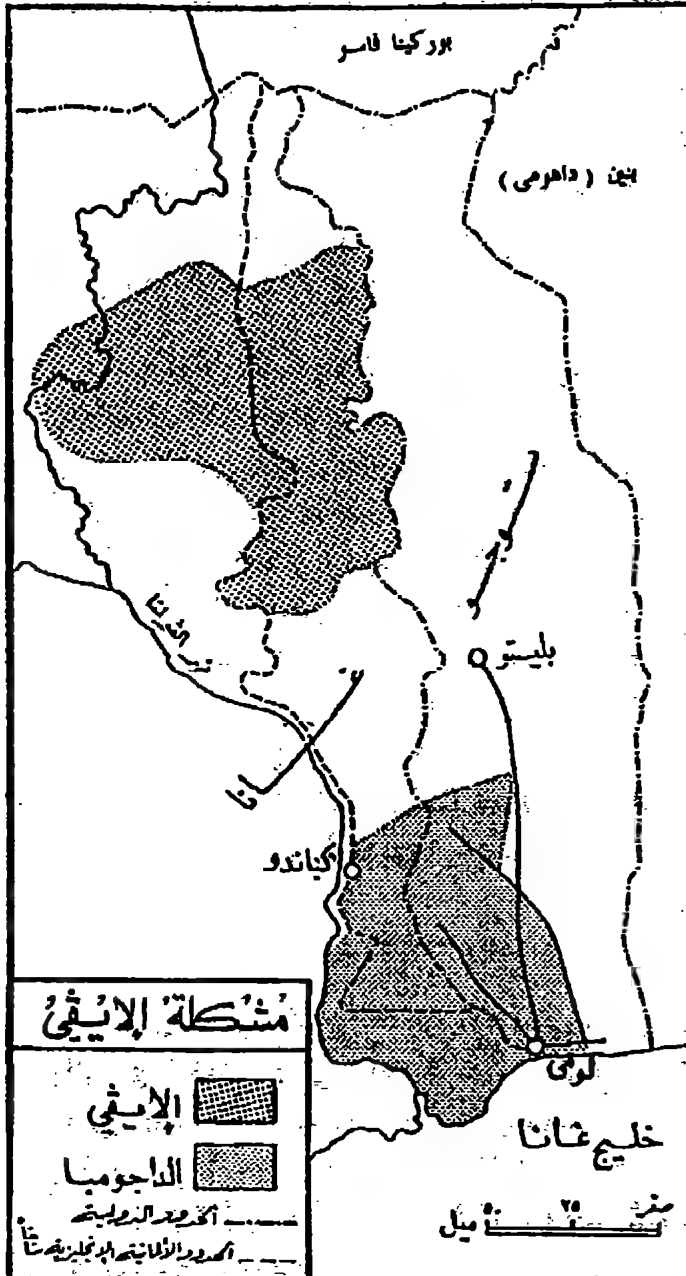
بعض مشكلات الحدود فى أفريقيا

مشكلات الايفى فى غانا وتوجو:

يبلغ عدد افراد قبيلة الايفى نحو ٧١٥ ألف نسمة، يعيشون بين الفولتا الأدنى ونهر ناهو **Naho** اللذان يصبان فى خليج غانا، والحد الشمالى للقبيلة يسير موازيا لخط الساحل على بعد نحو ٨٥ ميلا منه . وتتألف مواطنهم فى معظمها من سهول متموجة لا يزيد ارتفاعها على ٤٠٠ متر، وتغطيها حشائش السفانا المكشوفة، ولا يظهر تغير ملموس فى هذه البيئة اللهم بالقرب من الساحل . حيث تمتد البحيرات الساحلية التى تحيطها أشجار نخيل الزيت وتفضل بينها رمال الساحل. وإذا استثنينا بعض صيادى الأسماك، نجد الإيفى قبيلة من الزراعة، تقوم بزراعة الذرة واليام. وهناك رغبة من الإيفى بأن يلتزم شملهم سواء كدولة مستقلة أو كجزء من غانا أو جزء من توجو.

وكانت قبيلة الايفى قبل التدخل الأوروبى تنقسم إلى اثنتا عشر قبيلة فرعية تعيش بين مملكتى أبومى والأشانتى، وخلال فترات الحروب كانت تعقد الأحلاف الوقفية بين هذه الفروع . وكان أول فصل للإيفى عند تحديد خط الحدود بين ساحل الذهب البريطانى وتوجو الألمانية حيث سار الخط بين لومى على الساحل ونهر الفولتا على بعد ٣٠ كيلو متر إلى الجنوب

مشكلة الإيفى بين توجو وغانا



حيث سار الخط بين لومى على الساحل ونهر الفولتا على بعد ٣٠ كيلو متر إلى الجنوب

من كيباندو، ولم تكن هناك شكاوى من الايفى فى ذلك الوقت، غير أن المنطقة قُسمت بعد الحرب العالمية الأولى بحيث ضمت فرنسا ثلثي الإقليم بما فيه كل الساحل والخط الحديدي وضم الباقي المجاور لساحل الذهب إلى بريطانيا، وقد تأكد هذا الوضع عام ١٩٢٠ عندما منحت فرنسا بريطانيا انتداب على المنطقة. وخفف أثر هذا التقسيم الثالث أن بريطانيا كانت تحكم الجزء الخاص بها، كقسم من ساحل الذهب، على عكس الفرنسيين الذين احتفظوا بإدارته منفصلة عن داهومى والفولتا العلي، وقد أحس الايفى بهذا الفصل فى فترة ١٩٤١/١٩٤٣، وعندما أغلقت حكومة فيشى الحدود، وما أن أنهت الحرب العالمية الثانية حتى ظهرت رغبات من الايفى بالإلتئام والوحدة، وأن ظهرت إقتراحات متعددة على كيفية الوحدة.

وقد زارت بعثة من الأمم المتحدة عام ١٩٥٠ وكتبت تقريراً ذكرت فيه " أن المشكلة بلغت من الحدة بحيث تستدعى حلاً سريعاً لصالح السلام والاستقرار فى المنطقة " ولم يظهر هناك حل مرضى لمشكلة الايفى حتى الآن، وقد عمل إستفتاء فى توجو عام ١٩٥٦ وظهر من نتيجة رغبة الجزء البريطانى من توجو فى الإنضمام إلى ساحل الذهب ، بينما التصويت الذى حدث فى توجو الفرنسية كانت نتيجته الرغبة فى قيام دولة مستقلة داخل الإتحاد الفرنسى، وإن كانت جمهورية توجو خرجت من هذا الإتحاد عام ١٩٦٠.

أنه لمن الصعب تصور حل مرضى لهذه المشكلة، فإعادة توجو البريطانية ثانياً وتوحيدها مع جمهورية توجو مثلاً لن يحل أشكالا لأنه لن يضم الايفى الذين يعيشون فى جنوب شرقى غانا وخلق دولة مستقلة للإيفى ليس حلاً مرضياً لأنه سيخلق مشكلات فى المواصلات والتنمية لبقية أجزاء توجو، ويعتبر الايفى أنهم يدفعون ثمناً غالياً لوحدتهم مع غانا ، وكان لعدم حل هذه المشكلة أثره فى حدوث التوتر الدائم فى الأقليم، وإشتدت الحراسة من غانا وتوجو على خط الحدود، وعندما أغتيل الرئيس أولومبيو *Olympio* عام ١٩٦٣ أغلقت حدود توجو مع غانا فوراً . وقد أشارت غانا مراراً إلى قيام إتحاد بينها وبين توجو. وزاد من توتر الإقليم الضغط الغاني من ناحية وخوف حكومة توجو من إقتطاع أجزاء من أراضيها من ناحية أخرى.

مشكلة الصومال وأثيوبيا:

يحثل الصوماليون القرن الأفريقي الذى يحده البحر الأحمر والمحيط الهندي وخليج عدن، فضلاً عن خط غير منتظم يبدأ من مصب نهر تانا فى كينيا إلى ميناء جيبوتي وينقسم الشعب الصومالي بين الصومال الفرنسى (٢٥٠٠٠) جمهورية الصومال (٢,٠٧٦,٠٠٠) وأثيوبيا (٣٥٠,٠٠٠) وكينيا (١١٩,٠٠٠)، من ثم توجد مشكلتان للحدود بين جمهورية الصومال من ناحية وبين كينيا وأثيوبيا من ناحية أخرى ويتفق الشعب الصومالي فى اللغة والحضارة ويقويهما الإقتصاد القائم على الرعي، ورغم أنه لم تكن هناك وحدة سياسية قبل ذلك فى الإقليم، إلا أنه كانت هناك فترات من الإتحاد لصد قبائل الجالا فى كينيا وأقباط أثيوبيا، وتعتبر الأبل حيواناتهم الرئيسى فى الشمال وبعض

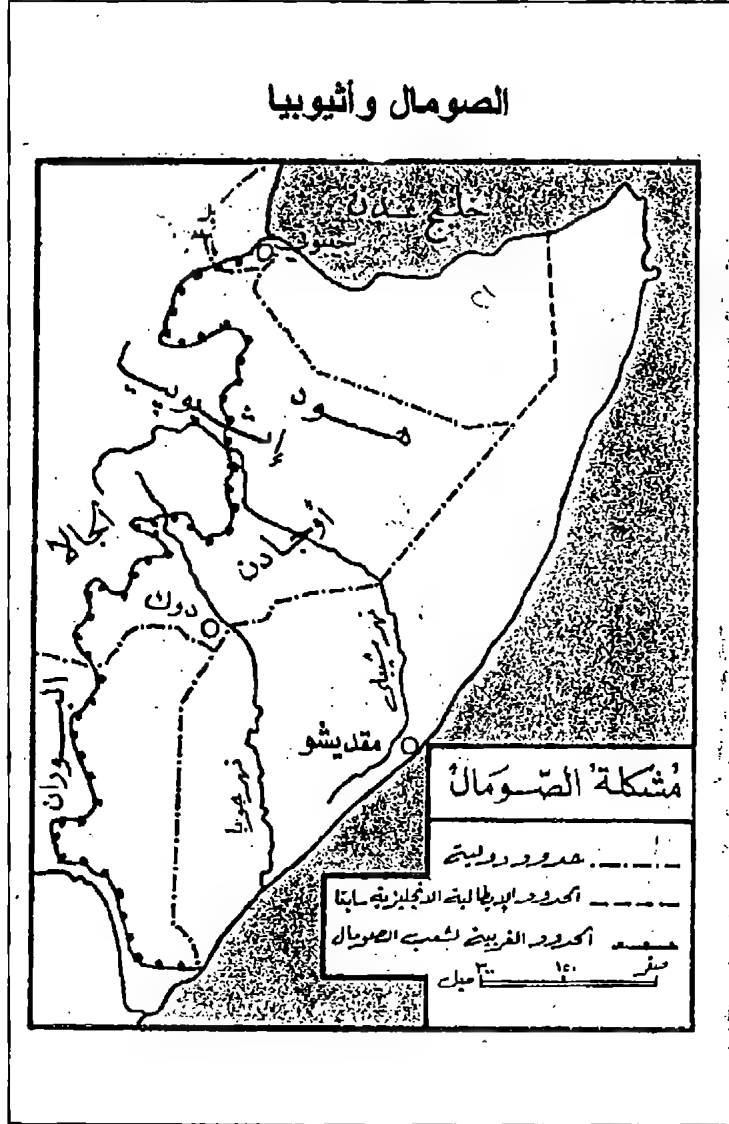
أجزاء الجنوب، بينما تعتبر الماشية الحيوان الرئيسي لدى قبائل الجنوب كالدجيل **Digil** والهويا **Hawiya** لعدم تحمل الماشية لذبابه التابانوس، أما الضأن فيرعى في جميع أجزاء الإقليم.

ولعل الاستثناءات القليلة النمط هو ظهور الزراعة كحرفة ثانوية إلى جانب الرعي في أقليمين بين نهري جوبا وشيبيلى حيث تعيش جماعات الساب **Sab** فهذان الإقليمان وهما بورهاكبا **Bur Hakaba** وهضبة بيدو **Baidu** تغطيها تربة فيضية، وبنا لا مقداراً من المطر أوفر من الأقاليم المجاورة، ويؤدي هذا إلى زراعة الذرة الرفيعة والسمسم والقطن والفول. وفي هذه المناطق فقط توجد حدود معروفة، بينما يعتبر الاحتلال الفعلي للأرض هو الأساس الوحيد للسيطرة على الأرض القريبة من موارد الماء والكلاء، ولذلك نجد أن الحدود في مناطق الرعي تعتبر حدوداً ديناميكية متحركة تبعا لإختلاف قوة القبائل ومدى إحتياجاتها ويتبع قبائل شمال الصومال نمطا من الرعي يتمثل في الهجرة صيفا إلى إقليم هود في أثيوبيا، عندما تكون مرتفعات هود في أحسن حالاتها نباتيا وفي نفس الوقت تكون مراعى سهول الصومال قد أنهكت، أما الأجزاء الجنوبية من الصومال، فلا يتميز بظهور حرفة الزراعة فحسب، بل الهجرة الفصلية للرعاة أيضا، حيث يتجه السكان بحيواناتهم إلى الأراضي النهرية خلال الفصل الجاف لأن نهري جوبا وشيبيلى دائما الجريان، ثم يرجعان إلى مراعى الأقاليم الساحلية خلال فصل المطر القصير الذي يمتد من أبريل إلى مايو، ومن أكتوبر إلى نوفمبر، ويصبح إختراق خط الحدود (الصومالية - الأثيوبية) من الأمور الضرورية بالنسبة لبعض القبائل مثل البيدهان والميرهان.

فإذا رجعنا إلى الحدود التي فرضت على الأقليم بواسطة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا نجدها ترجع إلى فترة (١٨٨٥ - ١٩٠٠) حين حصلت بريطانيا على محمية كينيا والصومال البريطاني، بينما حصلت فرنسا وإيطاليا على مستعمراتيهما. وقد فصلت هذه الحدود الهندسية بين أراضي القبيلة الواحد، حيث فصلت المراعى الشتوية عن المراعى الصيفية وقد نصت المادة الرابعة من الإتفاقية الإيطالية الحبشية لعام ١٩٠٨، على أن خط الحدود يجب أن يمر إلى الشمال الغربي من وبي شيبيلى بحيث تقع كل أراضي القبائل الساحلية ضمن النفوذ الإيطالي، بينما يقع إقليم أوجادين ضمن أثيوبيا. وقد بدأت لجنة إيطالية أثيوبية تحديد الخط عام ١٩١٠، ولكنها لم تصادف نجاحا كبيرا لعدم إتفاق الطرفين على حدود أراضي القبائل. ورغم أن تحديد الخط بين الصومال البريطاني وأثيوبيا صادف نجاحا عام ١٩٣٥، لأن الصوماليون في المستعمرة البريطانية كان لهم حق عبور الحدود إلى مراعيهم التقليدية في إقليم هود طبقا للمعاهدة البريطانية الأثيوبية لعام ١٨٩٧.

ورغم الحدود الإستعمارية فقد أدى ضغط الصوماليين المتواصل على قبائل الجالا في شمال شرقي كينيا إلى زحزحتهم إلى الغرب من النهر فقد إنخفض عدد الصوماليين في كينيا في عام ١٩٢١ نتيجة تنازل بريطانيا عن الأقليم الواقع بين نهري جوبا وحدود الصومال الإيطالي، مكافأة لإيطاليا على إشتراكها في الحرب العالمية الأولى، وقد إتفق على خط حدود يبعد ٦٠ ميلا شرقي نهر تانا يعرف بخط الصومال **Somali Line**

ومنعت هجرة الصوماليين إلى الغرب من هذا الخط، وذلك لحماية قبائل الجالا، ولكن هذا الإجراء بدوره لم يصادف نجاحا يذكر، لأن الجماعات الصومالية في الوقت الحاضر تعيش على مرمى ١٠ أميال من الضفة الشرقية للنهر.



وقام نزاع على الحدود بين أثيوبيا وإيطاليا عام ١٩٣٥، وفي نفس العام إحتلت إيطاليا الحبشة، وبذلك ربطت بين شعب الصومال في اوجادين والصومال الإيطالي، وإحتلت إيطاليا الصومال (الإيطالي) عام ١٩٤٠، غير أن السيادة الإيطالية حلت محلها السيادة البريطانية في العام التالي، ورغم إستقلال الحبشة إلا أن بريطانيا إستمرت في إدارة إقليم هود، وهذا معناه أن الشعب الصومالي إستمر تحت الحكم البريطاني حتى عام ١٩٥٠، عندما وضع الصومال الإيطالي تحت الوصاية الإيطالية من قبل الأمم المتحدة، حاولت إيطاليا الوصول إلى إتفاق بشأن موضوع الحدود مع أثيوبيا خلال العشر سنوات التالية، ولكن دون جدوى. وبدأت وحدة الشعب الصومالي تتفكك

عام ١٩٥٤ عندما رجع إقليم هود وبعض المناطق الأخرى إلى أثيوبيا، وإن كانت قد عقدت معاهدة بين بريطانيا وأثيوبيا لحفظ حق الصوماليين الإيطالي والبريطاني في جمهورية الصومال المستقلة. ورغم أن هذا أدى إلى وحدة بين شعب الصومال فإنه زاد من حدة النزاع مع أثيوبيا، وأدعت أثيوبيا أنه ليس من حق حكومة الصومال وراثه حقوق أعطيت للحكومة البريطانية وهي حقوق الرعي في إقليم هود. وقد تبع هذا محاولة الحكومة الأثيوبية ضمان ولاء الصوماليين الذين يدخلون ضمن الحدود الأثيوبية، وجذب الجمهورية الجديدة إلى نوع من الإتحاد الفيدرالي مع أثيوبيا كما فعلت مع أرتريا ووعدت أثيوبيا الصوماليين بفتح المدارس وبناء المستشفيات وحفر الآبار، فضلا عن إقامة

مشروعات توليد القوى الكهربائية على نهري جوبا وشييلي، ولكن الصوماليين عارضوا كل تسوية مع أثيوبيا، مما أدى إلى أن حكومة الصومال تنفق ٢٠% من ميزانيتها (١٩٦٣) على المجهود الحربي.

وبينما يتصف النزاع الصومالي الأثيوبي بالقدم، نجد النزاع الصومالي الكيني، أو طلب صومالي كينيا الانضمام إلى الصومال لا يرجع إلا لعام ١٩٦١. وقد إتفق الحزبان اللذان يمثلان صومالي كينيا في مطالبهم للمستقبل، ويتمثل هذه المطالب في عمل إستفتاء في مديرية الحدود الشمالية في كينيا التي يعيش الصوماليين شرقها والبورون في غربها وهؤلاء أقرب إلى الصوماليين منهم إلى أهل كينيا، ويشرف على الإستفتاء أعضاء من منظمة الأمم المتحدة ولكن من غير الأعضاء الأفريقيين وذلك بعد انسحاب قوات البوليس والجيش التابعة لكينيا من الإقليم.

هذا ولا يؤيد قضية ضم الصوماليين لكينيا كونهم يرتبطون حضاريا بأهل جمهورية الصومال فحسب، بل لأن خط الحدود الهندسي يفصل بين المراعى الصيفية والمراعى الشتوية للقبائل، فضلا عن بعد هذا الإقليم عن بقية كينيا. وبطبيعة الحال لا نجد أي من الأحزاب المتصارعة في كينيا يوافق على إقطاع نحو خمس مساحة كينيا وهي التي تكون المديرية الشمالية.

الحدود الجنوبية لمصر (مثلث حلايب)

لم تكن هناك حدود سياسية بين مصر والسودان بالمعنى المعروف على طول العصور التاريخية وإنما كانت هناك تخوم تتقدم وتتقهقر بحسب الظروف السياسية في مصر، ومهما قيل عن عصر محمد علي، فقد كان عاملا في تكوين السودان السياسي بصورته الحالي، الحدود بين مصر والسودان لم يكن لها في أي يوم من الأيام أية دلالة سياسية لأن مصر والسودان كانا دائما أبدا ينظر لهما كبلد واحد وقطر واحد وكانت أهمية هذه الحدود مقصورة على الأمور الإدارية وحدها وإن لم تعتمد الحكومة المصرية في يوم من الأيام إلى مراقبة حركة المرور عبر هذه الحدود من الشمال إلى الجنوب أو من الجنوب إلى الشمال، وإنما كانت الحدود مفتوحة دائما لكل عابر، مثلها في ذلك مثل الحدود الإدارية الأخرى بين مديريات مصر أو بين مديريات السودان.

فالتريق الذي يمتد على طول النيل كان المرور فيه حرا، وكانت أغلب المتاجر بين مصر، والسودان تمر به، وكانت حركة المسافرين فيه دائمة لاتنقطع دون أية مراقبة.

والطريق الذي يمتد في أرض البشارية في صحراء مصر الشرقية، والذي تتبعه جموع الإبل الكثيرة التي كانت ومازالت تساق إلى الأسواق المصرية طريق مفتوح أيضا، ولم يكن يخضع لأية رقابة.

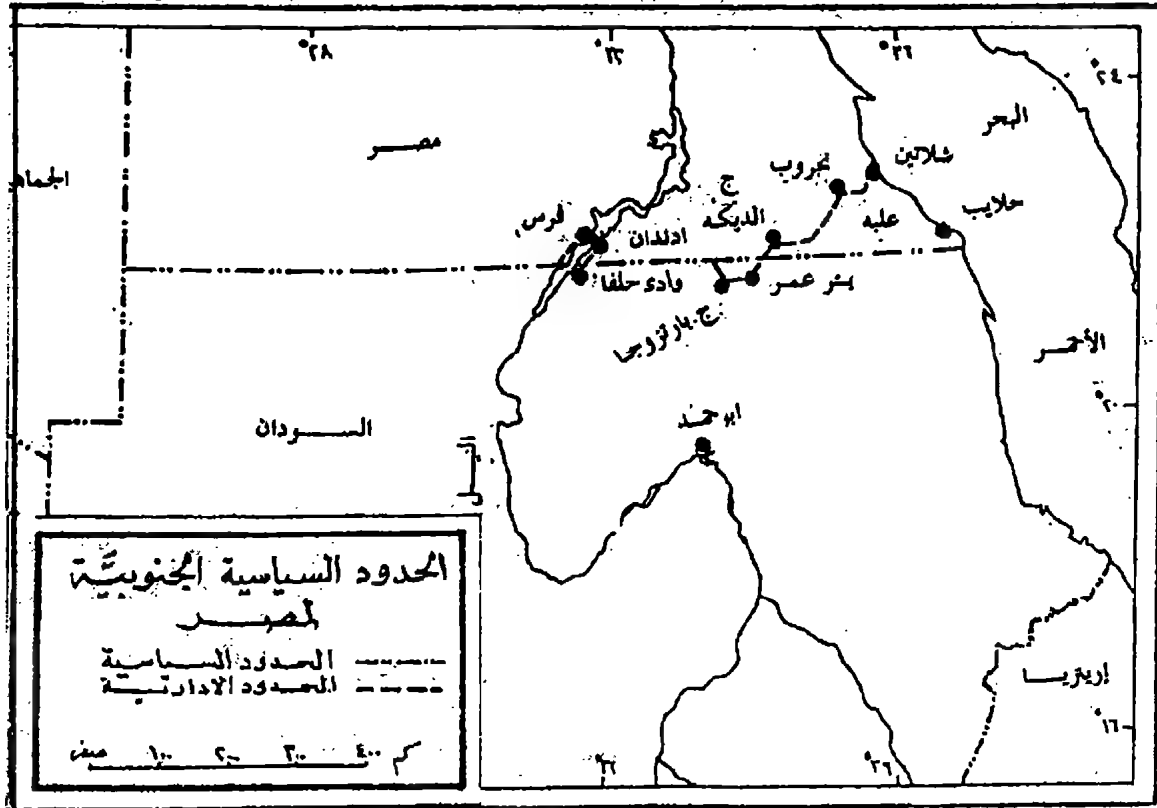
ودرب الأربعين المشهور الذي كان يجتاز صحراء مصر الغربية ويربط أرض كردفان ودارفور في الجنوب بالواحة الخارجة، ثم بوادي النيل عند أسبوط في الشمال كان

هو أيضا طريقا مفتوحا للتجارة والمسافرين.

ولم تكن هناك أية نقط للمراقبة فى أي جزء من أجزاء هذه الطرق جميعا لكي تراقب حركة التجارة والسفر عبر الحدود التي تمتد بين مصر والسودان، وإنما كان السفر والإتجار حرا.

غير أن الحدود السياسية الدولية الحالية ترجع إلى إتفاقية ١٨٩٩، أي إتفاقية الحكم الثنائي والذي أعد فى القاهرة بإشراف اللورد كرومر، ووقعها وزير الخارجية المصرية فى ١٩ يناير ١٨٩٩ ويهمننا فيما يختص بالحدود المادة الأولى من هذه الإتفاقية:

الحدود السياسية الجنوبية لمصر



الحدود فى إتفاقية يناير ١٨٩٩:

تضمنت المادة الأولى من الإتفاقية، التعرف بالأراضي التي يشملها لفظ السودان . وهي التي حسب هذه المادة تقع جنوبي الدرجة الثانية والعشرين فى خطوط العرض، هذا الخط يمر على مسافة أميال قليلة من شمال وادي حلفا، بينما تقع سواكن جنوبية بمسافة كبيرة. وقال كرومر — أنه تمشيا مع المبادئ التي جاءت فى مقدمة الوفاق، يجب أن يكون مصطلح السودان مقصورا على الأراضي التي إمتلكتها مصر فى السابق، ثم إستولى عليها الدراويش، ثم صار إسترجاعها فى وقت من الأوقات بمساعدة بريطانيا. ولكن الأخذ

فى هذا الرأى لا يلبث أن ينشأ عنه مصاعب إدارية كبيرة، حيث يجب فى هذه الحالة إستبعاد كل من وادى حلفا وسواكن من الأراضي التي يشملها مصطلح السودان، لأن لا وادى حلفا ولا سواكن سبق أن إحتلتها ثورات المهديّة إطلاقا وعلى ذلك فقد قسمت الأراضي التي يدل عليها مصطلح السودان فى الإتفاق إلى فئات يهمنها منها:

١- الأراضي التي لم تدخلها قط الجنود المصرية منذ عام ١٨٨٢ وقال كرومر " أن الغرض من النص على ذلك إدخال كل من وادى حلفا وسواكن ضمن حدود السودان ".

٢- الأراضي التي كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبيل ثورة السودان وفقدت منها وقتيا، ثم إفتتحها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية معا. ومعنى ذلك كما قال كرومر، أن هذه تشمل كل الأراضي التي تم إسترجاعها مؤخرا، وأما لماذا وصفت هذه الأراضي بأنها التي إفتتحها الآن الحكومة المصرية بالإتحاد مع حكومة الملكة فقد قال كرومر أن الإقتصار على ذكر (الأراضي التي كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل الثورة الأخيرة) دون التخصيص بأنها إفتتحت بعد ذلك بالإشتراك مع إنجلترا قد يفيد أن هذه الأراضي تشمل كذلك قسما من مديرية خط الإستواء (هو الذي عرفنا أنه صار جزء من محمية أوغندة البريطانية أو إستأجرته ولاية الكونغو الحرة البلجيكية) أو أنها قد تشمل أيضا زيلع وبربرة (وهما المعروف أنهما صارتا تؤولان مع بلهار الصومال البريطاني) وهما اللتان قال عنهما كرومر الآن. أنه لم يكن مقصودا دون شك أن يشملهما الإتفاق الحالي.

لماذا الحد فلكيا ؟

وكل حد فلكي لا يمكن تفسير إختياره إلا بعامل الصدفة التاريخية، التي جعلته الحد الجنوبي للمناطق التي لم تخلها مصر فى أثناء الإنسحاب الذي نظمته الإنجليز من السودان وجاء هذا الخط متعامدا على الظاهرات الطبيعية والبشرية فى المنطقة:

١- يبدأ هذا الخط من منطقة العوينات وبينها وبين النيل نطاق غير معمور تنتثر فيه موارد مائية محدودة، تعتبر محطات فى الطرق التي تعبر الصحراء بين الشمال والجنوب ومن أشهرها طريق الأربعين الذي يمر فى هذا النطاق بواحة سليمة (فى السودان) وأبار شب وأبو حسين فى مصر ، ويتابع إتجاهه شمالا بعد هذا ، وتدخل هذه المنطقة فى نطاق اللامعمور السوداني والمصري، حيث لا تتوافر عوامل الإستقرار البشرى والحياة وتتحصر أهميته فى حركة القوافل. وكان من قبل طريقا من طرق الهجرات البشرية، أثر تأثيرا له خطره على السودان غرب النيل.

٢- فإذا ما إنتقلنا شرقا وصلنا إلى وادى النيل، حيث الإتصال الرئيسي بين الشمال والجنوب والوادي هنا يختلف ضيقا وإتساعا. ومن اليسير التمييز بين المعمور النيلي الذي تتركز فيه الحياة وترتفع كثافة السكان، والنطاق الغربي إلى العوينات. فالحياة فى القطاع النيلي متصلة بين الشمال والجنوب من النواحي الطبيعية والبشرية. والفروق المحلية محدودة، تقتصر على بعض نواحي اللغة وهي فروق أخذة فى الإندثار مع إنتشار التعليم

والإقبال على اللغة العربية. وخط الحدود يخرق وطن الجماعات النوبية وهي بهذا موزعة بين مصر والسودان في منطقة الحدود.

٣- وإلى الشرق ترتفع جبال البحر الأحمر، وإلى شرقها تنحدر الجبال في سرعة إلى سهل ساحلي ضيق ينتهي بنا إلى البحر. في هذا الجزء الشرقي نطاق قليل الكثافة من البشاريين الذين ينتشرون فوق رقعة تشمل الأجزاء الجنوبية من صحراء مصر الشرقية والسودان الشرقي كله والأطراف الشمالية من إرتريا، والقبائل الرعوية لاتعرف الإستقرار الكامل في مكان واحد، ولا تتقيد في تجوالها بالحدود المصطنعة التي لا تستند إلى مقومات من عناصر البيئة، والخط الفلكي - ٢٢ درجة شمالا - يشطر هذه القبائل دون إعتبار لتنظم حياتها، ومن أجل ذلك عجز هذا الحد الفلكي عن أن يؤدي وظيفته التي أرادت لها إتفاقية ١٩ يناير ١٨٩٩. وجاءت ظاهرة إزدواج الحدود بين مصر والسودان. وأصبح للسودان في عهد الحكم الثنائي، حدودا سياسية وأخرى إدارية في المناطق الآتية:-

١- منطقة حلفا :

لذلك أصدرت وزارة الداخلية المصرية في ٢٦ مارس سنة ١٨٩٩ أي بعد ما يقرب من شهرين فقط من إتفاقية يناير. قرارا إداريا بتعديل الحدود في هذه المنطقة وفقا للسياسة التي رسمتها بريطانيا أنها تدخل ضمن حدود مصر، أصبحت الحدود تمر بقرية أدندان الواقعة على الشاطئ الشرقي للنيل وبقريّة فرس الواقعة على الشاطئ الغربي للنيل، وبمقتضى هذا التعديل تخلت مصر إداريا عن مساحة واسعة من الأراضي الزراعية تبلغ ٤٠٠٠ فدان، وعن عدد من الأشجار يبلغ ٨٢,٠٠٠ شجرة، وعن عدد من السكان يبلغ ١٣,٠٠٠ نسمة. وعلى مجموعة من القرى يبلغ عددها عشرة - كل أولئك لكي تكون تابعة إداريا للسلطات الإدارية في السودان. وذلك لأن السياسة البريطانية أرادت هذا، ولم تستطع مصر تحت الضغط الذي خضعت له وقتئذ إلا الموافقة على ما أملت بريطانيا.

ذلك أن الأرض الزراعية في حلفا نفسها ضئيلة جدا. وإنها إلى الجنوب من حلفا أكثر ضآلة، أما الشمال وبصفة خاصة في جهات فرس وسره ودبيره وإشكيت وأرقين ودغيم ودبروسة، فإن الأرض الزراعية تتسع والسكان يتجمعون ويفلحون الأرض فإذا قدر للحدود في هذه المنطقة أن ترسم بحيث تمر بمدينة حلفا حسب ما هو وارد في الإتفاقية، فإن الأراضي الخصبة الواسعة نسبيا في هذه المنطقة ستقع في الجانب المصري، وسيستبع هذا بطبيعة الحال تركيز الجزء الأعظم من سكان المنطقة في الجانب المصري، وسيكون إعتقاد حلفا كله على الأرض الواقعة في الجانب المصري وعلى السكان المقيمين في ذلك الجانب، هذه الأرض تمتد لمسافة ٢٥ كيلو مترا إلى الشمال من حلفا، ويوجد بها من القرى سره شرق وسره غرب وفرس ودبيره وأشكيت وأرقين ودغيم وعنتش ودبروسة وغيرها. وإن فلا بد من تعديل الحدود في هذه المنطقة تعديلا يكفل وضع هذا الجزء إلى الجنوب من خط الحدود أو بعبارة أخرى يؤدي إلى خضوع هذه القرى وما يتبعها من أراضي زراعية ومن يقيم بها من سكان لإدارة السودان.

٢- منطقة جبل علبة :

وتقع فى الركن الجنوبي الشرقي من مصر وهي جبلية مرتفعة تتكون من صخور قديمة غنية نسبيا، وفرة المياه نسبيا تجعلها إقليما جغرافيا متميزا عن بقية الصحراء الفقيرة التي تنتهي إلى النيل. سكن الجبل جماعات من البشاريين وهم، قبيلة من البجة الذين ينتشرون فى الصحراء الشرقية ابتداء من دائرة عرض قنا حيث يحيا العباددة، يليهم جنوبا البشاريون فى جبل علبة والسودان الشرقي، ولمنطقة جبل علبة أهمية إقتصادية. فهي قطاع من الصحراء الشرقية فى كل من مصر والسودان — حيث موارد من الثروة المعدنية، لا تزال دراستها بحاجة إلى إستكمال. وتزداد إمكانيات الإستفادة منها مع تطور المواصلات وطرق البحث العلمي، وعلى السهل الذي يشرف عليه الجبل قام مرفأ حلايب تربطه طرق برية صالحة للسيارات مع بور سودان جنوبا والقصير شمالا، وفى قلب الجبل قامت مدينة جببب المعادن حيث مناجم الذهب القديمة ، وهذه غير جببب أخرى على الخط الحديدي الذي يربط بين بور سودان وهيا.

وأرض هذه مميزاتها تكون من غير شك مطمع كل طامع ، لهذا نجد أن السياسة البريطانية إتجهت نحو ضمها للإدارة فى السودان، ولهذا إقترحت على الحكومة المصرية، ضمها إداريا إلى السودان وقد حشد لذلك من المبررات الصورية ما يجعل التعديل أمرا ضروريا، فأدعت أن الأمور الإدارية فى هذه المنطقة من الصحارى المصرية تتطلب ضرورة وضع البدو الذين ينتمون إلى جماعة من الجماعات تحت سلطة إدارية واحدة.

وحيث أن منطقة جبل علبة وما جاورها تعيش بها جماعات من البشارية، وأن الغالبية العظمى من تلك الجماعات تعيش فى السودان. فمن المصلحة طبقا لوجهة النظر البريطانية ضم منطقة علبة إلى السودان ولكي تطبق على سكانها من البشارية النظم الإدارية ذاتها التي تطبق على أخوانهم فى السودان وبناء على ذلك أصدر وزير الداخلية قرارا إداريا بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٢ بتعديل الحدود فى منطقة جبل علبة بحيث تصبح على النحو التالي:-

يمتد خط الحدود من نقطة على ساحل البحر الأحمر قريبا من بئر الشلاتين ثم يتجه جنوبا بغرب لمسافة ٥٨ كيلو متر إلى بئر منبجة، ثم يمتد شمالا لمسافة ٢٨ كيلو مترا إلى جبل نجروب. ثم جنوبا بغرب لمسافة ٧٠ كيلو مترا إلى جبل أم الطيور ، ثم جنوبا مع إنحراف كبير نحو الغرب لمسافة ٥٨ كيلو مترا ثم جنوبا مع إنحراف قليل نحو الغرب لمسافة ٢٤٠ كيلو مترا حيث يقابل خط الحدود السياسية الذي يمتد مع دائرة عرض ٢٢ درجة شمالا.

وقد تخلت مصر إداريا بمقتضى هذا التعديل عن منطقة من أغنى مناطق الصحراء الشرقية مثلثة الشكل تقريبا طول ضلعها الجنوبي الذي يمتد على طول الحدود السياسية ٣٠ كيلو متر تقريبا وضلعها الشرقي الذي يطل على البحر الأحمر ٢٠٠ كيلو متر، وضلعها الغربي ٢٠٠ كيلو متر أخرى، وهي منطقة تبلغ مساحتها ١٢,٥٠٠ كيلو متر

مربع تقريبا.

ولم تجد السياسة الإنجليزية مانعا من تغطية سياستها في إقتطاع منطقة علبة بإقتراح ضم هذه المنطقة الفقيرة إداريا إلى أرض مصر بحجة واهية أن أغلب سكانها من البدو ينتمون إلى جماعات العبايدة، وجماعات العبايدة هذه تعيش في مصر، فخير لأخوانهم في السودان أن تطبق عليهم القوانين الإدارية ذاتها التي تطبق عليهم في مصر.

وبناء على ذلك نجد أن نفس القرار الذي أصدره وزير الداخلية في ٤ فبراير سنة ١٩٠٢ يتضمن ضم المنطقة المحيطة بجبل بارتازوجا إداريا إلى مصر وهي منطقة لا تزيد مساحتها عن ٦٠٠ كم^٢.

٣ - منطقة كورسكو :

وهذه منطقة صحراوية أخرى أشد جفافا من المنطقتين السابقتين، ولكنها أرض مجاورة لوادي النيل، وتتحصر بينه وبين خط مستقيم يمتد من جبل بارتازوجا في الجنوب حتى كورسكو الواقعة على نهر النيل في الشمال، وقد بدأ للسياسة البريطانية أن ضمها للسودان قد يعود عليها بنفع مادي فأملت إرادتها وكان لها ما أرادت، وعدلت الحدود بحيث تصبح المنطقة تابعة للسودان من الناحية الإدارية. ولكن يظهر أن هذه المنطقة لم يوجد بها ما يستدل منه على أهمية خاصة ولم ينجم من ضمها إداريا إلى السودان نفع ظاهر، فتقرر إعادتها إلى الإدارة المصرية، وصدر في سنة ١٩٠٧ قرار بتعديل الحدود تعديلا يكفل إعادة المنطقة إلى مصر، وذلك يجعل الحدود الإدارية منطبقة على الحدود السياسية بدلا من أن تتحرف متجهة نحو كورسكو.

هذه نظرة سريعة إلى حدود مصر الجنوبية وإلى ما طرأ عليها من تعديلات إدارية في الفترة التي أعقبت إمضاء الإتفاقية الخاصة بالسودان في سنة ١٨٩٩، ومنها يستدل على أن مصر قد إقتطعت منها مساحات واسعة ضمت إداريا إلى السودان، وأن الحجج التي إعتد عليها في تبرير هذا الإقتطاع ليس لها سند من الواقع، وإنما تمهيدا لضمها إداريا إلى السودان على إعتبار أن السودان سيبقى جزءا من إمبراطوريتهم غير أن مصر لم تكف عن المطالبة بإلغائها والإكتفاء بالحدود السياسية التي فرضتها إتفاقية سنة ١٨٩٩.

النزاع وحجج الأطراف :

وقد بدأ نزاع الحدود المصرية السودانية عام ١٩٥٨، وفي أواخر يناير على وجه التحديد، وكان ذلك بمناسبة الإنتخابات في السودان، وقانون الإنتخاب السوداني والذي أدخل شمالي حلفا وحلايب ضمن دوائر السودان، وفي نفس الوقت كان إستفتاء الوحدة المصرية السورية، وقد وضعت الحكومة المصرية الإقليم ضمن الدوائر المصرية، ثم لا ننسى أن حكومة السودان في ذلك الوقت كانت حكومة حزب الأمة، وكان يرأسها السيد عبد الله خليل، وتبدلت المذكرات بين الحكومتين ووصل الأمر إلى حد إرسال السودان مذكرة لمجلس الأمن، على العموم يستند كل طرف في مطالبه إلى عدة أسباب سنوجزها

فيما يلي:

- ١- أن له الحق في المنطقة لأنها وضعت تحت الإدارة السودانية نحو ٦٠ عاما.
- ٢- حتى لو كان الحد إداريا ، فإن مصر عند إستقلال السودان عام ١٩٥٦ قبلت إدارة السودان لها ولم تطالب بها.
- ٣- فكرة التقادم قائمة على مبدأ الحيازة الفعلي وعدم وجود معارضة.
- ٤- في إعتراف مصر بالسودان كدولة مستقلة عام ١٩٥٦ لم يكن لمصر تحفظات خاصة بالحدود ، خاصة وأن السودان أشار في مذكرته إلى مصر ، أن يحتفظ بموقعه الحالي بالنسبة لجميع الإتفاقيات الدولية التي تمت أثناء الحكم الثنائي.
- ٥- مبدأ قدسية الحدود الموروثة منذ عهد الإستعمار.

وبتلخص رأى مصر في :-

- ١- أن الحدود الدولية شيء والحدود الإدارية شيء آخر.
- ٢- مجرد الإدارة لا تكون سببا كافيا لإكتساب السيادة.
- ٣- التعديلات التي تمت كانت لتسهيل الإدارة ، ولذلك قامت بها وزارة الداخلية.
- ٤- لم تقم إتفاقية دولية بشأن هذا التعديل.
- ٥- سلم الطرفان المصري والسوداني على أن تقوم المساحة المصرية والجهات المعنية برسم خطين إداري ودولي.
- ٦- في القانون الدولي لا يتم التنازل عن إقليم إلا بموافقة الأطراف المعنية، وبإجراءات معروفة.
- ٧- فكرة التقادم كثير من رجال القانون لا يأخذون بها.
- ٨- الوجود المصري كان ممثلا في شركة علية للتعدين وهي شركة مصرية، ومصر كانت هي التي تعطي تراخيص التعدين.
- على العموم كان هناك إرتباط كبير بين إتفاق وإختلاف النظم على الجانبين وبين ظهور المشكلة وخفوتها.

نماذج لمشكلات الحدود في آسيا وأمريكا اللاتينية

مشكلة كشمير

إشتهرت ولاية كشمير في فترة الإستعمار البريطاني بأنها ملجأ للموظفين البريطانيين لقضاء إجازتهم صيفا، هربا من الحر اللافتح، ومن الأمطار الموسمية، ثم أصبحت بعد عام ١٩٤٧ من مناطق الانفجار السياسي في العالم ، ومنطقة صراع مرير بين الدولتين

الجديديتين الهند والباكستان وكشمير، أو بالأصح ولايتي جامو *Jammu* وكشمير ومركزي جليجت *Gillgit* ولادكه *Ladakh* يقع في شمال باكستان الغربية أو بمعنى آخر شمال غربي الهند. من ثم أصبحت متاخمة للهند وباكستان وأفغانستان والصين . وتبلغ مساحة المنطقة موضوع النزاع ما يزيد على ٨٢ ألف ميل مربع يعيش عليها ٤,٥ مليون نسمة ، ثلاثة أرباعهم من المسلمين.

ويغلب الإرتفاع على سطح كشمير، إذ يتراوح إرتفاعها ما بين الألف والألفي متر من الجنوب الغربي إلى سلاسل قراقورم في الشمال حيث يربو الإرتفاع على الثلاثة آلاف مترا، ولا تظهر الأرض المنخفضة إلا في ولاية جامو حيث يمتد شريط يقل إرتفاعه عن الألف متر من جنوبها الغربي. أما ولاية كشمير فتقع شمال جامو بإرتفاع يتراوح بين ١٢٠٠، ١٥٠٠ متر ، وتضم مدينة سريناجار *Srinagar* العاصمة نحو ٤٠% من السكان، تجمعهم وتوحد بينهم الظروف الطبيعية والحضارية، فهم محاطون بالجبال من جوانب ثلاثة، ويتكلمون لغة واحدة ويدننون بالإسلام، أما جامو التي تقع إلى الجنوب وبها نحو نصف السكان، فيتركز الهندوسيون منهم في جنوبها فقط، بينما يندشر المسلمون في بقية أنحائها.

ويرجع النزاع بين الهند والباكستان بشأنها إلى أغسطس عام ١٩٤٧، حينما كان على كل ولاية أن تقرر الانضمام إلى أي الدولتين الناشئتين. ورغم أن الديانة السائدة في كشمير هي الإسلام، إلا أن الأسرة الحاكمة هندوسية، ولم يبد حاكم كشمير أول الأمر رأيه في الانضمام إلى أي من الدولتين، بل يظهر أنه أراد أن يبقى الحال على ما هو عليه بعيدا عنها. ولما كان تقسيم شبه القارة الهندية، على أساس الدين فقد بدأت الثورة الداخلية ضد الإدارة الهندوسية. وبدأت جيوش الهند تدخل كشمير لمساعدة المهراجا، وبدأت قوات الباكستان تدخل كشمير لمساعدة الشعب، واستمر القتال بين الفريقين في كشمير ما يزيد على العام وأخيرا توقف القتال في يناير عام ١٩٤٩ عند خط وقف إطلاق النار نتيجة لتدخل الأمم المتحدة، وقسم خط وقف إطلاق النار كشمير إلى قسمين. بحيث أصبح ثلثي مساحة كشمير وأربعة أخماس سكانها تحت الإدارة الهندية بما فيها العاصمة سريناجار.

وظلت كشمير مقسمة منذ عام ١٩٤٩ ، وذهبت جميع الجهود التي بذلت لحل النزاع سدى ، إذ كانت كلا الدولتين تدعيان حقوقا في المنطقة إستنادا على أسس أثولوجية وإقتصادية وسياسية وتاريخية . وأصبحت مشكلة كشمير من العقبات الرئيسية التي تقف في وجه استمرار الصداقة الهندية الباكستانية ، وحاولت الأمم المتحدة الضغط لعمل إستفتاء للسكان، ولكن هذه الرغبة كانت تعارض دائما من الهند.

وتستند باكستان في مطالبتها بكشمير إلى عوامل متعددة منها:

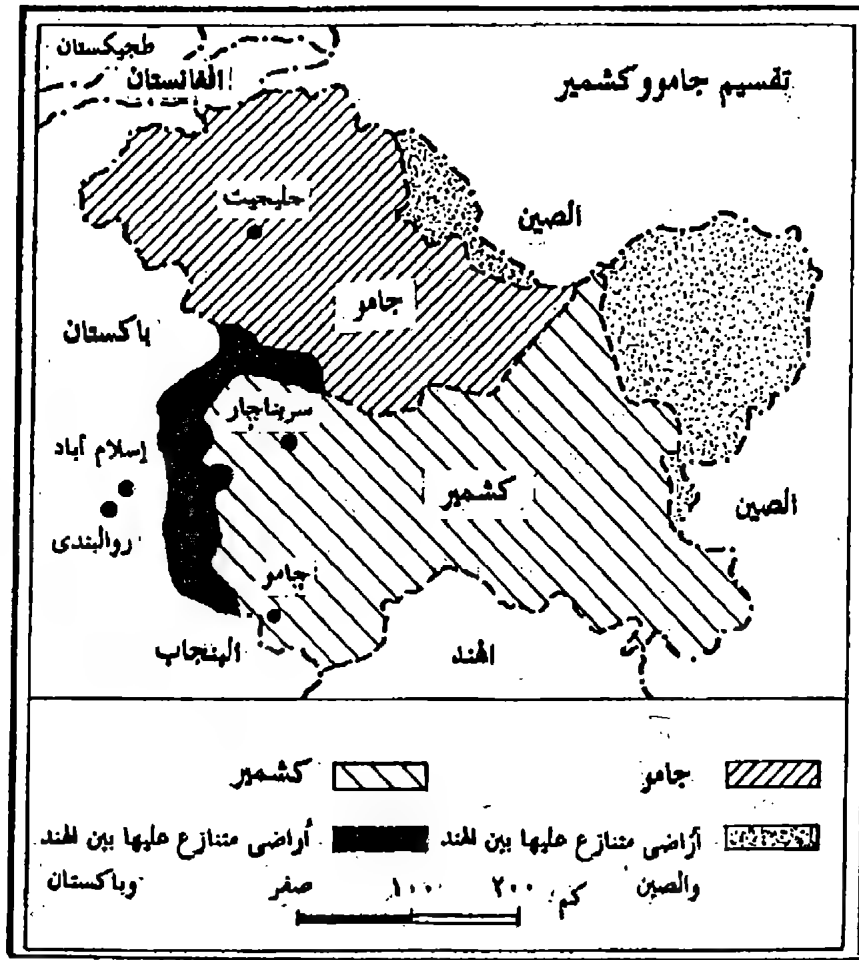
١- أن معظم السكان من المسلمين.

٢- إرتباط كشمير بالسكك الحديدية والطرق بما يعرف في الوقت الحاضر بباكستان الغربية وذلك قبل تقسيمها، من ثم كان توجيهها التجاري نحو الباكستان .

٣- أن ضم كشمير إلى الهند معناه تحكمها في مياه السند ومدى إستفادة باكستان من مياهه في الري وتوليد الكهرباء ، نظرا لأن أعالي السند ورافديه الرئيسيين يمران في كشمير.

٤- أن ضم الهند لكشمير معناه تهديد للأمن القومي في باكستان نظرا لعدم وجود حواجز طبيعية بين جنوبي كشمير وباكستان ، فضلا عن أن ضمها للباكستان ضروري للأمن في إقليم الحدود الشمالية الغربية حتى لا تنفصل قبائل الباتان.

مشكلة كشمير



وتستند الهند في ضمها إليها إلى عدة إدعاءات منها :

- ١- أن حكومة كشمير طلبت تدخل الهند رسميا عام ١٩٤٧.
- ٢- أن الحكومة الهندية قامت منذ عام ١٩٤٧ بمشروعات تنمية لكشمير كمد شبكة

كثيفة من طرق المواصلات البرية والحديدية مع الهند، فضلا عن مشروعات توزيع الأراضي.

٣- أن مستقبل كشمير يكون أكثر إبتساما إذا ما ضمت إلى الهند لما تحتويه من أسواق أكثر إتساعا، كما أنها أكثر تصنيعا من الباكستان.

٤- يمكن الإتفاق دوليا على مشكلة المياه التي تثيرها باكستان.

٥- يجب حماية مصالح المليون هندوسي الذين يعيشون في جنوبي جامو.

هذا وقد سبق لنا دراسة إتفاقية مياه السند التي تمت بالإتفاق بين الدولتين والتي بمقتضاها صار نصيب الهند ٢٠% من مياه النهر، ونصيب الباكستان ٨٠% من هذه المياه.

وكأنت هناك شبكة ري لنحو ٣٠ مليون فدان قبل التقسيم، قسمها الوضع الجديد إلى قسمين غير متعادلين: الثلثين في باكستان والثلث في الهند.

هذا وقد ظهرت إقتراحات متعددة لحل المشكلة نذكر منها:

١- إستفتاء يشمل كل كشمير، بشرط إنسحاب قوات الطرفين ولكن الهند كما ذكرنا رفضت الجلاء عن إقليم أصبح تحت قبضتها الفعلية.

٢- الإجزاء ذات الغالبية الهندوسية كجام ، والبوذية كلادكة إلى الهند والباقي إلى الباكستان.

٣- إستقلال كشمير عن كل من الجانبين، وهذا لاشك سيحدث فراغا كبيرا في المنطقة.

٤- ضم كل جزء من كشمير بعد وقف إطلاق النار إلى الدولة المسيطرة عليه، وكان الرئيس نهرو من أنصار هذا الحل عام ١٩٥٦.

هذا وقد بذلت الهند جهدا كبيرا منذ ١٩٤٩ في ربط الجزء الذي سيطرت عليه بإتفاق رؤوس الأموال هناك. وتوجيه التجارة نحو الهند ، وفي عام ١٩٥٧ أعلنت الهند ضم هذا الجزء إليها رسميا، ومن ثم زادت المشكلة تعقيدا ، لأن باكستان لاتعترف بهذا التقسيم، ولعل نقلها العاصمة إلى الشمال في راوليندي يعكس إهتمامها بالمشكلة.

مشكلة الحدود الصينية

الحدود الصينية الهندية:

تمتد الحدود الصينية مع جبال همالايا، وفي أقصى الطرف الغربي مع سلاسل قراقورم، وبذلك تقطع مسافة ٢٥٠٠ ميل، بينما تقع هضبة التبت إلى الشمال من خط الحدود فيما عدا أقصى الغرب حيث توجد سنكيانج التي تفصلها قراقورم عن كشمير. ولا يخترق هذه المرتفعات سوى ممرات قليلة ، كما يسكن منطقة الحدود هذه عدد قليل من

السكان فيما عدا قسمها الأوسط المتاخم لنيبال وبهوتان وسيكيم. وتطالب الهند بأن يسير خط مكمهاون، الذي قام السير هنري مكمهاون بالمفاوضات من أجله عام ١٩١٤ وإن كانت الصين لم تقبله في أى وقت كحد بينها وبين الهند، كما أن معظم هذه الخطوط لم يحدد. وكانت الهند تواجه على طول حدودها الشمالية التبت شبه المستقلة وسنكيانج، ولكن منذ أن دخلت الشيوعية الصين عام ١٩٤٩، ودخول القوات الصينية التبت، وأصبحت الهند قوة سياسية وحربية لم تعدها من قبل.

وعملت حكومة بكين لا على تقوية نفوذها في التبت وسنكيانج فحسب، بل على الضغط للحصول على مكاسب من الهند.

وبدأت الصين تخترق خط مكمهاون عام ١٩٥٤، ولكن الرئيس نهرو كان يفسر هذه العمليات على أنها سوء فهم، رغبة منه في عدم قيام حرب، وكانت الهند من أوائل الدول التي اعترفت بالنظام الجديد في الصين، وكانت ضمن المطالبين بإدخالها الأمم المتحدة، ورغم ذلك إحتلت الصين عام ١٩٥٩ بعض المناطق جنوب الخط المذكور، وظهرت الخرائط الصينية وعليها حدود جديدة جنوب التبت وسنكيانج، ومضيفه بذلك نحو ٥١ ألف ميل مربع إلى أراضيها. وكانت معظم الأراضي الجديدة هندية فضلا عن مساحات صغيرة من الباكستان وبهوتان، وقد عملت الهند منذ ذلك التاريخ على تقوية جبهتها الشمالية.

ويدعى الصينيون أحقيتهم في ١٥ ألف ميل مربع من ولاية لاداخ **Ladakh** في أقصى شمال كشمير حيث تمتد قراقرم الشرقية، وإحتلت القوات الصينية فعلا نحو ١٢ ألف ميل مربع في منطقة النزاع، وبدأت الهند عمليات إصلاح الطرق وأعطت الأولوية لأعمال ١٧٠ ميلا من طريق سرينجار **Srinagar** عاصمة مركز لاداخ و ٨٠ ميلا من لادكه شرقا إلى حدود التبت. وتعمل هذه الطرق على تنمية لاداخ إقتصاديا فضلا عن خدمة الأغراض العسكرية وفي نفس الوقت كان الصينيون يمدون جزءا من طريق يربط بين **Cartok** في غرب التبت ويركند **Yarkand** في غرب سنكيانج.

وقد إتفقت نيبال مع الصين على الحدود بينهما عام ١٩٦٠ وأن لم يتم الإتفاق مع بهوتان حيث يطالب الصينيون بمنطقتين أحدهما على حدود بهوتان الشمالية والأخرى في جنوبها الشرقي وأخيرا تدعى الصين أحقيتها في ٢٦ ألف ميل من أسام وجميع هذه الأقاليم موضوع النزاع تحتلها القوات الصينية من الناحية الفعلية.

هذا وإستمرت المنازعات المسلحة بين القوات الصينية والهندية من حين إلى آخر لمدة ثلاث سنوات، ولكن الصين رمت بتقلها عام ١٩٥٨ في لادكه وفي الشمال الشرقي، وأرغمت الهند على الإنسحاب من مساحات واسعة وخاصة في لادكه، وتركت الهند حيادها وتوجهت إلى بريطانيا والولايات المتحدة طالبة المعونة العسكرية ولكن الصينيين لم يتابعوا التقدم، وأعلنوا خطأ لوقف إطلاق النار، بعد أن إستولوا على مساحة ١٢ ميل مربع من شمال شرق لاداخ.

وقد يتسائل البعض ما غرض الصين من هذه المناطق رغم قلة أهميتها الاقتصادية وما الداعي لإثارة دولة كانت من أوائل الدول الصديقة لنظام الحكم فيها. هل ينوى الصينيون غزو الهند أم هو إستعراض لقوتها أمام أقطار جنوب وجنوبي شرقي آسيا ومهما كان التفسير.

إدعاءات الصين:

١- ويستند الصينيون في دعواهم إلى خط مكماهون هذا لم يتم نتيجة مؤتمر تمت فيه مناقشة الموضوع، وإنما تحدد بتبادل المذكرات سرا في نيودلهي عام ١٩١٤، بين الممثل البريطاني وممثل السلطات المحلية في التبت قبل توقيع المعاهدة في سملّا في ١٤ مارس من ذلك العام، ووضع الخط على خريطة عامة للهند وأطلق عليه الحد الشمالي الشرقي، والخريطة ممهورة بتوقيع مكماهون وخاتم وتوقيع ممثل التبت، وليس على هذه الخريطة أى توقيع صيني.

٢- أن خط مكماهون لم يرسم أو يتعين بالمعنى الدقيق، خاصة وأنه جرى في منطقة جبلية معقدة التضاريس جبال شاهقة متداخلة وأودية عميقة، ويرفض الصينيون اعتماد الهند على مبدأ خط تقسيم المياه، لأنه ليس العنصر الوحيد في تعيين خط الحدود، إذ أن الجزء الأكبر من الحدود شرقي لداخ يتبع قمم جبال هيمالايا. وفي الحق أن الخط جرى في منطقة حساسة أقرب إلى التخوم من الناحية الفيزيوجرافية أو الأنثروبوجرافية، ولم يعم ليتمل ضغوط الحدود السياسية، وخاصة منطقة دخلت مرحلة المراهقة السياسية فبدلاً من أن يجرى عند حضيض سلاسل الهيمالايا، يمر خلال هذه السلاسل ولا يمكن أن يكون فاصلاً قومياً أو لغوياً. . . إلخ.

إدعاءات الهند:

١- إن الخط المذكور جاء نتيجة إتفاقيات وأيديتها معاهدات، وأن مبدأ تقسيم المياه ليس جديداً في تخطيط الحدود وأن مندوب الصين كان حاضراً في مؤتمر سملّا، ولكنه لم يوقع لإعتراضه على حدود التبت الداخلية والخارجية (الداخلية تديرها الصين، الخارجية تتمتع باستقلال داخلي) لاعلى حدود الهند مع التبت.

٢- القول بأن حكومة الصين كانت ضعيفة حينئذ أمام القوة البريطانية فهذا مرفوض بدوره، فالقاعدة العامة تقول بقبول الحدود التقليدية التي جرى العرف على الإعراف بها، عندما يصعب تحديد الحدود في منطقة ما، ورغم تدخل ست دول أفريقية وآسيوية. لإزالة النزاع في ديسمبر ١٩٦٢ (إندونيسيا، كمبوديا، بورما، سيلان، مصر، غانا) فلم تنجح تلك الوساطة. لماذا حدث النزاع؟ من الواضح أن الإقليم موضوع النزاع لا يبرر النشاط العسكري الصيني فلماذا حدث في إقليم صعب المراس من الناحية العسكرية؟ إن الإجابة في الواقع تكمن في ميدان الجيوبولتيك، ومدى إفادة الصين من سياستها العدوانية التي بدأتها في هذا الإقليم، منها:

* إثبات قوة الصين في آسيا، بل وأرادت أن تثبت للعالم أن الحل الوحيد لجعلها تلتزم بمبادئ الأمم المتحدة هو قبولها في المنظمة الدولية.

* إن مساعدة الغرب للهند في هذا النزاع سوف يخلق مرارة للباكستان، من حلف جنوب شرقي آسيا هو في حد ذاته مكسبا للصين ويتضح من الخرائط التفصيلية أن هناك ممرا يربط باكستان بسنكيانج ، وظهور محور صيني / باكستاني يعتبر أمرا على درجة كبيرة من الخطورة في هذه المنطقة من العالم.

* كان نهرو يتزعم معسكر عديم الإنحياز في آسيا ، وهو أمر لا يرضى عنه زعماء الصين فهم أحق بزعامة آسيا، وأن تخيف أقطار جنوب شرقي آسيا.

* إرادت أن تعزز مركزها على حدود الهند، وأن تؤمن سيطرتها على التبت بالسيطرة نهائيا على لداخ لأنها المنطقة التي تشرف على مواصلاتها الإستراتيجية مع التبت.

الحدود الصينية السوفيتية :

عندما وجد خروشوف أن الصينيين ينتقدونه بشدة في تصرفه أزاء المشكلة الكوبية في نهاية عام ١٩٦٢ لامهم على الصبر الذي يتحلون به أزاء إحتلال القوى الإستعمارية لهونج كونج ومكاو . وأثار هذا الصينيين، وذكروا الروس بأنه ليست بريطانيا والبرتغال وحدهما اللتين فرضتا معاهدات غير متكافئة مع الصين في الماضي، بل أن روسيا القيصرية قد إعتدت أيضا على الأراضي الصينية . وقد عملت السياسة الصينية على ترك الحال على ما هو عليه *Status quo* حتى تنتضج الأمور ويحين الوقت اللازم لإعادة النظر في تلك المعاهدات وتساءلت الصين هل من نية الروس حقيقة إثارة كل مشكلات المعاهدات غير المتكافئة وهل يعرفون نتائج إثارة هذا الموضوع وبدأت الصين إثارة موضوع جديد ليزيد من التوتر القائم بين الدولتين وهو النظر في الأربعة آلاف ميل التي تمثل الحدود بينهما.

وعلى هذا الأساس تصبح الأقاليم موضوع النزاع ذات مساحات كبيرة فعلى مدى قرون طويلة في التقدم نحو الشرق ضمت روسيا مساحة تقدر بنحو ٧٠٠ ألف ميل مربع من أراضي تدعى الصين أنها جزء منها ، فقد حصلت روسيا من الصين طبقا لمعاهدة ١٨٥٠ على مساحة ١٣٣ ألف ميل مربع وفي معاهدة ١٨٥٨ حصلت على مساحة ١٨٥ ألف ميل مربع. وقد ظهرت خريطة في أحد المراجع الصينية عام ١٩٥٤ تبين الولايات البحرية للإتحاد السوفيتي فضلا عن جزء كبير من سوفيت وسط آسيا كأراضي صينية.

وزاد التوتر على الحدود الصينية الروسية في سبتمبر ١٩٦٣ حين اتهم الصينيون الروس بالقيام بنشاط هدام على نطاق واسع في إقليم سنكيانج، وإجبار عشرات الآلاف من المواطنين الصينيين على الهجرة إلى الإتحاد السوفيتي، ورد السوفييت على هذا بأن الصينيين يعتدون على الحدود بانتظام منذ عام ١٩٦٠.

وزادت مشكلة الحدود حدة عام ١٩٦٤، عندما أصر الصينيون على الوصول إلى حل

على أساس المعاهدات الحالية، وإتهموا الروس بإثارة القلاقل في مناطق الحدود، وكان موقف الروس ، أن أى مشكلات خاصة بالحدود يمكن تسويتها بسهولة، وليست لها أهمية كبرى . وذهب وفد لمفاوضة بكين عام ١٩٦٤، ولكنه رجع بخفى حنين عندما وجد أن الصين تطالب بمساحة ٥٨٠ ألف ميل مربع من الأراضي السوفيتية وقد إتهم ماوتسى تونج الإتحاد السوفيتي علنا بالنوايا التوسعية، وأضاف " بأنه منذ قرن أصبحت جميع الأراضي الواقعة شرق بحيرة بيكال تابعة لروسيا، ومنذ ذلك الوقت أصبحت فلايديفاك وكمشستكا وغيرها أراضي روسية، ونحن لأن لم نطالب بتسوية هذا الوضع أما كوريل فواضح أنه لابد من رجوعها إلى اليابان " وإتهم ماو السوفييت أيضا بوضع منغوليا تحت سيطرتها وبحشد سيطرتها وبحشد للقوات على الحدود الصينية، ومهما كان دافع الصين من إثارة مشكلات الحدود الروسية فإن الروس قابلوا هذا باستعدادات دفاعية على الحدود الصينية لأي هجوم محتمل.

هذا ويبدو أن هدف الصين هو تصعيد النزاع بينهم وبين الروس إلى ذروته أكثر من الرغبة في إضافة أراض جديدة.

مشكلات شط العرب

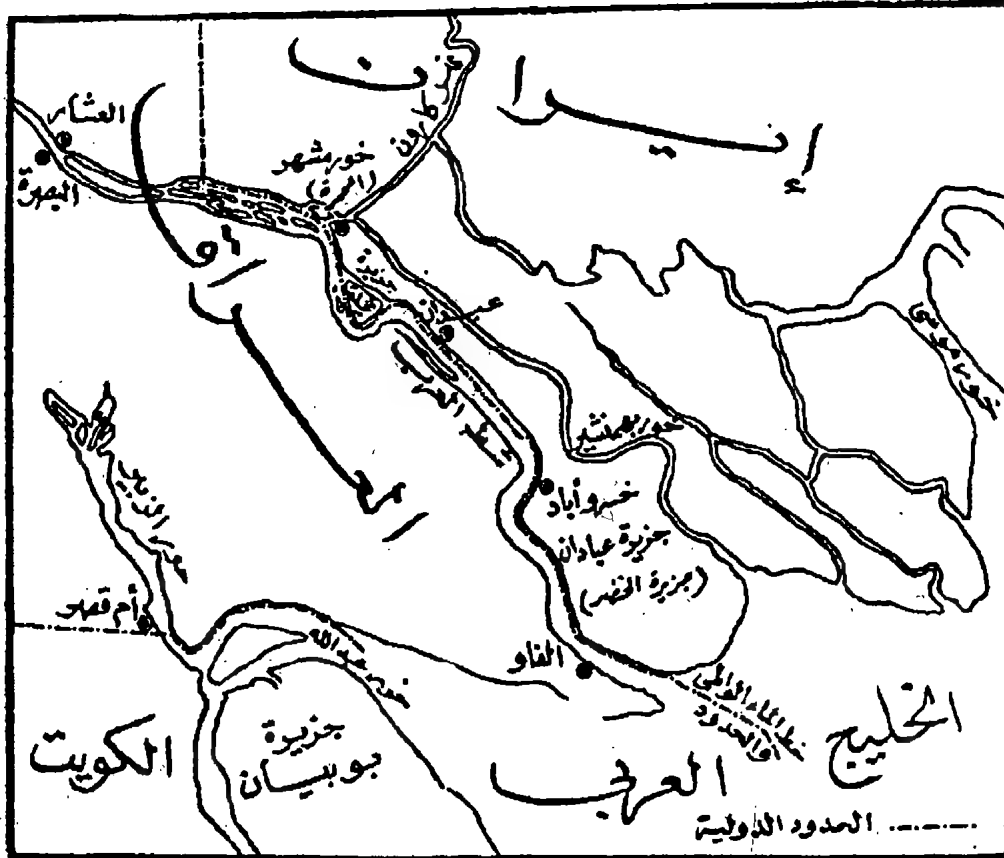
يتكون شط العرب عند بلدة القرنة من التقاء نهري دجلة والفرات ، ويبلغ بذلك طوله نحو ٢٤٠ كيلو مترا حتى مصبه في الخليج العربي، ويبلغ عرضه عند المصب أكثر من كيلو مترين ، بينما يضيق عند البصرة إلى حوالي الكيلو متر الواحد، ويتأثر بحالة المد والجزر حوالي ١,٧٠ مترا في الصيف ، ويقل إلى ٢٥ سم في الربيع، أى في موسم الفيضان . ويمثل شط العرب جزءا من مشكلة الحدود الإيرانية العراقية. ولا يرجع الاتفاق على هذه الحدود إلى تاريخنا المعاصر ، وإنما إلى التاريخ الحديث حينما كانت الدولة العثمانية تبسط نفوذها على العراق، والدولة الصفوية تبسط نفوذها على فارس، وكان شط العرب وجميع الأراضي على ضفتيه جزءا من الدولة العثمانية خلال قرون عديدة، ولم يكن موضع نزاع بين الدولة العثمانية والدول الفارسية حتى عقد معاهدة أرضروم الثانية عام ١٨٤٧ وبمقتضاها تنازلت الدولة العثمانية عن المحمرة وجزء من أراضيها الواقعة على الضفة اليسرى لشط العرب لمصلحة فارس . وأيدت لجنة الحدود عام ١٩١٤ خضوع شط العرب للدولة العثمانية " يسير خط الحدود في شط العرب مع مستوى المياه المنخفضة في الشاطئ الفارسي ، باستثناء قسم منه يتاخم ميناء المحمرة ويبلغ طوله نحواً من سبعة كيلومترات حيث تسير الحدود في وسط مجرى شط العرب . كما سمحت الدولة العثمانية بناء على علاقات حسن الجوار بحرية الملاحة للسفن الفارسية.

وإعترفت إيران بصحة تسوية الحدود في معاهدة ١٩٣٧ " بأن يكون خط الحدود هو نفس الخط الذي تم تخطيطه من قبل لجنة تخطيط عام ١٩١٤ ماعدا إستثناء موداه بتنازل العراق عن جزء صغير من شط العرب مقابل عبدان يسير خط الحدود فيه مع المجرى الملاحي لمسافة ٧ كيلو مترات لإتخاذ كمرسى للسفن الإيرانية.

ولكن الحكومة الإيرانية لا تقنع بهذا بين الحين والحين ، ورأيها أن يمتد خط الحدود مع المجرى الملاحي **Thalweg** وأعلنت في عام ١٩٦٩ إلغاء معاهدة ١٩٣٧ من جانبها وصحب هذا حشود عسكرية على طول خط الحدود.

ويستند العراق في دعواه إلى أن هذه الحدود تستند إلى معاهدات إقررت بها الحكومة الإيرانية، ومن ثم يجب استبقاء الوضع الراهن **Status quo** حيث يجري تطبيق هذا المبدأ على أساس مبدأ **uti-possidetis** وهو إصطلاح مستعار من القانون الروماني يشير إلى أمر من القاضي " يحذر فيه من المساس بالوضع الراهن بملكية العقارات الثابتة وذلك فيما يجري بين الأفراد " ويزداد هذا المعنى تأكيد في القانون الدولي عندما يقول مبدأ **uti possidetis** " طالما أنك تملك بالفعل فمن حقك أن تستمر في الملكية " وإذا تركنا القانون الدولي جانباً ولجأنا إلى الحقائق الجغرافية سنجد أن خط الحدود في هذه المنطقة لا يتفق والظروف الجغرافية طبيعية أو بشرية ، ذلك أن خط الحدود العراقية الإيرانية في الشمال يسير مع سفوح جبال زاغروس فاصلاً بين القومية العربية وبين القومية الإيرانية، ولكن الحدود السياسية ابتداءً من هذه المنطقة تفترق عن خط الجبال وتتجه رأساً حتى تقابل شط العرب وسط منطقة من المستنقعات أي تبعد عن السلسلة الجبلية ، من ثم إغتصبت منطقة عربية (عربستان) لتصبح جزءاً من إيران بعيداً عن كتلتها الأصلية في العراق.

مشكلة شط العرب



مشكلة صحراء أتكاما

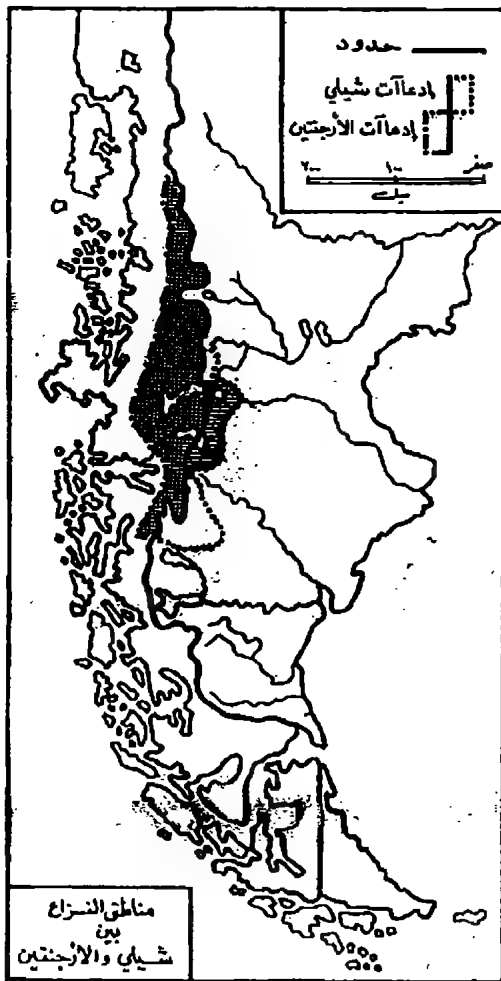
[illegible]

فقد كان القسم الشمالى من صحراء أتكاما تابعا لبيرو قبل عام ١٨٧٠، بما فى ذلك ميناء أريكا **Arica** وواحة تكنا **Tacna** القريبة منه، هذا بينما كانت سيادة بوليفيا على القسم الأوسط من الصحراء، ويتبع القسم الجنوبي منها شيلى، وكانت الإهمية الاقتصادية لهذه الصحراء ضئيلة، اللهم من تعدين بعض الذهب والفضة، ثم زادت هذه الأهمية فجاء بعد تعدين رواسب نترات الصوديوم، وأدى هذا إلى صراع كل دولة لمد نفوذها على الإقليم، وكانت حكومتا شيلى وبيرو قد نشطتا فى إستغلال الأملاح التى أصبحت لها شهرة عالمية فى الخارج، بينما إكتفت حكومة بوليفيا بجمع الضرائب على مؤسسات التعدين التابعة لشيلى وبيرو والتى تعمل فى أرضها، ونظرا لعدم وضوح الحدود، والرغبة فى الكسب السريع، تطور الأمر إلى صراع كان من نتيجته حرب مريرة إستمرت خمس سنوات (١٨٧٩-١٨٨٤)،

هاجمت فيها شيلي جارتها ، وحالفها النصر فى كثير من المواقع ، وكانت نتيجة هذه الحرب فقد بوليفيا لإقليمها الساحلي بما فيه ميناء أنتوفجستا مخرج بوليفيا الوحيد إلى المحيط، وامتدت حدود شيلي شمالا على ساحل الباسفيك حتى ميناء أريكا من ثم أصبح كل نترات الصوديوم ملكا لشيلي، وجنت شيلي أرباحا ضخمة من تصدير نترات صحراء أنكاما. وكان لإنقطاع بيرو عن البحر أثره الخطير على إقتصادها لإعتمادها على تصدير المعادن. وأخيرا اعتبر ميناء أريكا حرا لممر تجارة بوليفيا الخارجية.

أما العلاقات بين شيلي وبيرو فقد ظلت متوترة فترة من الزمن، ذلك أنه بمقتضى معاهدة السلام بين شيلي وبيرو والتي أنهت حرب الباسفيك، كان المفروض عمل إستفتاء فى إقليم تكتا أريكا لتحديد وضعه بين الدولتين، ولكن شيلي عارضت عمل هذا الإستفتاء، ولم تحل المشكلة إلا بعد ضغط ديبلوماسى من الولايات المتحدة الأمريكية، أدى إلى تقسيم الإقليم بين الدولتين، بحيث ضمت "تكتا" إلى بيرو.

حدود شيلي وأرجنتين



ويضرب بهذا النزاع المثل فى إختلاف تفسير التعبيرات الجغرافية، ذلك أن جبال الأنديز يضرب بها المثل كحد طبيعي بين الأرجنتين وشيلي، وإن كانت فى أقصى الجنوب لا تبلغ من الارتفاع بمافيه الكفاية لتصبح حاجزا منيعا. ويحدد الخط الفاصل بين الدولتين، المادة الأولى من معاهدة شيلي - أرجنتين عام ١٨٨١، وتقول هذه المادة " بأن خط الحدود يسير على أعلى القمم الجبلية والتي تقسم المياه فى نفس الوقت، ولكن لسوء الحظ كان الخط الذي يصل بين أعلى القمم، ليس بخط تقسيم المياه فى جميع الأحوال وخاصة فى القطاع الجنوبي منها، ذلك أن بعض المجارى المائية التي تنحدر غربا قد نحتت مجاريها العليا تراجعا بحيث أصبحت تصرف مياهها على السفوح الشرقية، وأدعت حكومة شيلي بأن أعلى القمم المقصودة بها أعلى القمم التي تقسم المياه، وبين هذه القمم لأبد وأن يتبع الحد السياسي خط تقسيم

المياه، أما أرجنتين فقد ردت بأن المقصود من أعلى القمم هو نفس اللفظ في حد ذاته، وكادت الحرب تنشب بين الجانبين، لولا أنهما إتفقا على تحكيم إنجلترا، التي قسمت الإقليم موضوع النزاع، وهذا الحال عام ١٩٠٢ بين الجارتين ، وأقام سكان شيلي والأرجنتين تمثالا للمسيح، أطلقوا عليه مسيح الأنديز في ممر أوسبالاتا *Usplatta* على الطريق الرئيسي الذي يخترق الجبال بين بوينس آيرس ووسط شيلي.

الفصل الثالث

المياه الإقليمية

رأينا في خريطة العالم السياسية أن هناك واحدا وثلاثين دولة ذات حدود برية تماما والباقي يطل بدرجة أو أخرى على البحر، منها ما هو محاط بالبحر تماما كملاچاشي أو نيوزيلند أو اليابان، ومنها ما يطل عليه لعدة أميال قليلة كما هو الحال في العراق أو الأردن. ولكن مهما صغرت أو كبرت الواجهة التي تطل بها الدولة على البحر فهناك مشكلة المدى البحري الذي يمكن لدولة أن تمتد عليه سيادتها.

وتختلف السيادة على البحار عنها في اليابس في كثير من الوجوه . فالبحر ليس عليه سكان ثابتون مستقرون، وتتنصر موارده (باستثناء المعادن التي قد توجد في قاعة أو مائة) في ثروته السمكية، فالسيادة هنا تتنصر في منع الآخرين من الصيد وإستخراج المعادن والملاحة البحرية فيه أو الجوية فوقه. وقد ظهرت كثير من الإدعاءات والمنازعات حول السيادة البحرية فيه خلال العصور المختلفة، في القرن السادس عشر أدعت كل من أسبانيا والبرتغال السيادة على مساحات واسعة من المحيط. وكان القانون الهولندي **Hugo Grotius** أول من أشار في كتابه (حرية البحر) إلى أنه لا يمكن لدولة ما أن تفرض سيطرتها وتحكم البحار المفتوحة ، وكان ذلك في القرن السابع عشر، وأدعى الكتاب البريطانيون في ذلك القرن بملكية بريطانيا للبحار المحيطة بها والتي تفصلها عن أوروبا، غير أن قانوني هولندي كان أقرب إلى الأفكار الحديثة في كتابه (السيادة البحرية **De Domminio Maris**) الذي نشره عام ١٧٠٢، إذ قال أنه بينما البحر ملك للجميع إلا أن السيادة على المناطق البحرية المجاورة من حق الدولة المطلة على هذا البحر، وحدد مسافة هذه السيادة بالمدى الذي تصل إليه طلقة المدفع، ثم بدأ يظهر الإتجاه تدريجيا نحو حرية البحار، حتى بدأت حرية البحار تصبح مبدأ أساسيا مع بداية القرن التاسع عشر، فأعالي البحار ملك للجميع، فحتى لو كان هناك دولة قوية بدرجة كافية لإمتلاكها، فإن مطالبتها بفرض سيادتها عليها لا يمكن الإعتراف بها لا لصعوبة الإمتلاك الفعلي لها، بل لأنه ليس هناك سبب معقول ووجيه لهذه الملكية.

ولقد بدأ الإقتراح الذي ذكره القانوني الهولندي عام ١٧٠٢ بأن الدولة يمكن أن تمارس حقوق سيادتها على البحار المجاورة في حدود مدى طلقة المدفع، بدأ يلقي قبولا لدى معظم الدول . ولكن هذه المسافة كما تعلم متغيرة تبعا لحجم ونوع المدفع، وما إذا كان المدفع فوق ربوة أو على الشاطئ، مثل هذه الأمور لم تناقش أول الأمر، وفي نهاية ذلك القرن الثامن عشر إتفق على ثلاثة أميال يمكن أن تمثل أقصى مدى للمدفعية، وبعد هذا ندخل في منطقة أعالي البحار الخارجية عن نفوذ الجميع. ولازال هذا المبدأ متعارف عليه في كثير من الحالات، وأن كان البعض قد زحزح هذه المسافة إلى ٦,٤ ثم ١٠ أو حتى ١٢ ميلا. وأخيرا كان لظهور الصواريخ عابرة القارات أثره في جعل أي إدعاء للسيادة، يستند على حماية منطقة بحرية من البحر أمرا غير ذي موضوع.

وقد حاولت بعض الدول الكبرى أن تضع حدا لهذه الفوضى، وأن تفرض قاعدة الثلاثة أميال كقاعدة عامة، لكن هذا الإقتراح لم يصادف قبولا من الكثيرين وإستحال الإتفاق على شئ بهذا الخصوص، ولم يكن مؤتمر جنيف عام ١٩٥٨ أوفر حظا من مؤتمر لاهاي عام ١٩٣٠، وكانت النتيجة أن أقر المؤتمر إتفاقية المياه الإقليمية دون تحديد لعرض البحر وإستمر عدم الإتفاق بعد ذلك في مؤتمر البحار الذي عقد عام ١٩٧٣، وظهر أن ٥٠,٥% من مجموع الدول التي حضرت المؤتمر وعددها ١١١ دولة طلبت أن تكون عرض المياه الإقليمية ١٢ ميلا بحريا، ٩% طالبت بأن يكون ٦ أميال بحرية، ٢٢,٥% فقط هم الذين يوافقون على ثلاثة أميال ولكن في نفس الوقت كان هناك ما يقرب من ٧,٢% يطالبون بعرض ٢٠٠ ميل ومعظمها من دول أمريكا اللاتينية.

وهكذا تنوع الإختلاف، بل أن تركيا طلبت أن يكون عرض مياهها الإقليمية ١٢ ميلا على البحر الأسود، ٦ أميال على البحر المتوسط، بل وبعض الدول مثل نيكارجوا ولبنان لم تتقدما بأى أرقام. بل وهناك بعض دول تطلب أن تتعدى مياه الصيد المياه الإقليمية أي أن تكون الأولى أكثر إتساعا من الثانية، ومن أهمها دول غرب أوروبا التي تطالب بأن يمتد نطاق الصيد أكثر من ١٢ ميلا ماعدا المملكة المتحدة التي تطالب بأن يقل عن هذا.

وهكذا بدأ إنتشار طلب المائتي ميل لأن تكون مياه صيد حينا، ومياه إقليمية حينا آخر في أواخر السبعينات، وإذا فرض وإتفق على هذا الحد فمعنى هذا أن ٣٠% من البحار والمحيطات سوف تخرج من نطاق أعالي البحار، وسوف تخضع كل الممرات والبحار والخلجان بين الجزر والقارات تحت السيادة القومية، ومن الطريف أن الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية بالأخذ بحد الإثنا عشر ميلا على نطاق عالمي، وحتى إذا إتفق على هذا الحد سنجد أنه سيضع جميع الممرات البحرية التي يقل عرضها عن ٢٤ ميلا تحت السيادة الإقليمية، كالقنال الإنجليزي وهو واحد من أكثر الممرات العالمية حركة، نظرا لأن إتساعه من دوفر إلى كاليه إثنان وعشرون ميلا، لذلك يتطلب هذا مجموعة من الضمانات الدولية.

وفي ظل هذه الظروف فإن إتخاذ حد الإثنا عشر ميلا تعتبره الدول التي تطالب بمائتي ميل هزيمة لها، كما تدخلت العوامل الأيديولوجية في الصورة فالصين الشعبية مثلا أيدت بقوة طلب المائتي ميل.

كيف يحتسب عرض المياه الإقليمية؟

هذا ويحتسب عرض المياه الإقليمية من آخر نقطة تتحسر عنها المياه وقت الجزر بالنسبة للشاطئ الطبيعي أو من وراء الحواجز أو الأرض التي تحيط بالمواني أو الأحواض البحرية، وتختلف الآراء بشأن المياه الإقليمية، فمنهم من يرى أنه لا بد وأن توازي الشاطئ في تعاريجها، ومنهم من يرى أن تحدد بخطوط مستقيمة تقابل الخطوط الممتدة بين الرؤوس البارزة من الساحل.

هذا وإذا وجدت جزر في المياه الإقليمية، فإنها تعتبر جزءا من الإقليم ويصبح لها

منطقة إقليمية إضافية، من ثم تبدأ المياه الإقليمية لدولة كالنرويج كثيرة الجزر بعد هذه الجزر.

وظيفة المياه الإقليمية:

لعل عامل الدفاع له الاعتبار الأول في وظائف المياه الإقليمية. فالدولة لها حق تفتيش السفن الغربية، ومنع سفن الأعداء من الإقتراب منها بل لها حق إقامة أعمال دفاعية في البحر كبت الألغام مثلاً، ولهذا الحق كانت هناك وظائف أخرى كمنع التهريب، والتهريب عملية قديمة عرفتتها جميع الشعوب منذ أن ظهرت قوانين لتنظيم التجارة. وطالما كانت وسائل الدفاع سابقاً فإذا كانت هذه هي الوظيفة الوحيدة الآن، فلا شك أنها ليست بذات أهمية بعد وسائل التسليح الحديثة. وقد قامت مواقع حربية بين الحكومات والمهربين. لذلك فمن ضمن الأسباب التي استندت إليها الدول في السيادة الإقليمية هو منع التهريب فقد أقر البرلمان البريطاني حق السفن البريطانية في تفتيش أى سفن غريبة تحوم حول البلاد لمسافة فرسخين (٦ أميال) من الشاطئ، ثم إمتد هذا الحق فيما بعد إلى ٤,٣ فراسخ حتى وصل إلى ١٠٠ فرسخ من الشاطئ، وهذا فيه مبالغة بطبيعة الحال. وقد انتهى هذا إلى أن ٩ أميال فيها الكفاية بالنسبة لبريطانيا، أما بالنسبة للولايات المتحدة أقرت ٤ فراسخ أو (١٢ ميل) من الشاطئ عام ١٧٩٠ ، وطالبت أسبانيا ١٨٧٣ - ١٨٧٥ بمسافة ٦ أميال بحرية (١).

ثم تأتي مشكلة تلوث المياه الساحلية، وهذه ظهرت بصورة كبيرة بعد زيادة أعداد السفن من ناحية وزيادة النشاط البحري التجاري وزيادة نقل زيت البترول، وأصبحت مخلفات هذه السفن ونفاياتها خاصة من الزيوت تشكل خطراً جسيماً على المياه الساحلية، منها مثلاً الحرائق التي قد تنشب فوق هذه المسطحات الزيتية ثم تأتي الرياح وتدفع هذا المسطح الزيتي الملتهب إلى هذا الشاطئ أو ذاك ومنها أن هذه الزيوت تجعل المناطق التي تغطيها غير صالحة لحياة الأسماك فتقضى عليها وتفتنها.

ولا تظهر مشكلات مياه إقليمية في مسائل صيد الأسماك مادامت سفن الصيد صغيرة، ولا تتحمل الرحلات البحرية الطويلة ، ولكننا في العصر الحديث أمام سفن صيد ضخمة، تجوب أعالي البحار بحثاً عن الأسماك لشدة الطلب عليها كعنصر غذائي مما غير الوضع، من ثم لم تظهر مشكلات حول الصيد في العصور الوسطى حتى القرن الماضي، فحق الدولة في الصيد من مياهها حق لا يناقش، أما الصيد من مياه دولة أخرى فتكون عاقبته القبض على الصائد وتوقيع الغرامة عليه، ومثل هذه القضايا معروفة في محاكم المدن الساحلية في غرب أوروبا وهذا لا يمنع أن تسمح دولة لسفن أجنبية بالصيد في مياهها ولكن بشرط أن تكون قد نصت على ذلك إتفاقية أو معاهدة وإن كانت بعض الدول تعجز عن إستعمال هذا الحق ، فهناك إجماع بين دول غرب أوروبا على الصيد في مياه أيسلند وكذلك الحال في مياه إستراليا الشمالية غير المحمية والتي كان يستغلها الصيادون اليابانيون قبل

(١) الميل البحري أطول من الميل الأرضي إذ يساوي ١,١١٤ ميل أرضي أو ٦٠٨٠ قدماً.

الحرب العالمية الثانية.

وفي السنين الأخيرة طالبت كثير من الدول الساحلية بحظر الصيد في المياه الإقليمية وإستندت في هذا إلى إعتبارين، أولهما حماية حرفة صيد الأسماك في الدولة، والثاني منع إختفاء وإنقراض أنواع معينة من الأسماك . ولذلك طرد الصيادون اليابانيون بعد الحرب العالمية الثانية من مياه بحر أوختسك، كذلك طالب صيادو كوريا الجنوبية بالصيد في بحر اليابان، وعززوا مطالبهم بإستعمال قوارب الصيد المسلحة. وفي الحق لقد أصبحت البحار والمحيطات تكون جزءا رئيسيا من حياة الإنسان بعد أن زاد عدده وأنهك الأرض الصالحة للإستغلال في كثير من المواضع، وبعد التقدم التكنولوجي الرهيب الذي بلغه، والمنتظر أن يزداد النزاع في العقود القادمة لإستخراج المعادن من قاع البحر والتسابق على المحيطات^(١). **Scramble for the Oceans.**

النزاع في البحار الشمالية:

هناك بعض أقطار تعتمد إعتماذا كبيرا على الصيد البحري كإيسلند التي تعتبر حالة منطرفة من هذا النوع، وذلك أن ١٤% من مجموع إنتاجها القومي من الأسماك كما تمثل الأسماك ومنتجاتها ٩٠% من صادرات البلاد.

وقد أعلنت حكومة إيسلند أن مياهها قد أجهدت صيدا، وطالب البرلمان الأيسلندي الحكومة بمد سيادتها البحرية حتى نهاية الرصيف القاري، ولم تفعل هذا بل حددت مسافة ٤ أميال عام ١٩٥٢، ثم زادت بعد ٦ سنوات إلى ١٢ ميلا بحريا، وبطبيعة الحال ليس للسفن الأجنبية حق الصيد في هذه المناطق. ونظرا لأن المياه الأيسلندية كانت تزار من قبل بواسطة العديد من سفن الصيد الأجنبية وخاصة البريطانية والألمانية، إذ يأتي نحو ١٣% من صيد شمال غرب أوربا من مياهها ، فقد قبل قرار ١٩٥٢ بالإحتجاج وخاصة من بريطانيا، ثم جاء قرار الإثنا عشر ميلا بمثابة إعتبار مساحة تقدر بنحو ٦٦٠٠ ميل مربع محرمة على الصيادين الأجانب، بل وحرمتهم من معظم صيدهم من الباكلاه والهادوك. ولذلك إتجهت سفن الصيد البريطانية في موسم ١٩٥٨ للصيد داخل حدود الإثنى عشر ميلا تحت حماية القوارب المسلحة وعرفت هذه الحوادث بإسم حرب البكالاه **Cod war**، وإذا كان هذا ليس من حق إيسلند، إلا أن الرأي العام العالي، وضع إعتبارا لوضع إيسلند الإقتصادي، وإعتمادها على الأسماك، وقبلت بريطانيا ذاتها هذا الحد ، وبينما لم يصل النزاع البريطاني الأيسلندي إلى محكمة العدل الدولية، فإن النزاع البريطاني النرويجي عرض عليها، ذلك أن كثيرا من خطوط القاعدة في النرويج التي عينت عام ١٩٣٥، كانت تبعد عن الساحل لمسافة أكثر من ١٠ أميال أحيانا ، ثم كانت المياه الإقليمية تمتد بعد ذلك لأربعة أميال، مما دفع بالسيادة النرويجية إلى مياه إعتادت السفن البريطانية الصيد فيها، وعندما عرض الأمر على المحكمة الدولية عام ١٩٥١، خذلت المحكمة بريطانيا وانتصرت للدولة الساحلية على الدولة الدخيلة مرة أخرى، وهكذا فإن النزاع في

(١) أصبح العالم الآن يستخرج من ١٨% إلى ٢٠% من ثروته النفطية من قاع البحر .

معظم الأحوال ينشأ بين الدول التي تأتي سفنها لتتغترف من مياه دولة أخرى.

وقامت حرب السمك أيضا بين كندا وأصدقائها، فقد بدأت مشكلة نقص السمك عندما لوحظ انخفاض حاد في صيد الأسماك في منطقة " الرصيف القاري " القريبة من إقليم نيو فونلاند وقد أثبتت الدراسات في ذلك الوقت أن السفن الأجنبية، وأغلبها قادمة من أوروبا خاصة من أسبانيا والبرتغال — ذات التاريخ العريق في القرصنة — تقف على حدود المياه الإقليمية الكندية والتي تبلغ مائتي ميل من الساحل ، وتقوم باستنزاف الثروة السمكية بصيد كميات من السمك أكثر من المسموح بها، وإستخدام أنواع من الشباك المحرمة دوليا، والتي تسمح لها بصيد الأسماك الصغيرة الحديثة الولادة قبل أن يكتمل نموها، أو يتاح لها أن تتوالد، وبعض هذه السفن تتسلل في الظلام داخل المياه الإقليمية، وإستمرت هذه العملية من القرصنة المنظمة لسنوات طويلة ، ولم تنتبه لهذه الجريمة التي ترتكبها هذه السفن في حق الثروة السمكية التي تمثل أكثر من ٣٠% من الدخل القومي لأقاليم كندا البحرية أو الأطلنطية، وكان على الحكومة الفيدرالية التي تقع عليها مسئولية تحديد سياسة الصيد والمصايد أن تبحث عن علاج حاسم لمواجهة هذه المشكلة، وصدر قرار بتحديد كميات السمك المسموح بها للسفن الكندية من الأسماك الأرضية، وحاولت كندا التفاوض مع الدول الأوروبية بشرح حقيقة الكارثة التي تهدد مصايد كندا، وتذرع بالقضاء على واحدة من أهم الثروات لكن المفاوضات لم تسفر عن أية نتائج إيجابية وفي شهر يونيو عام ١٩٩٢، صدر أول قانون في كندا يمنع الصيد في عدد من المصايد ، ثم صدر قانونان آخران في عامي ٩٣ و ٩٤ بتحريم الصيد في عدة شهور من السنة ، وقد أسفرت هذه القوانين عن إغلاق ٧٥ مصنعا لتعليب وتجميد الأسماك، وتحول ما يقرب من أربعين ألف عامل إلى الوقوف في صفوف البطالة.

ولجأت كندا إلى كافة الطرق الدبلوماسية في محاولة منها لحل هذه المشكلة بالتفاوض مع حلفائها الأوروبيين، وعندما فشلت لجأت إلى الأمم المتحدة، وأعلنت أمام ممثلي دول العالم أن سفن أوروبا تسرق وتستنزف ثروتها السمكية، وقد اضطرت مطالبة المنظمة العالمية إتخاذ قرار يمنع دول أوروبا من إستخدام شباك غير قانوني، وإباحتزام الإتفاقيات الدولية التي أقرتها منظمة صيادي شمال غرب أوروبا، وكما فشلت الأمم المتحدة في حل الحروب الأهلية في البوسنة والصومال ورواندا فشلت أيضا في أزمة السمك الكندي وكان على حكومة أوتاوا، وتحت ضغوط من الرأي العام من الصيادين الضحايا أن تبحث عن حل لهذه الكارثة القومية وتتصرف بمفردها.

عقد إجتماع في هاليفاكس — عاصمة إقليم نوفا سكوشيا الذي يستخرج من مياهه سنويا ٤٠% حصيلة العالم من الأسماك القشرية مثل الجمبري والكابوريا بالإضافة إلى أسماك السلمون والتونة، وخلال الإجتماع الذي تم أعلنت حكومة أوتاوا الحرب على القرصنة من لصوص السمك الأوروبيين، وتقدمت إلى مجلس العموم بقانون يسمح لقواتها البحرية بالقبض على أى سفينة خارج المياه الإقليمية، وأعلن وزير المصايد بأنه لم يعد أمامنا سوى أن نحمل البقية الباقية من إحتياطي السمك، وإلا فإن أسماكنا سوف تختفي إلى الأبد،

وأقر مجلس العموم القانون الجديد بعد أيام، وأثار القانون زوبعة سياسية في دول أوروبا، إحتجاجا على قرار الحكومة الكندية، وقد تبين من الدراسات التي قامت هناك، أن القرصنة وسرقة السفن الأجنبية للأسماك ليست هي السبب الوحيد للكارثة التي أصابت أسماك الأطلنطي الكندية.

فقد كشف علماء التغذية أن هناك فيروسات تصيب الأسماك، لم تكن معروفة من قبل تنتقل إليها — في الغالب — من المياه الملوثة في بعض المناطق من سفن الصيد التي تلقى بمخلفاتها، مما يقتضي مراقبة شديدة لهذه السفن.

على العموم السائد الآن هو الإتفاقات التي تنظم الصيد بين الدول المعنية كإتفاقية تنظيم بين إنجلترا، والدانمرك حول جزر فارو، وإتفاق تنظيم صيد السالمون بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين كندا في منطقة شمال غرب الباسفيك، وترخيص البرازيل عام ١٩٧٠ لخمسين سفينة من ترينداد بصيد الجمبري في مياهها التي تمتد لمسافة مائتي ميل وهذا معناه إعتراف صريح بهذا الحد.

النزاع في حوض البحر المتوسط :

إذا إنتقلنا إلى حوض البحر المتوسط نظهر عدة منازعات إقليمية ، قد تصعد إلى مواجهات وإن كانت ليست بالخطيرة، كان أكثرها خطورة على سبيل المثال النزاع المغربي الأسباني الذي يرجع إلى عام ١٩٧٢ عندما أنكرت دولة المغرب إتفاقا مع أسبانيا وقع عام ١٩٦٩ بشأن صيد الأسماك، وبدأت دوريات الحراسة المغربية في القبض على سفن الصيد الأسبانية ، وإزداد الوضع تازما في مارس ١٩٧٣ عندما أعلنت المغرب منطقة الصيد الخاصة بها وعرضها ٧٠ ميلا، ولم تعترف أسبانيا بهذا القرار ، مما ترتب عليه أحيانا تبادل إطلاق النار فضلا عن زيادة القبض على السفن الأسبانية وإجبارها على دفع الغرامات، حتى توصل الطرفان إلى إتفاق في يناير عام ١٩٧٤، يعتبر نصرا للمغرب، وأن كان هذا لم يمنع من تكرار القبض على سفن الصيد الأسبانية عام ١٩٧٥، ومما زاد من تعقيد المشكلة عدم الإتفاق على الحدود الفاصلة بين المغرب وجزر كناري فيما يختص بالمنطقة الإقتصادية لقاع البحر.

وحدث نزاع مماثل بين إيطاليا وتونس عام ١٩٧٥ نظرا لأن سفن الصيد الإيطالية تجاوزت إتفاقا سبق أن عقد بين الدولتين عام ١٩٧١، وحدث تبادل إطلاق النار، وأن وضح في هذا النزاع ضعف بعض الدول عن حماية مياهها ذلك أن السفن الإيطالية كانت أسرع من الدورية التونسية. وقام نزاع آخر بين ألبانيا ويوغسلافيا عام ١٩٧٦ عندما أطلق النار على صياد ألباني ، ونتيجة لهذا مدت ألبانيا مياهها الإقليمية من ١٢ إلى ١٥ ميلا، هذا ويمكن تتبع نزاعات عديدة بين دول البحر المتوسط وخاصة إذا ما كانت هناك نزاعات لأسباب محلية أخرى.

أن أكبر المشكلات التي تواجه دول حوض البحر المتوسط هي كيفية تطبيق قوانين البحار في مساحة مائية محدودة، يحيط بها العديد من الدول، فإذا إتخذت كل دولة حد

المائتي ميل، فمعنى هذا التداخل بين مياه هذه الدول وقد تتعقد الأمور، وتتطلب مفاوضات ثنائية متعددة، ولكن لحسن الحظ فإن معظم دول البحر المتوسط حددت مياهها الإقليمية بين ٦ أميال، ١٢ ميلا ماعدا المغرب وألبانيا (٧٥، ١٥ ميلا) ولكن قد تظهر هناك مشكلات حيث توجد الجزر ذات المواقع الجغرافية الحرجة كالجزر اليونانية القريبة من ساحل تركيا، والجزر الإيطالية القريبة من الساحل التونسي، وكذلك النزاعات الخاصة ببعض الأقاليم كجبل طارق وسبتة ومليلة.

النزاع اليوناني التركي:

قام الصراع اليوناني التركي في بحر إيجه بعد إكتشاف شركة أمريكية للبترول وهذا ما أثار إهتمام الجانبين بملكية الرصيف القاري، وأدى إلى تتابع الأزمات، في ربيع وصيف عام ١٩٧٤، وخريف عام ١٩٧٦، ويتميز الموقف هنا بتعقده، فهذه الأزمات وقعت بين شعبين وحكومتين تكن كل واحدة العداء للأخرى، وإرتبط هذا أيضا بالنزاع اليوناني التركي على قبرص، والحساسية الناشئة عن كون كل منهما عضو في حلف الأطنطي.

وتطالب اليونان بأحققتها في قاع بحر إيجه كله تقريبا، على أساس ملكيتها لمعظم جزره، بل أنها إذا تركت حدود الستة أميال المأخوذة بها في بحر إيجه، وإتخذت حد الإثني عشرة ميلا الذي بدأ يسود العالم، فمعنى هذا أن بحر إيجه بكامله سيصبح مياهها الإقليمية لليونان. لذلك فهناك رؤى في تركيا تقول بالمطالبة ببعض الجزر، وخاصة ليسبوس والدوديكانيز، ويخشى اليونانيون من هذه المطالبة لا على أساس ما حدث في قبرص فحسب، بل من الهجرة اليونانية الخارجية من تلك الجزر إلى مدن اليونان الأصلية، وأن تكون مطالبة الأتراك بالرصيف القاري للجزر المقابلة لها هو مقدمة للسيادة على الجزر نفسها.

وتستند اليونان أساسا إلى مبدأ الأمر الواقع، بينما تستند تركيا إلى ضرورة مراجعة هذا الموقف، فتستند اليونان إلى إتفاقية جنيف لعام ١٩٥٨ التي تعترف بوجود مياه إقليمية ورصيف قاري للجزر، بينما وضعت أسسا مختلفة منها إتخاذ خط المنتصف بين الأراضي الأصلية لكل من الدولتين أو خط أكثر الأعماق (على أساس إمتداد الرصيف القاري للأناضول) ولذلك بينما تفضل اليونان الإلتجاء إلى محكمة العدل الدولية حيث سيكون الحكم في صالحها رغم تعقيد الموضوع، تصر تركيا على المفاوضات الثنائية لأن فرصتها فيها ستكون أكبر.

وقد نشط هذا النزاع منذ أوائل عام ١٩٧٤ وإختلفت درجة حدته بحسب الطرق المختلفة التي إتبعها تركيا في الإثارة، بدءا من الرحلات التي قامت بها سفينة المسح البحري التركية "سيزميك ١" إلى الحملات الصحفية، الملتهية، إلى التحركات العسكرية، وما يقابلها من إعادة اليونان تسليح بعض الجزء القريبة من الساحل التركي، غير أن قمة المشكلة كانت عندما قامت السفينة سيزميك بمسح قاع البحر في جهات تعتبرها اليونان من حقها، وإذا كان نزاع ١٩٧٤ قد دخل ضمن النزاع اليوناني التركي بصفة عامة، فإن نزاع

١٩٧٦ قد إحتواه نشاط منظمة "حلف الأطلسي والولايات المتحدة الأمريكية"، فقد وقع الطرفان إتفاقا بعدم التماذي في النزاع، والإشتراك في محادثات ثنائية يهدف إلى الوصول إلى حد سياسي مقبول من الطرفين، وبمعكس هذا الإتفاق الضغوط الخارجية أكثر منه تحرك الجانبين للوصول إلى إتفاق، ويمكن لعوامل أخرى أن تتدخل لتغيير الموقف مرة أخرى مثل مشكلة قبرص، أو المضائق التركية، أو التوازن بين حلفي وارسو وشمال الأطلسي، أو تغيير الحكومات في أي منهما، على العموم لا يلوح في الأفق أن النزاع سيبدأ، بل يتوقع له النزاع المسلح.

على أن الأكثر خطورة هو النزاعات التي تقوم على أساس حقوق الملاحة، ففي البحر المتوسط أعناق زجاجة أربعة، جبل طارق، المضائق التركية، وقناة السويس، والمضائق التونسية، وهذه المضائق لا تقتصر أهميتها على الدول التي تشرف عليها، بل أهميتها عالمية والمرور فيها حرا، ومع ذلك فقد تحدث بعض المشكلات، وخاصة فيما يتعلق بالسفن الحربية.

المضائق التركية:

وهي من المشكلات التي يثيرها الإتحاد السوفييتي منذ القدم لأنها تصل بين البحر الأسود وبحر ايجيه، ويمثل البسفور والدرديل وبحر مرمره عنق الزجاجة بالنسبة للبحر الأسود. ويمتد الدردنيل لمسافة ٤١ ميلا بينما يختلف إتساعه من واحد إلى أربعة أميال، أما البوسفور فهو أقل طولاً، إذ يبلغ طوله ١٨,٦ ميلا، كما أنه أقل عرضاً، إذ يتراوح إتساعه بين ستمائة ياردة وميلين، ومن ثم ليس هناك خلاف في أنهما يقعان ضمن المياه الإقليمية لتركيا، وتظهر أهمية هذه المناطق في أنها تكون نافذة دفيئة يستشق منها الإتحاد السوفييتي نسيم البحر المتوسط، وكذلك بلغاريا، ورومانيا وخاصة بعد أن خرج الإتحاد السوفييتي من عزلته الإقتصادية، وبدأ نشاطا إقتصاديا مع الدول العربية، كما أن هذه المضائق مداخل للدول الغربية تصل عن طريقها وبسهولة إلى الجزء الجنوبي من الإتحاد السوفييتي، والضرب في نصف دائرة من حقول البترول في القوقاز شرقا إلى جمهورية أوكرانيا شمالا وبلغاريا ورومانيا غربا، خاصة وأن الإستراتيجية الأمريكية تصل إلى القواعد المرنة المتحركة، وتعلق آمالا كبيرة على الأسطول السادس في البحر المتوسط.

معاهدة سيفر ١٩٢٠:

نصت على عدم تحصينها فضلا عن حرية المرور للسفن الحربية والتجارية وقت السلم والحرب، ولكن الأتراك لم يقتنعوا بهذا، وعرضت المشكلة على مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ وهنا نرى أن السياسة الروسية قد وقفت موقفا متناقضا، ذلك أن روسيا التي كانت تطالب بفتح البوغازين، عارضت ذلك، لأنها كانت في مرحلة إعادة بناء وإستقرار بعد الثورة الشيوعية فأرادت أن تكون في مأمن من خصومها وأساطيلهم في هذه المرحلة. على العموم نصت معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ على:

١- حرية مرور السفن التجارية وقت السلم، ولا يختلف الحال وقت الحرب إلا إذا

كانت تركيا دولة محاربة، فلها أن تستعمل حقوق المحاربين وتقتصر المرور على السفن المحايدة.

٢- حرية مرور السفن الحربية وقت السلم، ووقت الحرب إذا كانت تركيا على الحياد ، أما إذا كانت محاربة فلها حق إستعمال حقوق المحاربين.

٣- منع تسليح المضايق.

٤- تشكيل لجنة دولية مسئولة أمام عصبة الأمم للإشراف على المضايق.

وهكذا إستمر الحال حتى بدأت تباشير الحرب العالمية الثانية ، حين نشأ النزاع بين إيطاليا والحبشة، وأقدمت ألمانيا على إحتلال منطقة الراين فإنتهزت الحكومة التركية الفرصة، وطالبت بتعديل الإتفاقية فحلت محلها إتفاقية مونتريه *Montreu* عام ١٩٣٦ وبمقتضاها:

١- إستعادت تركيا حقها في تحصين المضايق.

٢- ألغيت اللجنة الدولية للمضايق وسلمت إختصاصها لتركيا .

٣- يبقى الوضع كما هو بالنسبة للسفن التجارية كما أقرته معاهدة لوزان .

٤- قصر مرور السفن الحربية على السفن الحربية الخفيفة دون الغواصات، هذا إذا لم تشترك تركيا في الحرب، أما إذا إشتكت فيها أو وجدت أنها مهددة بها، فيكون مرور المراكب الحربية متوقفا على إرادتها.

وبذلك كانت الإتفاقية لصالح تركيا إلى حد كبير. وكان عدم إشتراك تركيا في الحرب العالمية الثانية مما دفعها إلى الحذر فيما يختص بسياستها الخاصة بالمضايق في الفترة من ١٩٣٩ - ١٩٤٢ ولم يستعمل الحلفاء المضايق التركية في تموين الإتحاد السوفيتي لسبب آخر وهو أن البحر المتوسط كان ملغما بالغواصات الألمانية ، وبطائرات العدو وكانت عملية حماية الأسطول التجاري والأسطول الحربي تقتضي نفقات باهظة، فضلا عن أن تركيا بالتأكيد سوف تمنع مرور القطع الحربية، غير أنه في بداية عام ١٩٤٤ عندما تحسنت أحوال الحلفاء إستمرت تركيا تحرم السفن المسلحة أو السفن المحمية حمل التموين إلى الإتحاد السوفيتي. لذلك وغيره ، لم يرق للإتحاد السوفيتي تلك السياسة التركية، خاصة أنها في أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفي أخرج لحظات موقعة ستالينجراد لم تسمح تركيا للحلفاء بتموين الإتحاد السوفيتي، فطالب بالإشراف على جميع الممرات الإستراتيجية التي تؤدي إلى أراضيه، وطلب فعلا في مؤتمر بوتسدام سنة ١٩٤٥ مناقشة هذا الأمر، ولم ينته الأمر إلى نتيجة توافق عليها تركيا والإتحاد السوفيتي والغرب.

وقد أثار عبور حاملة الطائرات السوفيتية كييف عام ١٩٧٦ للمضايق، قلق الدول الغربية، ذلك أن إتفاقية مونتريه تحد من قدرة الإتحاد السوفيتي على تواجد أسطول له في البحر المتوسط تكون قواعده في البحر الأسود وبصفة خاصة الغواصات وحاملات

الطائرات، وهذا معناه أن الإتحاد السوفييتي بدأ لا يعير إتفاقية مونترية إهتماماً، ولكن لا يتوقع أن يقوم نزاع بين الإتحاد السوفييتي وتركيا خاصة بالمضايق.

نطاقات المياه البحرية:

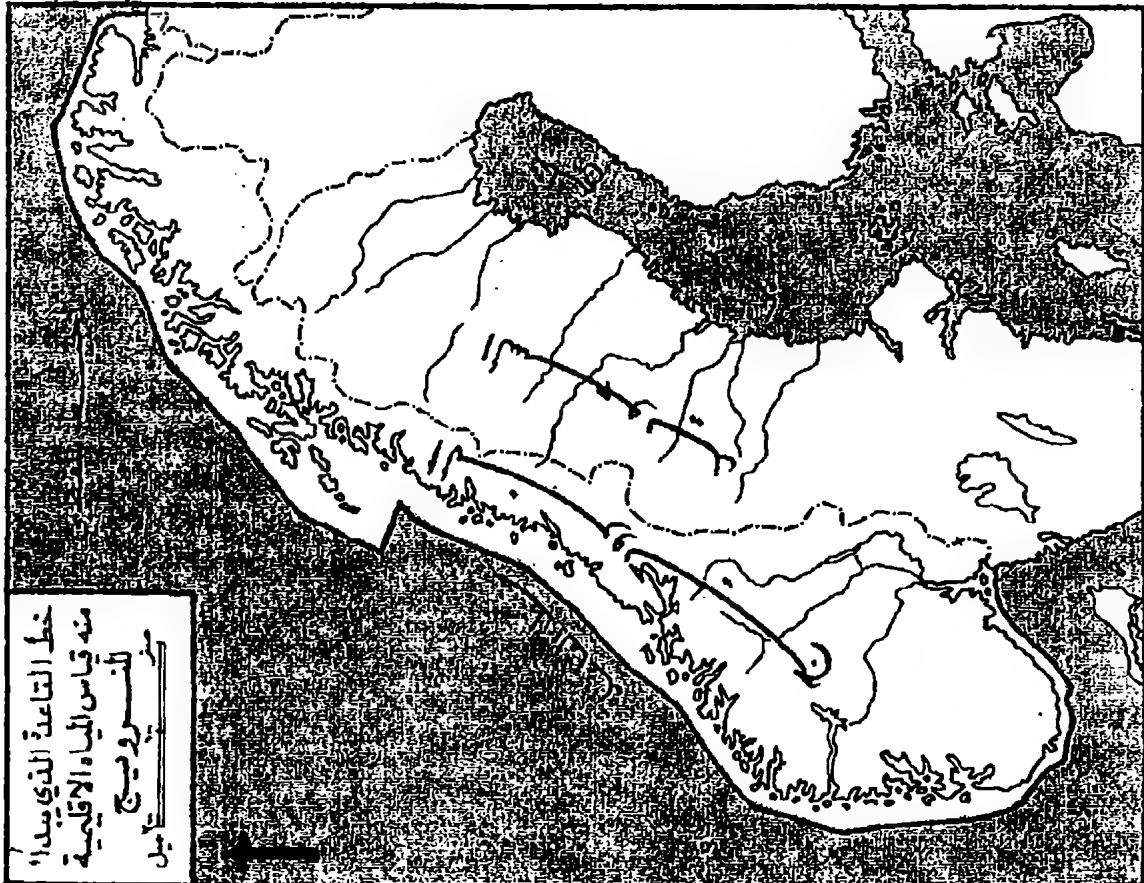
ذكرنا أن سيادة الدولة تنتهي عند حدود مياهها الإقليمية، ولكن مع هذا فلا زالت الدول تمارس بعض السيادة خارج هذا النطاق، من ثم يمكن تمييز خمس نطاقات ابتداء من اليابس إلى داخل البحر وهي:

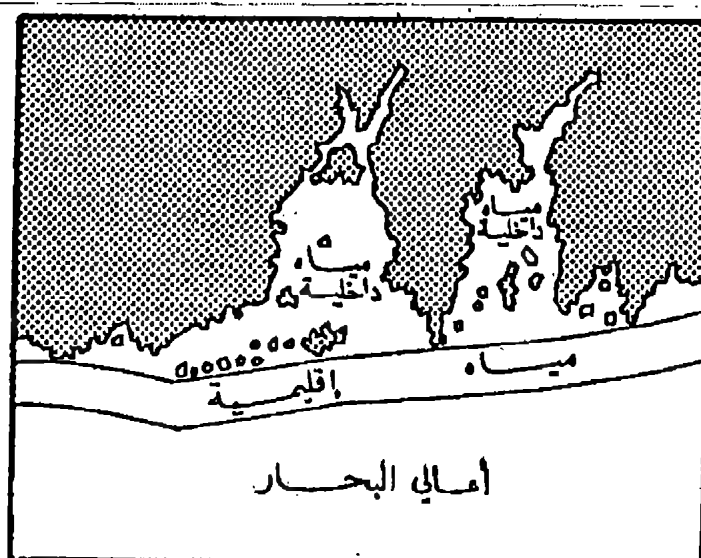
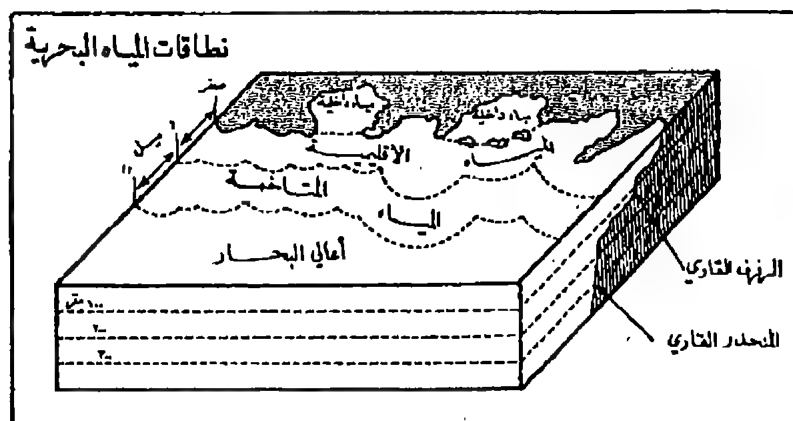
١- المياه الداخلية *Inland Zone* :

وتشمل الخلجان ومصبات الأنهار والبحيرات الساحلية *Lagoons* وتقع جميعها داخل خط القاعدة الذي تبدأ بعده المياه الإقليمية، وهي جزء متمم ليابسة الدولة ، لأنها إما مغلقة، وأما لأن مياهها العذبة أكثر من المالحة، وبالتالي لا تعتبر جزءاً من البحر.

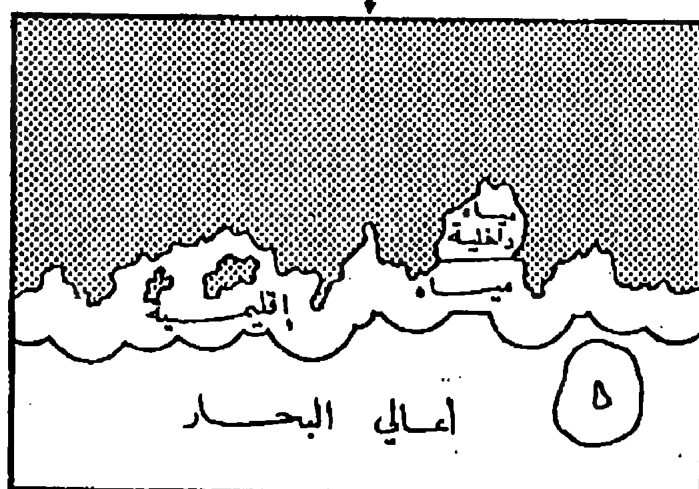
٢- المياه الإقليمية *Territorial Waters* :

وهذه تمتد من خط القاعدة لمسافة معينة تختلف من دولة إلى أخرى كما رأينا، وفي هذا النطاق نجد سيادة الدولة مطلقة إلا فيما يختص بالمرور البرئ للسفن الأجنبية، فلهذه السفن عبور المياه الإقليمية لأي دولة مادام عبورها لا ينطوي على أضرار أو إهانة للدولة ذات المياه الساحلية، وأي جريمة ترتكب على السفينة في المياه الإقليمية يعامل مرتكبوها بمقتضى قوانين الدولة صاحبة المياه الإقليمية.





خطوط القاعدة للمياه الإقليمية



٣- المياه المتاخمة للإقليمية *Contiguous Zone*:

وهذه تختلف إتساعها من دولة إلى أخرى أيضاً؛ ويمكن للدولة أن تمارس فيها حق تفشيش السفن التي تشك في أنها تعمل بالتهريب ، كما تمارس فيها إجراءاتها الصحية والجمركية وتمنع الهجرة غير المشروعة، وقد تمتد بمياه الصيد وإستغلال المعادن إليها، إذا حدث إتفاق بين جميع الأطراف المعنية، وإلا أعتبرت ضمن أعالي البحار من الناحية النظرية، ولا تمتد هي والمياه الإقليمية لما يزيد على اثنتي عشر ميلا بمعنى أنه إذا كانت المياه الإقليمية ٣ أميال تصبح المياه المتاخمة تسعة أميال فقط.

٤- الرفرف أو الجرف القاري *Continetal Shelf*:

وهو ذلك الجزء من اليابس الذي ينحدر إلى البحر، وتغطيه مياه البحر بمائتي متر، ويمثل نحو ١٠% من مساحة البحار والمحيطات، هو يمثل مرحلة الإنتقال من اليابس إلى البحر والمحيط . وكما هو واضح من تسميتها فهي تحيط باليابس ويختلف إتساعها . وتتميز هذه المنطقة بغناها الحيوي، لما يترسب عليها من أملاح ومواد غذائية تحملها الأنهار من اليابس، كما تتميز بقلة عمقها بحيث يخترقها الضوء، وتحتوى نسبة عالية من الأكسوجين ، وكلاهما يقل بسرعة بعد هذا العمق، وكل هذا مما يساعد على نمو البلاكتون بما ينتج عنه في النهاية أن تكون هذه الرفارف أرضا خصبة لتكاثر الأسماك كما هو الحال في رفارف غرب أوربا ، وأيسلند، وبحر قزوين، وبحر أوخستك، وبحار اليابان، وبيرو.

ونظرا لقربها من اليابس تصبح هذه النطاقات هي أولى المناطق بحثا عن الثروة المعدنية خارج اليابس. وبينما يتركز البحث الآن عن البترول في الخليج العربي، وخليج المكسيك، وبحر قزوين، وأنجولا، وبحر الشمال، فإن البحث سيتضمن معادن أخرى في المستقبل بسبب التقدم التكنولوجي في الأبحاث والنقص المتزايد لتلك المعادن على اليابس . ولقد أصبح واضحا في العقد الأخير، أن هناك رواسب معدنية على هيئة كتل أو عقد متعددة لمعادن، تكمن فوق الرفارف القارية وفي الأعماق البعيدة، فوجدت كتل من المنجنيز والنيكل والكوبالت والنحاس. وذكر في صحيفة التايمز في ١١ مايو سنة ١٩٧٢ أنه ثبت أن هناك تركيزات معدنية من الذهب والفضة والنحاس في رواسب قاع البحر الأحمر. ولكن المشكلة هي في التقدم التكنولوجي اللازم للبحث في هذه الأعماق السحيقة، وهذا ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية الآن.

وهذا النطاق مثار خلاف كبير ، حيث تدعى الدول حقوق مختلفة عليه سواء حقوق صيد أو إستغلال لمعادن القاع، فمثلا تدعى بيرو بإمتداد مياه الصيد الخاصة بها لمسافة ٢٠٠ ميل من الشاطئ، وهكذا تفعل إكوادور، وكوستاريكا. ولا يعترف القانون الدولي بمياه الرصيف القاري، من ثم تتوقف السيادة عليها حسب قوة الدولة المعنية . فعلى سبيل المثال إقتربت إحدى سفن الصيد التابعة لأسطول أوناسيس لمسافة ١٨٥ ميلا من سواحل بيرو، عام ١٩٥٤ فوقعت بيرو عليها غرامة قدرها ٣ مليون دولار، لإعتدائها على سيادة

بيرو، وقد دفعت الغرامة للإفراج عن السفينة.

هذا ويجب أن نشير إلى الإدعاءات الخاصة بالرصيف القاري التي إنفق على أن تقتصر على إستغلال الدولة الساحلية لقاع البحر وليس للمياه السطحية، ففي عام ١٩٥٤ مثلاً أعلن الرئيس ترومان بأن الموارد الطبيعية للرصيف القاري المجاور للولايات المتحدة الأمريكية من حقها، بينما المياه السطحية لها صفة أعالي البحار. ونتيجة لهذا التصريح، بدأت دول أخرى تعلن حقوقها في الرصيف القاري دون أن تقتصر مطالبها على إستغلال موارد الثروة الطبيعية كشيلى، وبيرو، وسلفادور، وكذلك أستراليا، ولما كانت تطل على محيطات واسعة فإن يثر هذا مشكلات سوى في الأخيرة لأنها حرمت اليابانيين من صيد اللؤلؤ في مياهها، وقد ظهرت بعض مشكلات طريفة في هذا المجال، وهى الخاصة بالكائنات البحرية المستقرة وشبه المستقرة في قاع البحر كالمحار واللؤلؤ والإستاكوزا *Lobester* كما حدث بين فرنسا والبرازيل، حينما فسر كل منهما الأمر لصالحه، وإستمرت السفن الفرنسية في صيد الإستاكوزا من الرصيف القاري للبرازيل لأنها تعتبر الإستاكوزا تسبح والبرازيل تعتبرها تمشى، وكاد يحدث إشتباك مسلح لولا تراجع الفرنسيين كذلك الحال في منع أستراليا اليابانيين من صيد اللؤلؤ من الرصيف القاري. وفي الحق أن السيادة بعد المياه المتاخمة تتوقف على قوة الدولة أكثر من أي شئ آخر.

٥- أعالي البحار *High Seas* :

وهذه تمتد بعد ذلك، وليس عليها لدولة ماحق من حقوق السيادة، وإنما هي ملك للجميع لأنه إرث مشترك للإنسانية، وإن كان بعد تطور إستغلال ثروات قيعان البحار والمحيطات، وقد حان الوقت لوضع قانون ينظم هذا النشاط، وأي سلطة سوف تمنح تصريحات التتقيب.

عرض المياه الإقليمية لبعض الدول

الدولة	ميل	الدولة	ميل
إندونيسيا	٢٠٠	الجزائر	١٢
جاپون	١٠٠	أرمينيا	٢٠٠
غانا	٢٠	البحرين	٣
اليابان	٣	لبنان	-
التونج	٤	ليبيا	١٢
الصومال	٢٠٠	موريتانيا	٢٠
البحرية السعودية	١٢	البرازيل	٢٠٠
السودان	١٢	كمرون	١٨
المملكة المتحدة	٣	الصين	١٢
الولايات المتحدة	٣	مصر	١٢
الكويت	١٢	الإتحاد السوفيتي	١٢

القوى العالمية

تمهيد

مفهوم القوة:

لابد لصانعي القرارات في أي دولة من الدول أن تكون لديهم القدرة على تنفيذ قراراتهم، ومن ثم لا يمكن لحكومات هذه الدول أن تنفذ سياستها إلا في ظل قوة **Power** تستخدم لفرض إرادتها والتأثير على سلوك الدول الأخرى.

وتتمثل القوة السياسية أولاً: في القدرة على صنع وتنفيذ القرارات داخل حدود الدولة، ويتوقف هذا النوع على مدى التأييد والدعم الذي يتاح للحكومة من جانب الرأي العام، وكذلك على مدى سيطرة الحكومة على الرأي العام، وأجهزته الإعلامية، وهذا ليس من موضوعات الجغرافية السياسية. ويتمثل ثانياً: في القدرة على اتخاذ القرارات وتنفيذها خارج الحدود السياسية للدولة، وهذا يدخل في مجال الجغرافية السياسية وفي مجال السياسة. وقد درسنا بعض العوامل التي تعطي هذه القوة كالموقع الجغرافي والمساحة والسكان والموارد... إلخ أي العوامل الجغرافية، والعوامل غير الجغرافية كالنقد التكنولوجي، والدعم الخارجي، وحركة الميزان الدولي في صالح الدولة، والأعلام بمعنى أن تكون وجهة نظرها واضحة للعالم بحيث تعطيه المبرر للحركة. ومن المفروض أن الغرض الأول والأساسي من القرار السياسي هو تحقيق الرفاهية والتقدم لسكان الدولة في الداخل، فضلاً عن ضمان أمنها بالنسبة للدول الأخرى بصرف النظر عن الإستراتيجية التي تتبعها للوصول إلى هذه الغاية وبدون القوة تصبح الدولة وكأنها شيء لا قيمة له أو على أقل تقدير، يكون دورها ثانوياً.

القوة الصلبة والقوة اللينة. وبدراسة ما سبق أن ذكرناه معناه أننا نقيس لقوة الصلبة رغم أن هنا أيضاً القوة اللينة.

القوة الصلبة أو الجادة Hard Power وهي الأصل من خلال بناء المصانع والتسليح وتجيش الجيوش والعتاد والتقدم في التطور التكنولوجي في صناعة السلاح وبمعنى آخر القوة العسكرية والتي تستند بالدرجة الأولى إلى القوة الاقتصادية من إنتاج وتجارة دولية، وهذا ما مارسته الدول على طول تاريخها لزيادة نفوذها بالغزو والاحتلال كما حدث في أفريقية والعالم العربي وأمريكا اللاتينية وجنوبي آسيا، وبذلك تمت سيطرة أوروبا على مساحات واسعة، والجديد أنه في النصف الثاني من القرن العشرين غيرت الرأسمالية توجهاتها السابقة بعد حركات التحرر التي شهدتها المستعمرات، وظهور الأسلحة النووية التي جعلت من الصعب أن تحارب الدول النووية بعضها بعضاً وبالتالي لابد من آلية جديدة يمكن لهذه القوى أن تبلغ غرضها عبر وسائل أخرى غير الحرب، فكان استخدام القوة اللينة.

القوة اللينة Soft Power أي ممارسة القوة على الساحة الدولية تشكل هادئ دون اللجوء إلى القسر والإكراه أي الحرب بدون القوة العسكرية وذلك باستخدام السلاح الاقتصادي بديلا عن السلاح العسكري، تهدف فيه كل دولة إلى الحصول على موقع متميز في الاقتصاد الدولي، وتفوق منشأتها وبالتالي إختراق الأسواق، بديلا عن القواعد العسكرية، وساعدها على ذلك عدة عوامل منها:

التطور التكنولوجي الرهيب ذلك السلاح الذي يأتي في مركز الصدارة لا في استراتيجية القوة العسكرية فحسب، بل أيضا في الاستراتيجية الاقتصادية، فهناك الابتكار المستمر بحيث هيمنت التكنولوجيا على الاقتصاد، وهناك الشركات المتعددة الجنسية **Multi national** التي اخترقت الأسواق، فهي تعتبر الكرة الأرضية كلها سوقا لها، المعرفة قوة هذه الشركات، نشير أن إيرادات أكبر ٥٠٠ شركة متعددة الجنسية في عام ٢٠٠٠ بلغ أكثر قليلا من ٤ تريليون دولار، على حين أن الناتج القومي الإجمالي لكل دول العالم في ذلك العام كان ٢٩ تريليون دولار !! بالتالي يمكن لهذه الشركات الضغط على الحكومات وبقوة استثماراتها الآن ترحب بها، بل وتشجعها وتفرش لها البساط الأحمر.

نماذج القوة اللينة:

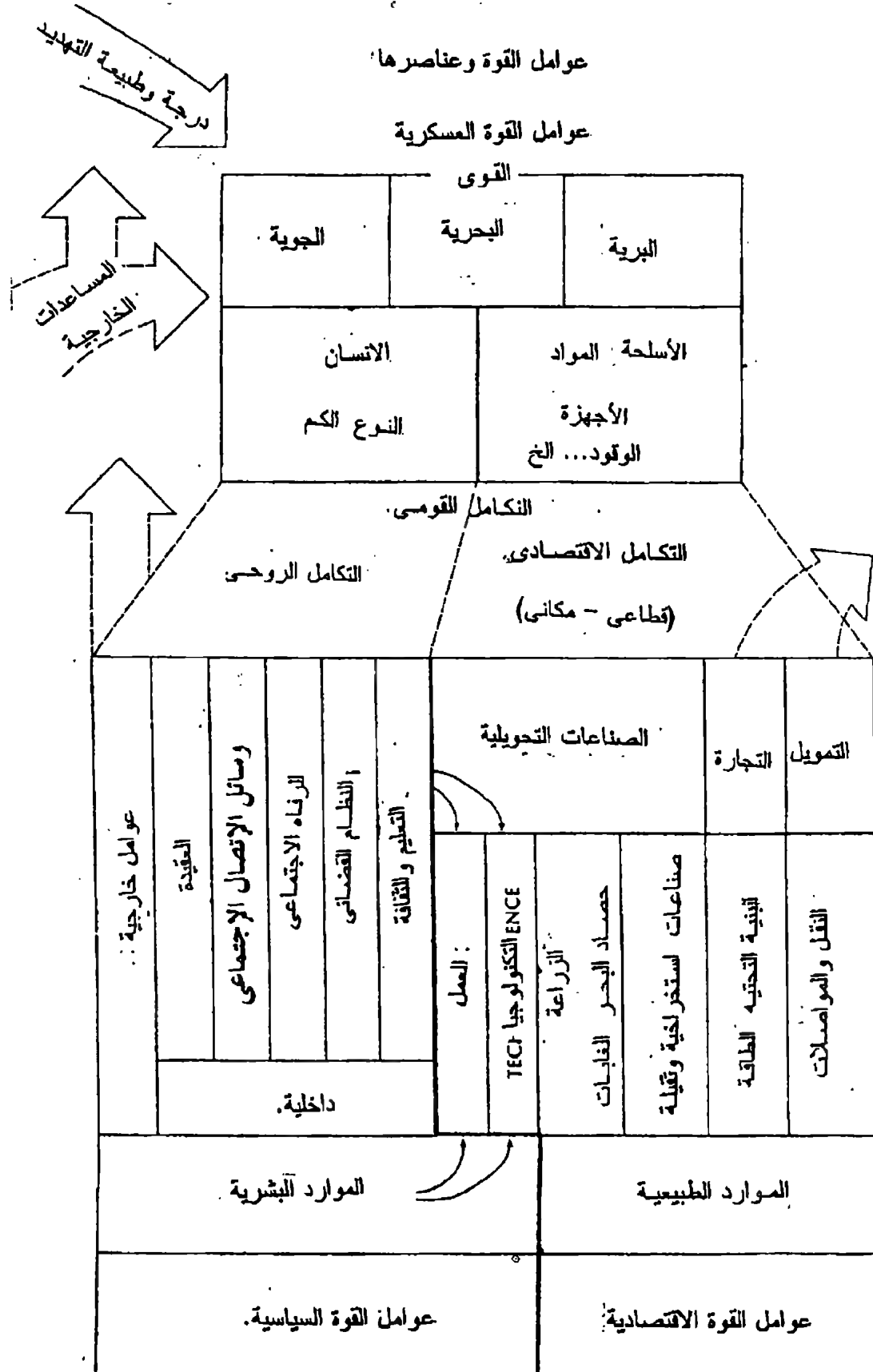
ومن نماذج القوة اللينة أيضا الحرب النفسية أي الضغط على ساحة العقل والأعصاب، وكان هذا هو الجزء الأول من الحرب على العراق بفرض الضغط أو عصر نظام صدام حسين **To squeeze Saddam** واستخلاص كل التنازلات الممكنة منه، بما فيه تدمير ما لديه من سلاح، واستنزاف طاقته، فإذا استسلم تدخل القوات الأمريكية دون حرب، أما إذا رفض التسليم والرحيل تستخدم القوة العسكرية،

ومن أمثلة القوة الناعمة قوة فرنسا .. ففرنسا رغم قلة مواردها مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية، فإن الثقافة الفرنسية تمثل منافسا عالميا للثقافة الأمريكية، فالنموذج الفرنسي للدولة والمجتمع والحياة (أي القدرة الثقافية) تجعل الكثيرين يميلون إلى الإشادة بالموقف الفرنسي في العلاقات الدولية ضد الموقف الأمريكي، إذا استطاعت فرنسا بقدرات اقتصادية أقل أن تجمع حولها نوعا من الإجماع السياسي وكان العالم مقسم إلى قطبين (أمريكا - فرنسا)، ورغم أن قرارات مجلس الأمن تخضعها أمريكا لصالحها، ولكن تبقى قدرة فرنسا على المنافسة لا يستهان بها.

أخيرا

لا خلاف على أن القوة سواء كانت صلبة أو لينة تستند إلى القوة الاقتصادية، ولكن الفرق هو في استخدام الوسيلة التي كانت عسكرية (صلبة) سائدة حتى الربع الأخير من القرن العشرين، والتي تحولت في معظمها إلى قوة غير عسكرية (لينة) بعد ذلك، وسنعالج في الفصول التالية العناصر التي تسهم بها الجغرافية في بيان قوة أو ضعف الدولة.

مفهوم تحليل القوة عند الجنرال الأرجنتيني جوان جوجليالمي



تستند القوة السياسية في الميادين العالمية إلى :

القوة الحربية *Military Power* والقوة الإقتصادية *Economic Power*
والقوة الحربية هي ركيزة القوة السياسية ودعامتها. فالإجراءات التي تتخذها الدولة لفرض قراراتها على دولة أخرى هي الحرب أو التهديد بالحرب فكما يقول **A, H. Carr** تكمن الحرب في خلفية السياسة الدولية. كما تكمن الثورات في خلفية السياسة المحلية " وليس من شك أن القدرة على إشعال الحرب تتوقف على العوامل الجغرافية وغير الجغرافية التي ذكرناها ، غير أن القيمة النسبية لهذه العوامل التي تعطى الدولة القوة قد تتغير، فقد استطاع نابليون أن يعبر كل أوروبا حتى موسكو في وقت كان فيه سكان فرنسا أكبر من سكان أى دولة أخرى بإستثناء - ربما - روسيا القيصرية، وإرتبط ظهور القوة الحربية الألمانية مع نمو الصناعة الحديثة والتي كانت ألمانيا مهياة لها أكثر من فرنسا. وفي هذا قال كينز **Keyness** أن الإمبراطورية الألمانية بنيت بحق على الفحم والحديد أكثر منها على الدم والحديد ، كما أن الصناعة الثقيلة اليوم بدأت تخلو مكانها للصناعات الخفيفة التي تعتمد على الإلكترونيات، وبالتالي قد تعتمد القوى العالمية في المستقبل على اليورانيوم والمعادن الخفيفة أكثر منها على الحديد والصلب.

القوة الإقتصادية ركيزة السياسية:

وإذا كانت القوى الحربية هي دعامة القوة السياسية، فلا قوة حربية دون ركيزة إقتصادية ، فالحصول على الأسلحة وأجهزة القتال يبدو صعبا إذا لم تكن هناك طاقة لإنتاج الآلات والأدوات الخاصة بالإستعمالات العلمية. والأمثلة عديدة على أثر القوة الإقتصادية في هذا المجال، منها القدرة على شراء السلع النادرة والأسلحة الضرورية للحرب من الخارج، (قارن بين إعتقاد إسرائيل التام على المعونات الأمريكية من السلاح أو من المال لشراء السلاح وقدرة السعودية على شرائه)، ومنها القدرة على تخزين السلع الإستراتيجية للوصول إلى كفاية ذاتية منها ، كما فعلت اليابان وألمانيا من تخزين للنحاس قبل الحرب العالمية الثانية، ومنها منع السلع الضرورية والإستراتيجية عن العدو كما فعلت الولايات المتحدة حين قللت من صادرات الخردة عام ١٩٣٨ وكما فعل العرب في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ حين خفضوا صادراتهم من البترول ، بل ومنعوه عن الدول المؤيدة لإسرائيل، أو إعطاء الفرصة لحلفائها في الحصول على ماينقصهم كما فعلت الولايات المتحدة مع الدول الأوروبية بمقتضى قانون الأعارة والتأجير - **Lend - Lease** في الحرب الثانية وكما تفعل الآن مع إسرائيل.

إن الحرب الحديثة تاكل الدبابات والطائرات ... إلخ، والدول التي لا تملك مصانع لها كما هو الحال في دول العالم الثالث، لا يمكن أن تعتمد إعتقادا مصيريا على إستمرار الدول الصناعية بإمدادها لها، خاصة إذا ما تغيرت الظروف السياسية، وهذه مسألة حياة أو موت، كما ثبت في حرب أكتوبر والجسر الأمريكي من السلاح الذي أسعفت به الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل، كذلك منع قطع الغيار الخاصة بصيانة الطائرات

الإيرانية حتى تتحول إلى خردة.

هكذا تختلف قوة الدول ومنازلها، وهذا هو الذي يدفع الأقوى منها إلى محاولة استغلال تفوقه النسبي لترتيب أوضاع وعلاقات تستجيب لدواعي مصالحه القومية، بغض النظر عما يسببه ذلك من أضرار بمصالح الدول الأخرى، ولعل هذا هو الذي دعا البعض إلى مقولة أن العلاقات الدولية لا تخرج عن كونها صراعات قوى، ومن ثم كانت فلسفة الحق للقوة أو أن القوة صانعة الحق **Might Makes right** وأن القانون الدولي ما هو إلا قانون اللاقانون بين الأمم **The Lawless Law of Nations** تستبيحه الدول القوية، ولا تسرى قواعده إلا على الأمم الضعيفة.

ماكندر والهارتلاند:

لم يحظ بحث قدم لجمعية علمية وأثار إهتمام المشتغلين بالشئون الإستراتيجية، والعلوم الجغرافية والتاريخية مثلما حظى بحث ماكندر البريطاني **Mackinder H.** عن الركيزة الجغرافية للتاريخ **The Geographic pivot of History** الذي قدم للجمعية الجغرافية البريطانية عام ١٩٠٤ ، فقد أثار هذا البحث الجدل والمناقشة لمدة تزيد على النصف قرن وإستمرت نظريته تدرس كموضوع أساسي في الجغرافية السياسية، أثرت على أفكار كيلين **Kjillen** السويدي، وهوسهر **Housshofer** الألماني في الجيوبولتيكا ، بل وأثرت في الإستراتيجية الألمانية عام ١٩٤٠. فهو بحث يحتوي على تحليل للنمط السياسي في العالم، وتنبؤ يقوم على أساس هذا التحليل.

وعاد ماكندر مرة أخرى وعرض نظريته عام ١٩١٩ في كتابه المثل الديموقراطية والحقيقة **Democratic Ideals and Reality**.

وكررها مرة أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وتتلخص في العبارات الآتية:

من يحكم شرق أوربا يسيطر على الهارتلاند (قلب العالم).

من يحكم الهارتلاند يسيطر على جزيرة العالم.

من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم.

Who rules East Europe . Commands the Heartland .

Who rules the Heartland . Commands the world Island.

Who rules the world Island . Commands the World .

ويقصد ما كنذر بـ جزيرة العالم تلك الحلقة المتصلة من اليابس وهي أوروبا وآسيا وأفريقيا، ويقصد بـ شرق أوربا تلك المنطقة المتسعة من أوروبا التي تسكنها العناصر السلافية، التي تمتد من شرق شبه جزيرة جتلاند حتى نهر الدون والبولجا وبحر آزوف، كما تشغل السويد شمالا وآسيا الصغرى في الجنوب الشرقي، وتقع برلين وفيينا على

أطرافها الغربية أما الهارتلاند فتحدده الجغرافي معقد بعض الشيء، وينظر إليه ماكندر من زاويتي: على إعتبار أنه يشمل مناطق الصرف الداخلي في أوراسيا وعلى إعتبار أنه يشمل المناطق التي يصعب على القوى البحرية الوصول إليها (تحت الظروف السائدة حينذاك) إذ يعتبر أن المحيط القطبي شرق البحر الأبيض عقبة طبيعية للتحركات البشرية.



ويبدو أن هناك تناقص الآن في قوة الهارتلاند السياسية نظرا لخلخلة سكانه، وإتساعه، وقسوة مناخه ، فهذا الإقليم متسع حقا لأنه يضم ٩/٥ مساحة القارة الآسيوية أو نحو ١/٥ مساحة اليابس المعمورة، كما أنه مغلغل السكان. فالواقع أن الهارتلاند إستمد أهميته من إتساعه الكبير، فضلا عن أمانه الطبيعي وتوسطه أوراسيا تقريبا، ولم تهبه

الطبيعة قوة دفاعية فحسب، بل يتحكم أيضا في خطوط المواصلات الداخلية. ولكن الغريب لدينا أن ماكندر لم يعمل حسابا كبيرا للعوامل البشرية والإقتصادية مع ما ظهر لها من شأن كبير في الحروب. فعوامل الإتساع والبعد عن منال القوى البحرية هي قلعة الدفاع للهارتلاند. وهي القاعدة الأمينة للقيام بحرب هجومية.

وفي الحق لقد وجد ماكندر من التاريخ ما يؤيد نظريته، فتحركات رعاة الخيل إلى أوربا وآسيا الصغرى والهند ومنشوريا والصين، شاهد على الضغط الذي يخرج من الهارتلاند إلى المناطق الزراعية الهامشية، ولكن إذا كان التاريخ يؤيد نظرية ماكندر في أثر الهارتلاند على الأقاليم الهامشية وأنها دائما مصدر ومخرج للغزاة، إلا أنه يبدو أنه بولغ فيها، فقد شهد التاريخ أيضا قوى إستطاعت التوغل في الهارتلاند ذاته، فالروس راكبو القوارب الذين يبحثون عن الفراء إستطاعوا التوغل في سيبيريا، وكانوا أول روس عمروا سيبيريا، بل ويذهب آخرون إلى أن بعضا من سكان شمال غربي سيبيريا قد

وصلوا إليها من شمال روسيا وفنلند، وفي العصر الحديث حقق التوغل الياباني في منشوريا ومنغوليا الداخلية نجاحا على عتبة الهارتلاند.

من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم:

وإذا رجعنا لبقية نبوءة ماكندر نجده يقول "من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم"، نجد أنها قد لا تتحمل النقد الكثير، لأنه لو فرض وتحقق هذا الفرض النظري، فإن العالم الجديد وأستراليا (لو فرض أيضا أنهما وحدا جهودهما العسكرية) سوف يترددان كثيرا قبل أن يدخلوا في نضال غير متعادل عندما يجدا أن كل فرص النجاح أمامهما تنحصر في تفوقهما التكنولوجي والجوي والبحري، وفي إمكانهما إستعادة بعض الجزء المحيط بالعالم القديم، إن كل ما قد يفعله ١/٨ سكان العالم هو حرب دفاعية ضد جزيرة العالم.

من يحكم شرق أوروبا يسيطر على قلب العالم:

ويبدو كذلك أن عبارة " من يحكم شرق أوروبا يسيطر على قلب العالم " صحيحة، فقد أيدتها حوادث هذا القرن، وإن ظهرت فترات تحدى لهذه العبارة. وإستند ماكندر في هذا إلى أدلة تاريخية وجغرافية، فلو كانت السواحل القطبية من السهل الوصول إليها في عصر الكشوف الجغرافية، كما كان الحال في خليج هدسن لكان من السهل على الإنجليز أو غيرهم من الأوربيين الوصول إلى نهري ينسي وأوب، أي إلى وسط سيبيريا، ولأنشأوا الشركات التجارية، وقاموا بعد ذلك بإدعاءات سياسية في أراضي سيبيريا، ولكن نظرا لأن الملاحة في المحيط القطبي محدودة زمنيا ودقيقة للغاية، فإن السيطرة على الهارتلاند من هذه الناحية يصبح من أطرافه اليابسة، فقد يأتي من جنوب غرب آسيا كغزوات الأسكندر أو الفتح العربي ولكن الأكثر احتمالا أن يأتي من الأطراف المزدحمة بالسكان سواء من شرق أوروبا أو الصين، ولقد كانت الصين هي القاعدة الرئيسية للإمبراطورية المغولية في القرن الثالث عشر، وإن كانت بؤرة القوة المغولية هي الإستبس المغولي. وهذا مثل هام للسيطرة على الهارتلاند لا من شرق أوروبا، بل من آسيا الموسمية. وإن كانت قد فشلت في السيطرة على شرق أوروبا.

وكانت سيطرة روسيا (أكبر دولة في شرق أوروبا) على الهارتلاند عندما أخرج ماكندر كتابه المذكور قد تمت منذ مدة طويلة . ذلك أنه عند بدء ظهور بلدية موسكو وإمتدادها في شمال ووسط روسيا، كان هناك خسوف لقوة المغول وتنظيم للدولة الروسية في القرن السادس عشر، وأخذ الروس ينفذون إلى سيبيريا بحثا عن الفراء وللسيطرة على هذه المساحات الواسعة . وكان لمد الخط الحديدي الذي يصل إلى الباسفيك أثره في عمليات التعمير، وظهور روسيا على المسرح السياسي في الشرق الأقصى، وذلك بسبب عمليات التوطن التي تبعتها في سيبيريا .

شرق أوروبا تحت سيطرة الهارتلاند: إذا نظرنا إلى الخريطة السياسية بعد الحرب الثانية، لوجدنا أن سيطرة الهارتلاند على شرقي أوروبا واضحة أكثر من أي وقت مضى، فالإتحاد السوفييتي قد مد حدوده لمسافات كبيرة نحو الغرب بعد الحرب الألمانية

الروسية (١٩٤١ / ١٩٤٥) وذلك بضمه جمهوريات البلطيق وجزء من بروسيا الشرقية، وشرقي بولند، وروثينيا، وبسارابيا، وأجزاء من جنوبي وشرقي فنلند، وتعدى تأثير هذه الأقاليم نحو الغرب إلى فنلند وبولند وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا والبنانيا والمانيا الشرقية، من ثم أصبح شرقي أوربا عند ماكندر واقعا تحت نفوذ واحد، باستثناء حالات قليلة كالسويد وتركيا وبوغسلافيا.

من ثم فأول نبوءة لماكندر تصف وضعاً ممثلاً بعد الحرب العالمية الثانية إلى حد كبير، فالإتحاد السوفييتي السابق كقوة في شرقي أوربا سيطر على الهارتلاند، وأما إيران وأفغانستان فقد عملت السياسة البريطانية على أن تكونا مناطق حاجزة بين مصالحها في جنوبي آسيا، وبين مطامع الإتحاد السوفييتي، لأن أفغانستان بها الممر الرئيسي إلى سهول السند والجانج، كما تطل إيران مباشرة على المياه الدفينة وعلى أقطار جنوب غربي آسيا.

هل سيطر الهارتلاند على العالم ؟

وهنا لابد وأن نشير إلى التطورات الكبيرة التي أصابت إقتصاد الإتحاد السوفييتي، لأنه من الواضح الآن خطأ تقدير قوة الإتحاد السوفييتي السابق قبل الحرب العالمية الثانية، ولكن في نفس الوقت يجب الحذر من المبالغة في تقدير قوته، فإذا تركنا التطورات الإقتصادية جانباً، فإن هناك اعتبارات كثيرة تتحدى إعتقاد ماكندر في قوة الأقاليم الواقعة تحت السيطرة السوفييتية سواء من حيث المنعة أو العدوان.

فإخترق المجال الجوي القطبي بواسطة الطيران، أدخل إعتباراً جديداً لم يكن موجوداً أيام ماكندر، ونشأت خطوط جوية في العروض العليا بين الأسكا والإتحاد السوفييتي الآسيوي، وأفادت هذه كثيراً الإتحاد السوفييتي السابق أن يتجاهل سواحل الطويلة على المياه القطبية تاركاً أياها في أمان حسب نظرية ماكندر. كذلك لا يمكن للإتحاد السوفييتي حماية مطاراته المشتتة ومراكز سكانه وموانئه في هذه المساحة الواسعة دون شبكة جديدة من المواصلات، من ثم يثير هذا العديد من المشكلات في الدفاع الجوي. فعملية الدفاع عن هذه المساحات الكبيرة من يابس الإتحاد السوفييتي السابق ومائة ضد العدوان الجوي تصبح صعبة.

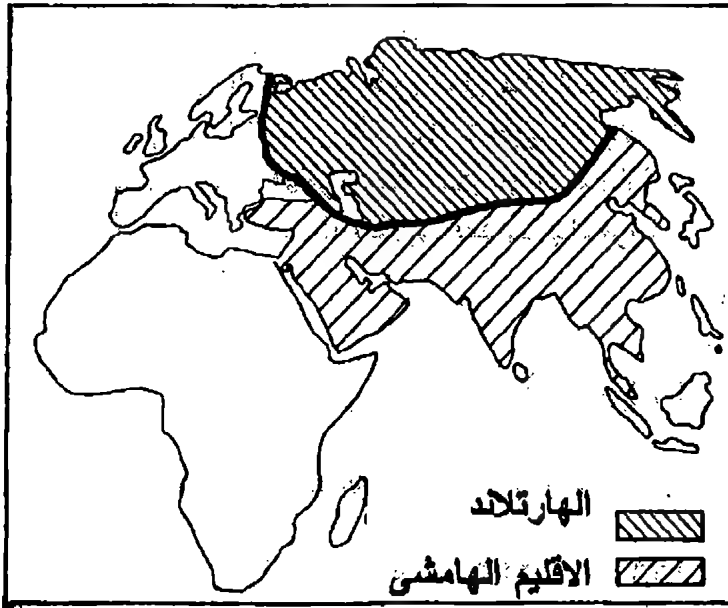
ثم هناك مشكلة أخرى تطل في الوقت الحاضر وهي إلى أي حد ستستعمل الأسلحة الحديثة في الحرب القادمة، من ذرية وهيدروجينية وأخيراً صواريخ؟ فهذه الأسلحة لاشك تحدث تغيرات ثورية في التقديرات الجيوبولتيكية. فإملاك القنابل الذرية والهيدروجينية والصواريخ لاشك منعت الإتحاد السوفييتي من الإستفادة الكاملة بأرصده الإقتصادية والحربية، ذلك أنها ستكون أهدافاً للضرب.

سبيكمان والنطاق الهامشي:

ظهرت نظرية سبيكمان *Spykman, N.* (١٨٩٣ - ١٩٤٣) بعد ظهور نظرية

ماكندر بأربعة عقود ، وقد تضمن كتابه في جغرافية السلام *The Geog. of Peace* الذي نشر عام ١٩٤٤ أي بعد وفاته ، خطوطاً عريضة من الناحية الإستراتيجية: منها أن الطريقة الوحيدة لإستمرار السلام تأتي عن طريق نظام جماعي كأمم متحدة مسلحة، أو بحفظ توازن دولي. وتتعلق فكرته الثانية بنظرية ماكندر، وهي أن من يسيطر على جزيرة العالم يمكن أن يتحكم في العالم.

الإقليم الهامشي عند سبيكمان (١٩٤٤)



وكان مدخل سبيكمان إلى المشكلة مدخلا أمريكيا، فالعالم الغربي يحيط به العالم الشرقي بما فيه كتلة أوراسيا وأفريقيه وأستراليا، وتبلغ مساحة يابس نصف الكرة الشرقي نحو ٢,٥ مرة قدر يابس النصف الغربي، كما يبلغ سكان القسم الشرقي نحو ١٠ أمثال سكان قسمه الغربي، وبتقديرات ١٩٢٧ كان نصف الكرة الشرقي ينتج ثلثي

فحم العالم وحديده، من ثم ينتهي سبيكمان إلى أن العالم الجديد لا يمكن أن يقف أمام العالم القديم في نضال طويل ، ولابد للسياسة الأمريكية أن تمنع وحدة أوراسيا تحت قوة واحدة.

وأخذ سبيكمان على ماكندر تقديره الزائد لإمكانات الهارتلاند.

فهناك مساحات كبيرة من الأراضي الواقعة بين بولند ونهر ينسي قاحلة وأن القوة الحقيقية تكمن في ذلك النطاق من الدول الذي يحيط بالهارتلاند، وهذا النطاق أطلق عليه سبيكمان النطاق الهامشي **Rimland** ففي هذا النطاق الهامشي يعيش معظم سكان العالم وتوجد معظم موارده.

ولم يكن التاريخ السياسي بطوله عبارة عن نضال بين القوى البحرية والقوى البرية بهذه البساطة، وإنما هو " نضال بين بريطانيا وقوة هامشية من ناحية، ضد قوة من

النطاق الهامشي وروسيا من ناحية أخرى، أو بين بريطانيا وروسيا من ناحية ، ضد قوة من النطاق الهامشي من ناحية أخرى:

وقد يقصد سبيكمان بهذا:

- * فرنسا وبريطانيا وروسيا ضد تركيا .
- * نجدة فرنسا وبريطانيا لتركيا في حرب القرم ضد روسيا .
- * بريطانيا ضد فرنسا.
- * بريطانيا وفرنسا وروسيا ضد ألمانيا.

فالنطاق الهامشي يمتد كمنطقة حازمة غنية بالموارد والسكان حول الهارتلاند من ثم يجب أن تتغير في نظرة نبوءة ماكندر إلى :

" من يسيطر على الأراضي الهامشية يحكم أوراسيا " .
 " ومن يحكم أوراسيا يتحكم في مصائر العالم " .

Who controls the Rimland rules Eurasia .

Who rules Eurasia controls the destinies of the world.

فالصراع سواء من جانب روسيا أو من جانب القوى البحرية هو للسيطرة على النطاق الهامشي، لذلك من رايه أن تتجه السياسة الأمريكية نحو السيطرة على دول هذا النطاق أو على الأقل لمنع الإتحاد السوفييتي السابق من السيطرة عليها، وهذا هو الذي سارت عليه الولايات المتحدة الأمريكية من حيث محاولة ربط النطاق بالأحلاف أو الحيلولة دون ضعفها العسكري أمام الإتحاد السوفييتي السابق بمدّها بالمعونات العسكرية. وفي نفس الحاضر أصبحت منطقة شرقي وجنوبي آسيا، فضلا عن الشرق الأوسط لها الأولوية بين أقاليم العالم في منظور الاستراتيجية الأمريكية.

ماكندر وسبيكمان في ميزان القوى العالمية

القوى العالمية بعد الحرب العالمية الثانية:

أولا : عهد القطبية الثنائية ١٩٤٥ - ١٩٩٠ **Bi Polar** ليس أبلغ للتعبير عن هذه المرحلة من حديث خروشوف (المنشور في جريدة برافدا في ١٠ مايو ١٩٥٧) حيث يقول:

" وحتى نكون أكثر تحديدا فيما يختص بالتوتر الدولي، فيبدو واضحا أن كل شيء في النهاية يدور حول العلاقة بين دولتين هما الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، ولتوضيح هذا يمكن القول بأنك إذا قمت بنزع أوراق (الكرنب) ورقة بعد الأخرى لتصل إلى القلب فسيكون هذا أشبه بإزاحتك جميع المشكلات مثار النزاع بين

الدول جانباً، عندئذ تصل إلى قلب المشكلة وهو التضاد بين بلدينا، الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي."

كانت الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي، بأي مقياس من مقاييس القوة هما القوتان الرائدتان أو القوتان الأعظم حتى أواخر الثمانينات. ويرجع ظهورهما كقوى عملاقة إلى الحرب العالمية الثانية حينما ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية بطاقة صناعية ضخمة لم تتأثر بالأزمة التي عانت منها الدول الأوروبية حينذاك، فضلاً عن سلاح ذرى جرب في اليابان، وقوتين جوية وبحرية ضخمتين، وإنهت الحرب وقد بسط الإتحاد السوفييتي نفوذه على ثلثي القارة الأوروبية، وبأكبر قوة برية عالمية تضم حشداً غفيراً من المدرعات والمدفعية، فضلاً عن مراكز صناعية لم تتأثر بالإحتلال النازي وحقق هدفه الإستراتيجي الأول، وهو القضاء على النازية وعملت كل قوة منذ نهاية الحرب على جذب عدد من الدول تسير في محورها، كما واجهت كل منها الأخرى في أكثر من مناسبة بطريق مباشر وغير مباشر، في المجر وكوريا وفيتنام وكوبا والباكستان والهند والشرق الأوسط.

وقد استمر الإتحاد السوفييتي في الجانب الدفاعي حتى نهاية الخمسينات. لعدم قدرته على ردع الولايات المتحدة الأمريكية ذات السلاح الذرى، إذا ما قامت الحرب العالمية الثالثة، ومن ثم كانت الولايات المتحدة لديها السيطرة الحربية على العالم في تلك الفترة، ولكن تغير الحال بعد أو أصبح الإتحاد السوفييتي بدوره قوة نووية يمكنها ردع الولايات المتحدة أو مبادأتها. وقد بلغ كل منهما قدراً من التسليح المتطور لدرجة أنه ليس متصوراً أن يكون بعد ذلك مجال لأسلحة تدميرية رهيبية، فإذا قامت حرب عالمية ثالثة، وأستخدم فيها السلاح النووي أو النيتروني فإن صورة العالم سوف تتغير نهائياً حتى لو عمر جزء من البشرية بعدها، بحيث لا تصبح هناك ضرورة لتسطير هذا الكتاب. ومعنى هذا أننا نفترض إستحالة قيام مواجهة نووية لأنها لن تبقى وإن تذر. حقيقة أطلت الحرب النووية أكثر من مرة ولكنها سرعان ما انتواري بعد تطور الأسلحة الرهيب بحيث تجعل للضربة الثانية قوة لا تقل عن الضربة الأولى.

ثانياً : عهد القطب الأوحـد أم تعدد الأقطاب ١٩٩١ - ٢٠٠٠ . *Multi Polar*

فجأة إختفي الدب السوفييتي، وتحطم سور برلين، وأعيد توحيد ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية ودخلت الرأسمالية دول وسط وشرق أوروبا والتي كانت شيوعية من قبل، وإنسحب الجيش الأحمر، وألغى حلف وارسو، وتفتت الإتحاد السوفييتي إرباً ، وأصبح موضوعاً تاريخياً.

هكذا كانت هناك قوتان عظيمتان عسكريتان تتنازعان السيادة عام ١٩٤٥، وقوة عظمى إقتصادية واحدة وهي الولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٩٤٥ ، أما منذ عام ١٩٩١، فهناك قوة عظمى عسكرية واحدة تقف بمفردها.

وإختفي التكافؤ العسكري والتقريبي الذي كان قائماً بين الإتحاد السوفييتي والولايات

المتحدة في النصف الأخير من القرن العشرين. وفي بداية القرن الحادي والعشرين، على الأقل، ستكون هناك قوة عسكرية عظمى واحدة، هي الولايات المتحدة. وكما أوضحت الحرب في الخليج فإن الولايات المتحدة هي وحدها التي تستطيع أن تحرك جيشاً حديثاً ضخماً إلى أي مكان في العالم في غضون بضعة أشهر.

الفروقات الرئيسية بين النظام العالمي القديم والجديد

الأنماط السائدة	النظام العالمي القديم	النظام العالمي الجديد
نمط الانقسامات	شرق / غرب	شمال / جنوب
نمط التكتلات	تكتلات عسكرية	تكتلات تجارية
نمط الصراعات	أيديولوجية / سياسية	تجارية / إقتصادية
التفاعلات السياسية	صراعات	تسويات
التفاعلات العسكرية	سباق التسلح	نزع السلاح
الأقطاب	ثنائي الأقطاب	أحادي أو متعدد الأقطاب
الأيديولوجيات	رأسمالية / اشتراكية	رأسمالية

ويذهب البعض إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تكون قوة عسكرية عظمى مادامت تعتمد على دول أخرى في الوفاء بالجانب الأكبر من تكاليف حروبها. ولكن كان يمكن لها أن تتحمل هذه التكاليف، ولكن المعونة المالية التي طلبتها من الدول التي لم تقدم جنوداً، وذلك لإقناع الرأي العام الأمريكي أن الحرب أساسها التحالف، وليست مجرد جهد أمريكي منفرد، فمن الناحية السياسية لم يكن مقبولا للأمريكيين أن يموتوا دفاعاً عن إحتياجات ألمانيا أو اليابان من النفط، ونظراً لأن جانباً كبيراً من المعدات والذخيرة التي استخدمت في حرب الخليج قد جاء من مخزون أمريكا العسكري، ولم تكن هناك حاجة إليه، فإن أمريكا تكون قد حققت ربها من هذه الحرب. ومن الناحية المالية لقد خرجت أمريكا من هذه الحرب أقوى مما دخلتها.

على العموم باستطاعة الدولة أن تكون قوة عظمى عسكرية لفترة طويلة حتى إذا كانت مقدرته الإقتصادية تتضاءل. فالضعف الإقتصادي في المركز يؤدي إلى ضعف عسكري عند الأطراف، ولكن الفترات الزمنية الفاصلة تكون في بعض الأحيان طويلة للغاية. فقد كسبت روما خلال قرون تدهورها غالبية المعارك مع الذين يعيشون على حدودها. ولكن المشكلات في قلب الإمبراطورية أدت في نهاية الأمر إلى الإنسحاب من الأطراف. والرومان لم يتعرضوا أبداً لهزيمة في الجزر البريطانية، ولكنهم غادروها ذات يوم. ونقل الرومان فيما بعد مركز إمبراطوريتهم من روما إلى القسطنطينية، حيث لم يتعرضوا في نهاية الأمر للهزيمة على يد الأتراك إلا بعد قرون عديدة من سقوط روما نفسها. وبينما كانت روما قد دخلت العصور الإقتصادية المظلمة، كانت قوة روما

العسكرية لا تزال مفعمة بالحيوية.

والتاريخ واضح إذن، فبينما يكون بإستطاعة القوة العسكرية في بعض الأحيان أن تستمر بعد زوال القوة الإقتصادية لبضعة قرون، فإن القوة العسكرية تكون معتمدة آخر المطاف على وجود قاعدة إقتصادية ناجحة. ونجاح أمريكا في حرب الخليج دليل على أنها قوة عظمى عسكرية، وعلى أنها ستكون كذلك في القرن القادم. ولكن نجاحها ليس بأية حال ضمانا بأنها ستكون قوة عظمى إقتصادية في القرن الحادي والعشرين.

لذلك فإلى جانب القوة العسكرية العظمى وهي الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين هناك ثلاث قوى عظمى إقتصادية بزغت إلى جانبها في أواخر هذا القرن ، وستسطع بشدة في القرن الحادي والعشرين، وهي اليابان، وأوروبا المتمركزة حول ألمانيا ، ويقولون رابعهم الصين !!

وقد ظهرت بوادر عدم رضا العالم أو أقطابه على أقل تقدير في رفض فرنسا في قضية الثقافة وقت إجراء مفاوضات منظمة التجارة العالمية، وأن الثقافة لها خصوصيتها وتختلف عن البن والنحاس والقطن... ، وتمسكت فرنسا أيضا فيما يختص بقضية الشرق الأوسط بمبدأ " الدولة الفلسطينية، وغيرها من الأمور التي سيأتي ذكرها حين ندرس فرنسا، ولكن الملفت للنظر أيضا دعوة الرئيس الفرنسي جاك شيراك إلى إيجاد مدخل جديد بين الصين والغرب يعتمد على الإعتراف والتقدير المتبادل تجاه القيم العالمية الأكبر، وأن تشترك الصين في النظام العالمي المتعدد الأقطاب ، كذلك الحال في روسيا الاتحادية التي إتجهت شرقا إلى الصين، وهذا التقارب هو تقارب سياسي مصلحي بين دولتين كبيرتين ، يجمعهما الإحساس بأن إتجاه الولايات المتحدة الأمريكية للإنفراد بالهيمنة العالمية إنما يسئ إلى كل منهما. من ثم فهذه المعركة غير المعلنة تشير إلى أن القرن الجديد سيكون متعدد الأقطاب.

وتتحول المباراة من صيغتها العسكرية إلى صيغتها الإقتصادية، وتصبح السياسة كوكبا والإقتصاد نجما!

ويظل ماكيندر وسبيكمان على حق فيما يختص بالقوى العالمية، فإذا نظرت للخريطة السياسية ستجد:

(١) الهارتلاند وتمثله روسيا الاتحادية فمازالت قوة عسكرية نووية خطيرة رغم التدهور الذي تعانيه، وإن كانت في طريقها إلى الإنحسار.

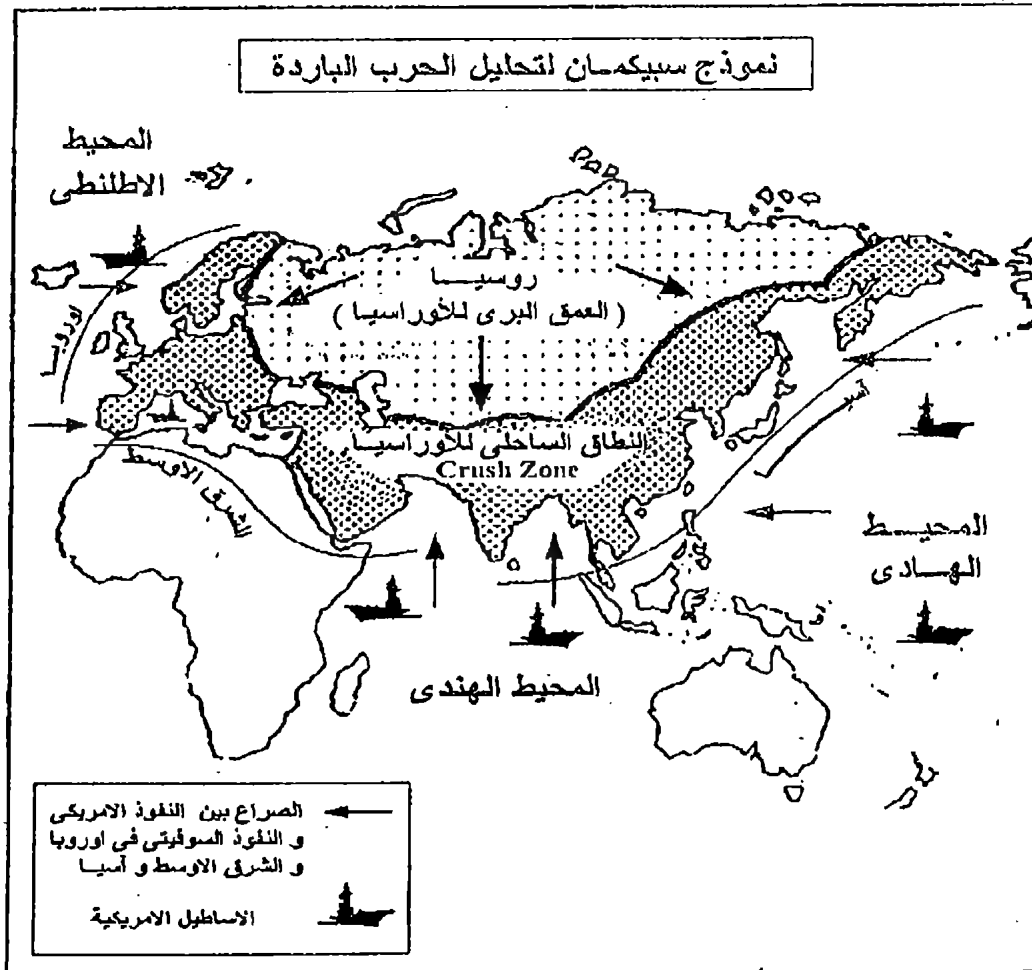
(٢) أوروبا لو قيس لها إتمام الوحدة، وهي في طريقها فعلا (الإقليم الهامشي).

(٣) اليابان والصين (من دول الهامش).

(٤) الولايات المتحدة الأمريكية مواجهة لدول الهامش والهارتلاند فأوروبا شرقها، والصين واليابان غربها.

قدرات وإمكانات القوى العالمية المعاصرة (١٩٩٥)

مؤشرات مختارة	الولايات المتحدة الأمريكية	أوروبا	اليابان	الصين
عدد السكان	٢٥٠ مليون	٥٥٠ مليون	٢٣٤ مليون	١٢٠٠ مليون
المساحة	٩,٤ مليون كم ^٢	٢,٤ مليون	٣٧٨ ألف كم ^٢	٩,٥ مليون كم ^٢
إجمالي الناتج القومي	٦ تريليون دولار	٦,٥ تريليون دولار	٣,٥ تريليون دولار	٤٦٠ مليار دولار
معدل النمو الاقتصادي ١٩٩٥	٣%	٢,٥%	٤,٣%	١١%
إجمالي الإنفاق العسكري	٢٦٥ مليار دولار	١٦٣ مليار دولار	٢٨ مليار دولار	١٢,٥ مليار دولار
عدد القوات المسلحة	٢,١ مليون جندي	٣ مليون جندي	٢٥٠ ألف جندي	٣ مليون جندي
عدد الأطباء	٦٠٠ ألف طبيب	٩٠٠ ألف طبيب	١٩٥ ألف طبيب	١,١ مليون طبيب
عدد المدرسين	٢,٧ مليون مدرس	٣,٦ مليون مدرس	٩٩٠ ألف مدرس	٦,٦ مليون مدرس
متوسط عمر الفرد	٧٦ سنة	٧٤ سنة	٧٨ سنة	٧٠ سنة
متوسط دخل الفرد	١٩,٥ ألف دولار سنويا	١٦ ألف دولار سنويا	٢٢ ألف دولار سنويا	٣٧٠ ألف دولار سنويا



الفصل الأول

الولايات المتحدة الأمريكية

نمو الولايات المتحدة الأمريكية

يمكن أن نميز أربعة أدوار رئيسية في نمو الولايات المتحدة وظهورها كقوة عالمية، هذه الأدوار هي :

أولاً : مرحلة تعمير القارة بالهجرات حتى الحصول على الاستقلال عام ١٧٨٣.

ثانياً : مرحلة التوسع غرباً حتى الوصول إلى الباسفيك ١٧٨٣، والحرب الأهلية (١٨٦١-١٨٦٥).

ثالثاً : مرحلة النمو في الباسفيك وأمريكا الوسطى من نهاية الحرب الأهلية ١٨٦٥، حتى ١٨٩٨.

رابعاً : منذ إعتداء اليابان على بيرل هاربر ١٩٤١ حتى الوقت الحاضر.

المرحلة الأولى - تعمير القارة حتى الاستقلال :

لم تظهر الولايات المتحدة على المسرح العالمي كدولة مستقلة إلا منذ ما يزيد على قرن ونصف، ومن هذه الناحية، نجد أن روسيا أكثر منها قدماً ، ذلك أن منطقة موسكو أو بلدية موسكو بدأت تظهر كدولة قوية منذ خمسة قرون على الأقل، ومع ذلك فقد استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تتفوق على الاتحاد السوفيتي زراعياً وصناعياً منذ عام ١٧٨٣، وقلّرت سكانه في ذلك العام، وكلاهما توسع نحو الباسفيك، روسيا شرقاً من نواتها في أوروبا، والولايات المتحدة غرباً من نواتها على ساحل المحيط الأطلنطي.

وقد اتجهت السفن من العالم القديم نحو العالم الخارجي، لتغترف الذهب والفضة، من المكسيك، وبيرو، وصيد الأسماك من نيوفونلند، وبدأت بعض عمليات الاستقرار، كانت معظمها على هيئة حصون ومراكز تجارية وبعثات تبشيرية.

وكان الأسبان هم أنشط الرواد في المرحلة الأولى من الكشف ، فقد إمتدت مستعمراتهم من فلوريدا إلى كاليفورنيا، بينما إستقر بعض الفرنسيين في كندا على طول سنت لورنس، وأسسو مراكز للتجارة وللبعثات التبشيرية حول البحيرات العظمى والميسيسيبي، وبدأوا بتجارة الفراء مع الهنود الحمر.

وإستقر الهولنديون حول نهر هدسن، بينما تجمع الفنلنديين والسويديين على طول ديلاوير **Delaware** ومع ذلك فقد كان أكثر المستعمرين عددا هم الإنجليز الذين إمتدوا من المستعمرات الفرنسية في الشمال إلى المستعمرات الأسبانية في الجنوب. وقامت شركة لندن بإنشاء أول مستعمرة إنجليزية وهي جمستون **Jamestown** في فرجينيا، غير أن سوء الإدارة وإنتشار الأمراض والمجاعات ومهاجمة الهنود الحمر، أدى إلى خلق المتاعب

أمام هؤلاء الرواد حتى أنه لم يبق سوى ١٢٣١ نسمة عام ١٦٢٤ من مجموع السكان الذين أرسلتهم الشركة وعددهم أربع عشر ألف نسمة ، لذلك بدأت الحكومة البريطانية التدخل، وحولتها إلى مستعمرة ملكية. وتميزت المستعمرات الإنجليزية بنموها السريع على عكس المستعمرات الفرنسية في الشمال والمستعمرات الأسبانية في الجنوب، ويرجع هذا النمو السريع إلى العاملين معا: الزيادة الطبيعية والهجرة إذ كان متوسط عدد أفراد الأسرة كبيرا في ذلك الوقت، فكانت الأسر ذات الثماني أو العشرة أفراد عادية، لأن الأباء كان في إمكانهم إعالة الأسر الكبيرة لرخص الأرض، ولأنهم كانوا يبنون مساكنهم بأنفسهم من أخشاب الأشجار، فضلا عن الأولاد الذين يمكنهم المعاونة في أعمال المنزل والمزوعة مما شجع تلك الأسر على النزول المبكر.

وكان كثيرا من الرواد الباحثين عن الحرية السياسية والدينية، فمن هؤلاء الكاثوليك، والهجوت (البروتستانت الفرنسيين) واليهود، ومنهم من أتى العالم الجديد للتبشير، ومنهم من أتى باحثا عن حالة إقتصادية أفضل كالأيرلنديين، وكان منح المهاجر الجديد من ٥٠ إلى ١٠٠ فدان من العوامل التي جذبت كثيرا من المزارعين والعمال الفقراء من أوروبا. ويضاف إلى هذا نحو ٥٠ ألفا من نزلاء السجون الإنجليزية فقد بدأت الأحكام تصدر بالنفي إلى العالم الجديد حتى تتخلص بريطانيا من نفقات بقائهم في السجون، وكان كثير من هؤلاء محكوم عليه بسبب عقائده السياسية أو الدينية التي أثقلت كاهله وأعداد قليلة بسبب جرائمهم عليهم أن يؤديوا خدمات لأسياهم لمدة تبلغ نحو السبع سنوات وبعدها يطلق سراحهم ويفك قيودهم.

وهكذا وبعد قرن من الإستعمار، أي في القرن السابع عشر، لم يكن متوقعا من المستعمرين الإنجليز - الذين كانوا يعيشون في الجهات الساحلية بين الأطلنطي من ناحية، وبين الأبلش من ناحية أخرى - لم يكن متوقعا أن يكون هؤلاء نواة لسكان دولة مستقلة تصل إلى الباسفيك، خاصة وأن عددهم إذ ذاك لم يكن يزيد على ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ، ولكن هذه النظرة تغيرت وتبدلت عام ١٧٨٣، أي بعد ثلاثة أرباع قرن آخر، حين إستطاعت هذه المستعمرات الإنجليزية الحصول على إستقلالها من الدولة الأم، فقد وصل عدد السكان إلى ما يقرب من الثلاثة ملايين نسمة من أصل أوروبي " معظمهم من الزراع " ولم تكن هناك صناعات تذكر ، كما كانت المواصلات على درجة كبيرة من الإنحطاط.

المرحلة الثانية : الوصول إلى الباسفيك:

ثم كانت الفترة التي بدأ فيها التوسع على أشده وكانت ما بين ١٧٨٣، والحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥).

فقد ضم إقليم لويزيانا من نابليون (فرنسا عام ١٨٠٣ ، وفلوريدا من أسبانيا عام ١٨١٩)، وبذلك تم للولايات المتحدة السيطرة على ساحل الأطلنطي من الحدود الكندية حتى خليج المكسيك ، أو بمعنى آخر وصلت الولايات المتحدة إلى ما يزيد على نصف مساحتها الحالية ، ثم كان التوسع التالي الذي وصلت به إلى نهر ريو جراند عام ١٨٤٣،

السبحر إلى الاسكا وغرب أمريكا الشمالية، وكلاهما عانى صعوبات ومشكلات عديدة في سبيل تكوين الإمبراطورية، فقد وجدوا صعوبات من السكان الأصليين، وهم العناصر المغولية المختلفة التي تعيش شرق الأورال والهندو الحمر والأسبان والمكسيكيين في غرب الولايات المتحدة الأمريكية وجنوبها، وكما أن الحكم القيصري كان يتبع المستوطنين كان العلم الأمريكي يتبع الناس.

Where the folk went, the flag should (Ratzel)

واستمرت سياسة العلم الذي يتبع الناس، حتى منتصف القرن التاسع عشر، وكان حلم الكثيرين أن يستمر هذا التوسع حتى تشمل الدولة الجديدة كل أمريكا الشمالية، وخاصة تلك الأجزاء التي لا تفصلها عقبات طبيعية عن أراضي الولايات المتحدة، فيجب أن يحقق الأمريكيون مصيرهم الفزيوغرافي ***Physiographic Destiny*** حتى لقد كان البعض يتنبأ أنه ما أن ينتهي القرن التاسع عشر، حتى تعكس المياه تلاطم شواطئ أمريكا الشمالية، نجوم الراية الأمريكية واشراطتها.

ولم تسهم الولايات المتحدة الأمريكية بنشاط يذكر خلال فترة التوسع هذه خارج القارة، ففي حربها مع بريطانيا (١٨١٢ - ١٨١٥) إقتصرت الحرب على الحدود الكندية الأمريكية من ناحية، وعلى المواقع البحرية في الأطلنطي من ناحية أخرى، وفي العشر سنين التالية عندما كانت المستعمرات الأسبانية والبرتغالية في أمريكا اللاتينية تناضل في سبيل إستقلالها، أظهرت عطفها على هذه الجمهوريات الجديدة، بغية طرد القوى الأوروبية من العالم الجديد بإعلان مبدأ مونرو الذي يقوم على أساسين:

١- عدم السماح للدول الأوروبية بإنشاء مستعمرات جديدة في الأمريكتين.

٢- عدم السماح للدول الأوروبية بالتدخل في شئون دول الأمريكتين.

وقد وقف هذا المبدأ مانعا للقوى الأوروبية من إستعمار القارة، أما إهتمامات الولايات المتحدة خارج أمريكا الشمالية فلم تظهر إلا بعد الحرب الأهلية التي إنتهت عام ١٨٦٥، فقد بدأت بعدها تظهر إهتماماتها الخارجية خاصة في المحيط الهادي الشمالي، وفي أمريكا الوسطى.

المرحلة الثالثة — النمو في الباسيفك وأمريكا الوسطى :

زاد إهتمام الأمريكيين بالشرق الأقصى بعد ثورة الإستقلال، وذلك حينما بدأ تجار نيو إنجلند التجارة مع الصين. وقد ظلت كانتون لعدة سنوات هي الميناء الوحيد المفتوح للأجانب، ثم عقدت الصين عام ١٨٤٠ عدة إتفاقيات منحت بمقتضاها عدة موانئ أخرى للأجانب وحصلت الولايات المتحدة الأمريكية على حق التجارة في هذه الموانئ عام ١٨٤٤، بل دخلت وحصلت على إمتياز عدم خضوع الأمريكيين الذين يعيشون في الصين لحكومة الصين، بل يخضعون للقانون الأمريكي، وللموظفين الرسميين الأمريكيين.

حصل الأمريكيون أيضا على حق دخول الموانئ اليابانية والتجارة معها عام ١٨٥٤، ثم

زاد الإهتمام بعد الإستيلاء على هاواي ، وجزر سامو، وجزيرة ويك **Wake** والفلبين (١٨٩٨ - ١٨٩٩) بل أن إمتلكها للفلبين جعلها جارة لكل من الصين واليابان ، ووجد رجال الأعمال الأمريكيون الفرصة سانحة للتجارة مع هذا العدد الغفير من الشعب الصيني.

وبينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية مشغولة بتسوية حربها مع أسبانيا، كانت القوى الإنجليزية والفرنسية والروسية واليابانية تسعى إلى الإستحواذ على مناطق نفوذ لها في الصين، ووجدت الولايات المتحدة الأمريكية أن الأسواق الصينية ستقفل في وجهها، فأعلنت سياسة الباب المفتوح لكل الدول في الصين عام ١٨٩٩، وذلك خشية على مصالحها الإقتصادية.

الاسكا :

وأكبر الولايات البعيدة عن صلب الولايات المتحدة الأمريكية ، بمساحة تزيد على النصف مليون نسمة وقد إشترتها الولايات المتحدة الأمريكية عقب الحرب الأهلية. وكان لإكتشاف ثروتها المعدنية، فضلا عن أهميتها الإستراتيجية أثره في زيادة عدد سكانها بنحو ثلاث مرات منذ عام ١٩٣٠ ، ويتجمع السكان في ثلاث أقاليم منفصلة بعضها عن بعض، في الجزء الجنوبي منها، وفي وسط الاسكا حيث يمتد وادي يوكون السهلي والذي يفتح نحو الغرب أي نحو بحر بيرنج، وفي أقصى الشمال حيث تمتد منطقة سهلية أخرى تتحدر نحو المحيط القطبي، هذا ويفصل بين مناطق تجمع السكان مناطق جبلية.

ويعتمد إقتصاد الاسكا على مواردها الثلاثة الشهيرة، وهي الفراء والأسماك والمعادن، وتسهم الأسماك وحدها خاصة السالمون بنحو ٧٠ بالمائة من الدخل القومي. وإذا كان الذهب هو أهم معادنها المستخرجة فإن تكويناتها تضم إحتياطيات كبيرة من الفحم، وإحتمالاتها البترولية كبيرة، فضلا عن إمكانات توليد الكهرباء على سفوح المرتفعات الجنوبية، غير أن إستغلال موارد المياه في هذه المنطقة الجنوبية لاد له من إتفاق مع كندا ، نظرا لأن معظم الروافد تأتي منها، وقد بدأت كندا فعلا في إستغلال القوى المائية على نطاق واسع في قسمها الغربي، وهناك ثروة خشبية ، ولكنها لا تقدر على المنافسة في أسواق الولايات المتحدة الأمريكية بسبب تكاليف النقل المرتفعة، والتي تجعل من أخشاب كندا، منافسا خطيرا وإن كانت تجد لها أسواقا جديدة في اليابان.

وتملك الحكومة الفيدرالية ٩٩,٥٨ % من أراضي الاسكا، والجزء الباقي ترك للملكية الخاصة. وقد اضطرت الحكومة إلى هذا حتى لا يساء إستخدام موارد الاسكا الطبيعية.

وتعطى الحكومة حق إستغلال المناجم والغابات للسكان نظير إيجار معين، ومع هذا فلا زال معظم الاسكا بعيدا عن التنمية الإقتصادية الكاملة، ولعل السبب الرئيسي هو عدم وجود التسهيلات المناسبة في المواصلات ، فلا زالت السفن التي تقلع من سياتل **Seattle** هي وسيلة الربط الرئيسية بين الولايات المتحدة وأكبر ولاياتها الاسكا، ومع ذلك فقد بدأت الولايات المتحدة في شق طرق كبيرة فيها لإستعمالها للأغراض الحربية، فضلا عن نشاط

النقل الجوي منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وتقترب الاسكا من الإتحاد السوفييتي، فجزيرة **Attu** تعتبر النهاية الغربية لجزر الوشيان لاتبعد بأكثر من ٢٠٠ ميل عن جزر كوماندورسكي **Komandorski** السوفييتية، كما تقع على بعد ٦٠٠ ميل من شبه جزيرة كمتشكا، هذا بينما نجد أن بعد الاسكا عن سيبيريا لايزيد على ٦٥ ميلا عبر بوغاز برنج.

وفي الحق أن نمو العمليات الحربية في الاسكا ظاهرة حديثة للغاية، فالطريق الدائري بين شمال غربي الولايات المتحدة الأمريكية وجزر اليابان يمر جنوبي الاسكا، من ثم أقيمت إستعدادات دفاعية كثيرة في هذا الإقليم خلال الحرب العالمية الثانية، وحاول اليابانيون إحتلالها عام ١٩٤٢ بإحتلال الجزر القريبة منها وشن الغارات عليها، غير إنتهاء الحرب مع اليابان عام ١٩٤٥، زاد من حدة التوتر في المنطقة بزيادة قوة الإتحاد السوفييتي، زادت بالتالي أهمية الاسكا الحربية، وأقيمت فيها قاعدتان جويتان أحدهما بجوار انكوراج **Anchorage** والثانية بجوار **Fairbanks** وتعرزها عدة مطارات صغيرة نسبيا ، كما أقيمت فيها شبكات الرادار وشبكة الدفاع الجوي ، وقوة أرضية لحراسة القواعد الجوية . فضلا عن دعم بحري على طول الساحل. وضمت كالولاية التاسعة والأربعين في يناير ١٩٥٩.

ولم يكن الأمريكيون يقدرون الاسكا حق قدرها، لم يعرفوا بذهبها ولاغاباتها ولا فحمها ولاأسماكها، فضلا عن أهميتها الإستراتيجية التي ظهرت أخيرا، من ثم صادف ولیم سيوارد **William Seaward** الذي كان وزيرا للخارجية في عهد لينكولن وجونسون معارضة شديدة لفكرة شراء الاسكا وغلاء الثمن (٧٠٢ مليون دولار) رغم أن هذا معناه أقل من ٢ سنت للفدان وهاجمته الصحف ، ومنها صحيفة **New York Herald** التي نشرت الإعلان التالي:

Cash. Cash Cash-Paid for Castoff territory best Price given for old Colonies, North or South, any Impoverished monarch retiring from the colonization business, may find a good purchaser by addressing W. H. S. (Seward), Post office Washington N. D. C.

ميدواى وجوام والفلبين وهاواى:

وفي نفس العام إستولت أيضا على جزيرة **Midway** (في الهادي) ولعل السبب في إهتمام الولايات المتحدة بالمحيط الباسفيكي في تلك الفترة هو التطور السريع في أهمية ولاياتها الباسيفيكية وخاصة كاليفورنيا، ثم لتطور علاقاتها مع شرق آسيا، إذ أنها إستولت على جزر الفلبين بعد حربها مع أسبانيا عام ١٨٩٨، وأرغمت أسبانيا على بيعها هذه الجزر مقابل ٢٠ مليون دولار. وكذلك أن تتنازل عن جزيرة جوام، كما ضمت إليها جزر

هاواي في نفس العام ، وهي مجموعة من الجزر تبعد ألفي ميل عن غرب الولايات المتحدة الأمريكية جنوب مدار السرطان مباشرة، وتتجمع معظم جزرها بل وسكانها في الثمانى جزر الشرقية، بحيث لا تظهر جزر ذات شأن في النهاية الغربية لأرخبيل هاواي سوى ميدواي **Midway**، وتبلغ مساحة الجزر جميعها نحو ٦٤٢٣ ميلا مربعا، وتعتمد في حياتها على الإقتصاد التجاري وبخاصة زراعة قصب السكر والأناس، فضلا عن السياحة، والقواعد الحربية الممثلة في بيرل هاربر **Pearl Harbour** وشوفيلد **Schofield** ، وقد بلغت قيمة صادراتها وخدماتها مع الولايات المتحدة الأمريكية ٩٥٣ مليون دولار عام ١٩٦٥، بينما بلغت وارداتها في ذلك العام من الولايات المتحدة ١٩٢٣ مليون دولار.

وقد وجدت هاواي بعض المعارضة في ضمها كولاية إلى الدولة الأصلية، وكان أساس هذه المعارضة هو تركيب سكانها ، على أساس أن ٣٥ % من سكانها يرجعون لأصول يابانية ، ١٢ % لأصول فلبينية، ٦ % لأصول صينية ، ولكن الأهمية الإستراتيجية لهذه الجزر تغلبت على هذه الاعتراضات، وضمت كالولاية الخمسين في أغسطس عام ١٩٥٩ وبذلك أصبحت هي والجزر الأخرى مثل ميدواي وغيرها ، تؤلف حلقات ربط بين غرب الولايات المتحدة الأمريكية والاسكا.

أمريكا اللاتينية:

أما في أمريكا الوسطى فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية قانعة بالوصول إلى نهر ريوجراند في عام ١٨٤٥، ولكن حربها مع أسبانيا عام ١٨٩٨ أعطتها آخر المستعمرات الأسبانية في أمريكا اللاتينية وهي كوبا وبورتوريكو.

وقد ازدادت إهتماماتها بأمريكا الوسطى بصفة خاصة بعد ١٨٩٨ وعندما قامت ثورة في الجزء الكولومبى في ولاية بنما شجعت الولايات المتحدة الأمريكية على هذه الثورة، ووقعت معاهدة مع هذه الجمهورية الجديدة ، وبذلك أنهت المفاوضات الطويلة مع جمهورية كولومبيا الخاصة بحفر قناة تجرى في أرضها.

قناة بنما:

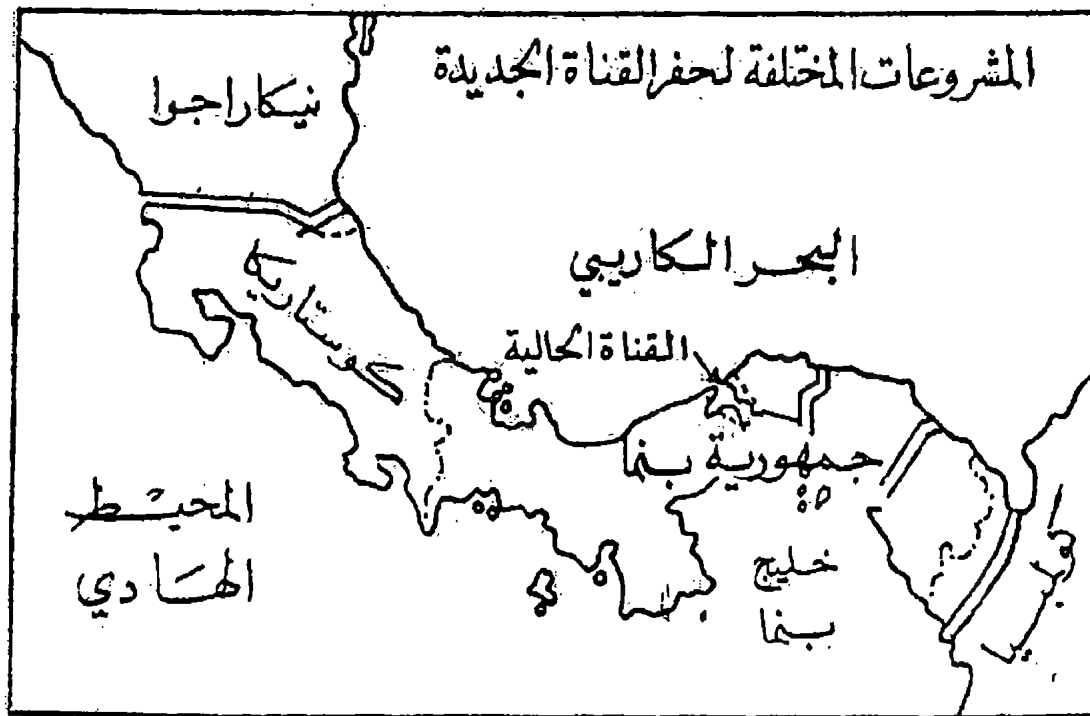
شقت قناة بنما لتقصير المسافة بين المحيطين الأطلنطي والهادي، ولقد كان شق هذه القناة حلما راود النفوس منذ أن عبر (بلباو) برزخ بنما عام ١٥١٣، وإكتشف الباسيفيك، وظهر أول إهتمام للولايات المتحدة بهذا الموضوع عام ١٨٤٦ بعد ماضمت كاليفورنيا، لأنها بهذا وصلت إلى الباسيفك، ومن ثم كان لابد من طريق سهل بين الشرق والغرب، وعقدت الولايات المتحدة الأمريكية إتفاقية مع جمهورية كولومبيا التي كانت تتبعها بنما حينئذ، بمنح الولايات المتحدة الأمريكية طريقا للمرور عبر البرزخ، وعندما إكتشف الذهب في كاليفورنيا وبدأ التدفق نحو الغرب ، ظهرت الحاجة إلى قناة في هذا البرزخ الضيق.

وظهر إهتمام آخر لبريطانيا في شق قناة في أمريكا الوسطى، ولكن الولايات المتحدة لم تكن ترضى بالنفوذ البريطاني في المنطقة، من ثم عقدت الولايات المتحدة معاهدة مع بريطانيا عام ١٨٥٠، تشترط بمقتضاها إشراف الدولتين على أي قناة تقوم بحفرها أي من الدولتين في المنطقة ، وألا تحصن وتكون مفتوحة لسفن جميع الدول ، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية فقدت هذا الإهتمام بعد مد الخط الحديدي عبر القارة.

وظهر فرديناند ديلسبس عام ١٨٨٠ على مسرح الإقليم ليبدأ شق قناة بنما، وقدر مبلغ ١٧٠ مليون دولار نفقات للمشروع، ولكن بعد صرف مبلغ ١٧٠ مليون دولار ومضى خمس سنوات، لم يكن قد قام سوى ثلث العمل، بسبب أمراض المناطق الحارة التي إنتشرت بين العمال وفتكت بهم فضلا عن الصعوبات الهندسية مما أدى إلى إفلاس الشركة وتوقف الحفر.

وعاد الإهتمام الأمريكي مرة أخرى بالقناة بعد وضع الولايات المتحدة الأمريكية يدها على الفلبين وهاواي. وظهور فرص للتجارة مع الشرق الأقصى والدفاع عن مصالحها في المحيط الهادي، وإلا معنى هذا ضرورة إحتفاظ الولايات المتحدة بأسطولين منفصلين أحدهما في الأطلنطي والآخر في الباسفيكي وأعيد النظر في المعاهدة الأمريكية البريطانية الخاصة بالقناة، وإعترفت فيها بريطانيا بحق الولايات المتحدة الأمريكية بحفر القناة، وأن تخضع لإشرافها بشرط حرية مرور جميع السفن فيها.

قناة بنما والمشروعات المختلفة لحفر القناة



وكانت عملية إختيار طريق للقناة من الطرفا بمكان، ذلك أن الكونجرس الأمريكي والمهندسين الأمريكيين كانوا في جانب حفر القناة في نيكارجوا، ولكن الشركة الفرنسية التي ألفت كانت توافقة لبيع إمتيازها وأدواتها للولايات المتحدة، فبذلت نشاطا كبيرا لحفر القناة في بنما، وبذلت جهودا جبارة لمنع مجلس الشيوخ من الموافقة، وكانت تلوح لهم بأن البراكين في نيكارجوا ستقضى على المشروع، ولم يحسم الأمر إلا حدوث بركان في مايو عام ١٩٠٢ في نيكارجوا، مما أدى إلى تغير الإتجاه نحو بنما، وشراء حق الإمتياز والأدوات من الشركة الفرنسية بمبلغ ٤٠٠ مليون دولار.

وعرضت الولايات المتحدة الأمريكية على كولومبيا مبلغ ١٠ ملايين دولار فضلا عن ربع مليون دولار كل عام نظير قطعة أرض تمتد بعرض ٦ أميال في بنما، ولكن حكومة كولومبيا رفضت العرض لأنها بعد عام واحد ستؤول إليها حقوق الشركة الفرنسية، فضلا عن الأربعمائة مليون دولار. وهنا بدأت الولايات المتحدة الأمريكية والشركة الفرنسية تلعبان دورا سياسيا كبيرا لفصل بنما عن كولومبيا. وبدأت الشركة الفرنسية تقدم الرشاوى وتكون جيشا صغيرا، وأرسلت للولايات المتحدة قطع من أسطولها إلى بنما لحمايتها، فأعلنت بنما إستقلالها في ٣ نوفمبر ١٩٠٣، وحصلت الولايات المتحدة الأمريكية على إيجار قطعة أرض بعرض عشرة أميال، بنفس الشروط التي عرضتها سابقا على كولومبيا بعد ذلك بخمسة عشر يوما فقط.

وهكذا بدأ العمل عام ١٩٠٤، ولم يتم إلا بعد عشر سنوات، حين إفتتحت في عام ١٩١٤ أى عند بداية الحرب العالمية الأولى.

ويبلغ طول القناة ٦٠ كيلو مترا أى طولها أقل من نصف طول قناة السويس ويتراوح عرضها بين ١٠٠، ٣٠٠ مترا، ويستغرق المرور فيها نحو ٨ ساعات، وأن كان وجود الأهوسة فيها يؤدي إلى ببطء الحركة، بحيث تضطر بعض السفن إلى الإنتظار أكثر من ١٥ ساعة حتى يأتي دورها.

توتر علاقات بنما مع الولايات المتحدة الأمريكية:

ويعتبر عام ١٩٥٦ بداية توتر علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع بنما، وذلك بسبب النصر الذي أحرزته مصر بتأميم قناة السويس، ودعت بريطانيا الدول البحرية إلى مؤتمر لندن (أغسطس ١٩٥٦) لدراسة الآثار المترتبة على تأميم قناة السويس، دون دعوة جمهورية بنما لحضور المؤتمر، وكان رد الولايات المتحدة على إحتجاج بنما بأنها تملك حقوق السيادة على قناة بنما، مما أثار شعب بنما، وبدأ الضغط الشعبي بتزايد وبدأ التوتر أشده حين قطعت بنما علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة نتيجة لتمزيق الطلبة الأمريكيين لعلم بنما على مدرسة بالبوا الثانوية عام ١٩٦٤.

وبدأت الولايات المتحدة ضغطا أمريكيا، فحواه أنها أخذت قراراتين:

أولهما : أن تتفاوض الولايات المتحدة مع بنما وغيرها من الدول المعنية، حول

الترتيبات التي تتخذ لحفر قناة في مستوى سطح البحر في أمريكا الوسطى .

وثانيهما : أن تقترح الولايات المتحدة على حكومة بنما الدخول في مفاوضات لعقد معاهدة جديدة بشأن القناة الحالية ، وعينت الدول الجديدة التي ستجرى التفاوض معها وهي كوستاريكا ونيكاراجوا وكولومبيا ، فضلا عن بنما.

وإستندت الولايات المتحدة في هذا إلى أن قناة بنما الحالية سوف تصبح غير ذات جدوى في المستقبل، بسبب نظام الأهوسة، وبطء الملاحة، وضيق القناة بحيث لن يسمح للسفن الضخمة بالعبور.

واقترحت ثلاثة مواضع للقناة الجديدة في كولومبيا ونيكاراجوا وكوستاريكا وفي بنما ذاتها، ويعيب المشروع الكولومبي طول المسافة (١٦٤ كيلو مترا)، بينما يعيب مشروع نيكاراغوا - كوستاريكا أنه يمر في دولتين . وبذلك يفضل مشروع بنما المشروعين الآخرين، وتفاوضت الدولتان وصدر إعلان مشترك من الدولتين عام ١٩٦٤.

إتفاقية ديسمبر سنة ١٩٧٧ :

تنتهي هذه المعاهدة سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على القناة وإقليمها (بعرض ١٠ أميال) في شهر ديسمبر ١٩٩٩، وتمنح حكومة بنما حكومة الولايات المتحدة الأمريكية حق تشغيل وتنظيم الملاحة وحمايتها والدفاع عنها حتى التاريخ المذكور، كما تزداد مشاركة حكومة بنما تدريجيا في إدارة وتنظيم وحماية القناة، مع تكوين لجنة مشتركة من كبار ضباط البلدين للتشاور في مسائل الأمن. وتعلن حكومة بنما حرية الملاحة في القناة وقت الحرب والسلام على السواء لسفن جميع الدول دون تمييز، وألا تكون أرض نزاع مسلح قد يقوم بين الدول ، كما تضمن حكومة بنما للولايات المتحدة الأمريكية حق مرور السفن الحربية.

وقد ظلت هذه القناة حيوية من الناحية الاقتصادية والإستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة لأنها تطل على محيطين، إذ سهلت الإتصالات البحرية بين أساطيلها في المحيط الأطلنطي والهادي، ولم يكن في الإمكان ذلك من قبل إلا بالدوران حول رأس هورن، وقد حققت أحداث الحرب العالمية الثانية هذا حينما إشتبكت الولايات المتحدة الأمريكية بأسطولين في الحرب العالمية الثانية، إحداهما في المحيط الأطلنطي والآخر في المحيط الهادي.

ولزيادة تأمين نفسها إشتريت جزر فرجين من الدنمارك عام ١٩١٧ وهي جزر صغيرة تشرف على مداخل البحر الكاريبي من الشرق، وإنتهزت فرصة الحرب العالمية الثانية، وأنشأت قواعد أمريكية في جزر بهاما، وجامايكا وترينداد، كما أنشأت قواعد لها في نيوفونلاند، وهذه جميعا ممتلكات بريطانية، ماعدا نيوفونلاند التابعة لكندا، وبذلك أحكمت حلقة الدفاع عن ساحل المحيط الأطلنطي.

غير أن البعض يرى أنه إذا كانت للقناة أهمية تجارية بالنسبة للولايات المتحدة

الأمريكية ، فلم تعد أهميتها حيوية وإستراتيجية كما كانت من قبل، فلم يمر في القناة في أواخر السبعينات سوى ٥ % من حجم التجارة العالمية ، فضلا عن ١ % من قيمتها، لذلك يصفها بعض الإقتصاديين بأنها مفيدة وأن كانت ليست حيوية **Useful but not Vital**.

وتمر بالقناة ٩ % من تجارة الولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن أن التطور التكنولوجي في بناء السفن العملاقة قلل من أهمية القناة كمعبر، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تحتفظ بأسطول حربي في كل محيط من المحيطات، على عكس الحال سابقا عندما كان أسطولها الحربي صغيرا، وكان يلزم تحركه بسرعة من محيط إلى محيط.

المرحلة الرابعة — الخروج من العزلة:

ولقد ظلت الولايات المتحدة الأمريكية لمدة قرن وربع بعد ظهورها كلمة على هامش المسرح السياسي العالمي، ذلك أنها كانت تعيش فترة نموها وتكوينها ومد حدودها إلى درجة العرض ٤٩ شمالا حتى نهر ريو جراند، ومن المحيط الأطلنطي إلى شقيقه الباسيفيكي، وكانت دولة سعيدة الحظ بما حبتها به الطبيعة من موقع جغرافي بين محيطين عالميين، قاما بمثابة درعا الأمان وحماية الدولة الناشئة، من اضطرابات العالم القديم، كذلك أفادت الولايات المتحدة الأمريكية شمالا وجنوبا من إنشغال جارتها الناشئتين بمشكلاتهما.

وكانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية أول الأمر، تنحصر في نصف الكرة الغربي، تاركة العالم يغلى في مشكلاته كما يقولون، فليس من شأن الولايات المتحدة أن تخرج بنفسها وسط هذه المشكلات، بل لقد عارض كثير من الأمريكيين سياسة ضم جزر هاواي وشراء ألاسكا وظل الأمريكيون يعتبرون أن السياسة الخارجية ليست من شئونهم لمدة طويلة بعد حرب الإستقلال، ويؤيد الشعب الأمريكي في هذا رجال السياسة أنفسهم، والسياسة التي إتبعها البارزون من قادتهم، فجورج واشنطن أعلن سياسة الحياد، وجيفرسون كان يشكر الطبيعة التي أدت إلى عزلة البلاد، والرئيس مونرو كان صاحب فكرة العالم الغربي للأمريكيين، وعدم تدخل العالم القديم في شئون العالم الجديد، وهكذا نتابع الرؤساء على البلاد محبذين إستراتيجية البعد عن العالم القديم . وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى، أعلن الرئيس ويلسن حياد الولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس عام ١٩١٤ أي بعد قيام الحرب العالمية الأولى نحو شهر، وأن يكون الأمريكيون على الحياد في أعمالهم وتفكيرهم حتى لا يقذف بأمريكا في حرب لا تمسها، ومع ذلك فكانت عواطف معظم السكان مع الحلفاء، وخاصة إنجلترا وفرنسا، بل لقد شعر كثير من السكان أن هناك دين على الولايات المتحدة الأمريكية لفرنسا لأنها ساعدتها في حرب الإستقلال، فكانوا يدعون في صلاتهم " رب لا تنكرنا إذا لم نذكر سيف لافيت المقدس " ولكن ألمانيا أجبرت الولايات المتحدة الأمريكية على دخول الحرب بسبب إغراقها للسفن الحاملة للأمريكيين، لأن ألمانيا قررت في عام ١٩١٧ تشديد الحصار على بريطانيا لمنع مؤن

تصل إليها ، فأعلنت الولايات المتحدة الحرب وأرسلت قوات أمريكية إلى فرنسا بلغت نحو المليونين وفي الثالث والعشرين من أكتوبر عام ١٩١٧، إنطلقت أول طلقة مدفع من القوات الأمريكية من أحد خنادق نانسي في فرنسا في الخطوط الألمانية، وفي هذه اللحظة يمكن القول بأنها دخلت باب السياسة العالمية، ولكن كما يقولون " غطست أصابع قدميها في المياه الباردة ثم جذبتة مرة أخرى ".

ولكن بعد إنتصار الحلفاء ، وإعادة توازن القوى عادت الولايات المتحدة الأمريكية إلى سياسة العزلة مرة أخرى حتى أنها لم تشترك في عضوية عصبة الأمم وظلت كذلك طيلة فترة ما بين الحربين (١٩١٨ - ١٩٣٨).

أدى تهديد ألمانيا لميزان القوى مرة أخرى إلى تعديل السياسة الأمريكية ولقد تحطم ميزان القوى في ١٩٤٠ بالغزو الألماني للنمرك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا، وكان الدور بعد ذلك على بريطانيا، لولا هتلر إرتكب خطأ محاولة تحطيم روسيا قبل بريطانيا . فأصبح واضحاً أن ألمانيا لو استطاعت غزو بريطانيا وإستولت على أسطولها لكان من الجائز والممكن أن توجه ضربة للولايات المتحدة الأمريكية من المحيط الأطلنطي.

كذلك بدأت الخطورة في ميدان المحيط الهادي، ذلك أن اليابان خالفت معاهدات واشنطن (عقب الحرب العالمية الأولى) فغزت منشوريا، وإنسحبت من معاهدة تحديد السلاح البحري عام ١٩٣٤. ثم غزت الصين نفسها عام ١٩٣٧، ولذلك بدأت الولايات المتحدة الأمريكية حرباً غير رسمية منذ ١٩٤١ عن طريق مد الصين بالمساعدات لتقف في وجه اليابان، وذلك خوفاً على الفلبين من ناحية، ولمساندة فرنسا في الهند الصينية، وبريطانيا في الملايو، وهولندا في جزر الهند الشرقية ثم دخلت الحرب رسمياً بعد ضرب اليابان لميناء بيرل هاربر **Pearl Harbour** في ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١.

على أنه من الخطأ الاعتقاد بأنه لم يكن للولايات المتحدة الأمريكية سياسة خارجية خلال فترة عدم التدخل، ولكن الأصح القول بأن الأمريكيين كانوا يعتبرون بأنه كلما بعدوا عن السياسة الدولية ، كلما كان هذا أفضل، كما كان السياسيون يعتقدون بأنه لابد من فاصل واضح بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، وكان التحول نحو السياسة الحالية وليد فترة قصيرة للغاية وقبل أن يستعد الأمريكيون نفسياً وعقلياً لتقبلها. من ثم لم تكن هناك فترة تحضير وإستعداد أمام الأمريكيين للتدريب على الدور الجديد ، بينما أخذت بريطانيا نحو قرن من التدريب على دورها العالمي، ولم تضطر الظروف الولايات المتحدة لأن تأخذ دوراً قيادياً في الشؤون العالمية فحسب، بل كان عليها أن تقود منظمات أو أحلاف دولية.

وبذلك خرجت إلى نطاق السياسة العالمية تشارك فيهم بسبب وافر، بل وبعد أن إنتهت هذه الحرب أصبحت الولايات المتحدة مرتبطة بمعاهدات دفاعية لأمريكا اللاتينية فحسب، بل مع دول عديدة من أوروبا وآسيا وأفريقيا.

الولايات المتحدة كقوة سياسية

العلاقات المكانية وأثرها:

كان لموقع الولايات المتحدة الأمريكية في العالم الجديد أثره في أن إنعزلت عن العالم فترة طويلة، واتخذت سياسة العزلة السياسية، والبعد عن مشاكل العالم القديم، منذ نشأتها كوحدة سياسية، حتى إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى كما رأينا.

وتشبه الإتحاد السوفيتي السابق في أنها تمتد في درجات عرضية كبيرة مما يؤدي إلى التنوع المناخي، وإن كان الاختلاف واضحاً أيضاً في أنها لا تمتد إلى الجهات القطبية إلا في طرفها الشمالي الغربي (الاسكا) فهي أكثر إمتداد نحو العروض الدفينة من الإتحاد السوفيتي (من ٤٩ شمالاً حتى مايقرب من مدار السرطان في فلوريدا).

وكان لهذا الموقع الجغرافي أيضاً أثره في أن أصبحت تطل على محيطين كبيرين ومن ثم كان لابد لها من علاقات مع الغرب أي مع الأصل، كما لابد ولها مع شرق آسيا، ذلك أن هذه المحيطات لم تعد حواجز وموانع بقدر ما أصبحت طرق إتصال ونقل، كذلك أدى موقعها وقوتها السياسية في هذا الجزء من العالم إلى إيجاد علاقات جوار مع دول أمريكا الجنوبية، هذه العلاقات التي درسناها وخرجنا منها أن الولايات المتحدة عينت نفسها حامياً لنصف الكرة الغربي بصفة عامة.

كذلك أدى موقعها البعيد هذا في عصور كشفها الأولى إلى أن من عمرها من المهاجرين الأوائل صنفين من الناس . إما مغامرين أشداء من نوى العزائم القوية التي تدفع أصحابها نحو المخاطرة والذهاب إلى المجهول، وأما هؤلاء الذين كانوا يبحثون عن أماكن جديدة تمنح حرية العبادة وحرية الرأي. ولذلك كان معظم المهاجرين أول الأمر صفوة منتخبة، لأنه كان عليهم أن يقطعوا شقة تبلغ نحو ٣ آلاف ميل بين العالمين القديم والجديد، وكانت الرحلات إلى العالم الجديد، مليئة بالمخاطر أو المغامرات ، ففي أحسن الظروف كانت السفن تقطع الرحلة ما بين جانبي الأطلنطي فيما يتراوح بين ستة وثمانية أسابيع، أما إذا جرفت الرياح السفينة عن مسارها المعتاد فلربما طالت الرحلة إلى ثلاثة شهور، ولم تكن هناك خطوط منتظمة، ولا تواريخ معينة لبحار السفن، كما لم تكن هناك تعريفة للسفر، أو حتى رعاية صحية للمسافرين، بل كان كل مسافر يتفق مع ربان السفينة على أمر الركوب، وقد يظل في الميناء هو وأسرته أسابيع، حتى تستعد السفينة للرحيل عندما تأتي الرياح بما تشتهي السفن ؛ وكانت وسائل الراحة في السفن محدودة، إذ كان الربان يحشر حشراً، ويعيش فيها طوال الرحلة السليم المعافى بجانب المريض، وكثيراً ما أوشكت المياه العذبة على النفاد، إذا ما طال الطريق بسبب عاصفة هوجاء، أو بسبب ضعف الرياح، وكان من الأمور المعتادة، أن يصاب نصف ركاب السفينة بالحصبة، والجدي، والدوسنتاريا.

ولقد كان لموقعها هذا أثره الكبير في تكوين هذه الدولة في عهد طفولتها، فلحسن حظها أنها وقعت بين أكبر محيطين في العالم، في وقت صعب فيه وسائل الإتصال وشقت، فمنح

الوليد فرصة أن ينمو ويشتد عوده في عزلة عن قلائل وإضطرابات العالم القديم، كما كانت هناك لحسن حظها دولتان في شغل عنها بمشاكلهما الداخلية، ومن ثم كان لها الحرية التامة والفرصة المواتية للنمو.

كان لسياسة الصداقة مع جيرانها شمالا وجنوبا ما جعل كل القارة تعيش تحت ظروف من الحرية، وبعيدا عن الضغط، كما كانت محظوظة أيضا لأن حدودها لا تشترك إلا مع دولتين فقط، على عكس كثير من دول القارة الأوروبية، وعلى طول الحدود الكندية (٣٩٨٧ ميلا) نجد أهدأ حدود سياسية في العالم، وتجد الولايات المتحدة في كندا عميلا هاما للصناعات الأمريكية تشتري منها كندا أكثر مما تشتري من دولة أخرى.

ولا تمثل كندا ولا المكسيك قوى منافسة للقوى الأمريكية، وكذلك الحال في بقية دول العالم الجديد لا متجمعة ولا منفردة، فتفرد الولايات المتحدة في نصف الكرة الغربي أمر معترف به في نصف الكرة الشرقي، وهذا التفرد وهذه السياسة ناتجة عن حجم الإنتاج الزراعي والمعدني والصناعي والنمو الحضاري الذي بلغه السكان، فكل من كندا والبرازيل في العالم الجديد دولة ذات مساحة كبيرة، ولكن المناخ في كلاهما وقلة المساحات الصالحة للإنتاج الزراعي، وقلة السكان لم يتيح لأي منهما أن تبلغ منزلة الولايات المتحدة الأمريكية. أما بقية أمريكا اللاتينية، فهي مقسمة إلى وحدات سياسية أصغر من الولايات المتحدة، بحيث لا يمكن لهذه الوحدات أن تبلغ قوتها.

الحدود السياسية:

من المعروف أن حدود الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر من أهدأ الحدود الدولية في العالم، ومع ذلك فحدودها لم يتم تسويتها إلا بعد ١٧ معاهدة وإتفاق بين عامي ١٨٧٢، ١٩٢٥، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، وقامت عدة لجان دولية لفض النزاعات الناتجة عن تفسير الإتفاقات حتى سوى النزاع، ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تجاور سوى دولتين، فإن أطوال حدودها (باستثناء ألاسكا) تبلغ ٩٥٠٠ ميل، منها ٤٠٠٠ ميل مع كندا، والباقي مع المكسيك، وتتبع نصف الحدود مع كندا المسطحات المائية بما فيها نهر سنت لورنس والبحيرات العظمى، بحيرة وودز وغيرها. ويتجه نحو الشمال الغربي بعد بحيرة سوبريور إلى الركن الشمالي الغربي من بحيرة وودز، ومن هنا نجد أكثر الحدود الشمالية للولايات المتحدة بعدا نحو الشمال، ومن هنا تتجه نحو الجنوب لمسافة ٢٥ ميلا حتى تقابل دائرة العرض ٤٩ شمالا، ثم تتبع الحدود هذا الخط لمسافة ١٣٠٠ ميل حتى تصل إلى المحيط الهادي، وقد سوى النزاع على الحدود في ولاية أوريجون بين بريطانيا والولايات المتحدة عام ١٨٤٦، بعد أن كانت الولايات المتحدة تطالب بإتخاذ دائرة العرض ٥٤،٤٠ **Fifty Four Forty or Fight** أو الحرب كحد بين الممتلكات البريطانية والأمريكية من جبال الروكي حتى ساحل الباسفيك، وإتفقا على أن يدفع الحد السياسي دائرة العرض شمالا في هذه المنطقة. والواقع أن معظم الخلافات التي نشبت كانت نتيجة الخلاف الكبير بين الإتفاقيات النظرية على الخريطة وبين التطبيق الفعلي في الميدان، وقد أوضح تخطيط الحدود بين كندا والولايات المتحدة كأمثلة عديدة

لصعوبات تطبيق الإتفاقيات النظرية القائمة على الجهل الكبير بالأرض، فقد كان من الصعب العثور على المجارى النهرية، أو خطوط تقسيم المياه أو المرتفعات التي تشير إليها الإتفاقيات.

ويبدأ خط الحدود مع المكسيك من خليج المكسيك متبعا نهر ريو جراند لمسافة ١٢١٠ ميل حتى بلدة الباسو *El Paso* ، ثم يأخذ بعد ذلك أشكال خطوط مستقيمة حتى المحيط الهادي، بإستثناء ٢٦ ميلا يعتبر خلالهما نهر الكلورادو، هو الحد بين الدولتين.

وتعتبر الحدود مع الدولتين فريدة في نوعها، ذلك أنها غير محصنة على الإطلاق من ناحية، وسهلة العبور من ناحية أخرى. ولا يطلب من العابرين جوازات سفر ، من ثم يعبرها الملايين كل عام سواء كسائحين، أو زائرين مؤقتين، وإن كانت هناك بعض القيود على عدد العمال المؤقتين الذين يهاجرون سنويا إلى الولايات المتحدة من المكسيك . وتؤلف لجنة للحدود من كل من الدولتين على كل جانب لها صلاحيات كاملة في كل ما يتعلق بالحدود، كالتفتيش وإصلاح علامات الحدود، والحسم في أية منازعات خاصة بالحدود، فضلا عن أنه يدخل في مهمة اللجنة الأمريكية المكسيكية أيضا مشكلات إستغلال مياه الأنهار، كما تقوم لجنة مشتركة على الحدود الكندية لحسم أي خلاف حول إستغلال المسطحات المائية المشتركة، كإستغلال شلالات نياجرا، والملاحة في سنت لورنس وغيرها.

هذا وقد خلق تقسيم مياه ريو جراند والكلورادو العديد من المشكلات بين الولايات المتحدة والمكسيك، وتستفيد الولايات المتحدة بنحو ٨٠ % من مياه ريو جراند الخاصة بالري ، رغم أن أكثر من ٥٠ % من مياه النهر تأتي من روافد مكسيكية وعلى العكس نجد أن كل مياه الكلورادو تأتي من الولايات المتحدة ، ومع ذلك تعتمد المكسيك على هذا النهر في ري القسم الأدنى منه. من ثم تعديل الإتفاقيات الخاصة بإستفادة كل فريق من النهر بين الحين والحين.

ولازالت هناك مشكلتان على الحدود مع المكسيك: منها مشكلة تغير نهر ريو جراند لمجرأه لأنه بعد بلدة الباسو يدخل سهلا فيضيا ، فتكثر التواءاته وتغيره لمجرأه الأصلي، بحيث يمكن لمنطقة مكسيكية أن تصبح في الولايات المتحدة والعكس، من ثم بدأ برنامج مشترك منذ عام ١٩٣٤ للحد من الفيضانات وتقويم المجرى، وأتخذ أعرق جزء من المجرى كحد سياسي بين الدولتين.

والمشكلة الثانية هي مشكلة المتسللين إلى الولايات المتحدة والذين يطلق عليهم *Wetbacks* (نظرا لأن كثير منهم يحاول التسلل بسباحة نهر ريو جراند) ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية تتعاقد كل عام على عدد من العمال الزراعيين مع المكسيك، ونظرا لإرتفاع الأجور في الولايات المتحدة، فإن عمليات التسلل قائمة مهما إشتدت الرقابة على الحدود، بل ويتم أيضا التهريب والتجارة في المخدرات، ونتيجة لهذا يتم تسلل مئات الآلاف سنويا، ويتلقفهم أصحاب الأعمال في ميادين الزراعة والمناجم والبناء، وكثيرا

مايتغاضون عن الإقامة في سبيل تشغيلهم بأجور زهيدة للغاية، ويضطرون بدورهم للعمل والمعيشة في ظروف قاسية، في أكواخ من الصفيح خارج المدن، أو في مراب تصليح السيارات، ويبلغ ذوو الأصول المكسيكية نحو ١٠ % من سكان الولايات المتحدة الأمريكية، ويتركزون في ولايات تكساس ولهم أحياء خاصة بهم في كثير من مدن الشمال، كما في شيكاغو، ودينفر.

مساحة الولايات المتحدة وأثرها:

تمتد الولايات المتحدة في مساحة ضخمة تزيد على ثلاثة ملايين من الأميال المربعة، وبذلك يختلف المناخ فيها اختلافا بينا، بين الأجزاء المدارية في الجنوب حيث الصيف الحار، والشتاء الدافئ، إلى الشتاء البارد في الشمال، ومن الجهات ذات المطر الذي يهطل طول العام، إلى تلك ذات المطر الصيفي أو الشتوي إلى حالات الجفاف التام.

وكان لإمتداد الولايات المتحدة مطلة على المحيطين إلى جانب خليج المكسيك أثره في أن أصبحت سواحلها الغربية منخفضة الحرارة، كثيرة الضباب، بسبب تأثير تيار كاليفورنيا البارد نوعا، بينما السواحل الشرقية تتعرض لتأثير تيار الخليج الدافئ، والطريف في الأمر أن هذا التيار تكون الولايات المتحدة الشرقية أحوج إليه في الشتاء عن الصيف، ولكن الطبيعة تعمل على عكس هذه الرغبة، ذلك أن الرياح تخرج من القارة في فصل الشتاء فتدفعه بعيدا عن سواحلها، بينما في فصل الصيف تأتي الرياح من المحيط، فتدفعه قرب الساحل فترتفع حرارة السواحل الشرقية وتكثف رطوبتها، إذا ما كانت شديدة ترتب على هبوبها جعل المناخ في الصيف حارا رطبا غير محتمل.

أما على سواحل خليج المكسيك حيث يجري تيار الخليج فتكثف الرطوبة، وهذا يفسر غزارة الأمطار هناك، وكثيرا ما يترتب على دفء مياه خليج المكسيك ورطوبته تكوين منطقة ضغط منخفض نسبيا فوقه، فتجذب موجات باردة من شمال ووسط القارة في فصل الشتاء.

وليس من شك أن الإمتداد الكبير أدى إلى هذا التنوع في موارد ثروتها الزراعية والمعدنية.

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي رابع دولة في العالم من حيث المساحة فهي تقرب من خمس الإتحاد السوفييتي السابق، ولكنها أصغر قليلا من كندا والصين والبرازيل، ورغم هذا فمن ناحية إستخدام الأرض نجد أن الولايات المتحدة تتفوق على الأربع دول السالفة، فمساحة الأرض المزروعة تقرب من نظيرتها في الإتحاد السوفييتي، ورغم فارق المساحات فضلا عن أن الغابات تغطي ثلث مساحتها، ورغم صغر هذه المساحة بالنسبة للدول الأربع الأخرى، فإنها تتميز بجودة أخشابها وبسهولة إستغلالها، كما وهبتها الطبيعة ثروة رعوية وثروة معدنية، كما تمتد جبهاتها البحرية مسافة ٥٠٠٠ ميل، وكلها ذات موانئ طبيعية، ورغم أن الجبهات البحرية للإتحاد السوفييتي أطول بكثير، فإنها لا تقارن بالجبهات البحرية للولايات المتحدة من حيث سهولة إستخدامها، كذلك تتميز

الولايات المتحدة كالإتحاد السوفييتي بظاهرة الدفاع في العمق، إن كان هناك عمق في العصر النووي !

أما من ناحية الشكل فهي كتلة واحدة متماسكة، ومع هذا فقد وقعت الظروف الطبيعية أحيانا أمام تماسك الدولة ووحدتها ، فقد حدد الشمال الغربي في شبه عزلة عن نواة الدولة في الشرق، وصعوبة الإتصال البرى والبحري بها، فالطريق إليه يتضمن رحلة بحرية طويلة، إلى مضيق بنما، ثم طريق برى خلال أدغال بنما الموبوءة بالمalaria إلى الجانب الآخر، ثم رحلة بحرية مرة أخرى إليه. وفي الحق لو لم تكن هناك شبكة المواصلات الممتازة التي تتمتع بها الولايات المتحدة لأختلفت مصالح السكان، وثقافتهم بل ولهجاتهم. ولقد ظهرت البواخر النهرية والسكك الحديدية والبرق في الوقت المناسب لمنع التفكك السياسي، بل لقد تم تعمير أجزاء كثيرة من الغرب بفضل هذه المواصلات الحديثة. ومدت الدولة شبكة من هذه الطرق المختلفة تعتبر نموذجا للمواصلات التي تربط بين الأقاليم المتباعدة، وتوحد بين أجزاء الدولة.

المظاهر الطبيعية وأثرها:

تنقسم الولايات المتحدة إلى أربعة أقسام رئيسية هي:

- ١ - السهول الساحلية والهضاب المتصلة بها تقع بين الساحل والأبلاش.
- ٢ - جبال الأبلاش.
- ٣ - السهول الوسطى والهضاب المتصلة بها في الوسط.
- ٤ - مجموعة الجبال الغربية والأحواض التي بينها وتشمل جبال روكي، وسيرانيفادا، والكاسكيد.

كان للسهول الساحلية وورائها جبال الأبلاش مباشرة، أثره في أن الهجرات الأولى، بدأت في تعميرها للقارة تنتشر في إستطالة من الشمال إلى الجنوب على طول هذه السهول، وكانت الأبلاش تمثل التخوم بالنسبة لهذه السواحل، وبذلك أصبحت هذه المنطقة هي النواة التي ترعرعت وكبرت، وفي النهاية كُونت إتحاد الولايات، ذلك أن الأبلاش كانت حاجزا تضاريسيا عظيما، يتميز بوعرة السطح، كما كانت تغطي الغابات، وبذلك إكتظت نقاط الإستيطان والسكنى، وتقاربت بعضها من بعض وكان لابد من أن تتعاون وتعظم صلات الإتحاد، ثم حين بدأت الهجرات نحو الداخل نجد أنها إتخذت من المسالك والدروب في هذه الجبال طرقا لها، وكثيرا ما كانت تتفق وأودية الأنهار، كما إنتفعوا لأقصى حد ممكن من الممرات والفتحات التي تصل بين التضاريس المتباينة من جهة إلى أخرى. بل أن الباحث في التوزيع الجغرافي لطرق المواصلات الحديثة يسترعى نظره أن السكك الحديدية تكاد تتبع نفس الدروب والمسالك القديمة.

وكان لعدم تجمد أنهار الولايات المتحدة وصلاحياتها في معظم أجزائها للملاحة أثره في أنها لعبت دورا هاما كوسائل النقل في المراحل الأولى من الإستعمار ففي الجهات

الساحلية الشرقية ما يقرب من ١٤٨ نهر كثيرا ما تنتهي بمصببات خليجية تتأثر بموجات المد والجزر حتى أن نهر هدرسن تؤثر في مجراه أدنى موجة المد والجزر لمسافة ١٥٠ ميلا من مصبه ، وكذلك فتحة **Cheaspeake** التي تتوغل في الداخل مخترقة سهول فرجينيا وماري لاند.

ولعب المسيسيبي والأوهيو دورا كبيرا في استقرار السكان وتعمير المنطقة الوسطى ، ذلك أنه على طول إمتداد مجارى النهرين، إمتدت نقط الإستقرار، ومن أشهر هذه النقاط سنسناتى، ولويس فيل. وإذا كانت السكك الحديدية قد إجذبت كثيرا من تجارة الولايات المتحدة، فإن الأوهيو مازال الوسيلة الأساسية للنقل الثقيل إلى جانب أن القطن والأخشاب والحبوب والسكر أهم شاحنات المسيسيبي.

وكان لوجود البحيرات في الشمال أثره في تسهيل الملاحة، والنقل ، وتنشيط إستغلال الثروة المعدنية، بين معادن الأبلاش من ناحية، وخاصة الفحم، وبين مناجم الحديد غرب بحيرة سوپريور من ناحية أخرى، وخاصة بعد شق القنوات في مناطق الشلالات كقناة إيرى **Erie** التي تصل هذه البحيرة بنهر هدرسن (لقادى شلالات نياجرا) كذلك وصل بحيرة ميتشجن بالمسيبي، ووصل الروافد بعضها ببعض، حتى أنه تم حفر مايقرب من ٤٦٠٠ ميل من القنوات معظمها في السهول الوسطى، وساعد على ذلك سهولة السطح، وإن كان أكثر من نصفها معطل عن العمل بسبب منافسة السكك الحديدية.

الولايات المتحدة الأمريكية دولة قارية بحرية:

الولايات المتحدة الأمريكية إذن دولة قارية بحرية ، وليس لأدل على بحريتها من أسطولها التجاري يأتي في المرتبة الثانية، ولا يتفوق عليه سوى الأسطول البريطاني ويتلوه الأسطول النرويجي، كذلك لها أسطول صيد كبير يعد من أكبر أساطيل الصيد. كما تبلغ جبهاتها البحرية ما يقرب من الخمسة آلاف ميل تتبعثر عليها الموانئ المفتوحة طول العام. من ثم تتفوق في هذا المجال على الإتحاد السوفيتي، أو كندا ذات الجبهات البحرية الأكثر طولاً والأقل إستعمالاً.

الولايات المتحدة دولة قارية أيضا، فموقعها في وسط أمريكا الشمالية وتغطي بذلك أكثر من ثلث مساحة القارة، ولعل ما يوضح هذه القارية أيضا أن معظم مجهودات التنمية هي تنمية اليابس ويتضح هذا في الإنتاج الزراعي الضخم، ومد شبكة الخطوط الحديدية البرية، والقنوات، وإستغلال المناجم، والغابات ، وتربية ملايين الرؤوس من الحيوانات، فضلا عن تنوع الإنتاج الصناعي، ورغم أن أكبر مدن الولايات المتحدة هي مواني بحرية فهي تقوم بمهمتين معا: كميناء ، وفي نفس الوقت كمركز صناعي.

وقد أدى إتساع مساحة يابس الولايات المتحدة إلى إمكان تقسيمها إلى أكثر من قسم، رغم شبكات النقل البرى الواسعة، وشبكات النقل الجوى، والهاتف، والبرق الذي يربط أنحاء البلاد، فالجزء الواقع إلى الشرق من الروكى يتجه نحو الشرق إلى أوروبا، أما الجزء الباسفيكى أي ولايات واشنطن، وأوريجون، وكاليفورنيا ، فتتجه نحو الغرب

والشمال الغربي، أي آسيا، وهاواي، والاسكا، فهؤلاء الذين يعيشون في الغرب يشعرون بشيء من الانفصام عن المشكلات الأوربية، وفي نفس الوقت يرتبطون بمشكلات وأحداث المحيط الهادي، وإن كان أهل الشرق أكثر إتساعاً في أفقهم ونظرتهم لوجود العاصمة السياسية لديهم.

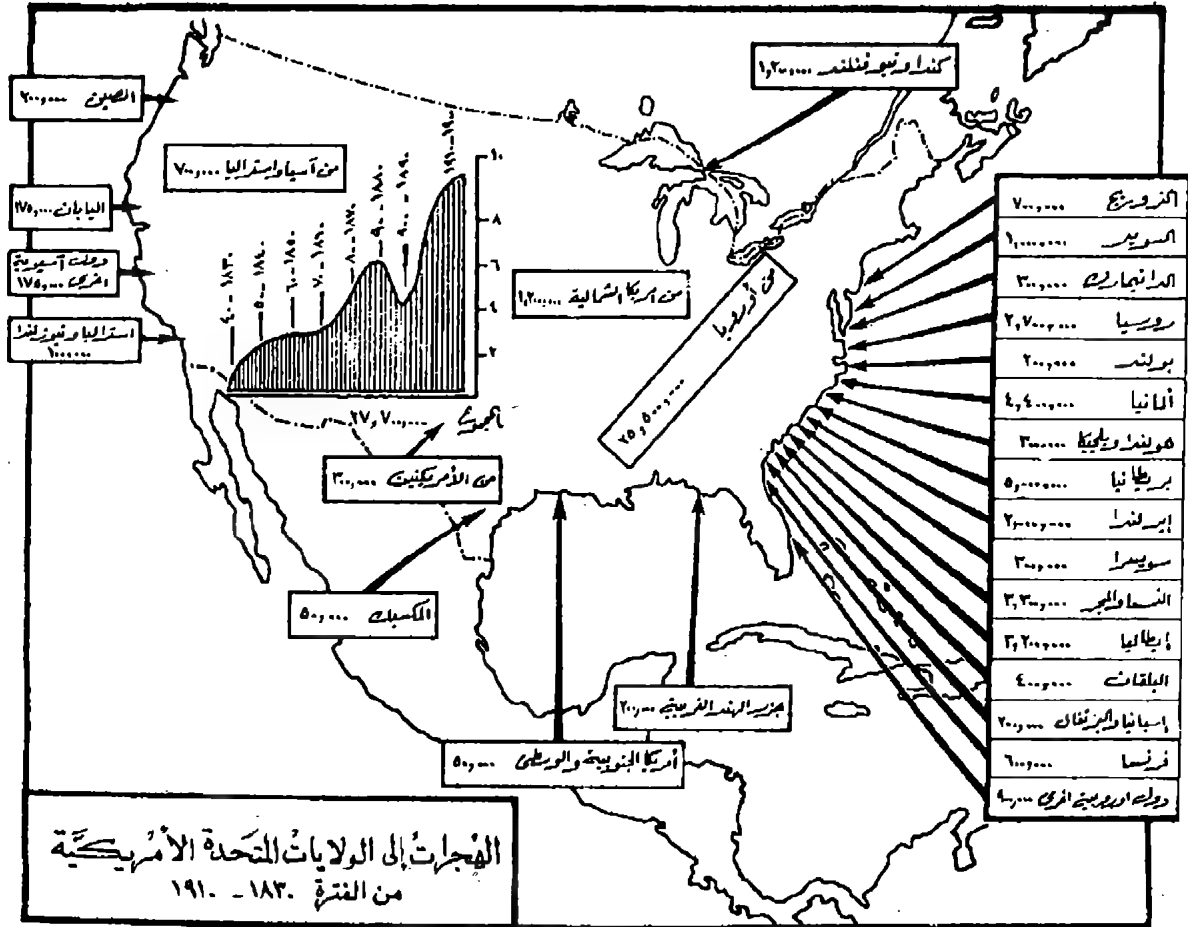
كذلك نجد أن المناطق الشرقية والباسيفيكية يغلب عليها الحضرية، كما أنها بحرية، ومن ثم كانت نظرة سكانها دولية عالية **Cosmopolitan** وعلى عكس القسم البحري البحري نجد القسم القاري وهو الغرب الأوسط **Mid. West** أو المزرعة القارية **Continental Farm** التي تشمل المونتعات الشرقية والغربية والسهول الداخلية، فهناك أنصار سياسة العزلة، وحيث تتغلب المصالح القومية المحلية على المصالح الدولية في الإهتمام. وهنا أكثر قطاعات الدولة محافظة، ويمكن أن تضم هؤلاء المحافظين سكان الجنوب فهم ورثة أصحاب مزارع الرقيق ويطلق على نطاق الغرب الأوسط، نطاق الإنجيل.

ويمكن القول بأن إهتمام المواطن الأمريكي بالعالم الخارجي قليل بوجه عام، وقد أجرى بحث خاص بكيفية تلقي الأمريكيين للأنباء الخارجية، ومدى أهتمامهم بها، ونتيجة هذا البحث هي أن القارئ الذي ينفق في قراءة صحيفته اليومية ثماني عشرة دقيقة في اليوم، يخصص من هذه المدة دقيقتين للأنباء الخارجية، بينما الإهتمام مقصور إلى حد كبير جداً على البيئة المحلية، أو الولاية التي يعيش فيها، وإذا حللت المادة الصحفية في صحف الولايات، وجدت تسعة أعشارها عن الولاية ذاتها من تجارة مشروعات وسياسة وتعليم وزواج ووفيات.

سكان الولايات المتحدة:

يمثل سكان الولايات المتحدة مظهراً رئيسياً من مظاهر طاقتها السياسية، فرغم أن الولايات المتحدة تضم نحو ٦% من مساحة اليابس إلا أنها تضم نحو ٥٠% من سكان العالم (٢٦٠ مليون) ولا يرجع نمو سكان الولايات المتحدة من نحو ٣ ملايين نسمة عند الإستقلال إلى ٢٦٠ مليون نسمة في عام ١٩٩٥ إلى عامل الزيادة الطبيعية وحدها، بل إلى عامل الهجرة وتعمير الولايات المتحدة من الخارج، وخاصة من أوروبا، ويقدر عدد المهاجرين إليها بنحو ٣٣ مليون نسمة في الفترة من ١٨٦٠ إلى ١٩٢٤، فقد كانت البلاد في حاجة إلى هذه الهجرات لإستثمار ثرواتها، غير أن إنتشار البطالة عقب الحرب العالمية الأولى، أدى إلى تحديد الدولة للمهاجرين بمقتضى قانون ١٩٢١ بحيث حددت الهجرة من أوروبا وجهات أخرى بمقدار ٣% من عدد سكان كل جنسية حسب إحصاء عام ١٩١٠. وحددت حصص الدول الآسيوية بأعداد معينة، بينما ترك باب الهجرة مفتوحاً أمام دول أمريكا اللاتينية، وخفضت الحصص مرة أخرى عام ١٩٢٤ من ٣% إلى ٢%، لم يدخل الولايات المتحدة الأمريكية سوى ١,٣٢١,٠٠٠ نسمة بين عامي ١٩٢٤، ١٩٤٦ وهذا ما يعادل عدد المهاجرين في عام واحد قبل الحرب العالمية الأولى،

وقد إنخفضت الهجرة الآن إلى ما يقرب من ٢/١ إلى مليون نسمة سنوياً، وإن كانت هناك حالات خاصة تسمح فيها بالهجرة فوق الحصص المعتادة. كالمهاجرين من المجر عقب حوادث ١٩٥٦، والذين هاجروا من الصين الشيوعية، والمهاجرين من كوبا عام ١٩٨٠ (وكان نصيب القارات المختلفة في الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في العقد السادس من هذا القرن كما يلي: الأمريكتان ٥٢%، أوروبا ٣٤%، آسيا ١٣%، أفريقيا ١%، أستراليا ٠,٥%).



ويتمتع هؤلاء السكان بأعلى المستويات المعيشية، ويعتبرون في مقدمة الشعوب التي تنخفض فيها نسبة الأمية، وقد ظهر من الاتجاهات الاقتصادية العامة لعدة سنوات أن الولايات المتحدة الأمريكية قد بلغت من الرفاهية والوفرة مستوى لم تحلم به دولة صناعية.

وكانت الزيادة في التنمية الاقتصادية أسرع بكثير من زيادة السكان وذلك أن الإنتاج الإقتصادي ازداد منذ ١٩٠٠ حتى عام ١٩٦٠ نحو ٢٥ مرة، بينما تضاعف عدد السكان فقط خلال تلك الفترة، وفي الوقت الحاضر تنتج الولايات المتحدة وتستهلك نحو ثلث السلع والخدمات العالمية ويقف وراء هذا الإنتاج، العمل الأمريكي بفضل استعمال الآلات، فقد

بلغ معدل الزيادة في الإنتاج نحو ٢٦% خلال العقد الأخير وقابل هذه الزيادة إنخفاض ساعات العمل لدى الفرد، وقد ظلت إنتاجية العامل الأمريكي في العالم لا تعادلها سوى إنتاجية العامل الألماني، حتى تفوقت أخيراً ارتفاع إنتاجية العامل الياباني.

على أننا يجب أن نشير هنا إلى مظهرين للسكان لهما علاقة قوية بالجغرافية السياسية للولايات المتحدة الأمريكية وهما:

أولاً : تدهور العائلة الأمريكية، وهذا يؤدي بدوره إلى نقص الزيادة السكانية العامة للبلاد، فقد بلغ معدل المواليد ١٥ في الألف ومعدل الوفيات ٨,٥ في الألف عام ١٩٧٨، أي أن الزيادة الطبيعية كانت ٦,٥ في الألف في العام المذكور.

ثانياً : الزيادة في متوسط الأعمار ، فإذا كان عدد سكان الدولة قد تضاعف منذ عام ١٩٠٠، فإن عدد الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥، ٦٤ عاما قد زادوا بمعدل ثلاث مرات، بينما عدد الذين بلغوا ٧٥ عاما فما فوق قد زادوا أربع مرات.

وعلى العموم لقد أصبحت الولايات المتحدة تدخل ضمن مجموعة الدول ذات المعدلات القليلة الخصوبة والقليلة الوفيات، وطبقاً لمسح الأمم المتحدة من المحتمل أن يزداد إنخفاض معدل الزيادة الطبيعية في الربع الأخير من القرن العشرين عنه خلال النصف الأول من ذلك القرن، ولعله من المفيد هنا ألا ننسى كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية قد إزدادت خلال النصف الأول من هذا القرن بنسبة أعلى من أي دولة أخرى، ولعل المقارنة التالية توضح لنا هذا القول فقد إزدادت الولايات المتحدة الأمريكية خلال الخمس عقود الأولى من هذا القرن بنسبة ١٠٠% بينما إزداد الإتحاد السوفييتي بنسبة ٩٣% والعالم بنسبة ٥٥% وآسيا (باستثناء الإتحاد السوفييتي) ٤٩% وأوروبا (باستثناء الإتحاد السوفييتي) ٣١%.

وقد تغير نمط السكان في الولايات المتحدة من وجوه أخرى: منها إنخفاض المواليد الأجانب، وهذا يعكس إنخفاض عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة، والذين أضافوا الكثير إلى سكان البلاد فيما مضى، ولكن عوض قلة الهجرة الخارجية تحسن صحة الأمريكيين، فقد إنخفضت وفيات الأطفال (الأقل من عام) من ١٦٢ لكل ألف مولود عام ١٩٠٠ إلى ١٤ في الألف في الوقت الحاضر، وإرتفع متوسط الأعمار بمقدار ٢٠ عاما منذ أوائل هذا القرن حيث أصبح ٨١ عاما للنساء، ٦٧ عاما للرجال.

وتختلف نسبة الزيادة السكانية في أنحاء الولايات المتحدة، وإن كان الواضح أنها تميل إلى الإرتفاع نحو الغرب، فقد إزداد سكان الساحل الباسفيكي بمعدل ٤٩% في الفترة من ١٩٤٠ إلى عام ١٩٦٠ ، بينما إزداد سكان ولايات الروكي بنحو ١٩% وإن كان هذا الإقليم الأخير يعتبر من أكتف أقاليم نصف الكرة الغربي، وكانت أقل زيادة في السهول الوسطى ونيوإنجلند تتراوح بين ٤% في القسم الشمالي من السهول الوسطى إلى ١١% من نيوإنجلند والقسم الجنوبي من السهول.

وكانت هناك هجرة خلال النصف قرن الماضي من الريف إلى المدن، ففي عام ١٩٢٠

كان ٥٠% من الشعب الأمريكي من سكان الريف، وإنعكست الآية عام ١٩٧٠ حينما سجلت الأرقام ٧٩% من الأمريكيين من سكان المدن، وكان تدفق الهجرات نحو المدن بصورة كبيرة منذ الحرب العالمية الأولى، وإن صاحبها هجرة إلى ضواحي المدن مما أدى بالتالي إلى بعض تفكيك للصناعة، ورغم أن أكبر مدن الولايات المتحدة هي مواني ساحلية أو بحيرية (مع قيامها بوظيفة مزدوجة كميناء ومركز صناعي) فإن مراكز المدينة متناثرة على طول البلاد، ففيها عشرة مدن يزيد تعدادها على مليون نسمة، من بوسطن التي تقترب من هذا الرقم إلى نيويورك التي يبلغ سكانها نحو ١٠ ملايين نسمة، كما سجل إحصاء ١٩٩٥، ١٨٠ مركزا حضريا يزيد سكان كل منها على ١٠٠ ألف نسمة، وهي إما مراكز صناعية أو مراكز تجارية.

البناء الاجتماعي لسكان الولايات المتحدة الأمريكية:

يمثل سكان الولايات المتحدة الأمريكية خليطا من الجماعات المتعددة ولم يبق من سكانها الأصليين وهم الهنود الحمر سوى ٣٥٠ ألف نسمة، ومع ذلك فأهم ما يميز الشعب الأمريكي أنه مجتمع مركب أو متعدد الأصول، وما زالت هذه الصفة هي الغالبة عليه، ولا يقتصر الأمر على أنه يتألف من البيض والسود، والملونين، والحساسية والصراع الذي يقوم بين هذه الفئات، بل يتعداه أيضا إلى البيض أنفسهم، وإذا كان لا يظهر هناك صراع بين فئات البيض، فرغم ذلك هناك إحساس بالعرقية بينهم، بحيث يمكن القول بأن هناك شعب أمريكي، مجتمع أمريكي ولكن ليس هناك أمة أمريكية.

فليس بين "الأمم" الأمريكية واحدة تستطيع الإدعاء أنها "الأصل" سوى من يسمون الآن الهنود الحمر، وهم ليسوا فقط الأقل عددا وأشد فقرا، إنما هم أيضا الوحيدون الذين يعيشون في "معازل" والمستثنون من الحياة الوطنية العامة دون أي حق في المشاركة.

وليس بين "الأمم" الأمريكية واحدة تستطيع الإدعاء بغلبة عددية، فالبيض الذين يمثلون نحو ٨٠% يقسمون إلى أصول عدة، فأكثر هذه الأمم عددا هم ذوو الأصول البريطانية الذين يقدر أنهم يشكلون ١٤% من السكان، وهي نسبة قريبة جدا من "الأمة" التالية، ذوى الأصول الألمانية (١٣%) يليهم الأفارقة أو يوازونهم (١٢%) و (١٣%).

العناصر البيضاء:

تحرك المهاجرون البيض إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أقطار مختلفة يتكلمون لغات مختلفة، ويعبدون الله بطرق متباينة، ويتذكرون أوطان عديدة، رحلوا إلى أمريكا لأسباب عديدة، ولكن المهاجرين إشتروا في شئ واحد وهو أنهم غرباء في أرض غريبة.

وكانت أسباب هجرة هذه الأعداد الضخمة، وتركهم مواطنهم الأصلية، وأسرههم، متعددة، فقد هاجر الأيرلنديون في معظمهم بسبب المجاعة الناتجة عن غزارة الأمطار وغرق محصول البطاطس في أربعينيات القرن التاسع عشر، ولم يكن سهلا الوصول

بالآغاثة لهؤلاء الذين كانوا يتضورون جوعاً حتى هلكت أعداد كبيرة منهم، وهرب بعضهم إلى بريطانيا بحثاً عن فرصة عمل، ولكن غالبية الذين فشلوا في الحصول على ذلك العمل، تجمعوا في الموانئ وأبحروا على ظهر المحيط الأطلنطي إلى الأرض الجديدة، وعندما هبطوا في بوسطن ونيويورك، كان همهم الأول الحصول على أود الحياة، ووصل بعضهم مريضاً مجهداً من الرحلة الطويلة والغذاء غير المناسب، ومن ثم إنتشرت بينهم الأمراض، ولكن بمجرد خروجهم من الحجر الصحي، كان عليهم إما العمل أو الهلاك.

وخرج الأيرلنديون للعمل بأجور تكاد تسد الرمق، ولما كانت بوسطن ونيويورك ليست لديها طاقة لمنح كل هؤلاء فرصاً للعمل فقد إنتشروا في ولاية نيويورك، تعمل الإناث في الخدمة المنزلية، ويشترك الرجال والصبية في جماعات العمل لمد الخطوط الحديدية، والطرق. وإينما حلوا إنخفضت الأجور، وأثاروا إستياء الذين إستقروا قبلهم، ومن ثم أخذ الأيرلنديون يتقاربون كجماعة قومية، فضلاً عن أنهم لم يقطعوا أنفسهم تماماً عن موطنهم الأصلي إيرلند، بل ظلوا يحتفظون معه بصلات، فمنهم من ترك أخوة وأباء، بل زوجات يتضورون جوعاً، من ثم كان هم المهاجرين الأوائل بمجرد الحصول على مأكلى وماوى، إرسال الإعانات لذويهم، ثم أخذ الشباب والشباب يكررون ما فعله ذويهم بالهجرة إلى العالم الجديد.

وبينما كان الأيرلنديون يستقرون في مدن شرقي الولايات المتحدة، تدفق المهاجرون الألمان أيضاً، وكان معظمهم من المزارعين في حوض الراين الذين تلف محصولهم من البطاطس تماماً كما حدث لدى الأيرلنديين، ولكن منهم من لم يكونوا على وفاق مع السلطة من المثقفين ومحرري الصحف. وهكذا لم يكن المهاجرون الألمان على نفس درجة عزز الأيرلنديين، بل منهم من كان لديه بعض المال ولو القليل، والبعض الآخر كان قادراً على اصطحاب عائلته منذ البداية، ودفع أجور السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بل والتحرك في داخلها نحو الغرب، بل أن البعض كان قادراً على شراء مزرعة من أول الأمر، أما هؤلاء الذين لم يكونوا من أصل ريفي، فقد إتجهوا إلى شيكاغو، وسنسناتى، وسان لويس، والذين كانوا يعملون بالصحافة إستقروا في وسط الجماعات الألمانية يحررون الصحف، وينشرون الكتب باللغة الألمانية، وأدى هذا إلى ظهور المجموعة الألمانية مميزة عن بقية الأمريكيين بواسطة الحاجز اللغوي، وكان هذا حتى الذين إستوطنوا الريف بسبب كفاءتهم الذاتية، وكانت الصحف التي تصدر بالألمانية تأتيهم بأخبار جاليتهم في المهجر، فضلاً عن الموطن الأصلي، ويرسلون أطفالهم إلى المدارس الألمانية حينما لا تكون المزارع في حاجة إليهم.

وكون الإسكندنافيون الذين وصلوا مانيسوتا وداكوتا في ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر جماعات مشابهة، فقد تركوا مواطنهم الأصلية لعدم وجود أراضى زراعية كافية على طول الفيوردات الشديدة الإنحدار في النرويج، أو الغابات المخروطية في السويد، وفنلند، ووجد الشباب الذين وصلوا بمفردهم عملاً ينتظرهم كخطابين في ولاية

ويسكونسن، ومنهم من أرسل في طلب زوجته، ومنهم من تزوج من بنات المهاجرين، وبينما استقرت بعض العائلات في الأراضي التي ظهرت من الغابات، وانتقل البعض الآخر إلى السهول العظمى يزرعون القمح ويتحملون تطرف المناخ، بين البرودة القارسة، والحر اللافتح، والعواصف الترابية، والجفاف، والآفات، والحشرات التي تصيب النباتات، وأقاموا كنائسهم، ومدارسهم واحتفظوا بالسنتهم وعاداتهم لأجيال متعاقبة.

ظهر الإيطاليون بأعداد كبيرة في تسعينيات القرن التاسع عشر في مدن الإقليم الشرقي، إذ يعمل المزارعون في جنوب إيطاليا لمدة ستة شهور من العام فقط، وعندما نافست السفن التجارية السفن الشراعية في نقل المهاجرين وانخفضت أجور النقل، وجد الكثير منهم أنه يمكن العمل في العالم الجديد السنة أشهر الأخرى، فمنهم من إتحه إلى البرازيل وأرجنتين، ولكن منهم أيضا من إتحه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعملوا في مصانعها. ولكن غالبيتهم استقرت واتخذت من الولايات المتحدة الأمريكية موطنًا، بدلا من الذهاب والإياب وأرسلوا في طلب أهليهم. وتوقعات العائلات الإيطالية خلف الحاجز اللغوي أيضا، ولكنهم وجدوا أن معرفة الإنجليزية يتيح لهم فرصا أفضل فبدأوا يعملون نهارا ويدرسون ليلا وخاصة الأولاد الذين كانت أمامهم الفرص سانحة للإلتحاق بالمدارس، والذين شاركهم فيها أيضا أبناء البولنديين، والسلاف والروس، واليهود في الفترة بين ١٨٩٠ و ١٩١٠.

أقليات ذات وضع خاص

اليهود الأمريكيون:

من الأقليات التي تتميز بوضع خاص اليهود الذين يعتبرون في المركب الأمريكي " أمة من الأمم " ربما في مزيج من أسطورة الشعب اليهودي القديمة واللاتاريخية وبين التعريف الأمريكي الفريد بالأمة بأنها " أي جماعة من الناس تعتبر نفسها كذلك " ووضع هذه الأقلية يكاد يكون مقابلا عكسيا كاملا لوضع الأقلية السوداء، فهم من حيث المنشأ السابق على الهجرة أبناء أمة عديدة وفيما بينهم مذاهب في كثير من الأحيان متنافرة، وهم ككتلة بشرية ينتمون إلى أقرب الهجرات حدثت في المركب الأمريكي، فأغلبيتهم التي جعلت منهم كتلة بشرية هاجرت إلى الولايات المتحدة في القرن ١٩، وفي هذا القرن العشرين، وهم من بين الأقليات الأمريكية عددا، ومع ذلك فإنهم يحتلون مواقع القمة في معظم المجالات، ربما فيما عدا أنه لم يخرج من بينهم رئيس للبلاد، فهم على رأس القائمة في متوسط دخل الأسرة، وهم على رأس الأقليات في مستوى التعليم، وهم أصحاب الحظ الوافر في المهن، وهم الأقلية الأمريكية الوحيدة التي تكاد تكون غير ممثلة في المشتغلين بالأعمال العضلية واليدوية، أو ما يسمى أصحاب الياقات الزرقاء، ولاوجود لهم في الزراعة، ولا في مهن الخدمات الدنيا، وهم أصحاب الحضور الأكبر في الأعلام، وفي صناعات الثقافة والتسلية، وهم من أقوى جماعات المصالح " نفوذاً "، وفوق هذا كله، فهم منذ زمن يكاد يسبق تكون وزن كتلتهم السكانية مؤثرون في السياسة الخارجية الأمريكية، بل وذوو نفوذ ملحوظ في صياغتها، وعلى سبيل المثال كانت وزيرة الخارجية

وزير الدفاع، ومستول الأمن القومي يمثلون هذه الفئة في تشكيل حكومة كلينتون عام ١٩٩٧.

الأسبان الأمريكيون : وهم من نسل الأسبان الذين هاجروا إلى أمريكا اللاتينية وتبلغ نسبتهم نحو ١٠% ومعظمهم من المكسيك ، وهؤلاء يتسربون بأعداد كبيرة وخاصة عن طريق ولاية كاليفورنيا، التي تضم أكبر نسبة منهم.

ذوي الأصول الآسيوية : ونسبتهم ٣% من الصين والفلبين واليابان.

هذا ويتوقع من المؤشرات السكانية في الولايات المتحدة الأمريكية أن يصل عدد الأقليات في عام ٢٠٢٠ إلى ١١٨ مليون نسمة، وذلك أن الأقليات تزداد بمعدل ٥ أضعاف نسبة زيادة البيض، نتيجة استمرار الهجرة، وإرتفاع معدل المواليد بينهم ، فالولايات المتحدة تستقبل سنوياً نحو ٨١٠ ألف مهاجر شرعي، وما قد يصل إلى ثلاثة ملايين مهاجر غير شرعي.

تقديرات أخرى بذوي الأصول الآسيوية:

وتحتل علاقات الأقليات " الأمريكية " ببعضها البعض تقديرات أخرى، ومن أمثلة هذه التقديرات الصعود السريع، وفي المجالات كافة ، الذي حققته "الأمم " الآسيوية الصينية واليابانية ولحقت بها الفيتنامية ، في مدارج الثروة والتفوق التعليمي، وإن كان هذا لم يترجم بعد إلى نفوذ سياسي، وكلها هجرات أحدثت من معظم الهجرات البيضاء، لكن اليابانيين والصينيين يحتلون المركزين الثاني والرابع في معدلات دخل الأسرة، ولن يمضي وقت طويل قبل أن يلحق بهم الفيتناميون، وهو ما يثير الضغينة من إتجاهين: البيض الذين يرون أنهم الأجدر بحكم الريادة إلى الهجرة والإستيطان، وتأسيس البلاد وتحقيق إستقلالها، والأفارقة الذين يعتبرون أنفسهم أحق، على الأقل بمنطق التعويض المتأخر للضحية.

الشعور بالخطر:

في هذه الفسيفساء التي تتجاوز دون أن تندمج، تثبت الضغائن الجماعية وتترعرع، ولعل من الأمثلة ذات الدلالة على ذلك، تقرير نشرته أكاديمية العلوم الأمريكية في ١٩٨٥ وفيه " تحذر " من أن الدور التقليدي للطبقة الوسطى الأمريكية البيضاء أخذ في تراجع ملحوظ ، وفي بداية القرن القادم ، ستكون عاجزة عن إنتاج البيروقراطية التي تحكم أمريكا — سياسة وإقتصاداً — فالأمم الأخرى " الصاعدة " تزيحها عن موقعها، ورصدت الأكاديمية أنه في السنة الأكاديمية السابقة، كان الذين حصلوا على مراتب الشرف والإمتياز في أهم خمس جامعات أمريكية ، جميعاً من ذوي الأصول الآسيوية.

الملونون (الأقلية السوداء):

وتعتبر مشكلات الملونين من العوامل التي تضعف البناء الإجتماعي والسياسي للولايات المتحدة، فهناك ما يقرب من ثلاثين مليون ملون، معظمهم من الزنوج يمثلون

نحو ١٢ % من السكان وتزيد نسبتهم في الولايات الجنوبية في الباني، وأركنساس، وفلوريدا، وجورجيا، وكنتكي، ولويسيانا، وماري لاند، وميسيسيبي، وكارولينا الشمالية، وكارولينا الجنوبية، وتنسسي وكساس وفرجينيا، وتصل إلى أعلى نسبة لها في ولاية ميسيسيبي حيث بلغت ٤٢ %.

ويقصد بكلمة زنجي (أسود **Black** وهو الشائع) في الولايات المتحدة، تلك العناصر الملونة التي يدخل في تركيبها الدم الزنجي. وكان الدافع إلى جلبهم هو الحاجة إلى الأيدي لإستثمار موارد البلاد الزراعية الرعوية والمعدنية، بعد أن ثبت عجز الأوربيين عن تشغيل الهنود الحمر فيها، وهكذا بدأ جلب الرقيق من أفريقية للعمل في الولايات المتحدة، وخاصة في الإنتاج الزراعي للولايات المتحدة الجنوبية حيث تنتشر زراعة القطن.

وقد وطأت أول مجموعة زنجية هذه البلاد عام ١٦١٩ حين رست مركب هولندية في جيمستون بولاية فرجينيا، على أن الظروف السيئة التي كان يعيشها الزوج في ولايات الجنوب رغم تحررهم، أدت إلى نزوح أعداد كبيرة منهم نحو الولايات الشمالية، وكانت هناك عوامل طرد، تمثلت في سوء أحوالهم، ولم تكن هناك مدارس لأطفالهم وأجورهم منخفضة (٥٠ سنتا في اليوم في ولاية ألاباما على حين كانت تبلغ ٨٠ سنتا للساعة في الشمال).

وتزايدت هجرتهم إلى الشمال بوجه خاص في الربع الأول من القرن العشرين، فقد كانت الصناعة في الشمال تعتمد على سيل المهاجرين الدافق من أوروبا، وعندما قامت الحرب إنقطع هذا السيل، وقامت الهجرات الزنجية بمواجهة هذا النقص، وذهب الوكلاء لجمع الزوج من الجنوب، وتسهيل وسائل السفر والانتقال لهم، ولا ننسى في هذا المجال أيضا قوانين تحديد الهجرة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وهكذا حتى أصبح ٤٠ % من مجموع الزوج الأمريكيين يعيشون خارج الولايات الجنوبية عام ١٩٦٠، بينما كانت هذه النسبة لا تتعدى ١٠ % عام ١٩٠.

وهناك مظهر آخر للتجمع الزنجي وتمثل في أن هجرتهم كانت إلى المدن أساسا، ذلك أنهم لم يكونوا أصحاب الأراضي في الجنوب، ونظرا لدخول الميكنة في الزراعة، فلم تعد الأرض في حاجة شديدة إليهم، من ثم إتجهوا إلى المدن حتى لقد أصبح ثلاثة أرباع زوج الولايات المتحدة هم سكان المدن.

ولعل أشهر المدن التي إنتقلوا إليها هي دترويت، وواشنطن وبتسبرج وشيكاغو وسان لويس ونيويورك، حيث يوجد في هذه المدينة أكبر تجمع زنجي في مدن الولايات، إذ يتجمعون في منطقة هارلم وفي القسم الشمالي في حي منهاتن.

والأقلية السوداء هي الوحيدة التي تستمد هويتها " القومية " هذه من منشأ قومي، فهؤلاء الذين جاءوا إلى العالم الجديد " عبيدا مجلوبين " لا يعرف أي منهم من أي بلد في أفريقية جئى بأسلافه، ولا إلى أي ثقافة أصلية ينتمي سوى ذلك الأصل العام. غير محدد الثقافة " أفريقية " يفترض فيها تجانس موهوم، ولذلك فإن هذه الأقلية حددت هويتها على

الأرض الأمريكية ذاتها، وبعد تاريخ طويل من الإخضاع والصراع لتتجز مجرد الاعتراف لها بأداميتها وبالحرية الطبيعية للإنسان، وفي مواجهة " الأبيض " الذي مارس ضدها وعليها التمييز، والذي أدركت تمايزها عنه باللون والقهر.

وقد زاد من وضع هذه الأمة تعقيدا أنه رغم أنها الجماعة القومية الثانية في المركب الأمريكي بحساب زمن الوصول إلى العالم الجديد فإنها الجماعة القومية الثانية (١٢ %) من حيث التعداد ولكن في العلاقة بالثروة وتوزيعها تحتل الدرجة قبل الأخيرة في السلم، وهي الوحيدة بين الأقليات الأمريكية التي كان عليها أن تناضل على الأرض الأمريكية وداخل النظام الأمريكي، وفي مواجهته، من أجل حقوق المساواة القانونية والمدنية والسياسية، وهي الوحيدة أيضا التي كان الحس الأمريكي العام حتى وقت قريب ينكر عليها مجرد حق إبداء الرأي في السياسة الخارجية الأمريكية، أو حتى التعليق عليها، ناهيك عن المشاركة في صياغتها وتقريرها، " رغم أن المجئ بنا إلى تلك البلاد كان العمل الأول من أعمال السياسة الخارجية الأمريكية قبل الإستقلال وقيام الولايات المتحدة " كما قال ذات مرة النائب الأمريكي الأسود ديفيد لوري، كما أنها هي الأقلية الأمريكية الوحيدة التي حاولت المؤسسة السياسية الأمريكية الرسمية لحل مشكلتها عن طريق الاستئصال، عدا الهنود الحمر الذين جرت حياهم وبنجاح كبير محاولة الإبادة " فعندما إقتنع الرئيس إبرهام لينكولن في خضم الحرب الأهلية بأن تحرير العبيد من شأنه أن يحرم أعداء الفيدرالية من البيض الجنوبيين من أهم قوى العمل الإقتصادي، إقترح على الزعماء السود أن يصدر مرسوما يحرق السود، على أن يهاجروا من الولايات المتحدة إلى بعض جزر الكاريبي حيث يستطيعون إقامة دولتهم " كمواطنين أحرار متساويين ".

التباين في المستوى الإقتصادي بين البيض والسود:

ويعيش الملونون في مستوى منخفض عن زملائهم البيض ، فبينما يبلغ متوسط دخل العائلة البيضاء في الولايات المتحدة بعامه ١٥٥٤٠ دولار سنويا، فإن هذا الرقم ينخفض للعائلة الملونة إلى ٩٤٢٠ دولار، ١٠ آلاف بالنسبة للملونين من أصل مكسيكي ، ويعمل معظم الملونين كعمال وفي مهن غير فنية، وبدل على هذا إنخفاض دخل الفرد بعامه في الولايات الجنوبية الشرقية التي تضم نسبة عالية من الملونين، مما يدل على أن سلالة العبيد بعد مضي أكثر من قرن على الحرب الأهلية الأمريكية ، لم تتح أمامها الفرص للتدريب على المهن الفنية، فهناك وظائف محجوزة للبيض، وهناك وظائف محجوزة للسود، وهناك أعمال يشترك فيها الإثنين ويمكن القول بوجه عام بأن وظائف ذوى الياقات البيضاء (باستثناء الكتبة) وذوى المهارة العالية محجوزة للبيض، بينما يكاد العمل غير الماهر والخدمات تقتصر على السود، فهم غير ممثلين بالنسبة الكافية في قطاعات الزراعة والتعدين والتجارة والاستثمار، بينما هم ممثلون بنسبة زائدة في قطاعات الخدمات والحكومة مما يعكس التحيز النسبي حتى في الوظائف ، لذلك يشغلون الوظائف الأقل أهمية، والأقل أجرا، وفي ميدان الأعمال والتوظيف تجد السود آخر من يقبل على توظيفهم في وقت الإزدهار، وهم أول من يطردون من العمل في وقت الكساد، ومن ثم فالبطالة بين

السود هي مؤشر لتدهور الأحوال الاقتصادية، وتظهر الإحصاءات الرسمية هذا سواء في الستينيات أو في أوائل السبعينيات تدور نسبة البطالة بينهم حول ١٠% وهي ضعف النسبة بين البيض .. وهذا معناه أنه في أقصى حالات التفاؤل تقدر نسبة البطالة السنوية بين السود بنحو ١٥٠,٠٠٠ سنويا.

وتكون نساء السود نحو ٤٥% من قوة العمل السوداء، ونحو نصف هؤلاء يمثلن العائل الوحيد للأسرة، ويحتفظ المجتمع الأمريكي للمرأة السوداء ببعض الوظائف، كالخدمة المنزلية وبعض أعمال التنظيف، وهذه بدورها أقل الوظائف أجرا، وبالتالي يكون متوسط نصيب المرأة السوداء نحو ٧٥% من نصيب الرجل الأسود ونحو نصف نصيب الرجل الأبيض.

رد فعل الزنوج:

من ثم قامت الحركات المضادة للعنصرية، وكان أشهرها تلك التي قادها القس مارتن لوثر كينج، وكانت إستراتيجيته تعتمد على مقاومة كل مظاهر العنصرية في الحياة الأمريكية، وإن كانت قد إتخذت سبيل عدم العنف، وبدأها بمقاطعة سيارات النقل العام في منتجمرى بولاية ألباما عام ١٩٥٦، وظهرت مؤسسات أخرى تتبع نهج مارتن لوثر كينج في إستراتيجية عدم العنف، وكان رد الفعل من جانب قيادات البيض في الجنوب، هو المقاومة وكان منها إغتيال مارتن لوثر كينج عام ١٩٦٨.

ويعبر مارتن لوثر كينج عن حالة الزنوج في المجتمع الأمريكي في الستينيات بقوله : مازال الرجل الأسود يعيش في قاع المجتمع، فما زال في القاع رغم القلة الذين إستطاعوا أن ينفذوا إلى مستويات أعلى، وحتى إذا ما فتح الباب مواربا بسبب قوة الضغط عليه ، فإن حركة الأسود بعد ذلك تظل محدودة، وفي الغالب الأعم ليس هناك مستوى أدنى للبدائية، في نفس الوقت ليس هناك مكان للأسود في القمة.

ويهمنا في هذا المجال أن نبرز مظاهر إستياء الزنوج غير الإحتجاج وإستخدام العنف واللاعنف.

أولا — الهجرة العكسية من الولايات المتحدة الأمريكية :

وقد بلغ هذا الإتجاه قمته في فترتين إحداهما بين عامي ١٨٥٠، ١٨٦١ في محاولة لتوطين الزنوج في الأرض الموعودة في أمريكا الجنوبية والوسطى وجزر الهند الغربية ، والثانية بين عامي ١٨٩٠، ١٩٢٠ بهدف العودة إلى ليبيريا، وتزعم حركة العودة "ماركوس جارفسي"، وما زال البعض ينادى بها الآن، ومن طريف تلك المحاولات ذلك الإلتماس الذي تقدم به ثمانون زنجيا من بوسطن إلى حاكم ولاية ماساشوستس طالبين تدبير المال اللازم لهم للعودة إلى أفريقيه وشراء أراضى هناك، وكان ذلك في يناير عام ١٧٨٧، وكان تبريرهم هو حالتهم السيئة في أمريكا، ووعدوا بنشر المسيحية وتحسين العلاقات، وتنمية تجارة الولايات المتحدة الأمريكية مع غرب أفريقية، وقد رفض طلبهم،

ولكن هذا كان بداية للتفكير في هجر الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت قمة الحركة الثانية كنتيجة للفشل في الوصول إلى المساواة والحرية حتى الحرب الأهلية الأمريكية، فرغم ما أجرى من تعديلات القوانين عام ١٨٦٥ من إعطاء حق المواطنة لهؤلاء البشر الذين تحرروا، ورغم القوانين العديدة التي ظهرت فيما بعد، سرعان ما ظهرت الفجوة بين القانون والتطبيق. وكما قال إيزنهاور (لا يمكن تغيير القلوب بمجرد تغيير القانون) . ومع ذلك فقد رجعت أعداد بسيطة منهم بلغوا ١٩٧ عام ١٨٩٥، وتلاههم ٢٢١ في العام الثاني وسبقهم ٣٨ إلى سيراليون ، وخرجت هجرات من الولايات المتحدة وكندا إلى هايتي ، ولكنها على العموم أعداد قليلة ومحدودة، ووجدت معارضة من بعض قادة الزنوج أنفسهم الذين كانوا يؤكدون بأن وطن الأمريكيين السود هو أمريكا، ومنهم من وصف مغادرة أمريكا بأنه تفكير غير صائب، وغير ناضج.

ثانيا: نادى البعض بتقسيم الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها إلى أمتين سوداء وبيضاء، وذلك للشك المتزايد في مستقبل الرجل الأسود في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي نظر مالكوم أكس أحد زعماء الزنوج " كل الوسائل تؤدي إلى طريق مسدود " .

فقد أعطاهم الدستور والقانون الحرية والمساواة ومع ذلك ورغم أنهم يمثلون نحو ١٢ % من السكان فنصيبهم هو ٦,٥% من الدخل القومي، ولم ينجحوا في الحصول سوى على أصوات ٤% من أعضاء الكونجرس وعلى ٦% من أعضاء الشيوخ ، وإن كان هناك بعض نجاح في انتخابات عمد بعض المدن والهيئات المحلية.

وفي مخاطبة لمؤتمر القوة السوداء **Black Power** عام ١٩٦٧، قدم خطة التقسيم كما يراها، وحدث تصويت عام ١٩٦٨ في مؤتمر عقد في ديترويت على جمهورية أفريقية الجديدة وتشمل الولايات الخمس الجنوبية المسيحية وجورجيا وكارولينا الجنوبية، وألباما، ولويسيانا، وستصبح دولة تعدادها نحو ٢٥ مليون نسمة، وفي نظره أن تقسيم الولايات المتحدة الأمريكية لن يكون أكثر وحشية من تقسيم الهند وبطبيعة الحال لن يكون هناك تقسيم فعلي، ولن يوافق عليه الكونجرس الأمريكي وإنما يهتما في هذا المجال أن نبين إلى أي مدى بلغ الاستياء.

وهكذا عندما أصبح ١٢% من سكان البلاد المعزولين عن المجتمع، لا يمارسون حياتهم الديمقراطية، فلا تتوقع الولايات المتحدة أن تتجح دعايتها في الخارج عن الحرية والديمقراطية والمساواة.

ولقد كان وضع اليهود والأفارقة من شواغل التاريخ والسياسة والجدل العام في الولايات المتحدة لردح طويل من الزمان، وما زال ، كأن وضع كل منهما حيال النظام السياسي - الاجتماعي - الإقتصادي من هذه الشواغل، كما كان منهما أيضا وضع كل منهما تجاه الأخرى، خصوصا وإن أقلية اليهود الأمريكيون " وهم التي لم تتعرض لأي قدر ملحوظ من التمييز أو اضطهاد في أمريكا ، قد وضعت نفسها في موضع الصدارة من الدفاع عن حقوق الأقليات ومناصرتها، لا لأنها " أقلية " من الناحية العددية وإنما أساسا

لكي تؤكد مالها من نفوذ في مؤسسة الحكم، وفي السياسة وفي الإقتصاد وفي المجتمع جميعاً، فتعزز مراكزها بإصطفاف " الأمم " المقهورة والمحرومة في المركب الأمريكي تحت رعايتها أو الأخرى وصايتها، وفي هذا السياق أولت الأقلية السوداء اهتماماً خاصاً، ونجحت لزمن طويل في أن تكون لها بمثابة " الراعي " و " الناصح " ، وما زال لها حتى الآن شيء من ذلك وإن يكن في وهن متزايد . وقد جرى هذا الوهن بفعل بزوغ وعي أفريقي تطور وتنامى في صفوف " الأقلية " السوداء جعلها تدرك صلتها بالعالم الثالث، ومنه العرب.

كيف تتعايش هذه الأمم ؟ مصالح مشتركة:

قام النظام الأمريكي منذ الإستقلال على قاعدة " إئتلاف مجموعات المصالح " على أساس ما بينها من مشترك ، فحرب الإستقلال ذاتها تولدت عن تدمير تجار نيوانجلند في الشمال من الضرائب الإضافية التي فرضتها عليهم دولة الإستعمار — بريطانيا — لتعويض تكاليف إخماد الثورة في الهند، وألف معهم مزارعو الجنوب تدمراً من القيود التي فرضتها بريطانيا على الصادرات الزراعية من مستعمراتها الأمريكية، وعبر هذا الإئتلاف عن نفسه بتولى جون هانكوك الشمالي رئاسة " المؤتمر الذي هو أصل الكونجرس الأمريكي، بينما تولى جورج واشنطن المزارع الجنوبي القيادة العسكرية وبقي هذا الإئتلاف قائماً قلماً منذ الإستقلال حتى الحرب الأهلية ، حين غلبت مجالات إختلاف المصالح بين الشمال التجاري الصناعي وبين الجنوب الزراعي، كانت ولايات الشمال قد أخذت بتحرير الرقيق، فأصبحت ملجأ للعبيد الفارين إليها من الجنوب، ولم يكن هذا إلا تعبيراً عن إنهاء إئتلاف الإستقلال، وإنتهت تلك الحرب بانتصار الشماليين (أنصار الفيدرالية) على الجنوبيين الذين أرادوها أن تتحول — أو تتراجع — إلى دولة كونفيدرالية، ومع النصر جاءت خطة إعادة صياغة الجنوب، والتي كانت تعنى أساساً الإنتقال بالزراعة من الاقطاعات الضخمة القائمة على الرق إلى الزراعة الرأسمالية، لكن " حرب الإرهاب " التي شنها الجنوبيون حالت دون أن تكتمل إعادة الصياغة هذه إلا بعد زمن طويل وبشمن باهظ من الإضطرابات والدماء ، وأفرزت أثراً. ما زال باقياً حتى اليوم هو المنظمات العنصرية، وأشهرها " كوكلوكس كلان " التي تقول — وحتى اليوم — بتفوق الرجل الأبيض.

ولأن النظام قام على هذا النحو وعلى خلفية من هذا التركيب من التنوع والتفاوت، فقد أصبح من أسسه أن بعض جماعات السكان — الأمم تقوم داخله ، بينما بعضها منبوذ خارجه، فالقاعدة في الإئتلافات أنه لا يدخلها إلا من لديه ما يساوم به الجماعات الأخرى.

والآن بعد بلوغ الجيل الثاني عشر أو الثالث عشر من المهاجرين يؤكد بين هؤلاء جميعاً طريقة الحياة الأمريكية والطعام الأمريكي، واللباس الأمريكي، ويتكلمون الإنجليزية ، ولكنك تحس أن أمامك طريقة حياة أمريكية، ومجتمع أمريكي، وشعب أمريكي ليس في نفسه تلك القيود الداخلية التي تمنعه من القول والسلوك على نحو حر طليق، يعبر عن فردية الفرد إلى أقصى حد مستطاع ، فلا غرابة أن يلبس رئيس جمهوريتهم قميصاً

مشجرا ملونا ا، ولا غرابية في أن يضحك الفرد منهم لما هو تافه في نظر المتأزم من الوجهة النفسية ا، والذي يلجم نفسه عن المرح ا، حتى تهتز له الأرض وما عليها من أثقال ا، ولكنك في نفس الوقت أمام أمم أمريكية، ما أن تتعرف على شخص حتى يذكر لك انه من أصل إيطالي أو يوناني أو أيرلندي ... إلخ.

الإنتاج الزراعي

لقد ظلت الولايات المتحدة الأمريكية طوال القرن التاسع عشر، وهي دولة زراعية من الدرجة الأولى، ثم أخذ عدد العاملين بالزراعة في النقصان، فقد كان عدد العاملين بالزراعة والمعتمدين عليها ٣٢ مليون نسمة أو نحو ٢٥% من السكان عام ١٩٢٠، ثم إنخفض العدد إلى ٢٢ مليون نسمة عام ١٩٥٤ نحو ١٣,٥% من السكان. أما في عام ١٩٩٠ فقد قدر الذين يعملون كل الوقت في الزراعة بنحو ٢,٤% أو بنحو ٤ مليون نسمة من مجموع القوى العاملة في البلاد، على أنه ليس معنى هذا إنخفاض مماثل في الإنتاج الزراعي بل على العكس إزداد الإنتاج مما يدل على إزدياد إنتاجية المزارع الأمريكي الآن عنها في العقود الماضية.

وفي الحق لا ينافس إنتاجية مزارع الولايات المتحدة الأمريكية إلا مزارع بعض دول قليلة، كاستراليا، ونيوزلند، وكندا، ويرجع هذا إلى تقدم الوسائل الزراعية العلمية .

وقد بلغت المساحة المزروعة أقل من ٢ مليون كم ٢ عام ١٩٩٥ ، من مجموع المساحة التي تزيد على ٩ مليون كم ٢ وبالتالي تصبح نسبة الأراضي المزروعة نحو ٢٠% ، هذا وتشغل أراضي المراعي الدائمة نحو ٢٦% ، بينما تغطي الغابات ما يقرب من ٣٦% من المساحة ا، لهذا إذا قورنت الولايات المتحدة الأمريكية بغيرها من أقاليم العالم، سنجد أنها محظوظة من ناحية مواردها المناخية والحيوانية، بل وإمكاناتها المستقبلية مازالت ضخمة كمصدر ضخم وعالمي للمنتجات الغذائية.

وتتميز الزراعة في الولايات المتحدة الأمريكية بثلاثة خصائص رئيسية: منها التخصص (بإستثناء أقاليم معينة) في إنتاج غلة واحدة أو بضع غلات قليلة، أو في تربية نوع معين من الحيوان ، فتتخصص المزرعة الكبيرة في زراعة نوع معين من الحبوب أو في إنتاج الألبان، مما يؤدي بالمزارع إلى إكتساب خبرة طويلة مع مرور الزمن في هذا الفرع من الإنتاج ولا يحتاج إلا لعدد من الآلات. كما تتميز الزراعة الأمريكية بإستعمال الآلات على نطاق واسع ، فالجرارات وغيرها من الآلات تستعمل على نطاق واسع نظرا لأن معظم المزارع في أراضي سهلية أو موجة تموجا خفيفا ، فضلا عن كبر مساحة المزرعة. كما تستخدم المزارع الأمريكية الأسمدة الصناعية بكثرة، ومن ثم تحتل مركز الصدارة بين دول العالم في إستهلاك هذه الأسمدة.

وإذا كانت إنتاجية الفدان في الولايات المتحدة عالية، إلا أنها أقل من نظيرتها في الدنمارك، وهولند والمملكة المتحدة، حيث تقل مساحة الأراضي الزراعية، ومن ثم تمارس في الدول الأخيرة الزراعة الكثيفة. ويتركز الإنتاج الزراعي في شرقي جبال الروكي

(فيما خلا بعض الأقاليم المحدودة المساحة كالأجزاء العليا من الأبلش).

ويمكن إعتبار خط طول ١٠٠ غربا الفاصل بين شرقي الولايات المتحدة وغربها، وفي هذا القسم الغربي تقوم الزراعة إعتقادا على الري. وعلى العموم تنتج الولايات المتحدة الأمريكية العديد من الغلات الزراعية والصناعية التي تسمح بفائض كبير للخارج، فيما عدا الغلات المدارية كالبن، والكافو، والمطاط، التي تستورد من الخارج، وبينما يشكو معظم العالم من نقص المواد الغذائية، ويناضل في سبيل السعرات الحرارية اللازمة للسكان المتزايدة، نجد كثير من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يعانون من التخمة.

مكانة الولايات المتحدة

في الإنتاج الزراعي العالمي:

تحتل الولايات المتحدة الأمريكية مكانة عالية (١٤% من الإنتاج العالمي)، ولكن أهمية الولايات المتحدة في التجارة العالمية للقمح تتفوق على أهميتها كمنتج له، ذلك أنها أولى دول العالم تصديرا للقمح، فلها وحدها ما يزيد على ٤٠% من الصادرات العالمية، وبذلك تفوقت على كندا والأرجنتين وأستراليا، وتستخدم الولايات المتحدة هذا المحصول كسلاح سياسي لفرض إرادتها على الشعوب التي هي في حاجة إليه. ذلك أن الحكومة الأمريكية تشتري الفائض من المحصول وتقوم بخزنه في صوامع الغلال وتستخدمه بعد ذلك في إعطاء القروض. وتحتل الولايات المتحدة مركز الصدارة في إنتاج الذرة العريضة في العالم ذلك لأنها تسهم بنحو نصف الإنتاج العالمي (٤٩%) وحدها، ويمتد بها نطاق الذرة الرئيسي بين مراعي الغرب والإقليم الصناعي في الشرق أي في السهول الوسطى حيث يتداخل مع نطاق القمح، وتعظم أهمية هذا الإقليم نظرا لأنه إقليم تسمين الماشية، فالذرة على عكس القمح لا تتحمل نفقات النقل إلى مواني التصدير أو أسواق الإستهلاك. غير أن حاجة الأسواق الخارجية إلى الحبوب الغذائية من ناحية، وتضخم الإنتاج الأمريكي من ناحية أخرى، أدى إلى إحتلال الولايات المتحدة مركز الصدارة في التصدير أيضا حيث أصبحت المسؤولة عن ٥٠%. ويزرع الأرز في النطاق الساحلي لولايتي لويزيانا وتكساس فضلا عن بعض المناطق المحدودة في غرب الولايات المتحدة إعتقادا على الري، ورغم أن الولايات المتحدة لاتسهم بنصيب يذكر في الإنتاج العالمي (١,٥%) من الأرز إلا أن إنتاجها يكفيها وأصبحت تسهم بما يزيد على ٢٥% من الصادرات العالمية للأرز. وتحتل الولايات المتحدة المركز الثاني في إنتاج الشعير، والمركز الأول في إنتاج الشوفان، من ثم يمكن القول بأن الولايات المتحدة تكفي حاجاتها من الحبوب الغذائية، بل ولديها منها الفائض.

ويأتي القطن على رأس الغلات الزراعية الصناعية، ويمتد نطاق القطن في جنوبي الولايات المتحدة من الأطلنطي إلى المسيسيبي بإستثناء الإقليم الساحلي حيث زراعة الأرز وقصب السكر، وقد ظلت الولايات المتحدة أولى دول العالم إنتاجا للقطن، وإن إنخفض نصيبها في الإنتاج العالمي عن ذي قبل نتيجة دخول دول جديدة ميدان الإنتاج. ويكفي هذا

الإنتاج الإستهلاك المحلي ويبقى فائض للتصدير ، يسهم بأقل من ثلث تجارة الصادرات العالمية (٢٩ %) . وتأتي الولايات المتحدة في المركز الخامس إنتاجا للصوف (٦ %) وبالتالي لا يكفي إنتاجها الصناعات المحلية، من ثم كانت من الدول المستوردة لهذا الخام. ويزرع في الولايات المتحدة كلا من قصب السكر و**البنجر**. كما يزرع قصب السكر في دلتا المسيسيبي، فضلا عن شبه جزيرة فلوريدا، وجزر هاواي، وينتقل للتكرير في سان فرانسيسكو. ولا تحتل الولايات المتحدة مكانة مرموقة في إنتاج قصب السكر، بينما تسهم بنسبة أكبر من إنتاج بنجر السكر، ولكن رغم جمعها لزراعة القصب والبنجر نجدها تأتي في المركز الخامس في إنتاج السكر، ولا يكفي إنتاجها حاجة الإستهلاك المحلي، من ثم تعتبر على رأس الدول المستوردة للسكر.

وتحتل الولايات المتحدة مركز الصدارة في إنتاج الطباقي فلها نحو ١٥ % من الإنتاج العالمي، حيث يزرع في الولايات المتحدة الجنوبية الشرقية. وتشبه الولايات المتحدة الأمريكية الاتحاد الروسي في أن كل منهما غير منتج للمطاط الطبيعي، وأن كل منهما إنتاجه نحو المطاط الصناعي. وأصبحت الولايات المتحدة الآن منتجة لنحو ثلثي المطاط الصناعي في العالم . هذا يغطي نحو ٧٠ % من إحتياجاتها، ومازالت الولايات المتحدة المستورد الأول لهذه المادة الحيوية من جنوب شرقي آسيا وأفريقية.

الإنتاج المعدني

والولايات المتحدة من الدول الفريدة في غناها المعدني نظرا لكبر مساحتها وتنوع تكويناتها الجيولوجية، ويرى الخبراء أن الولايات المتحدة قد حالفها الحظ في هذا المجال أيضا، ففيها إحتياطيات ضخمة من موارد الوقود والمعادن الأساسية.

يقرب إنتاجها للفحم من إنتاج المملكة المتحدة وألمانيا الغربية وفرنسا. غير أنه يلاحظ أن إنتاج الولايات المتحدة بصفة عامة أخذ في النقصان. ولعل هذا كان له أثره على صادرات الولايات المتحدة من الفحم. إذ كانت تشترك بأكثر من ثلث الصادرات العالمية قبل الحرب العالمية الثانية، إنخفضت إلى أقل من العشر قليلا. ويتركز هذا الفحم الجيد في القسم الشرقي من البلاد في جبال الأبلاش، وكذلك يتوفر الفحم في وسط الولايات المتحدة جنوب البحيرات العظمى، أما حقول الفحم في غربي البلاد فتحتوى على ثروة فحمية معظمها من اللجنيت أو الفحم الأسمر.

وهناك فجوة بين إنتاج وإستهلاك البترول ، وعملت على سد فجوة إنتاج وإستهلاك الطاقة بإستيراد البترول. وقد تساعد هذا الإستيراد لدرجة أن واردات النفط وحدها كانت تمثل ٢٠ % من مجموع الطاقة المستخدمة في الولايات المتحدة الأمريكية، ٤٢ % من مجموع إستهلاكها النفطي ، بل أن الموقف ازداد خطورة حيث بلغ متوسط الإستيراد اليومي ٨,٦٧ مليون برميل في اليوم أو نحو ٤٧ % من إحتياجاتها النفطية. وترجع هذه الزيادة في الإستيراد إلى زيادة إعتداد الطاقة الكهربائية على النفط في توليدها ونقص إنتاج الغاز الطبيعي محليا وغيرها، ويقابل النقص في موارد الولايات المتحدة النفطية تصاعد

وتزايد إستهلاك الطاقة، وقد أشار البعض إلى ضرورة إستخدام الموارد البديلة للطاقة، كالطاقة الحرارية الشمسية، أو الحرارية الأرضية أو الطاقة النووية.

ويذهب البعض إلى القول بأن النواحي الإجتماعية والسياسية قد تكون من أكثر المعوقات أثرا في زيادة مصادر الطاقة وإستهلاكها، فقد أصبح المجتمع الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية مجتمعا نفطيا بامتياز، عاش بعد هذه الحرب وتطور على أساس مورد للطاقة رخيص للغاية، لاينفذ إعتماده على إمتيازات شركاته التي تغطي مناطق إنتاج عديدة، ومنها الخليج، وبالتالي تشكلت الحياة الأمريكية المرفهة، ممثلة في مساكن الضواحي البعيدة عن صخب المدن حيث مقر العمل، وفي سهولة النقل البري والجوي عبر مسافات ومساحات شاسعة، وفي المصانع المشتتة الموزعة على أرجاء البلاد، وفي تكتيك زراعي زاد من إعتماده على الميكنة، وأخيرا وليس آخرا في ذلك الزر الكهربائي الذي إعتمد الأمريكي أن يضغط عليه فتلبى كل حاجاته، ويقف النفط وراء كل هذه التسهيلات المعيشية والتقدم الإقتصادي، لأن معظم هذه الآلات والأجهزة والمصانع والمزارع ووسائل النقل صممت على أساس إستخدام النفط بطريق مباشر أو غير مباشر. ثم هل إقتصرت الأهمية للنفط على كونه مادة للوقود، ومن ثم كان تعلق العالم الصناعي به؟ يكفي أن نقول بأن النفط كمادة خام يغطي نحو ٥٠% من الإحتياجات الكيميائية للعالم اليوم، ومن ثم كانت شدة الحاجة إليه. وتظهر المشكلة الأولى بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية في إعتمادها على مصادر للطاقة، ليس لديها إحتياطات كبيرة منها، كالنفط والغاز الطبيعي.

فمن المعروف أنه بينما يكون النفط والغاز الطبيعي مسئولان عن أكثر من ثلثي الطاقة المنتجة وأكثر من نصف الطاقة المستخدمة، فإن إحتياطها معا يقل عن ١٠% من إحتياطي البلاد من الطاقة، أي احتياطي يقرب من النفاذ.

وتظهر المشكلة الثانية في أن الإعتماد على الواردات النفطية يجعل البلاد من وجهة النظر الأمريكية عرضة للتقلبات والتطورات التي تحدث في الدول المصدرة، أي أنها أصبحت تابعة في هذا المجال، وتزداد خطورة الأمر بالنسبة لهم الآن أكثر مما مضى لأنه حدث تحول كبير في مصدر النفط المستورد، وأصبح إعتماد الولايات المتحدة على دول الخليج إعتمادا كبيرا، ولعل تزعم الولايات المتحدة للتحالف الغربي في عملية الخليج مؤشر ظاهر في هذا المجال.

هكذا نجد التحول نحو العالم الشرقي، وهذا في نظر الساسة الأمريكيين من عدم دواعي الأم، لأن المصدر الرئيسي بعيد عنها فبينما كان العالم الغربي النفطي فيما مضى ممثلا في فنزويلا، وكندا، والبحر الكاريبي، يقع في مراكز السيطرة والنفوذ الأمريكي، أخذ الإنتاج الفنزويلي بعد أن بلغ قمته ينخفض، كما أن كندا بدأت تتخذ سياسة رسمية تقضي بعدم تصدير النفط والغاز الطبيعي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم إنخفض نصيب العالم الجديد أو نصف الكرة الغربي من واردات الولايات المتحدة الأمريكية، بينما زاد نصيب الخليج وشمال أفريقيا أي أكثر من الضعف.

وتتفوق الولايات المتحدة في إنتاج كل من الكهرباء الحرارية والكهرباء المائية وفي نفس الوقت تصدر دول العالم جميعاً، فلها نحو ٤٥% من القوة الحرارية، ونحو ٢٥% من القوة المائية المستعملة في العالم.

هذا وقد تقدمت الولايات المتحدة تقدماً كبيراً في إستغلال الطاقة النووية، وإن كانت بدأت تحيط أرقام إنتاج اليورانيوم والثوريوم بالسرية التامة إلا أنه من المعروف أيضاً أن رؤوس الأموال الأمريكية تستغل يورانيوم زائير وجنوب أفريقية.

وقد ظلت الولايات المتحدة أولى دول العالم إنتاجاً للحديد الخام فترة طويلة إلى مابعد الحرب العالمية الثانية، ويأتي معظم هذا الحديد من مناجم مزابي الواقعة غربي بحيرة سوبريور. ونظراً لضخامة إنتاجها الصناعي يصبح هذا الإنتاج غير كاف بمطالب الإستهلاك، من ثم تقف الولايات المتحدة على رأس الدول المستوردة للحديد الخام فلها وحدها نحو ربع تجارة الإستيراد. وتتفوق الولايات المتحدة في إنتاج مادة النحاس الإستراتيجية، إذ تنتج نحو ربع الإنتاج العالمي، وفي نفس الوقت تستغل رؤوس الأموال الأمريكية نحاس شيلي وزامبيا وزائير وكندا والمكسيك. أما حيث المعادن السبائكية فنجدها فقيرة في المنجنيز والنيكل والكروم ولكنها غنية في الكوبالت وتستغل رؤوس أموالها في إستخراج كوبالت زائير، كما أنها غنية بالفناديم والتنجستن.

وتتفوق كذلك في إنتاج البوكسيت (٢٧%) وإذا أضفنا إليها كندا كان معنى هذا أنها تمتلك أكثر من نصف بوكسيت العالم وهي المادة التي يفتقر إليها الإتحاد السوفييتي.

ورغم أن الولايات المتحدة منتجة لكثير من المعادن فالملاحظ أنها مستوردة لكثير من المعادن أيضاً، وهنا يجب أن نشير إلى أن كندا تنتج وتصدر معظم المعادن التي تفتقر إليها الولايات المتحدة، كالنيكل، والبلاتين، والأسبستوس، والرصاص، والنحاس، والزنك فضلاً عن تصديرها أخيراً للحديد الخام من ليرادور، فضلاً عن توفير كميات كبيرة من الوقود الذري فمن النواحي الإقتصادية والإستراتيجية تقع كندا داخل دائرة نفوذ جارتها الكبرى.

الإنتاج الصناعي

تقود الولايات المتحدة دول العالم أجمع في معظم فروع الصناعة، وكان النمو الصناعي الكبير الذي شاهده البلاد خلال القرن الماضي نتيجة توافر وتجمع الظروف المشجعة للصناعة سواء بموارد ضخمة من موارد الطاقة خاصة فحم الشمال الشرقي حيث بدأت الثورة الصناعية للولايات المتحدة فضلاً عن الحديد والمعادن الأخرى. وبضفاف إلى هذا تدفق سيل المهاجرين الأوربيين الذين مارسوا الصناعة في بلادهم، فأصبحوا نواة جيدة للأيدي العاملة، كما كونوا سوقاً إستهلاكية ضخمة، ولم تكن هناك قوانين أو تقاليد صناعية قديمة تحول دون تطور الصناعة في تلك الدولة الناشئة.

وتميز الإنتاج الصناعي كما هو الحال في الإنتاج الزراعي بدرجة عالية من

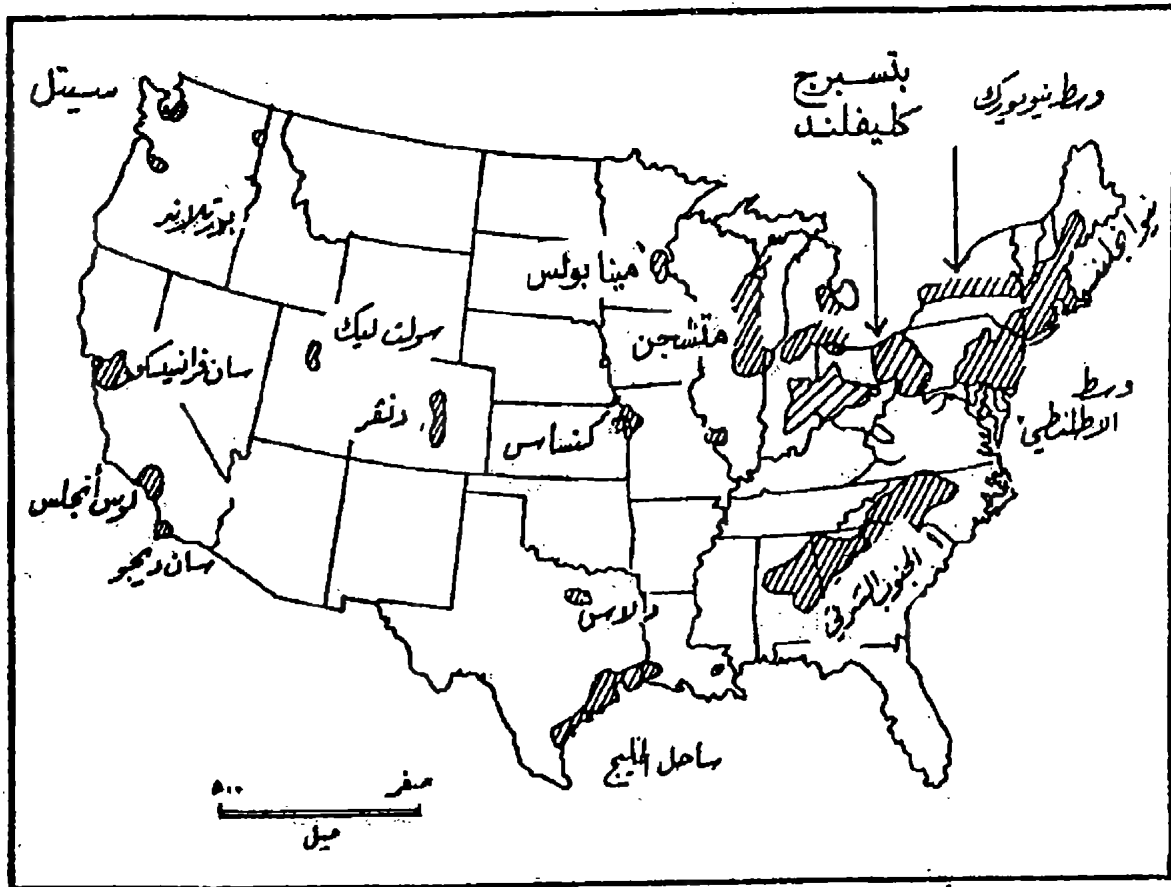
التخصص، وقد كان هذا ميسرا بفضل الشبكة الضخمة من الطرق الحديدية والقنوات التي غطت معظم الولايات المتحدة منذ نهاية القرن الماضي، وعززته في هذا القرن بشبكة من الطرق وأنابيب البترول والغاز الطبيعي وأسلاك الكهرباء وكانت شبكات النقل هذه من أهم عوامل التقدم الصناعي الأمريكي.

وكان التركيز الكبير لكثير من الطاقات الصناعية في مؤسسات كبيرة من أهم ما تميزت به الصناعة من العقود الأخيرة في هذا القرن، وكان نتيجة هذا تسهيل عملية الإنتاج الكبير، وبالتالي ارتفاع إنتاج العامل الصناعي. ومع ذلك فمعظم فروع الصناعة ممثلة فيها، وإن كانت بدأت تحس بمنافسة اليابان الشديدة لها.

ولقد تركت نوايات الصناعة الأولى في شمال شرقي الولايات المتحدة أي في نيوانجلند، ومن هناك بدأت في الانتشار غربا إلى إقليم البحيرات، وجنوبا بشرق على طول سواحل الأطلنطي والأبلاش، وحتى يومنا هذا مازال جزء كبير من طاقة البلاد الصناعية يتركز في هذا الإقليم الشمالي الشرقي.

وقد بدأ نوع عدم التركيز أو التفكك، وبدأت الصناعة تتجه نحو ولايات القطن في الجنوب، ونحو مناطق البترول، وإلى المراكز المدنية المطلة على الباسفيك.

المراكز الصناعية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية



مشكلات تواجه الصناعة الأمريكية

والولايات المتحدة الأمريكية أكبر منتج للسلع الصناعية، وليس من شك أن صناعاتها نمت نموا كبيرا لمقابلة إحتياجات السوق المحلية، بينما كان الإنتاج الصناعي لأوربا واليابان موجه بالدرجة الأولى للتصدير حتى يمكنها مقابلة وارداتها من المواد الغذائية والخامات والوقود اللازم لأسواقها المحلية، وكانت الحربان العالميتان الأولى والثانية مسئولة عن هذا النمو الصناعي الكبير، وبصفة خاصة الحرب الأخيرة وما بعدها، ولقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل هدفا للصادرات المتزايدة من أوربا واليابان وكذلك لخامات والمصنوعات الرخيصة للدول النامية، من ثم عانت بعض الصناعات الكثير من هذه المنافسة، كصناعات النسيج والملابس والصلب والسيارات والإلكترونيات، وقاومت بعض هذه الصناعات، وإستطاعت البقاء كصناعة السيارات، بل أن صناعات أخرى كصناعة الطائرات والكمبيوتر سادت أسواق العالم، على حين أن الصناعات المعتمدة على حقول الفحم في شرقي البلاد عانت كثيرا نتيجة انخفاض إنتاج الفحم والصلب، وكذلك صناعة المنسوجات.

هذا ومع زيادة عولمة الإقتصاد العالمي زادت حجم العمليات مع العالم الخارجي وتحركت رؤوس الأموال الأمريكية لجهات كثيرة في أنحاء العالم، محمولة لكثير من النشاطات كإستخراج البترول في فنزويلا، وصناعة السيارات في المملكة المتحدة (فورد وجنرال موتورز) وزراعة الفاكهة في أمريكا الوسطى، هذا كما تحركت رؤوس الأموال الأجنبية داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة الجهة الشرقية، أكثر من الجهة الغربية المطلة على المحيط الهادي.

وتواجه الصناعة منافسات خارجية عائية، فقد زادت صادرات الدول الأخرى إلى الولايات المتحدة بمعدل ثلاثة أضعاف خلال العقدين الأخيرين، وإعتمدت صناعات الدول الأخرى على رخص الأيدي العاملة كما في شرق آسيا وعلى تكنولوجيا متطورة كما في شرق آسيا وغرب أوروبا، (فاليابانيون على سبيل المثال يستخدمون الروبوت " الإنسان الآلي " خمس مرات أكثر من الأمريكيين في الصناعات الدقيقة)، ولعل تدهور مكانة الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للعالم الصناعي تظهر في حالة صناعة الصلب، وهي أحد الصناعات الرئيسية والتي تمثل العمود الفقري لحزام الصناعة هناك، فقد كانت قائمة هذا النوع من الصناعة حتى الستينيات، ثم تدهورت في الثمانينيات لدرجة انخفاض مبيعاتها بما يزيد على ٤٠%، وإنخفضت نسبة العمالة فيها بنحو ٦٠% ويرجع تدهور هذه الصناعة إلى انخفاض الطلب العالمي على الصلب من ناحية، وزيادة الصلب المستورد لإنخفاض أسعاره عن الصلب الأمريكي، فضلا عن السبب الرئيسي وهو تخلف صناعة الصلب في الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة لصناعة المنافسين.

إنحدار الولايات المتحدة الأمريكية من القمة إلى السفح من النواحي الإقتصادية

يرجع المؤرخون الإقتصاديون جانبا كبيرا من نجاح أمريكا الإقتصادى إلى الأراضي الزراعية والموارد الأولية الرخيصة والوفرة، فأمريكا لم تصبح غنية لأنها عملت بمشقة أكثر أو أدخرت أكثر مما أدخر الآخرون، ولكن لأن سكانها عاشوا في بيئة فسيحة للغاية، شديدة الثراء في الموارد، وإقترنت مواردها الطبيعية بأول نظام للتعليم الإجباري مدته إثننا عشرة سنة، وبأول نظام للتعليم الإجباري العالي ذي الأعداد الكبيرة وهاتان الخطوتان أعطتا أمريكا سبقا إقتصاديا.

لذلك كانت الولايات المتحدة الأمريكية في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية تعيش خلف سورها العظيم ، ولكن سورها لم يكن مبنيا بالحجارة، بل كان مؤلفا من أربع ميزات إقتصادية ساحقة.

أولاهما : أن السوق الأمريكية كانت في عام ١٩٥٠ أكبر بمقدار تسع مرات من أكبر سوق تالية لها، وهي المملكة المتحدة. ونتيجة لذلك كانت الصناعة الأمريكية تتمتع بوفورات حجم أكبر مما يمكن بإستطاعة أى إقتصاد قومي آخر أن يأمل في تحقيقها . وكانت الصناعة الكبيرة إحتكارا أمريكيا من الناحية الفعلية، حيث كانت تكاليف الوحدة في صناعات مثل صناعة السيارات أو الصلب تتجاوز أحلام أكبر المنتجين الأجانب. وكان بوسع المؤسسات المتميزة أن تزدهر وهي تخدم سوقا داخلية بهذا الحجم.

ثانيتهما : كان التفوق في التكنولوجيات من نصيب الأمريكيين. فقد كانت الحرب العالمية الثانية قد دمرت المقومات العلمية في معظم أنحاء بقية العالم ، وأعطت أوربا الولايات المتحدة بعضا من ألمع عقولها — ألبرت أينشتاين مثلا. ولم تكن المؤسسات الأمريكية تتنافس مع مؤسسات أجنبية، بل كانت تصنع منتجات لم يكن بإستطاعة الأجانب صنعها.

ثالثتها : أن العمال الأمريكيين كانوا أكثر مهارة من نظرائهم في الخارج. وكان الأمريكيون قد إبتدعوا التعليم الإلزامي العام، الأساسي والثانوي.

كانت أمريكا أيضا أول دولة بها تعليم عال يضم أعداد كبيرة. وأصبح لديها نسب أكبر كثيرا من سكانها تعليم عال . وكان هؤلاء بسبب هذا التعليم قادرين على إكتساب مهارات تكنولوجيا تجاوزت بوضوح الموهبة البشرية في أي بلد آخر. ونتيجة لذلك كانت التكاليف أقل.

رابعتها : أن أمريكا كانت غنية، على حين كانت البلدان الأخرى فقيرة. ففي عام ١٩٥٠ كان ناتجها القومي الإجمالي أعلى بمقدار ٥٠ في المائة من مثيله في كندا، وثلاثة أمثال نظيره في بريطانيا العظمى، وأربعة أمثال نظيره في ألمانيا الغربية، وبمقدار خمس عشرة مرة من مثيلة في اليابان. وكان بإستطاعة الأمريكيين أن يفعلوا أشياء لم يكن

بإستطاعة الآخرين أن يفعلوها، ولما كان لدى الأمريكيين دخل قابل للتصرف أكثر من غيرهم، فإن أول سوق كبيرة لكل شئ تقريبا كانت تبدأ في الولايات المتحدة، وأعطى ذلك المؤسسات الأمريكية فرصة لأن تقطع شوطا في تحسين أدائها حتى قبل أن يكون بإستطاعة غيرها أن يبدأ الطريق.

القوة العسكرية على حساب الداخل:

أمريكا مازالت قوية، مازالت أمريكا واحدة من أقوى الدول إقتصاديا وسياسيا وعلميا، لكن قوة أمريكا الحقيقية هي قوة نووية وعسكرية، وهي القوة التي تبدو واضحة كل الوضوح في الخارج، وهي أيضا القوة التي تسبب في إنهاك أمريكا من الداخل، القوة النووية والعسكرية الأمريكية لازالت مطلقة وجبارة، ولا ينبغي لأحد في الخارج على الأقل أن يستهزئ بها أو يستفزها، وإن أمريكا بقدراتها النووية الراهنة قادرة على تدمير الكرة الأرضية وكل ما عليها، فهي تملك أكثر من ٢٥ ألف رأس نووي، ولازالت الدولة الوحيدة في العالم التي تتفق سنويا ٢٨٠ مليار دولار، أى نحو نصف مليون دولار في كل دقيقة من دقائق الساعة وعلى مدار السنة، على إنتاج وتطوير الأسلحة بكل أشكالها وأنواعها، وأمريكا هي الآن الدولة الوحيدة التي لديها مجمع عسكري - صناعي ضخم، وفيه جميع فرص التقدم والكسب المرتفع - إذ يعمل ٣٠% من مهندسيها مباشرة أو بطريق غير مباشر في خدمة القوات المسلحة. فهي توفر إثارة مغامرات التقنية الرفيعة التي لا تستطيع المنتجات المدنية أن تباريها، ولكن هذه القوة العسكرية والنووية التي لازالت تفرض زعامة أمريكا في الخارج، تنمو على حساب تراجع أمريكا من الداخل.

مؤشرات التدهور في الداخل:

١- إنكماش إقتصادي:

تقول الأرقام والبيانات الرسمية الأمريكية، أن أمريكا أصبحت تستهلك الآن أكثر مما تنتج، أمريكا تستورد اليوم من الخارج أكثر مما تصدر للخارج، ولم تكن أمريكا هكذا منذ ربع قرن. إن أمريكا أصبحت تتفق أكثر مما تستثمر في الداخل والخارج، بل هي أقل الدول الصناعية من حيث الإستثمار القصير والطويل المدى، لقد أخذت أمريكا تسجل أعلى حالات الإفلاس في كل تاريخها المعاصر (٧٠٠ ألف حالة إفلاس خلال عام ١٩٩٠) والإفلاس يتزايد بنسبة ٢٠% سنويا، وتعانى من أكبر عجز في العالم والذي تجاوز ٤٠٠ مليار دولار عام ١٩٩١.

لقد توقف كليا عملية النمو الإقتصادي في أمريكا، وهي تعيش حاليا ركود إقتصادي مزمن وبطالة مستديمة، ومنتزيدة، هناك اليوم أكثر من ١٥ مليون شخص عاطل عن العمل أي بنسبة ٨% من إجمالي القوة العاملة في منتصف التسعينيات، وهذه النسبة هي الأعلى بين الدول الصناعية.

لكن برغم هذا الضعف البنيوي، فإن إقتصاد أمريكا هو الأضخم، والأكبر والأول في

العالم من حيث إجمالي الناتج القومي الذي يبلغ حوالي ٦ آلاف مليار دولار، أى ضعف الإقتصاد الياباني الذي هو الثاني في العالم، وأمريكا هي أيضا موطن أكبر عدد من أصحاب الملايين وأكبر عدد من أصحاب البلايين.

٦٤ ألف مليونير يعيشون في أمريكا ، ونصف إجمالي عدد أصحاب البلايين في العالم هم من الولايات المتحدة الأمريكية، هذا على حين يبلغ عدد فقراء أمريكا ٣٠ مليون فقير حسب تعداد عام ١٩٩٠ ، والفجوة هي التي تولد التوترات والتناقضات الاجتماعية الحادة في الداخل.

٢- تراجع الأوضاع الصحية:

أمريكا هي الدولة الأولى في الطب وفي تقدم التقنيات الطبية، وفي كون العلاج الطبي هو الأغلى في العالم، لكن قلة تدرك عمق تراجع أمريكا الصحي والطبي إلى المراكز المتأخرة حتى بمقاييس الدول المتخلفة، إن أمريكا هي الآن الدولة رقم ١٥ من حيث معدل عمر الفرد في العالم، والذي هو أهم مؤشر من مؤشرات تطور وتقدم ورقى ورفاهية أي دولة في العالم، اليابان هي الدولة الأولى من حيث معدل عمر الفرد الذي يصل إلى ٧٩ سنة مقابل ٧٥ سنة بالنسبة لعمر الفرد في أمريكا ، لقد كانت أمريكا قبل ١٥ سنة الأولى من حيث معدل عمر الفرد الذي أخذ يتراجع ولازال التراجع مستمرا، كما تراجعت أمريكا إلى الدولة رقم ١٣ من حيث الإنفاق العام على الصحة.

إن تراجع الأوضاع الصحية في أمريكا جعلها الدولة الأولى في العالم من حيث عدد المصابين بالإيدز، ومن حيث عدد المصابين بالسرطان، حيث أن كل ٤ من ١٠ رجال و ٣ من كل ١٠ نساء مصابون بالسرطان في أمريكا ، ويعود إنتشار مرض القلب والسرطان إلى أسباب عديدة ، يبدو أنه مرتبط بالإفراط في أكل اللحوم (أمريكا هي الأولى إستهلاكاً للحوم) وإستهلاك المأكولات المعلبة، والتي تحتوى على نسبة عالية من المواد الكيماوية والحافظة.

٣- تراجع التعليم:

تراجع أمريكا في التعليم هو أكثر دلالة من تراجعها في الطب والصحة، كان التعليم الحديث والمتطور مصدر قوة ونموذجاً للآخرين، أما الآن فقد أصبحت أمريكا " أمة في خطر " كما أكد ذلك تقرير التعليم الذي رفع للرئيس الأمريكي، إذ تعاني من تدهور شديد في النظام التعليمي، وتعاني من أعلى معدل للتسرب بين الدول المتقدمة، ويوجد ٢٣ مليون أمريكي لا يعرفون القراءة والكتابة إضافة إلى ٤٠ مليونا آخرين يقرأون بصعوبة ولا يجيدون الكتابة أصلا، وما يتم إستثماره في التعليم لا يتناسب مع متطلبات المنافسة الدولية الراهنة، اليابان هي اليوم الدولة الأولى من حيث الإستثمار في التعليم، ومن حيث الإستثمار في مجالات البحوث والدراسات، وتأتى ألمانيا في المرتبة الثانية.

لقد تراجعت أمريكا إلى المركز الأخير من حيث التعليم في الحضارة ورياض الأطفال،

ومن حيث تعليم الرياضيات حتى بين الدول الصناعية الجديدة ككوريا وهونج كونج، إن أمريكا هي اليوم الدولة رقم ٢٩ من حيث عدد العلماء والفنيين والمهندسين، ولديها ٥٥ عالما وفنيا فقط لكل ألف نسمة مقابل ٣١٧ عالما وفنيا في اليابان وهو أعلى معدل في العالم، أي أن معدل عدد العلماء والفنيين في اليابان يساوي ١٦ ضعف المعدل في أمريكا.

وأخيرا

كل عام ينشر المنتدى الإقتصادي العالمي، وهو منظمة ذات إدارة سويسرية، تقرير القدرة التنافسية العالمية، الذي يحاول فيه ترتيب القدرة التنافسية لمؤسسات الأعمال في بلدان مختلفة وفق أبعاد مختلفة. وقد أجرى المنتدى تقييما للإدارة في ٢٣ بلدا صناعيا، حصل فيه المديرون الذين كانوا الأفضل في نشاط ما على المرتبة ١، على حين حصل المديرون الذين كانوا الأسوأ على المرتبة ٢٣.

وفي ما يتعلق بجودة المنتجات كانت المؤسسات الأمريكية في المرتبة ١٢ وكانت اليابان في المرتبة ١، وألمانيا رقم ٢.

ووجدت النتائج نفسها بالنسبة لخدمة ما بعد البيع : كانت اليابان رقم ١، ألمانيا رقم ٢، الولايات المتحدة الأمريكية رقم ١٠.

وحصلت كمية ونوعية التدريب أثناء العمل اللتان تقدمهما المؤسسات الأمريكية على مرتبة ١١، وكانت اليابان رقم ١، وألمانيا رقم ٢.

وفيما يتعلق بالتوجه المستقبلي للمؤسسات (أي هل تأخذ المؤسسات نظرة المدى الطويل) في ٢٣ بلدا صناعيا ، كانت المؤسسات الأمريكية في المرتبة ٢٢ - أي في القاع تقريبا وكانت المجر فقط هي أسوأ الجميع، وكانت اليابان رقم ١، وألمانيا رقم ٣.

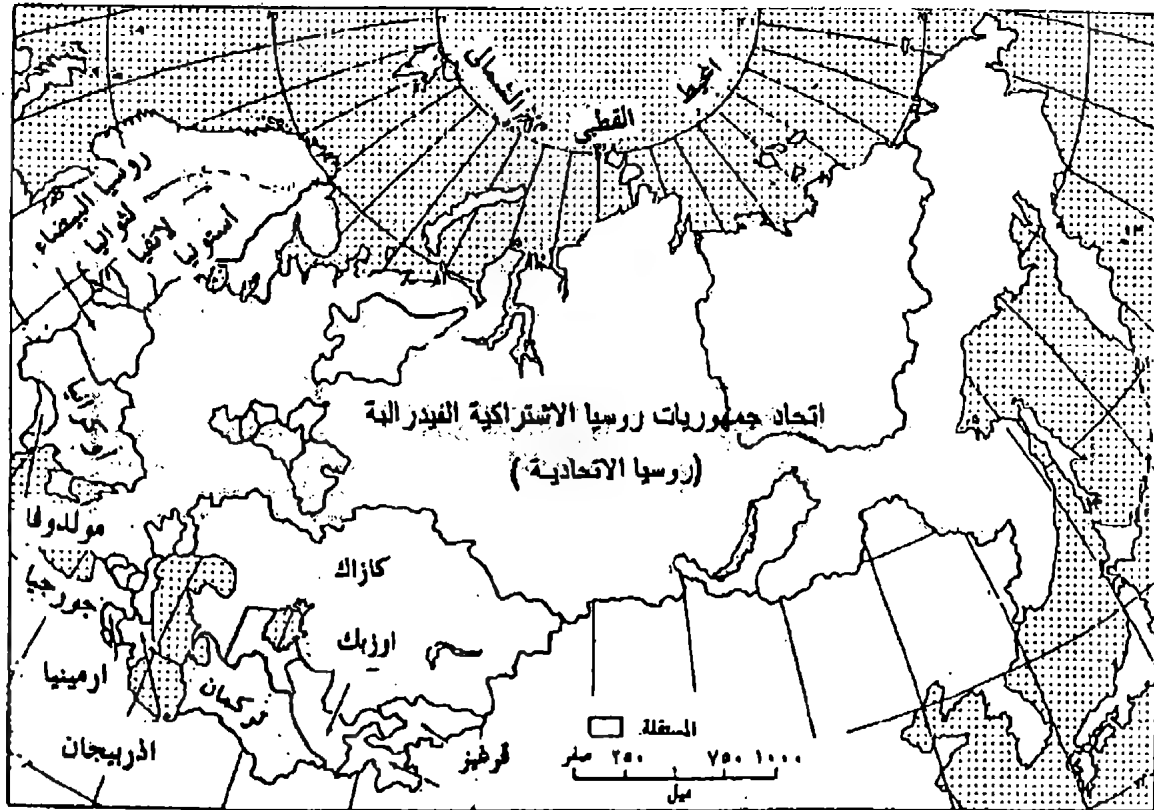
وهذه التقييمات الأوربية تجد صداها في الشرق . ففي مسح أجرته دوائر الأعمال الكورية، بعد تصحيح بالنسبة للسعر، فضل ٨٠ في المائة من الكوريين المنتجات اليابانية، وعندما طلب إلى اليابانيين الرأي في السيارات المستوردة التي يريدون شراءها، لم ترد في القائمة أية سيارات أمريكية. كانت السيارات جميعا من أوروبا . ومنذ وقت ليس بطويل قال أحد الإقتصاديين اليابانيين " إننا سنساعدكم على إدارة إنحدارهم ".

وإلى حد ما يتفق الأمريكيون مع هذه التقييمات الخارجية ، ذلك أن ٤٨ في المائة من الأمريكيين يعتبرون المديرين اليابانيين أفضل من نظرائهم الأمريكيين، وأن ١١ في المائة فقط هم الذين يعتقدون بعكس ذلك.

ومعنى جميع هذه التغيرات واضح، وهو أن أمريكا لم تعد تعيش وراء سورها العظيم. فقد أنهار السور العظيم! وعلى أمريكا أن تتكيف مع الواقع القاسي، واقع المنافسة الحقيقية. لقد ولى تفوقها التكنولوجي والإقتصادي الذي حصلت عليه دون عناء. ومن الناحية الإقتصادية لقد وصل جنكيزخان (الصين - اليابان).

البلاشفة صلاحا مینفردا مع ألمانيا في مارس سنة ١٩١٨، وواجهت الحكومة أزمات خطيرة، فقد أثار الصلح حفيفة الحلفاء، وهوجمت روسيا من جميع الإتجاهات بقوات مناهضة للشيوعية توازوها قوات الحلفاء، إلى جانب نشأة جمهوريات مستقلة في القوقاز وأوكرانيا، واشتد القتال بين الجنود الحمر وهم أنصار القيصرية نحو ثلاث سنوات، نجحت فيها الحكومة السوفييتية في إعادة توحيد البلاد، وضم الأجزاء التي كانت قد انفصلت عن الإمبراطورية القديمة. ولكن إتحادها هذه المرة كان على أساس يختلف تمام الاختلاف عن الأسس القديمة التي قامت عليها إمبراطورية القيصرية، وأساس هذا الإتحاد أن تكون الأقاليم معا ما يشبه الإنتلاف، وأن يكون لكل إقليم حريته، بأن تكون الأقاليم جميعا على قدم المساواة، ومنذ سنة ١٩٢٢ حينما ظهر الإتحاد السوفييتي لأول مرة بصفة رسمية بدأت جمهوريات مختلفة في الإنضمام إليه حتى أصبح عددها ١٦ جمهورية، ثم ضمت كاريليا الفنلندية إلى جمهورية روسيا السوفييتية عام ١٩٥٦ فأصبح عددها حتى تفكك الاتحاد السوفييتي خمس عشرة جمهورية. وعرفت هذه الدولة الكبيرة بأسم الإتحاد السوفييتي **Soviet Union** أو إتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية **Union of Socialist Soviet Republics (USSR)**

جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق



وحكمت روسيا بعد ذهاب القيصر بواسطة حكومة مؤقتة، وأعادت هذه الحكومة الثوار المنفيين من معسكر البولشفيك (وكانوا ينقسمون شيعة)، عاد لينين من سويسرا، وتورتسكي من نيويورك، وستالين من سيبيريا، وبعد ذلك سيطرت مجموعة لينين على السلطة، وبدأ ظهور المعسكر الشيوعي عام ١٩٢٤ تحت اسم اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وأعقب لينين الذي توفي عام ١٩٢٤، الدكتاتور ستالين، الذي استخدم العنف مع أعدائه ومخالفه بالنفي والإغتيال.

أقول النجم:

ليس من شك بأنه لم تكن هناك جدية في العمل في الدولة الشيوعية السابقة، وهم كانوا كذلك للأسباب التي توضح عنها الفكاكة الشيوعية. "نحن نتظاهر بالعمل، وهم يتظاهرون بأنهم يدفعون لنا أجوراً" وإذا لم يكن هناك مقابل للعمل، فما الذي يحمل المرء عليه؟

تقول فكاكة أخرى في العالم الشيوعي السابق . إن الفرق بين الرأسمالية والشيوعية على النحو التالي . "في الشيوعية تكون جيوبك مليئة بالنقود، ولكن لا يوجد في المتاجر شيء تشتريه، في الرأسمالية تكون المتاجر ممتلئة، ولكن لا توجد نقود في الجيوب".

ظل السدب السوفييتي يثير القلق في معظم نصف القرن الأخير ، ووقفت الرأسمالية وجهاً لوجه أمام الشيوعية، وبدأ في أواخر الأربعينيات أن الدب السوفييتي، بمؤازرة المعونة المقدمة إلى اليونان وتركيا، وإنشاء حلف شمال الأطلسي، وإعادة تسليح اليابان وألمانيا الغربية، الحرب الكورية، كلها جهوداً ترمى إلى إحتواء الدب والتتين السائبين في الغابة.

وفي الخمسينيات كانت القدرات الاقتصادية والتكنولوجية للدب السوفييتي تبدو مضاهية لقوته العسكرية، فقد إنطلق السبوتنيك الروسي، ولم ينطلق نظير له من الجانب الأمريكي، وفي الخمسينيات كان الاتحاد السوفييتي ينمو بمعدل أسرع من الولايات المتحدة، ولو إن الحال استمرت على هذا المنوال لكان أجمالي الناتج القومي السوفييتي قد تفوق على مثيله الأمريكي في عام ١٩٤٨.

وعندما قرع نكيتا خروشوف الطاولة في الأمم المتحدة بحذائه، وهدد بدفن الديموقراطيات الصناعية، عسكرياً وتكنولوجيا وإقتصادياً، أخذه الجميع مأخذ الجد ، وبدأ وكان ذلك قد يحدث بالفعل.

وربما كان عجز الاتحاد السوفييتي عن توفير السلع الاستهلاكية للمواطنين هو النذير وكانت قيادة جورباتشوف (١٩٨٥ إلى ١٩٩١) هي الفترة التي تقوض فيها الاتحاد السوفييتي، ودخلت السياسة الدولية كلمات جديدة لم تكن موجودة من قبل وهي البرستوريكا (إعادة البناء) والجلاسنوست (المصارحة).

فعندما أضعف جورباتشوف سلطة الجهاز القديم للتخطيط المركزي، خلق أوضاعاً إستحالة معها العودة إلى الماضي، ذلك أن ما حدث كان أكثر عمقا من فتح الباب أمام

التغيير، فما أن فتح الباب مجرد فرجة حتى تمزق النظام لا على يد جورباتشوف، بل على أيدي آلاف المواطنين السوفييت الذين أصبحوا ببساطة غير مستعدين للتعاون مع ذلك النظام، وعندما تلاشى تعاونهم الطوعى مع النظام القديم تلاشى النظام نفسه.

ويتضح الآن وضوح الشمس أنه لا يوجد إمكان لأن يعود الإتحاد السوفييتي السابق إلى ما كان عليه، فهو لم يعد قوة عظمى عسكرية رغم خطورة القوى النووية التي في حوزته، كما أن إقتصاده ليس على درجة من القوة تسمح له بإستعادة وضعه العسكري السابق، ولم يعد جيشه قابعا في وسط أوروبا، والإتحاد السوفييتي الذي عرفناه طيلة الأعوام السبعين الماضية، هو الآن مجرد موضوع تاريخي وبصرف النظر عن عدد الدول التي تظهر من بين أشلاء الإتحاد السوفييتي فقد ولّى.

الإعلان الرسمي لوفاة الإتحاد السوفييتي:

في ٨ ديسمبر عام ١٩٩١ أعلن في مدينة برست بجمهورية بيلوروسيا "نحن جمهورية بيلوروسيا والإتحاد الروسي وأوكرانيا بإعتبارنا الدول المؤسسة للإتحاد السوفييتي، والموقعين على معاهدة الإتحاد عام ١٩٢٢، والمشار إليهم بعد ذلك بإعتبارهم الأطراف العليا المتعاقدة، نقرر أن الإتحاد السوفييتي كأحد أطراف القانون الدولي وكواقع جيوبوليتيكي، لم يعد قائما بهذا الإعلان غابت عن المسرح الدولي القوة التي ظلت تشارك كدولة وكنظام سياسي وإجتماعي منافس في زعامة وقيادة النظام الدولي على مدى ٦٧ عاما، وفي إرساء قواعده ونظمه وتشكيل علاقاته.

غير أن الإعلان وأن كان قد تحدث بوجه خاص عن تفكك وحدات الإتحاد السوفييتي بجمهورياته الخمس عشرة، إلا أنه كان يعنى كذلك ويؤكد بشكل نهائي، ما كان قد بدأ بالفعل منذ سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩، وتفكك المعسكر الاشتراكي الذي كان الإتحاد السوفييتي يستمد منه مكانته الدولية، ويرمز إلى الحرب الباردة والإنقسام الدولي، لذلك فلم يكن غريبا أن يشبه المؤرخون هذا الغياب الفعلي للإتحاد السوفييتي بتطورات تاريخية كبرى مثل تلك التي أعقبت الحرب النابوليونية، والحربين العالميتين الأولى والثانية، والأثار العميقة التي ترتب عليها من إحساس بالإرتباك والإضطراب والبحث عن الهوية، فضلا عن إستمرار التفكك الإقتصادي وما يصاحبه من تشوهات إجتماعية، وأهم من ذلك، ربما الإحساس بالمهانة التي تولدت عن فقدان الهيبة والمكانة، والتي تشبه خبرة ألمانيا بعد الحرب الأولى، والتي قادت إلى ظهور الإشتراكية القومية ولم تكن أخطار تفكك الإتحاد السوفييتي وإنهيار السلطة المركزية مقصورة على شعوبه، بما تضمنته من عوامل عدم الإستقرار وعدم وضوح المعالم، واسس النظام الذي سيقوم على إنقراض النظام القديم، وإنما إمتد هذا القلق، ولا يزال حول ما يميز الإنهيار السوفييتي عن غيره من إنهيار قوى تاريخية سابقة، وربما ميز الحالة السوفييتية أنها كانت المرة الأولى التي تتفكك فيها إمبراطورية تمتلك ترسانه وأسلحة نووية وموزعة على أربع وحدات فيها، ورغم الحدود التي بذلت لمحاولة التحكم والسيطرة وإحتواء هذه الترسانة النووية وخفضها، فما زالت أخطار تسربها سواء من حيث مكوناتها المادية أو البشرية من كادرات العلماء والفنيين

المشرفين عليها، تسربها إلى قوى وقنوات لا يمكن التحكم فيها أو التنبؤ بكيفية إستخدامها.

الإتحاد الروسي أو روسيا الإتحادية R.S.F.S.R

Russian Socialist Soviet Republic

واليوم وقد أنزل علم المطرقة والسندان من فوق الكرملين، ورفع بدلا منه العلم الروسي الذي يحمل النسر ذو الرأسين، وأصبحت (ليننجراد) بـيترزبرج كما كانت أيام القيصرية، كما دقت أجراس الكنيسة الأرثوذكسية.

وأصبحت اليوم الست جمهوريات السابقة (أستونيا، لاتفيا، لتوانيا، بيلوروسيا، أوكرانيا، مولدوفيا) التي تقع في غرب روسيا جزءا من أوربا الشرقية وتتطلع إلى أوروبا لتبحث لنفسها عن مكانة، وبالمثل الخمس جمهوريات الجنوبية التي كانت تكون وسط آسيا، (كازخستان، أوزبك، تركمان، طاجيكستان، قيرغيزستان)، تنظر إلى العالم الإسلامي إلى الجنوب منها، وأعطتها كل من إيران وتركيا إهتمامات خاصة، وأصبحت روسيا ذاتها في حالة إنتقالية.

ومثلت روسيا نواة الإتحاد السوفييتي السابق، فسكانها نصف سكان الإتحاد، وعاصمتها كانت عاصمة الإتحاد، كما تضم معظم نواياه الصناعية كما أنها أكبر الجمهوريات السوفيتية مساحة.

روسيا الإتحادية والتي يطلق عليها روسيا إختصارا وتتكون من ٢٠ جمهورية، وتضم ١١ إقليم ذاتي حكم ذاتي وقد رفضت جمهورية الشيشان هذا الإتحاد وطالبت بالإستقلال التام، وأرسلت موسكو قواتها ولكن بعد طول معاناة من جانب الروس اضطروا أخيرا إلى الإنسحاب والرضى بالمفاوضات مع الشيشان، مما يدل على مدى الإنهيار الذي أصاب المركز وتنبأ الجغرافيون السياسيون بأن قوى الطرد **Centrifugal Force** في الإتحاد الروسي ستتغلب على قوى الجذب **Centripetal** بما يسمح بمزيد من التفكك والإنفراط. ومما يدل على إنهيار موسكو أن الحرب الأفغانية أودت بحياة ١٤ ألف سوفييتي على مدى عشر سنوات، أي ٤ أشخاص كل يوم، قارن هذا بخسائر الحرب الشيشانية وخسائرها اليومية، والتي أدت في النهاية بإنسحاب القوات الروسية والقبول بالمفاوضات.

العلاقات المكانية لروسيا الإتحادية:

تمتد روسيا الإتحادية في مساحة ضخمة من القارتين الآسيوية والأوروبية إذ تصل مساحتها نحو ١٧,٥ مليون كم^٢، أو نحو ١٢,٥% من إجمالي مساحة العالم ونحو ٧٧% من مساحة الإتحاد السوفييتي السابق.

والواقع أن الإتحاد السوفييتي بمساحته هذه يمكن أن يوضع في مصاف القارات، فهو أكبر من ضعف مساحة الصين أو كندا أو البرازيل، ويعادل ثلاثة أمثال مساحة الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا، وأربعين مرة قدر فرنسا، فالإتحاد السوفييتي كان يشغل

كيلومتر من كل ثمانية كيلو مترات مربعة من سطح الأرض.

وإمتداد روسيا الاتحادية من الغرب إلى الشرق أكبر بكثير من إمتدادها من الشمال إلى الجنوب فتبلغ المسافة بين أبعد نقطتين نحو ١٧٠ درجة طولية أو نحو ١١ ساعة أو ما يقرب من ٩ آلاف كيلو متر، بينما إمتدادها من الجنوب إلى الشمال يبلغ نحو ٤٠٠٠ كيلو متر.

وكان لإتساع مساحة روسيا الاتحادية أثره فى طول حدودها التي بلغت نحو ٥٠ ألف كيلو متر، تلثي هذه الحدود بحرية والتلث الباقي حدود برية وبذلك تملك روسيا الاتحادية أطول حدود بحرية فى العالم، ولكن على الرغم من طول الجبهات البحرية الروسية، فإن هذه الدولة تعد برية بل مغلقة، فمعظم موانئها على بحار مغلقة، فموانئ المحيط القطبي تتجمد لأكثر من نصف العام، ومن ثم تميزت بصغرها وقلة نشاطها بإستثناء ميناء مورمانسك فى الشمال الغربي، الذي يحول دون تجمد مياهه تيار المحيط الأطلنطي الشمالي. وإن كان يعيب هذا الميناء بعده عن مراكز العمران والإنتاج الزراعي والصناعي ويرتبط هذا الميناء مع موسكو وليننجراد بخط حديدي، وكذلك الحال فى موانئ المحيط الهادي التي تمر عليها تيار كمتشكا البارد، وموانئ بحر البلطيق التي تتجمد لمدة أسابيع فى الشتاء وإن كان يمكن فتحها طول العام بفضل كاسحات الثلوج، من ثم تصبح مياه البحر الأسود هي المياه الدفينة طول العام.

وتشارك روسيا الاتحادية فى حدود برية مع إثنتا عشر دولة أوربية وآسيوية، وقد تمكن الروس بفضل موقع دولتهم المتوسط من أن يقتبسوا أحسن مظاهر التقدم الإقتصادي والثقافي من آسيا وأوروبا غير أن الوضع بالنسبة للجيران لم يكن فى جميع الأحوال ميزة كبرى، ذلك أن بها مساحات كبيرة لم تستغل إستغلالا كاملا ولم تعمر تماما، وكانت هذه الأراضي تقع بين حضارتين كبيرتين أ: الحضارة الشرقية ممثلة فى اليابان، ثم غربا حضارة أوروبا الغربية أ، من ثم تتعرض لصنوف من الضغط على حدودها الغربية والشرقية، وكان يقابل ذلك الضغط ضغطا أعظم من جانب روسيا فى إتجاهات مضادة. وأدى هذا أخيرا إلى أمتداد رفعتها من قاعدتها فى أوروبا حتى وصلت إلى إتساعها الحالي، وأصبحت حدود روسيا الاتحادية يمثلها المحيط المتجمد الشمالي والمحيط الهادي شرقا والقوقاز وصحارى تركستان والبحر الأسود فى الجنوب.

غير أن هذا الموقع لم يكن ميزة فى كل الأحوال، ذلك أن ثلاثة أرباع البلاد تقع فى العروض العليا إلى الشمال من دائرة عرض ٥٠ شمالا، فإذا تذكرنا أن الولايات المتحدة الأمريكية بكاملها بإستثناء ألاسكا تقع جنوب دائرة عرض ٤٩ شمالا، من ثم كانت مساحة الأرض المزروعة فيها تعادل نظيرتها فى الإتحاد السوفييتي رغم فارق المساحة الضخمة.

المساحة:

وتؤدى مساحة روسيا الاتحادية الضخمة (١٧,٥٠٠ مليون كم ٢) إلى عدة أمور: منها

إتاحة الفرصة أمام سكانه المتزايدين بسرعة فائقة على أن يجدوا مجالا حيويا **Lebensraum** كافيا يضمن لهم سد حاجاتهم ويضع تحت أيديهم ملايين من الأفدنة وموارد الإتساع أيضا إلى تباين العناصر البشرية التي تسكن أجزائها المتسعة. وأدت هذه المساحة الكبيرة لروسيا إلى جانب شكلها المتماسك خدمات جليلة في تاريخها الحربي (الحرب النابليونية، والحرب الهتلرية) فكلما طالت مسافات اللباس صعب الإتصال، وإستنفدت الطاقة البشرية، فأوربا كما تعلم قارة تضيق في الغرب ولكنها تتسع كلما إتجهنا شرقا . ولذلك فإن الألمان كانوا كلما توسعوا نحو الشرق في الميدان الروسي، إتسعت أمامهم المساحة وإزداد طول الميدان، حتى جاء وقت إمتدت فيه جبهتهم من فنلند في الشمال إلى البحر الأسود والقوقاز في الجنوب. وإتساع الجبهة هذا معناه صعوبة التركيز في الهجوم، بل لا يقوى على الثبات والدفاع، والواقع أن الطبيعة الجغرافية للميدان الروسي لم تكن لتعين على نجاح غزو يأتي من الغرب لأن جهود النازي تشتت وتبعثر كلما إتجهت شرقا وهذا في صالح المدافعين، أما إذا جاء الهجوم من الشرق، فإن قوى الغزاة تتجمع وتتركز ويقابل بعضها كلما توغلت نحو الغرب. ولعل هذا هو السر في أن هجوم الروس المضاد بدأ في شعب متفرقة لاقى بعضها بعضا حتى بلغت غايتها متساندة . على حين تفرقت ريج الألمان وطاشت سهامهم في هجومهم المبعثر نحو الشرق، ودفعت ألمانيا أرواحا كثيرة بلغت عدة ملايين من الأنفس ثمنا لهذا الهجوم الخاسر.

غير أننا لا ننسى أن هذه المساحة الهائلة في دولة واحدة ، تحتاج إلى عمل ضخم، خصوصا أنه مازالت طرق النقل التي تكون الروابط الأساسية التي يمكن بواسطتها تماسك أجزاء الدولة غير كافية، ثم أنه على الحكومة السوفيتية التي تشغل ملايين الأميال المربعة، عمل تحليل ودراسة لجميع الإمكانات الزراعية والصناعية، بحيث تخلق من روسيا الاتحادية وحدة إقتصادية، كما أنه لابد من العمل على إيجاد روح قومية واحدة تسود جميع أرجائها.

المظاهر الطبيعية:

أما من ناحية المظاهر الطبيعية فتتميز بالسهول الفساح التي لا تجد لها نظير في القارات الأخرى، فهي تمتد من البحر البلطي، وسهول شرق أوربا إلى نهر ينسي في وسط سيبيريا، وهي سهول قليلة الإرتفاع بوجه عام ولا تبرز فيها الا جبال أورال، وأن كانت لا تعتبر فاصلا لقلة إرتفاعها ولكثرة الممرات التي تخترقها.

وقد تعرضت هذه السهول في العصر الجليدي لزحف الثلجات من الكتلة الفنلندية الإسكندنافية، وتغطت الأراضي بالركامات الجليدية ونتج عن ذلك كثرة تموج السطح في هذه السهول. وليست تلال فلداي التي يصل إرتفاعها إلى ٤٠٠ متر فوق سطح البحر إلا مجموعة من هذه الركامات. ومنها تتبع الأنهار الواقعة غرب الأورال.

وحول أطراف هذه السهول توجد الجبال الإلتوائية الحديثة ممثلة في القوقاز وتكملتها في شبه جزيرة القرم، وتتسع المناطق الجبلية في الشرق لتكون هضبة سيبيريا الشرقية التي

تحدها جبال سيان وستانوفوى.

وكان لطبيعة السطح هذه آثار عديدة من ناحية الجغرافية السياسية أهمها:

١- إحاطة الجبال بهذه السهول من الجنوب، أدى إلى أن اتجاه الأنهار فى سيبيريا كان من الجنوب إلى الشمال، وأدى هذا إلى قلة أهميتها الملاحية، لأنها تصب فى محيط متجمد.

٢- تجمد الأنهار طوال فصل الشتاء، وإذا ذابت فى أوائل الصيف بدأت المجارى العليا فى الذوبان قبل المجارى الدنيا مما يؤدى إلى حدوث فيضانات ونشر مساحات مستنقعية.

٣- أصبح لهذه الجبال التي تطوق روسيا الاتحادية من الشرق والجنوب أهمية إستراتيجية، لأنها خطوط دفاعية من الدرجة الأولى إلا أنها فى الوقت ذاته تقف فى طريق التوسع الروسى جنوبا.

٤- رغم إحاطة روسيا الاتحادية بالبحار من الشمال والشرق والشمال الغربى، إلا أن المؤثرات البحرية تصل إليها ضعيفة . فتقف الجبال الجنوبية حاجزا يمنع وصول تأثير المحيط الهندى ، كما تمنع الجبال الشرقية وصول الرياح الموسمية الصيفية من المحيط الهادى إلى هضبة سيبيريا. فإذا أضفنا أن المحيط المتجمد الشمالي لن يكون مصدرا لتلطيف قسوة الشتاء، وإن المحيط الأطلنطي يقع بعيدا فى أطراف القارة الأوربية، فإن إتساع روسيا الاتحادية كفىل بإضعاف تأثير الرياح التي تندفع من المحيط إلى قلب القارة صيفا.

مناخ روسيا الاتحادية:

تتميز روسيا الاتحادية بإنخفاض الحرارة الشديد أثناء الشتاء وإن كانت المناطق القطبية ليست أكثرها برودة ، بل المناطق الداخلية فى شمال شرقى سيبيريا، فهناك متوسط درجة الحرارة ينخفض إلى -٥٠ درجة مئوية أحيانا، بل وسجلت الأرصاد أرقاما أقل من هذا الرقم. وعلى النقيض من هذا تزيد درجة الحرارة فى يناير فى بعض المناطق، على الصفر المئوي، وذلك بالقرب من البحر الأسود وبحر قزوين، وإذا إستثنينا المنطقة الشرقية، نجد أن حرارة الشتاء تنخفض كلما إتجهنا نحو الشمال الشرقى أكثر من إنخفاضها نحو الشمال، بحيث يتوقع الإنسان إنخفاض درجات الحرارة فى سيبيريا عن نظيرتها فى نفس العروض فى روسيا الأوربية ويتضح هذا بمقارنة موسكو (٨° م) ونوفوسيبيرسك (-٦٨° م) فى يناير.

أما فى فصل الصيف فيصبح وسط آسيا وجنوب قازاقستان هي أعلى جهات الإتحاد السوفييتي حرارة، إذ تصل إلى ٣٠° م فى يولية ، بينما تصبح السواحل القطبية أكثر جهات البلاد إنخفاضاً فى الحرارة إذا إستثنينا المرتفعات. ولعل أهم ما يميز مناخ روسيا الاتحادية هو كبر المدى السنوي حيث يبلغ ٢٨° م فى موسكو، ٣٥° م فى نوفوسيبيرسك. ويؤثر

المناخ فى حياة السكان، ويظهر هذا فى إن إنخفاض الحرارة الشديد يجعل من الصعب القيام بالأعمال الزراعية لجزء كبير من العام، وقد سجلت أرقام ١٩٦٠، إن ما يقرب من ١٢ مليون عامل زراعي فى المزارع الجماعية لم يستطيعوا إفادة الإقتصاد القومي خلال الشتاء، وتظهر قسوة الشتاء فى إرتفاع تكاليف مد الطرق والسكك الحديدية نظرا لتراكم الثلوج، كما تتجمد مياه القاطرات ، بل وحتى زيوت التشحيم.

التركيب القومي لروسيا الاتحادية

وريث التركيب القومي للإتحاد السوفييتي

يمكن القول بأن الإتحاد السوفييتي كان إتحاد عدد من الشعوب كما هو إتحاد عدد من الدول، وإذا نحن أضفنا إلى هذا المسافات التي تفصل بين الجمهوريات التي تألف منها الإتحاد مسافات كبيرة، أدركنا أن الحكومات المحلية لتلك الأقاليم تتمتع بسلطات واسعة، إذ ضم الإتحاد السوفييتي عناصر متعددة متباينة نظرا لتساع مساحته، إذ زاد عدد هذه القوميات على مائة قومية إعتماذا على الأساس اللغوي.

وكون الصقلية أو السلاف نحو ٧٥% من سكان الإتحاد السوفييتي وشملت العناصر السلافية الروس الكبار والأكرانيين والروس البيض، ويتكون معظم السكان الباقين من المغول والعناصر التركية والفارسية. وقد بلغ مجموع العناصر التي زاد تعدادها على المليون نحو ١٤% عنصرا أهمها: الروس الكبار أكبر مجموعة فى روسيا الأوربية كانوا يؤلفون ٥٥% من سكان الإتحاد، والروس البيض ويسكنون المنطقة القريبة من بحر البلطيق (٤%) بين بحر قزوين وبحر آرال والقوزاق شمال بحر آرال، والتتار بين جبال أورال وبحر قزوين والأرمن فى أرمينيا، والعناصر الجورجية فى جورجيا، وهكذا، هذا بينما تعيش العناصر المغولية حول بحيرة بيكال وشمالها، وأكبرها عددا التنجوس شرق نهر لينا والجولدز فى الجنوب الشرقي للإتحاد، وكان لضالة المجموعات الأخرى غير السلافية أثره فى سيادة هذا العنصر، وعدم إمكان العناصر الأخرى منافسته، وإن كان الأوكرانيون وهم من العنصر السلافي قد حاولوا الانفصال فى الماضي.

ولقد أدرك قادة البولشفيك منذ البداية، أنه لكى تعيش الدولة السوفييتية الجديدة وتنفذ مشروعات الثورة الاجتماعية والإقتصادية لابد من مراعاة تعدد العناصر البشرية وتعدد اللغات، فقد عكس المجتمع السوفييتي المكون من عديد من القوميات صورته على الكيان السياسي والتنظيم الإداري، كان الإتحاد السوفييتي يتألف من ١٥ جمهورية أسست كل منها مبدئيا لتضم قومية أو أكثر، وأكبر هذه الجمهوريات روسيا التي يسكنها الروس الكبار وتضم ما يقرب من ٨٠% (من مساحته) وما يزيد على ثلاثة أرباع مجموع سكانه، أما الجمهوريات الأربع عشر الأخرى ، فتضم خمس جمهوريات فى آسيا تفصل بين الإتحاد السوفييتي والصين وإيران وأفغانستان، ومجموعة جنوب القوقاز وتتألف من ثلاثة جمهوريات على حدود إيران وتركيا، أما المجموعة الغربية المكونة من ست جمهوريات فتحاذى الدول الأوربية ويبدو من أسماء الجمهوريات أثر القومية كعامل أسترشد به فى

تخطيط هذه الوحدات السياسية التي تتمتع بقسط وافر من الإستقلال الذاتي.

فسياسة السوفييت الإحتفاظ بالقوميات والعقيدة واللغة. لذلك لم تكتف بإحياء اللغة الأوكرانية في أوكرانيا ولغة روسيا البيضاء في المنطقة التي يعيش فيها الروس البيض وتشجيع اللغة الألمانية بين العناصر الألمانية التي تعيش عند مصب الفولجا، بل أجبرت الموظفين الذين يعملون في هذه الجهات على تعلم لغات هذه الشعوب. وإن كانت قد جعلت اللغة الروسية لغة أساسية. والذي يلاحظ أن إسم الإمبراطورية الروسية إختفى سنة ١٩٢٠، وحل محله إتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، وهذا معناه أن باب الإتحاد مفتوح لأي دولة ترى في نفسها ميلا للمذهب الشيوعي والإنضمام إلى مجموعة جمهوريات السوفييت.

كما عمل النظام السوفييتي السابق على مراعاة وجود أقاليم إقتصادية داخل الدولة فكل إقليم له وظيفة إقتصادية معينة يؤديها ، وبذلك أصبح كل إقليم من هؤلاء يكون حلقة من الحلقات التي تتألف من مجموعها سلسلة الإتحاد.

وما هو جدير بالذكر أن عدد المسلمين في الإتحاد السوفييتي السابق الذي كان يضم ١٥ جمهورية إتحادية، قدر بنحو ٨٠ مليون نسمة ، وبعد تفككه أصبح عدد المسلمين في الإتحاد الروسي نحو ٢٠ مليون نسمة أو مايقرب من ثمن عدد السكان.

ديموغرافية روسيا الاتحادية:

رغم أن الإتحاد السوفييتي فقد أربع عشرة جمهورية ، فإن روسيا الاتحادية مازالت أكبر دولة في العالم بمساحة تزيد على ١٧ مليون كم^٢ ولكنها السادسة من حيث السكان (بعد الصين والهند والولايات المتحدة الأمريكية وإندونيسيا والبرازيل) ففي عام ١٩٩٣ كان سكانها يمثلون ٢,٧% من سكان العالم ، وفي عام ٢٠٢٥ يتوقع أن يزيد عدد السكان إلى ١٥٢ مليون نسمة، بينما هو الآن نحو ١٤٩ مليونا.

غير أن الظاهرة التي تستحق الإنتباه هو أن عدد السكان يميل الآن إلى الإنخفاض، إذ إنخفض إلى ١٤٧,٩ مليون نسمة في نهاية عام ١٩٩٥، بعد أن كان ١٤٨,١ مليون نسمة عام ١٩٩٤ ، لاسبب إنخفاض نسبة المواليد، ولكن أيضا لإرتفاع حدة الفقر في ظل تضخم الأسعار وتدنى الأجور والبطالة، وإغلاق كثير من المصانع، وتعطل الطاقة الإنتاجية بالكامل لنقص التمويل والمعدات ..إلخ.

وسوف يتوقف التغير السكاني في المستقبل على الزيادة الطبيعية وعلى الهجرة، فطبقا لأرقام ١٩٨٩، كانت نسبة الزيادة الطبيعية قليلة في معظم أرجاء روسيا، وحيث كان الروس يمثلون الأغلبية، بل ولقد سجلت بعض التقارير إنخفاض العمر المتوقع في الخمس سنوات (١٩٩١ - ١٩٩٦) وبصورة ملفتة للنظر إنخفاض الخصوبة الكلية من ٢,٨٧ إلى ١,٤، وهذا الإنخفاض السريع في خمس سنوات ، إستغرق في إيطاليا نحو ثلاثين عاما، أما في الجمهوريات التي انفصلت فإن الزيادة الطبيعية مازالت مرتفعة وخاصة بين

جمهوريةات القوقاز، أما عن أثر الهجرة فى الزيادة السكانية فما زالت الأمور غير واضحة، ولكن مع ذلك فمن المتوقع مع إقتصاد السوق وحرية الحركة إن تجتذب موسكو، وسان بيترزبرج عددا كبيرا من المهاجرين، ومن المتوقع أيضا أن تخرج أعداد كبيرة من جمهوريةات القوقاز ووسط آسيا مهاجرة إلى روسيا، فهناك نحو ٢٥ مليون روسي يعتبرون بمثابة خبراء فى تلك الجمهوريةات، ومثلت عودة نحو مليون عسكري روسي من أوربا الشرقية منذ ١٩٩٠ مشكلة كبيرة، وقد كان الموقف مختلفا منذ عقد قبل هذا، فكان التنبؤ بنقص العمالة، على عكس ما حدث بعد ذلك كانت عودة العسكر والخبراء تمثل مشكلة فى الإسكان والوظائف، وفى المدى الطويل ومع إختلاط القطاع العام بالخاص وظهور الإستثمارات، فإن على روسيا أن تستمر فى إستغلال وتنمية مواردها الطبيعية، لابد من التحول التدريجي للنشاط الإقتصادي والسكان نحو الشرق.

توزيع السكان:

يقوم معظم السكان فى القسم الأوربى أى فى الغرب، أو فى نحو ٥/١ مساحة روسيا، ولكن خريطة توزيع القوميات تبين أن الروس الذين يمثلون ٨٣% من السكان موجودون فى الشرق كما هم فى الغرب، فالروس ينتشرون من بيترزبرج شرقا ومن مورمانسك فى الشمال إلى حدود جورجيا وأذربيجان جنوبا، ومن ثم كما قيل سابقا أن روسيا تعد متحفا للقوميات، ورغم مرور نحو ٧٠ عاما على سياسة الترويس، فما زالت القوميات الأخرى محتفظة بهويتها وكأنها تنتظر الفرصة لتظهر، ذلك أنه رغم سياسة الإتحاد السوفييتي سابقا الذي أتبع سياسة (اعتقد فى وقتها) أنها ترضى جميع القوميات وذلك بإقامة جمهوريةات ذات حكم ذاتي.

وروسيا أيضا هي أرض خاوية فى معظمها أولا معمور، فسكانها الذين يبلغون نحو ١٥٠ مليون نسمة (أقل من الولايات المتحدة) يتركزون فى القسم الغربي، أو ما يطلق عليه روسيا الأوربية، والتي يختلف عن روسيا شرقى الأورال أو سيبيريا، (الأرض النائمة) حيث يعيش السكان فى مجتمعات منفصلة، أو على هيئة أشرطة متقطعة، وإذا كان هناك وجه شبه بين روسيا القيصرية، والإتحاد السوفييتي فهو أن كلاهما كان يريد تعمير القسم الشرقي شبه الخاوي من السكان، حتى يقوى الوجود الروسي فى هذه المناطق المتطرفة، وقد نجحت إلى حد ما وظهرت المستوطنات على طول الخطين الحديديين، أحدهما من أيام القيصر، والثاني مد بواسطة الإتحاد السوفييتي السابق.

وتبدو مشكلة التوزيع السكاني فى روسيا الإتحادية فى أن ٧٠% من سكانها يتركزون فى القسم الغربي، مع حين أن معظم مواردها الإقتصادية تقع إلى الشرق من الأورال.

روسيا الإتحادية بين الحضر والريف:

وإذا قسمنا السكان إلى حضريين وريفيين إعتقادا على الناحية الوظيفية، فضلا عن الحجم، سنجد أن ٧٤% من السكان قد دخلوا فى عداد الحضر عام ١٩٩٢، فهناك ١٢ مستوطنة يزيد سكانها على ٩٠٠ ألف نسمة (موسكو، بيترزبرج — ريدوستوف،

كالبنجراد، كوبيشيف (سمارا) سفردلوفسك، أمسك، نوفوسبيرسك، كراسنويارسك، أركنسول، كباروفسك، فلاديفوستك) — وقد زاد سكان الحضر في روسيا من ١٥ مليون نسمة في أوائل هذا القرن إلى ١٦٠ مليون عام ١٩٩٢، وكان هذا النمو الحضري نتيجة التصنيع السريع الذي شهده الاتحاد السوفييتي وخاصة بين عامي ١٩٢٨ وسبعينيات هذا القرن، أما سكان الريف فقد ظلوا شبه ثابتين من حيث الحجم، وإن كانوا قد نقصوا في بعض المراكز، ويتفق توزيعهم بوجه عام مع توزيع الأراضي الزراعية، وإن كانت كثافتهم أكبر في المناطق الزراعية القديمة في غربي روسيا أكثر منها في المستوطنات شرقي نهر الفولجا، وخاصة في سيبيريا الغربية.

اقتصاد روسيا الاتحادية:

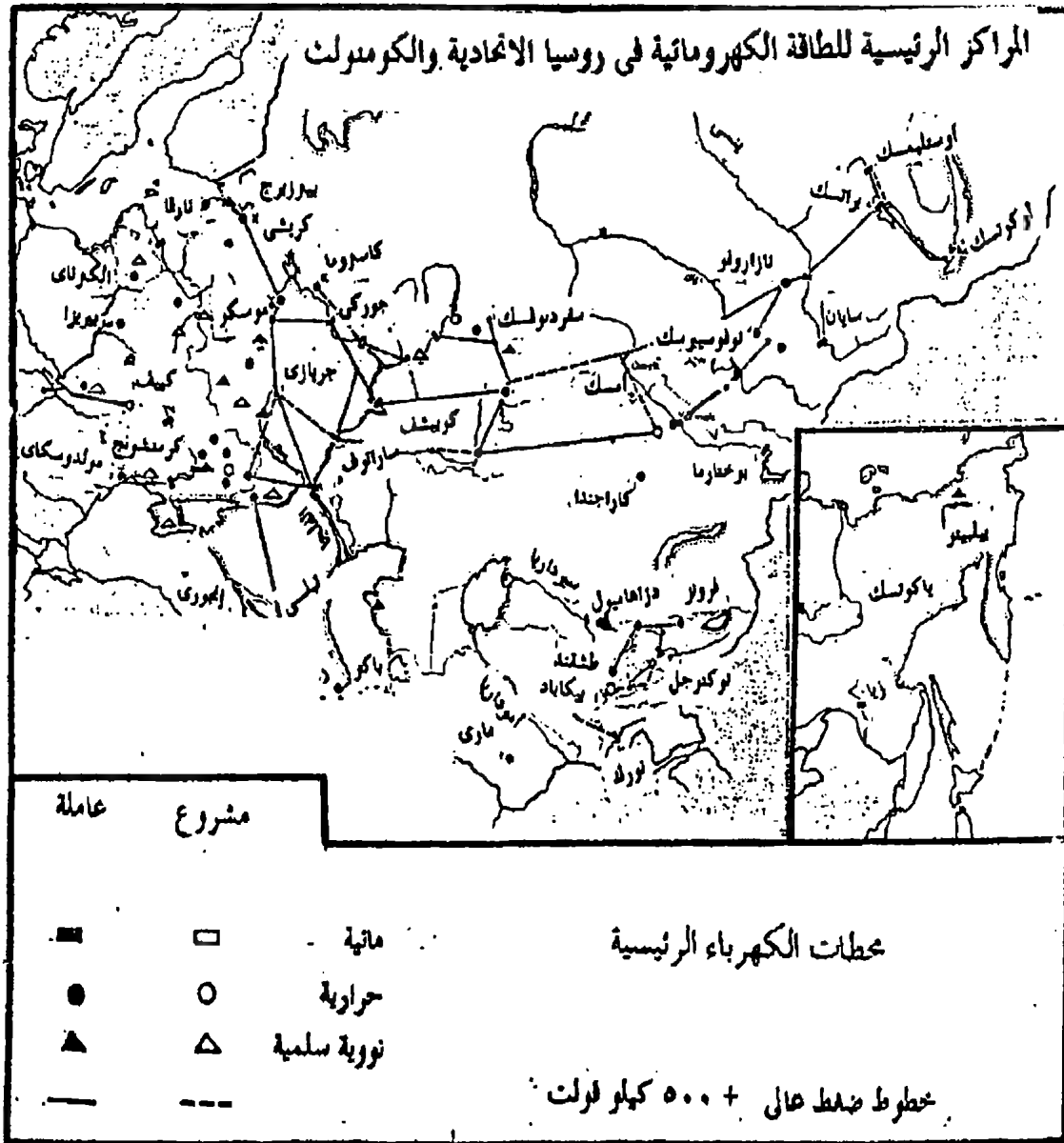
رغم أن روسيا فقدت ١٤ إقليمًا وهم يمثلون الجمهوريات التي إستقلت عن الاتحاد السوفييتي سابقًا، فيبدو أن أهميتها في الاقتصاد والشئون العالمية ستكون نتيجة أن لديها موارد طبيعية ضخمة وكذلك قوتها النووية، أكثر من أهميتها الاقتصادية في الوقت الحالي، فتضم روسيا الاتحادية أكثر من نصف الموارد المائية والموارد المناخية الحيوية، والتي تتمثل في إحتياطات الوقود الحفري والمعادن التي كان يمتلكها الاتحاد السوفييتي سابقًا، كما تضم معظم المساحات التي جرى إكتشاف جزء أو كل معادنها.

فإذا فصلنا قليلا في قطاعات الإنتاج يتبين لنا:-

الإنتاج الزراعي:

لاشك أن الزراعة في روسيا الاتحادية، وفي الاتحاد السوفييتي سابقًا تصادفها صعاب جمة، منها أن النطاق الزراعي الرئيسي في روسيا الاتحادية، يتميز بذبذبات حادة في الحرارة والمطر من عام إلى آخر، وبالتالي تتخفّض إنتاجيتها في السنين القليلة المطر، ويتوقف موعد البذر والحصاد على صقيع الربيع المبكر والخريف المتأخر، كذلك نقص التسهيلات اللازمة لتخزين وتسويق الإنتاج الزراعي، وقد عمل النظام السوفييتي منذ أواخر الثمانينيات على إجراء تعديلات وإعادة تنظيم بعض المزارع بحيث تعطى قدرا من المسؤولية للمزارعين، ونظراً لأن صادرات السوفييت من الوقود والمواد الخام والسلع المصنوعة قد تدهورت منذ أوائل التسعينيات، فإن هذا يجعل لزيادة الإنتاج الزراعي أهمية قصوى، ومع ذلك فقد إنخفض الإنتاج الزراعي من المواد الغذائية في بعض الأقاليم إلى ما يشبه الاكتفاء الذاتي.

وفي الحق أن نسبة الأراضي المزروعة (المبذورة والمتروكة للراحة) في روسيا الاتحادية نحو ١٠% فقط بين مجموع المساحة، ويتطلب زيادة المساحة إستثمارات ضخمة لتحسين الأراضي السيئة الصرف، والبنية الأساسية، من ثم فالطريقة المثلى الآن وفي المدى القريب والمتوسط هو زيادة إنتاجية الأرض المزروعة الآن، ومع ذلك لا ننسى أن إنتاجية الأرض لأسباب بيئية أقل من نظيرتها في غرب أوربا لنفس المحاصيل، وكذلك أقل من نظيرتها في كندا وأستراليا.



الإنتاج الصناعي:

تضم روسيا الاتحادية أكثر من نصف الموارد المائية، واحتياطي الوقود الحضري والثروة المعدنية للاتحاد السوفييتي السابق، ولكن مشكلتها في إستغلال ثروتها تتمثل في أن ٧٠% من سكانها يتركزون في ربعها الغربي، بينما معظم ثروتها المعدنية شرق جبال الأورال، ولاشك أن روسيا ورثت طاقة صناعية ضخمة من الاتحاد السوفييتي، ولكنها في نفس الوقت غير متوازنة نظرا لإتباع سياسة الإنتاج الحربي أولا، ومحاولة الوصول إلى الإكتفاء الذاتي في الصناعات الأساسية والإستراتيجية، وكان هناك ضغط من المخططيين في الثلاثينات والخمسينات لاستعادة ماأتلفته الحرب لزيادة الإنتاج الصناعي، حتى يمكن للحاق بالولايات المتحدة الأمريكية وساعدهم على هذا غنى وتنوع الخامات الصناعية في

جزء من قطاع الصناعات الثقيلة وخاصة الحربية إلى الصناعات الاستهلاكية المدنية والخدمات، فقد إعتري الاتحاد السوفييتي السابق نقصا هائلا في الخدمات اللازمة للتحويل نحو إقتصاد السوق ، كالخدمات القانونية والمالية والبنوك المتطورة والبورصات وغيرها، وحتى تعرف أهمية هذه الخدمات والوقت الذي يستغرقه التحول، نضرب مثلا ببريطانيا حيث أخذت تحويل ١٠% من رأس المال من الصناعة والخدمات من القطاع العام إلى القطاع الخاص نحو عقد من الزمان حتى ظل في وجود الآليات اللازمة لذلك.

مشكلات روسيا الاتحادية

أولا : مجتمعات تعاني من صدمة

لم تكن التداعيات التي حدثت نتيجة لإنهاء الارتباطات السوفيتية بدول شرقى أوروبا وإنهيار نظمها الداخلية بأقل من تلك التي حدثت من تفكك الاتحاد السوفييتي داخليا فقد أوجدت هذه التحولات حالة من عدم الاستقرار، إن لم تكن الفوضى في الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية خاصة، ورغم إبتهاج الشعوب بحرياتها الجديدة، إلا أنها بدأت تشعر بتأثير عملية الانتقال الحادة من النظام القديم وإقتصادياته القائمة على ضمان قدر من الأمان الإقتصادي والإجتماعي إلى الأخذ بإقتصاديات السوق وآلياته، ورغم التفاعلات الداخلية التي تجرى في هذه الدول على مدى السنوات الماضية في إتجاه التوصل إلى صيغة مستقرة لنظامها الإقتصادي والإجتماعي، فما زالت تصدق مقولة المفكر ورجل الدولة التشيكي فاسلاف هافيل حين وصف ظروف بلاده بقوله أن مجتمعا في حالة صدمة لم يكن أحد يتوقع أن تكون بهذا العمق إن النظام القديم قد إنهار، ولكن النظام الجديد لم يولد بعد، وتتصف حياتنا بشكل عام بعدم التأكد حول أى نظام نريده وكيف نبنيه، وعمّا إذا كنا نمتلك وسائل وأدوات بنائه.

ثانيا : الكمنولث الأوربي الأسوي أو الرابطة المفككة

إن أبلغ وصف للإمبراطورية السوفيتية (الاتحاد السوفييتي سابقا) أنه كان عبارة عن آلة ضخمة تعمل بنظم مبرمجة سياسيا وعسكريا وإقتصاديا وثقافيا، وكانت تدار من خلال غرفة عمليات مركزية (موسكو) تعرف كيف تحركها، أما الآن فقد تفككت تلك الآلة المبرمجة إلى قطع مما أدى إلى توقفها، من ثم كانت محاولة جمع أجزاء هذه الآلة مرة أخرى (الجمهوريات المستقلة) فيما عرف بأسم الكمنولث الروسي، ولكن التجربة التي خاضتها في تلك الفترة تمثلت في معاناة رهيبية من الشعور بالتمزق النفسي لغياب القدرة على فرض الإنبعاث القومي بسبب القمع المتنوع الأشكال، وكذلك سياسة (الترويس) وإيثار الروس في المراكز الإدارية حتى داخل الجمهوريات غير الروسية.

هذه التجربة المريرة جعلت من الصعب إعادة تركيب الآلة بشكل جديد وبطريقة تمكنها من السير والاندفاع إلى وضع أفضل ، فهناك تركة ثقيلة في مقدمتها:

(أولا) : الحروب الأهلية العنيفة: التي مازالت مشتعلة داخل بعض الجمهوريات

لأسباب قومية وإجتماعية، وفي الحروب القومية بين بعض الجمهوريات بسبب الحدود التي رسمتها السلطة السوفيتية السابقة . وكان الحال الذي خلفه الإستعمار الغربي للبلدان الحديثة الإستقلال في آسيا وإفريقية فيما يتعلق بنزاعات الحدود والتي رسمها إبان سيطرته ليضمن هيمنته وفق سياسة " فرق تسد " وليضمن عودته لاحقا إن أمكن .. نقول كان الحال هذا مشابه للحال الذي خلفه المركز (موسكو) في الجمهوريات غير الروسية وإن اختلفت الأساليب والوسائل والغايات، مع فارق أن المتروبول (روسيا) الحالي لن يستفيد مما خلفه كما إستفاد الإستعمار الغربي.

(ثانيا) : مشكلة الأقليات الروسية في الكمنولث: ساد اعتقاد عقب إنهيار الإتحاد السوفيتي — سابقا — وتفككه إلى خمس عشرة دولة مستقلة: مفاده " أن التعدد السلاي — العرقي في هذه الجمهوريات، ووجود أقلية روسية في هذه الجمهوريات تقدر بنحو ٢٥ مليون روسي. سوف يساهم في تعميق أوجه التعاون والتكامل بين أسرة الدول المستقلة . على اعتبار أن هذه الأقلية ستصبح الجسر ما بين جمهورية روسيا الاتحادية وباقي الجمهوريات الأربع عشرة " .

ولكن ذلك لم يتحقق، بل إن هذه الأقلية الروسية أصبحت مصدرا للقلق والتوتر وما يصاحبها من مظاهر عدم إستقرار روسيا الاتحادية، وجمهوريات أسرة الدول المستقلة، وإذا أضيف إلى هذا العامل، وجود مجموعات من الجيش الروسي يقدر عددها بنحو مليون ونصف مليون جندي لا تعرف طبيعة دورها في تلك الدول، فإن هذا المزيج قابل للإنفجار فيما لو أدخل ضمن الآليات التي إعتاد بموجبها العسكر الذي يعيشون في الخارج على دعم الأقلية الروسية في هذه الجمهوريات.

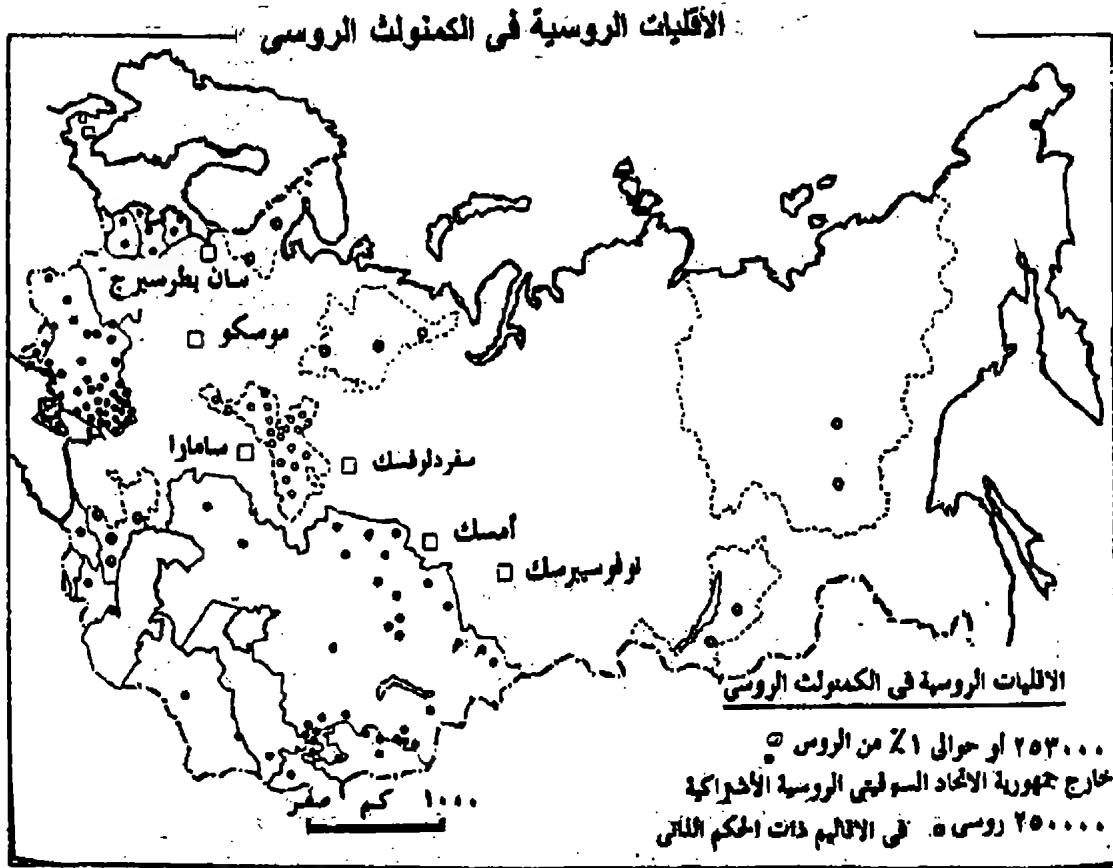
وزاد من حدة الأزمة التي تكتنف وجود هذه الأقلية خارج روسيا، أن أبناءها وجدوا أنفسهم غرباء تواجههم موجات الكراهية والتهديدات في بلدان إعتبروها قبل سنوات قليلة جزء لا يتجزأ من وطنهم.

ومن هنا ينظر إلى قضية الأقلية الروسية خارج حدود جمهورية روسيا، لا كأحد القضايا الساخنة التي تعوق إمكانيات التعاون بين مجموعة الدول المستقلة فحسب بل تعتبر أيضا، من أهم بؤر ومظاهر التوتر المستقبلي داخل هذه الجمهوريات وفي علاقاتها المتبادلة.

(١) مجموعة دول بحر البلطيق:

وهي : التي تضم كلا من ليتوانيا ولاتفيا ، وإستونيا ، وتبلغ الأقلية الروسية أقصى مدى لها في جمهورية لاتفيا، التي يبلغ عدد سكانها ٢,٧ مليون نسمة، لا يشكل اللاتفيون أكثر من ٥٢% من السكان، بينما تصل نسبة الأقلية الروسية إلى ٤٢%، وترتفع هذه النسبة لتصل إلى ٧٠% في العاصمة ريجا، وتقل تدريجيا في جمهورية إستونيا (١,٦ مليون نسمة) حيث يشغل الروس المركز الثاني بعد الأستونيين (٦٢%) بنسبة ٣٠%، وتصل أدناها في جمهورية ليتوانيا (٣,٨ مليون نسمة) حيث يأتي الروس بعد اللیتوانيين

(٨٠%) وبنسبة ٩%، وقد أقرت إستونيا مؤخرا تعديلات دستورية جديدة صوت المواطنون فيها لصالح حرمان المتكلمين بالروسية من حق الانتخاب، أما ليتوانيا فتشجع السلطات فيها هجرة الروس ويساعدها على ذلك قانون يربط بين منح حق المواطنة وإتقان اللغة الليتوانية



(٢) مجموعة دول غرب روسيا الاتحادية : رغم إختفاء العامل الديني، فإن حدة أزمة الأقلية الروسية في هذه المجموعة تتزايد حدة الخلافات السياسية والحدودية بين دولها وروسيا الاتحادية، فجمهورية مثل أوكرانيا ٥١,٨ مليون نسمة، ويشغل فيها الروس المرتبة الثانية في الترتيب بعد الأوكرانيين (٧٣%) وبنسبة ٢٢% مازالت فيها الحركة اليمينية المتطرفة، وأبرزها حركة " روخ " المعادية للروس على رغم العلاقات التاريخية بين الشعبين، والجهود التي بذلتها أوكرانيا لتحسين العلاقات مع روسيا، والتي توترت بسبب الخلاف على مصير أسطول البحر الأسود وشبه جزيرة القرم.

وهذا السعي لتحسين العلاقات يعود إلى إدراك الحكومة الأوكرانية مخاطر دفع النزاع مع موسكو إلى حده الأقصى، ليس خوفا من احتمالات مواجهة عسكرية فحسب، بل أيضا تجنبا لإنعكاساته على وحدة الأراضي الأوكرانية نفسها، فشرق البلاد تقطنه أغلبية روسية، وهي منطقة صناعية غنية بالفحم والخامات الأخرى، كما أن غرب أوكرانيا إقليم

ترافسكارباتيا معظم سكانه من المنحدرين من أصل مجرى، إضافة إلى مناطق أخرى تغلب عليها عناصر الروس البيض (بيلوروسيا بنسبة ١%) مما يهدد في حال انفجار الصراع مع روسيا، سعى كل أقلية إلى الالتحاق بوطنها الأصلي، وفي إطار محاولة إستباق التفكك صوت البرلمان الأوكراني لصالح منح شبه جزيرة القرم ذا الأغلبية الروسية حكماً ذاتياً واسعاً وكان ذلك كافياً ليتراجع الزعماء الروس عن مطلبهم بإجراء إستفتاء حول الإستقلال.

وفى جمهورية مولدوفا تبني البرلمان قانوناً يفرض على السكان، إتقان اللغة الوطنية الرومانية كشرط للإعتراف بمواطنيتهم، الأمر الذي فاقم من مشاعر الإمتهان لدى الأقلية الروسية، إذ تحولوا من أصحاب أفضل المراكز والمناصب، إلى مواطنين من الدرجة الثانية مهددين بالإستبعاد.

(٣) **مجموعة آسيا الوسطى :** تبدو هذه المجموعة والأقلية الروسية فيها مستقرة، فعلى الرغم من المضايقات التي يتعرض لها الروس في جمهورية كازاخستان ١٦,٧ مليون نسمة ويشكل الروس المرتبة الثانية بنسبة ٣٨% بعد الكازاخ ٤٠%، وتحاول السلطات توفير الحماية لهم وضمان حقوق مساوية لحقوق المواطنين الكازاخ، حيث أقر البرلمان قانوناً بمنع الفصل التعسفي من العمل للمواطنين الذين لا يتقنون اللغة الكازاخية وهو وضع مشابه لحال جمهورية قيرغيزستان ٤,٧ مليون نسمة، ويشكل الروس فيها المرتبة الثانية بنسبة ٣٠%.

ويرتبط موقف كازاخستان، بالدور والوجود الروسي المتميزين فيها فمثلاً في الأسلحة النووية المتواجدة في الجمهورية، والقاعدة الفضائية في بايكاتور والعديد من المنشآت الحيوية التي لا غنى لحكومة الما - آنا عنها، فهي مازالت في حوزة كوادرات أكثريتها من الضباط والعلماء والتقنيين الروس، ويختلف هذا الوضع في جمهورية تركمانستان ٣,٦ مليون نسمة يشكل الروس فيها المرتبة الثانية بنسبة ١٠% أى مايعادل ٣٦٠ ألف نسمة بعد التركمان ٧٢% ، حيث منعت السلطات بيع المساكن الخاصة مما حرم الأقلية الروسية من إمكانيات العودة إلى بلدهم وتحولهم إلى رهائن، ويرجع ذلك إلى رغبة سلطات الجمهورية الإستعانة بالروس خصوصاً العسكريين منهم في بناء مؤسساتها الوطنية.

(٤) **مجموعة جمهوريات القوقاز :** وفى هذه المجموعة معدلات النزوح للروس إلى أدناها ، وربما يرجع ذلك إلى حجم الأقلية الروسية الضئيل، حيث يقدر عددهم ٧٩٩ ألف نسمة ويمثلون نسبة ٤,٩% من حجم سكان دول هذه المجموعة البالغ ١٦ مليون نسمة، ويشغلون بذلك المرتبة الأخيرة ٣,١% من حيث إنتشار الأقلية الروسية.

وتمثل جورجيا ٥,٥ مليون نسمة أقصى مدى وصلت إليه الأمور بالنسبة للأقلية الروسية، التي تشغل المرتبة الثالثة بنحو ٦% بعد الجورجيون ٨٠%، والأرمن ٨%، حيث خاض الجورجيون المعارضين للوجود الروسي معارك عديدة.

• يتماثل هذا الوضع في جمهوريتي أذربيجان ٧,٢ مليون نسمة، ويشغل الروس المرتبة

الثانية ٥,٦% وجمهورية أرمينيا ٣,٣ مليون نسمة، ويشغل الروس المرتبة الثالثة بنسبة ٢% حيث تخوض الجمهوريتين صراعا قوميا حول ناجورنى كاراباخ.

(ثالثا) : هجرة الكفاءات الروسية من تلك الجمهوريات فى وقت أحوج ما تكون فيه لتلك الكفاءات فى التنمية وإعادة البناء الإقتصادى والإجتماعى، ولو على الأقل بتدريب الكوادر المحلية وإحلالها تدريجيا محل تلك الكوادر الروسية، ويمكن إدراك خطورة هذه الآثار، إذا ما علمنا النسبة الكبيرة التى يشكلها الروس فى كثير من تلك الجمهوريات من مجموع السكان ومن مجموع الكفاءات والعمال المهرة.

فعلى سبيل المثال يشكل الروس ٣٢% من العمال الصناعيين و ١٠% من العمال الزراعيين فى قيرغيزيا، وإجمالا هناك ما يقرب من عشرة ملايين روسي يعيشون فى الجمهوريات الآسيوية ... وتشير التقديرات إلى توقع رحيل أكثر من مليون ونصف مليون روسي فى السنوات القادمة فى حين هاجر نفس العدد تقريبا منذ السنوات الأولى لعهد جورباتشوف. ومن الواضح أن سبب الهجرة هو صعوبة تأقلم الروس وتكيفهم مع المستجدات والمتغيرات الجديدة بعد إستقلال الجمهوريات وإنهيار الإتحاد السوفييتي ١، إذ وجد هؤلاء أنفسهم فى ظل هذا الوضع الجديد أقلية محظية لا تشعر بأقليتها ١.

وبدأت هذه الأقلية تستشعر الخطر الذى يهدد مصالحها بل ووجودها ١، وذلك بعد أن قامت القيادات السياسية القومية الجديدة بتهميش مواقع الروس أو طردهم من مجالس الإدارة ١، والمؤسسات الإعلامية، والتعليمية، والثقافية، وكذلك من مؤسسات الإنتاج، والمواقع الإدارية وأجهزة حفظ النظام، أضف إلى ذلك الجو العام المشبع بالعداء للروس الذى ولدته نقمة الضغط الروسى عليهم طوال ما يقرب من سبعين عاما.

على أنه من الجدير أن نشير إلى جانب هجرة الكفاءات الروسية هناك هجرة الكفاءات المحلية " المتروسنة " فى بعض الجمهوريات مثل طاجيكستان وقيرغيزيا ممن كانوا محظيين فى الحقبة السوفييتية، أو كان نمط تفكير وثقافة بعضهم إعتاد اللغة الروسية، ولاسيما صفوة المثقفين والتكنوقراط.

ثالثا : فشل النتائج المتوقعة من رابطة الكمنولث

على أثر فشل روسيا فى صد إصرار الولايات المتحدة الأمريكية لتوسيع حلف الناتو للحد من نفوذ روسيا الجيوبولتيكى، عادت روسيا للتوجه نحو الشرق لمواجهة هذه الضغوط ، منها محاولة تقوية علاقتها مع الصين والهند، وأكثر من هذا نحو دول الكمنولث الروسى، أى إستفادة الموروث السوفييتي الذى إتخذ من الجمهوريات الأوربية واجهة متقدمة للدفاع عن روسيا ضد خصومها، والجمهوريات الآسيوية كظهير. وفى الواقع بدلا من أن تتمخض رابطة الكمنولث عن المزيد من التلاحم والتكامل المفروض بعد إنهيار الإتحاد السوفييتي السابق، نجد تدمرا حادا يسرى بين أعضاء الرابطة، ففي إجتماع قمة الرابطة فى النصف الأول من ١٩٩٧ يصرح رئيس جمهورية أوكرانيا ثانيا أكبر قوة إنتاجية وسكانية فى الإتحاد يقول "عندما تتمتع جبهة واحدة بالإميازات فى

الرابعة (روسيا) فإن ذلك يعكس صفو مزاج الآخرين، ولا يشجعهم على العمل متكاتفين، وإذا واصلت موسكو الضغط علينا في أوكرانيا فسننضم إلى الناتو" وقال إدوارد شيفرنادزه رئيس جمهورية أوكرانيا (وزير خارجية الاتحاد السوفيتي السابق) " لقد وقفنا على أطنان من أوراق الرابطة ولكنها لم تُجنب وطأة المشاكل ولم تحمل لنا رياح الإرتياح" بل ويطالب بنصيب من أسطول البحر الأسود الذي إقتسمته روسيا مع أوكرانيا، ويطالب رئيس جمهورية أذربيجان روسيا بسحب الأسلحة التي باعتها لأرمينيا بأكثر من ألف مليون دولار لأنها ستستخدم ضد بلاده ، هذه أمثلة وغيرها الكثير، مما يدل على أن المشاكل لا تنتهي.

الكمونلث الروسي المساحة والسكان والنسبة المئوية للروس عام ٢٠٠٠م

	المساحة بالآلاف ميل ٢	السكان بالمليون	% للروس		المساحة بالآلاف ميل ٢	السكان بالمليون	% للروس
روسيا الاتحادية	٦٥٩٢	١٤٥,٧	٨٢	جمهورية القوقاز			
جمهورية البلطيق				أرمينيا	١١,٥	٣,٥	٢
إستونيا	١٨ +	١,٦	٣٠	أذربيجان	٣٢ +	٨,٥	٦
لاتفيا	٢٥ +	٢,٧	١٢	جورجيا	٢٧	٥,٨	٦
ليتوانيا	٢٥ +	٣,٩	٩	جمهورية آسيا الوسطى			
جمهورية غرب روسيا				كازاخستان	١٠٥	١٥	٣٨
أوكرانيا	٢٣٣	٥١,٨	٢٢	قرغيزيا	٧٦	٥	٢٢
بيلوروسيا (روسيا البيضاء)	٨٠	١٠	١٣	طاجيكستان	٥٥	٦	١٠
مولدافيا (مولدوفا)	١٣	٥	١٣	تركمنستان	١٨٨	٥,٧	١٠
				أوزبكستان	١٧٢	٢٥,٧	٨٠

لأشك أن هذه ظواهر تعبر عن فوضى في جميع تلك الجمهوريات وتكشف عن حيرة وضياح وإنعدام رؤية لدى القيادات الجديدة، التي إستطاعت أن تجد صيغة لتأليف " كومونلث " بين دول ذات سيادة ولكنها لم تجد بعد، وقد لا تجد في مدى قريب نظاما ما يضمن بقاء هذا الكمونلث، ويجعل منه قوة دولية تستعيد بعض ما كان للإتحاد السوفيتي من وزن ونفوذ.

رابعاً : تدهور الأوضاع الإقتصادية في ظل فوضى شاملة

على الرغم من أن روسيا تكاد تكون غالبية الإمبراطورية السوفيتية المنهارة ، لأنها تضم ثلاثة أرباع المساحة الجغرافية للإتحاد السوفيتي وحوالي نصف عدد السكان، ٦٠% من الثروات ومعظم الإنتاج، حيث يتركز بها معظم القاعدة الصناعية والعسكرية ، وغالبية

الرووس النووية، فإن الإنتاج الروسي إنخفض بنسبة ٥٠% بين عامي ١٩٩٠، ١٩٩٥؛ وعلى الأخص في الصناعات الثقيلة والآلات والمعدات، وإمتد الإنخفاض بصورة ملحوظة وواضحة إلى مؤسسات الإنتاج الحربي الروسي، التي كانت تمثل عصباً رئيسياً للصناعة الروسية، وتكاد تحتكر كل ما تملكه روسيا والإمبراطورية السوفيتية المنهارة من تكنولوجيا بالغة التقدم يشهد لها سبق السوفيتي والريادة في مجال غزو الفضاء، بكل ما يحتاج إليه من تكنولوجيايات متقدمة رفيعة المستوى والدرجة. وقد فرضت طبيعة النظام المغلق أن ينحصر العلم بها والاستفادة منها، في نطاق المؤسسة العسكرية فقط لا غير، ولا تتحول إلى معارف وتقنيات تساهم في تطوير وتحديث الصناعة المدنية، كما حدث في أمريكا وباقي الدول الغربية، وكان سبباً رئيسياً من أسباب الطفرات الإنتاجية والإقتصادية الضخمة في هذه الدول.

يضاف إلى ذلك إنتشار البطالة وإتساع نطاقها، في ظل إغلاق الكثير من المصانع، أو توقفها شبه الكامل عن الإنتاج، وتعطل الجزء الأكبر من الطاقة الإنتاجية بباقي المصانع لنقص التمويل، والخامات، والمعدات، والآلات، وللعجز عن التسويق لإنخفاض كفاءة المنتج وعدم تلبية للأذواق.

ويضاعف من سلبيات الموقف وتأثيراته الدرامية أعباء ذلك القدر الكبير والمتراكم من المديونية الخارجية الكبيرة والمتضخمة التي تصل إلى نحو ١٢٧ مليار دولار، ورثتها روسيا عن الإتحاد السوفيتي بحكم أنها ورثت غالبية أصوله وممتلكاته الداخلية والخارجية.

وفى مواجهة الأسعار المنفلته يأتى الجانب المقابل من الصورة والمرتببط بتدني قيمة الحد الأدنى للأجور، حيث تبلغ نحو ١٥ دولاراً أى نحو ٧٠ ألف روبل، في الوقت الذي تبلغ فيه تكلفة تذكرة المواصلات العامة ٢٥٠٠ روبل، ويصل سعر رغيف الخبز إلى ٢٣٠٠ روبل (١٩٩٧)، مما يوضح مدى الإرتفاع في تكاليف المعيشة الرئيسية، خاصة أن جانباً متزايداً من السلع والمنتجات الغذائية يتم إستيراده من الخارج، في ظل النقص المتزايد في إنتاج السلع الزراعية ومنتجات الألبان والثروة الحيوانية وهو إتجاه تؤكد الإحصائيات والتقارير الرسمية.

لا نقاش في أن قوة ومثانة العملة الوطنية هي أحد الدلائل والمؤشرات الواضحة على مدى قوة أو ضعف إقتصاد الدولة، وحتى نهاية الثمانينات كان الدولار الأمريكي يساوي في السوق السوداء نحو ٣,٥ روبل، وكان يساوي رسمياً وقبل إنهيار الإتحاد السوفيتي أقل من الروبل حيث كان الروبل رسمياً يساوي ١,٧ دولار.

وعندما بدأت الأوضاع في الإنهيار والتدهور، بلغ الدولار في السوق السوداء ١٥ روبلاً في عام ١٩٩٠ ومع تصاعد حدة الإنهيار وبدء تفكك الإتحاد السوفيتي بلغ الدولار ٥٠ روبلاً في عام ١٩٩١ وإستمرت حدة الإنهيار ليصل سعر الدولار عام ١٩٩٦ إلى ٥٤٥٠ روبلاً، حتى أن المحلات في المراكز التجارية الكبرى تضع السعر على السلع

والمنتجات بالدولار أو بالمارك الألماني، ولا يقتصر ذلك على السلع الاستهلاكية من الملابس والأدوات الكهربائية وغيرها، ولكنه يمتد إلى السلع الغذائية، ويتم معادلة الدولار بالسعر بشكل أسبوعي، ويتم الإعلان في المحلات عن أسعار صرفه لتقييم سعر السلعة، ولكن الدفع يتم دائما بالروبل حتى لا يتلاشى من الساحة، ويصبح الدولار هو العملة الرئيسية للمعاملات.

وفي ظل التوجه الواضح للاستيراد من الخارج، وغياب السلع والمنتجات الروسية، فإن سعر الصرف يصبح عاملا حاكما لمستويات الأسعار، ويصبح وقودا رئيسيا للتضخم، بما يحتم إجراء تعديلات متوالية في الأجور والمرتبات وفقا للتعديلات والتغيرات في أسعار الصرف، وهذا الأمر لا يتم عمليا وواقعا، بل تتعقد الأمور في ظل التزامات روسيا باتفاقها مع صندوق النقد الدولي، الذي يقيد الإصدار النقدي الجديد من الروبل، وينص على قيمة محددة للنقد المتداول، وهو ما أدى إلى عجز الحكومة عن سداد مرتبات العاملين في الدولة، والتأخر في سداد المرتبات لشهور عديدة، حتى أن قضية سداد المرتبات جاءت في مقدمة الحملة الانتخابية للرئيس الروسي يلتسن حيث تعهد بالإنظام في السداد، وأعلن عن إجراءات لسداد المتأخرات، وقد تفاقمّت الأزمة خلال الفترة الأخيرة مع التأخير في سداد مرتبات الضباط والجنود، وحتى قيادات الأركان الروسية، مما دفع قيادات الجيش الروسي إلى إعلان التذمر والتهديد باتخاذ إجراءات حاسمة في مواجهة المهانة والإذلال المادي والمعيشي والذي يتعرض له جيش كان حتى وقت قريب أقوى قوة عسكرية في العالم أو على الأقل القوة الثانية.

ويعزز من إنهيّارات الروبل وأسعار صرفه، ضالة حجم التدفقات من النقد الأجنبي في صورة إستثمارات مباشرة إلى روسيا، على الرغم من جميع أحاديث الإنفتاح، والحجم الضخم من التنازلات المقدمة للاستثمارات حيث توضح الإحصائيات أن حجمها الإجمالي بلغ ٢,٨ مليار دولار فقط مع نهاية عام ١٩٩٥ مقابل ١,١ مليار دولار في عام ١٩٩٤ وتأتى في المقدمة الإستثمارات الأمريكية بقيمة قدرها ٨١٣ مليون دولار، ثم سويسرا بقيمة قدرها ١٦١,٤ مليون دولار، في حين تشير التقديرات الروسية إلى أنه في ظل الفساد السياسي والإداري والإقتصادي في ظل تحكم المافيا والجريمة المنظمة في الكثير من الأمور بخلاف القصص والروايات عن أموال الحزب الشيوعي وقياداته السابقة في الخارج وعن عمليات بيع البترول الروسي في فترات الإنهيار لصالح القيادات الكبرى وغيرها من صور النزع الطوفاني للثروة القومية لصالح جهات الفساد التي تعاقبت على السلطة والحكم والإدارة.

كل هذا قد تكون له أثاره السياسية، فهل يجهل أحد ما حدث في يوغسلافيا بالإضافة إلى ما حدث في ألبانيا التي تعتبر من أفقر بلاد العالم؟ هل ستصبح روسيا مثل ألبانيا؟، إن الانفجار الروسي إذا حدث، سيكون رهيبا، لا يبقى ولا يذر، وعماده شعب جائع ومتذمر ومحروم.

حقائق الإقتصاد الروسى بالأرقام:

جاء فى تقرير الدكتور / أندريه إيلايونوف مدير معهد التحليلات الإقتصادية بموسكو مايلى بشأن الوضع الإقتصادى فى روسيا ، وقد نشرته جريدة الازفستيا فى ١١ ديسمبر ١٩٩٦.

- فى عام ١٩٩٦ أصبحت الحكومة عاجزة عن دفع أجور مرتبات ٦٧ مليون من العاملين بمختلف مجالات الحياة.

- بلغت ديون العاملين على الحكومة ٤٦,٦ ترليون روبل.

- إنخفاض الإنتاج القومى الإجمالى فى السنوات الأربع بين ١٩٩٣، ١٩٩٦ بنسبة ٢٨% على حين كانت نسبة الهبوط ٢٥% فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧) وكانت ٢٣% فى فترة الحرب الأهلية التى أعقبت سقوط الحكم القيصري، وظهور السلطة السوفييتية (١٩١٨ - ١٩٢٣). وكان الإنخفاض بنسبة ٢١% فى فترة الحرب العالمية الثانية (١٩١٤ - ١٩٤٥).

- إزدادت الديون الخارجية خلال الأربعة أعوام المذكورة إلى ١٢٧ مليار دولار أمريكى والديون الداخلية تقترب من ٤٥ مليار دولار.

لكن إلى متى يتم تأجيل تحصيل الديون سنه بعد سنة وإلى حد يمكن أن تمضى أمريكا ودول أوروبا الغربية ومعها كندا واليابان فى تأمين القروض والمساعدات المطلوبة للجمهوريات السوفييتية العاجزة؟

هناك مطالب محددة ، بدأت تصدر عن بعض الدول الغربية لتأمين القروض، من تلك المطالب الحصول على ضمانات من الجمهوريات التى ستحصل على المليارات ، ولم يعد خافيا أن الدول الصناعية تريد الذهب السوفييتي، وهذه المسألة لها مضاعفات خطيرة من الناحيتين الإقتصادية والقومية، علما بأن الجمهوريات السوفييتية كلها لا تملك أكثر من ٢٤٠ طنا من الذهب ، يطالب الغرب بنصفها كضمانات للقروض ، هذا الوقت لا نتردد الجمهوريات الغارقة فى الصقيع ودون وقود ولا مواد غذائية كافية فى عرض بعض ما تملك من معدات عسكرية للبيع ، تعتبر جمهورية روسيا الاتحادية أغنى جمهورية بالمعدات الحربية فهي تسيطر على نحو ٧٠ بالمائة من المصانع الحربية التى كانت تابعة للقيادة المركزية السابقة.

وأخيرا

* يتركز الروس، وكذلك معظم شعوب الجمهوريات السوفييتية السابقة الماضى بأمجادة العسكرية الاستعراضية، ولا يأسفون عليه إلا عندما يستعرضون حالتهم الإقتصادية والاجتماعية وحتى الصحية.

* فهم تخلصوا من نظام الكبت والعجز عن مواكبة التطور، ولكنهم لم ينتقلوا إلى نظام

يؤمن لهم القليل من الرخاء مع النمو الإقتصادي وفرص العمل والتصنيع التكنولوجي الذي يربطهم بعجلة العصر.

* تعرفوا على البطالة بعدما كانوا مرغمين على العمل (لأن من يقدر ولا يعمل لا يحق له أن يأكل) وهذا ما أدى بالشباب العاطل إلى سلوك دروب الإخلال بأمن المجتمع.

* تتضاعف الصعوبات أمام إهدار البنية الأساسية، وعدم قدرة الدولة على مجارة التطور التكنولوجي في حقل إنتاج الصناعات الخفيفة والإستهلاكية، مما يجعل قطاع الخدمات كالسياحة والطيران والاتصالات عاجزا عن تحقيق حلم روسيا.

• لا تزال روسيا دولة صناعية عسكرية رغم الاتجاه إلى تقديم الصناعة المدنية، فهناك ما يزيد على ١٥٠٠ مصنع لإنتاج الأسلحة الثقيلة والحقيقة بعد توقف كثير من المصانع الماثلة لها، وفيما يطالب الأمريكيون بتحويل المصانع الحربية الروسية إلى الصناعات المدنية الصالحة للإستهلاك المدني والتصدير، يقول الروس أنهم بحاجة إلى ١٥٠ مليار لإنجاز هذه المهمة.

* لم تفقد روسيا الوزن الذي كان يمثلها الإتحاد السوفييتي السابق، ومعه الدور والنفوذ الدولي فحسب، بل فقدت كذلك إرثا ضخما من العلاقات الثنائية مع دول العالم الثالث، والتي كانت لها الصديق والنصير، وتقدمت عليها فرنسا أو ألمانيا أو اليابان كقوة عظمى أو كبرى.

ليس معنى هذا أن العالم لا يعمل حسابا لروسيا على إعتبار أنها كقوة عالمية أصبحت في ذمة التاريخ، فهناك أكثر من ٢٠ ألف رأس نووى في الترسانة الحربية الروسية كما أنها صاحبة أكبر ترسانة من الأسلحة الكيماوية بعد الولايات المتحدة الأمريكية ويتكلف تدميرها ٥ مليارات دولار وهي قد لا تكون بعيدة عن متناول أيدي السخاطين إذا استبد بهم اليأس.

روسيا تتجه شرقا لتعوض ما أصابها من وهن غربا

بعد توقيع الرئيسين الروسي والصيني على معاهدة خفض القوات والأسلحة المشتركة الطويلة بينهما في إبريل ١٩٩٧ من أبرز الأحداث في ذلك العام، نظرا لأن المعاهدة كانت مصحوبة ببيان سياسي غير مسبوق في العلاقات الصينية الروسية أعلننا فيه رفضهما إنفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالزعامة والسيادة العالمية، كما أن وثائق المعاهدة يتضح منها أنهما يسعيان لدفع الضرر عن مصالحهما القومية، وتعزيز مكانتهما العالمية، فالخريطة السياسية للعالم في المستقبل يجب أن تكون لعالم متعدد الأقطاب غير مقسمة إلى قادة وتابعين، خاصة وأن الإتفاقيات السابقة تنص على تزويد الصين بالتكنولوجيا والخبرة العسكرية والنووية الروسية، وتشير التقديرات الغربية أن قيمة ما أشتريته الصين من الأسلحة الروسية من دبابات متطورة وأنظمة صواريخ وغيرها بلغت نحو ٦ مليارات دولار بين عامي ١٩٩١/١٩٩٦، كما أن هذه المعاهدة الأخيرة تستهدف زيادة التبادل

التجاري بينهما بعد أن بدأت الأسواق الغربية تضيق الخناق على المنتجات الصينية، ولاشك أن المنتجات العسكرية خاصة الغواصات والمدمرات والمقاتلات ستظل سلعة نادرة تحتاجها الصين بشدة للسيطرة على المياه الإقليمية، ومواجهة خطر التحالف الأمريكي الياباني، والأمريكي الكوري، كما أن روسيا في حاجة إلى هذا التحالف في مواجهة إصرار الولايات المتحدة الأمريكية بالوصول إلى حلف الأطلسي حتى أبوابها الغربية.

وقد تضمنت المعاهدة أيضا الني وقعا أربعة رؤساء لجمهوريات روسيا، قرغيزيا، وطاجكستان وقزاقستان فضلا عن الصين. على تزويد الصين بالغاز الطبيعي من إقليم أومسك في الشرق الأقصى الروسي حتى يصل إلى شنغهاي، ومعنى ذلك توفير إستخدام الفحم الذي يشكل ٨٠% من وقود الطاقة في الصين، وهذا نظرا لهدوء الأحوال السياسية بين الصين والهند، وروسيا، ولا يمكن الإستهانة بذلك لأن الدول الثلاث هي دول نووية تضم نحو ٤٠% من سكان العالم، و ٢٥% من موارده، وهذا كما إتفقت الصين وروسيا على الموقف المشترك كعضوين دائمين في مجلس الأمن، وهذا معناه رفض الهيمنة الأمريكية، وهذا ما كان يؤكد الأمين السابق للأمم المتحدة فيما يختص بإستقلالية المنظمة، وإن هناك فارقا بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة وكان هذا إنطلاقا (فشل الرئيس يلتسن في إثناء الرئيس كلينتون ودفعه لمراعاة شعور روسيا من توسيع حلف الناتو صوب الشرق في مباحثات قمة هلسنكي (١٩٩٧) وبالتالي زيادة الضغوط على روسيا وبيلوروسيا عن طريق بولند العضو الجديد في الحلف.

إن المحاولة الصينية الروسية للتفاعل والإسهام بإيجابيته في تشكيل النظام الدولي هي في مصلحة الدول النامية بصفة عامة، لأن هذه الدول هي التي تعاني من حالة الفوضى الدولية السائدة ، ومحاولة الولايات المتحدة الأمريكية فرض سيطرتها على العالم.

معالم روسيا الاتحادية

* أكبر دولة فى العالم من حيث المساحة فمساحتها التي تبلغ ١٧,٥ مليون كم^٢ تبلغ ضعف مساحة ثاني دولة وهي كندا ، ولكنها الثانية سكانا بعد الصين، والهند والولايات المتحدة الأمريكية، وإندونيسيا، والبرازيل.

* أكثر الأقطار الكبيرة مساحة وسكانا فى أقصى الشمال، وجزء كبير من مساحتها شديدة البرودة وجافا ، وتفصلها السلاسل الجبلية عن الرياح الدفيئة.

* ورغم مساحتها الضخمة فعدد سكانها ١٥٠ مليون نسمة يعتبر قليلا ويتركز معظم السكان فى القسم الغربي، أو فى نحو خمس مساحة البلاد.

* ويعتبر القسم الغربي أكثر أجزائها نموا من الناحية افقتصادية، كما يضم هذا القسم الواقع غرب جبال أورال المدن والأقاليم الصناعية الرئيسية وأكثف شبكة للمواصلات والإتصال وأكثر المزارع إنتاجا، ويمتد المعمور شرقى جبال أورال على طول حزام ضيق يمتد من جنوب أورال حتى أقصى الشرق حول فلاديفستك.

* دولة متعددة الثقافات والأعراق، مما يعقد من جغرافيتها السياسية، فهي تضم ٢١ جمهورية أساسها تجمعات ثقافية.

* رغم مساحتها الضخمة تعاني من إحاطتها باليابس الأوراسى، وحتى البحار التي تطل عليها فهي متجمدة أو شبه متجمدة معظم العام ، مما يحرمها من الموانئ الجيدة.

* وقعت روسيا فى أزمة إقتصادية حادة بعد فشل النظام الاشتراكي، وتحوله نحو النظام الرأسمالي، وإنعكس هذا على حالة فوضى شاملة وإن خفت الآن.

* ظلت روسيا مصدرة للخامات أكثر من المصنوعات، فيما عدا الأسلحة لذلك قليل من صناعاتها ظهر فى السوق العالمي، كالكاميرات والتلفزيون والسيارات.

* تعتبر روسيا قائدة بين منتجي البترول والغاز الطبيعي، فهي ثاني قوة عظمي في مجال البترول، والأولي في ميدان الغاز الطبيعي، مما يضمن صحة الاقتصاد والترسانة الاستراتيجية الروسية، ويمكنها هذا من تلبية احتياجات الصين واليابان وآسيا الشرقية بوجه عام.

الفصل الثالث

أوروبا

مثلاً أبدعت أوروبا في عصر النهضة بكل ماصاحب هذا العصر، وما تبعه من مذاهب فلسفية ونظريات سياسية وفكرية، أثرت في حركة الحضارة الإنسانية على مدى أكثر من خمسة قرون حتى يومنا هذا، هي أوروبا نفسها التي تبدع مذاهب فلسفية جديدة، وتموج بمعارك سياسية وإقتصادية، وتغلى أيضاً بصراعات تقنية حديثة، تقود بها العالم نحو القرن الحادى والعشرين، وإذا كانت الولايات المتحدة هي القوة العسكرية المنفردة الآن، فستظل أوروبا هي الأم التي أنجبت أمريكا وأرضعتها فكراً وحضارة، فهي الأصل، وتظل أمريكا هي الفرع حتى لو تفوقت عليها.

ثلاثة أحداث جعلت أوروبا محط أنظار العالم في التسعينيات هي:

أولاً : الوحدة الأوروبية:

مع غروب شمس أول يوم في عام ١٩٩٣ م، و، إتحدت الجماعة الأوروبية و، ومع ذلك الإتحاد أصبحت على الفور من أضخم الاسواق الإقتصادية في العالم — ٣٥٠ مليون نسمة و. وفي وسط أوروبا وشرقيها تلاشت الشيوعية ويجرى إحلال الرأسمالية محلها . وفي كل أوروبا الشرقية والغربية تبذل محاولة لم يسبق لها مثيل — هي الإنتقال من التخطيط المركزي إلى السوق الحرة و، والإتحاد طواعية داخل سوق شديدة الإتساع وبعيدة عن التجانس اللغوي، وتضم الأعداء العسكريين السابقين.

ويساور اليابان وأمريكا القلق من أن يجعل الإتحاد الإقتصادي لأوروبا بيع منتجاتهما في أوروبا أكثر مشقة. وحتى إذ لم تصبح أوروبا قلعة إقتصادية مغلقة، فإن إختراق أسواقها سيكون أكثر صعوبة. فإذا كانت فرص التنافس متكافئة أمام مؤسسة أمريكية ومؤسسة ألمانية في إيطاليا قبل الإتحاد، فسنجد بعد ذلك أن المؤسسة الألمانية ستكون لها ميزة على الأمريكية، فالحواجز التي تواجه المنتجات الألمانية ستزول على حين أن الحواجز التي تواجه المنتجات الأمريكية ستظل دون تغيير. والدول غير الأعضاء بدورها تدرك أن خسائرها ستكون بالتأكيد أكبر من هذا الحد الأدنى الذي يتعذر النزول عنه . فعند بناء البيت الأوروبي سيكون عدم إقتسام المكاسب الإقتصادية مع غير الأعضاء هو الغراء اللازم لكي تلتحم معا من الناحية السياسية مجموعة من البلدان المتباينة. ولكي يفعل هذا الغراء فعله لابد أن يكون غراء قويا، وهو لا يمكن أن يكون قويا إلا إذا كان هناك فرق كبير في معاملة الأعضاء وغير الأعضاء.



أولاً : ١٩٥٨ (٦ دول) بلجيكا - فرنسا - ألمانيا - إيطاليا - لوكسمبرج - هولندا .
 ثانياً : ١٩٧٢ (٩ دول) يضاف الدانمرك - أيرلند - المملكة المتحدة .
 ثالثاً : ١٩٨١ (١٠ دول) اليونان .
 رابعاً : ١٩٨٦ (١٣ دولة) البرتغال - أسبانيا .
 خامساً : ١٩٩٥ (١٥ دولة) النمسا - فنلند - السويد .
 أوائل القرن الحادي والعشرون (المفروضة) قبرص - استونيا - بولند - تشيك - المجر - سلوفاكيا .
 بعد ذلك ٢٠١٠ بلغاريا - لاتفيا - ليتوانيا - رومانيا - سلوفاكيا - تركيا .

ففي البداية رفض البريطانيون الانضمام إلى الجماعة الأوروبية، وكانوا يعتقدون أن ذلك الانضمام سيقضي منهم التنازل عن قدر كبير جدا من السيادة الوطنية. ولكن بريطانيا عكست قرارها في نهاية الأمر وإنضمت عندما إتضح أن المتاعب الإقتصادية للبقاء خارج الإتحاد ستكون من الجسام، بحيث يتعذر عليها دفع الثمن الإقتصادي الذي تتطلبه المحافظة على السيادة الوطنية للجزر البريطانية.

إن إتحاد أوروبا الفيدرالي سيتطلب وقتا طويلا، ولقد إقتضى بالفعل قرابة نصف قرن لمجرد أن يصل إلى النقطة التي يمكن عندها إلغاء ضوابط الحدود . وسيلزم نحو نصف قرن آخر لتكملة الإتحاد الإقتصادي والسياسي.

ولن يكون هناك ما يحول دون أن يصبح البيت الأوروبي أضخم المناطق الإقتصادية في العالم وأكثرها ثراء . ففي أوروبا ٧٥٠ مليونا من السكان ذوي التعليم الجيد، ولا يوجد بها بلد فقير حقا ، ربما بإستثناء ألبانيا. ولنتصور ما كان يمكن أن يحدث لو أن القدرات العلمية عالية التقنية للإتحاد السوفييتي السابق قد تزوجت مع قدرات الألمان الإنتاجية ذات المرتبة العالمية. ومع الغاز الطبيعي من الكومنولث الجديد.

ولا يحتاج الأمر إلى جهد فكري كبير كي نلاحظ أنه في السوق الأمريكية، سجل اليابانيون وتبعهم الصينيون نصرا كاسحا . وعلى وجه العموم فإن الشركات الأوروبية لصناعة السيارات، إما أقصيت من سوق الولايات المتحدة، أو إنها تفقد سريعا حصصها في هذه السوق.

وما فعله اليابانيون في أمريكا، يستطيعون أن يفعلوه ، وهم يفعلونه، وسيفعلونه في أوروبا إذا ما سنحت لهم فرصة. ففي تلك الأسواق الأوروبية التي كانت مفتوحة أمامهم، كان اليابانيون يبيعون أكثر من ٣٠ في المائة من السيارات التي أشتريت في ١٩٩٥. وفي بعض الأسواق، مثل إيرلند والنرويج، كانت حصة اليابان في السوق أكثر من ٤٠ في المائة، إن ترك أبواب أوروبا مفتوحة على مصراعها أمام منافسة من خارج أوروبا خلال هذه الفترة يمكن أن يحدث نفس الأخطاء التي ارتكبها الأمريكيون في السابق والتي يعانون الآن نتائجها.

والنتيجة هي مشروعات قوانين التي تقضي ألا تتجاوز حصة اليابانيين في السوق ١٦ في المائة في العام ٢٠٠٠، بصرف النظر عما إذا كانت السيارة تستورد من اليابان أو تصنع في أوروبا. ولكن إذا كان على الأوروبيين التحكم في تجارتهم في السيارات مع اليابان، وجب عليهم أن يتحكموا فيها أيضا مع أمريكا . فاليابانيون يبنون في الولايات المتحدة طاقات إنتاجية أكبر مما يمكن أن يستخدم فيها. إذن ماذا سيفعلونه بهذه الطاقات ؟ الإجابة واضحة ، مثلما تحاول "هوندا" أن تفعله الآن، وهو تصدير بعض تلك السيارات التي تصنع في أمريكا.

إلى أوروبا، فيما يبدو أنها حرب يابانية أوربية سرعان ما تصبح حرباً أمريكية أوربية.

ثانيا : تغيرات إقتصادية وسياسية وإجتماعية:

أمام هذه الأحداث الخطيرة التي ستواجه ١٢ دولة أوربية غربية، تكمن مشاكل وعراقيل وأحداث لم تكن قائمة في عام ١٩٨٥ وقت الإتفاق على المرحلة الثانية تلك، فمنذ ذلك التاريخ شهدت أوروبا شرقاً وغرباً تغييرات جذرية قد تؤثر وتعكس أثارها على أوروبا الجديدة.

فخلال سبع سنوات سقطت جميع النظم الشيوعية في أوروبا الشرقية وإختفى في شهور قليلة العدو الأساسي الذي ظل عشرات السنوات يؤثر في السياسة العسكرية والخارجية والإقتصادية لأوروبا الغربية، وظهر نظام عالمي جديد تهيمن عليه الولايات المتحدة مرحلياً، والتي أصبحت القوة العظمى الوحيدة في العالم في الفترة الإنتقالية إلى النظام الجديد.

وقد أدت هذه التغيرات السياسية والعقائدية إلى قلب الموازين العسكرية في المنطقة ، بشكل لم يسبق له مثيل، فوقعنا إتفاقيات الحد من التسلح ودعت أصوات من واشنطن إلى خفض الوجود العسكري الأمريكي في أوروبا الغربية، وإتجهت كل من ألمانيا وفرنسا إلى التقارب من أجل إنشاء نواة لجيش أوروبي مستقبلي.

وبعد التغيرات السياسية والعسكرية شهدت أوروبا الغربية والشرقية تغييرات جغرافية خطيرة ، فبعد نحو ٤٥ عاماً من الإنقسام توحدت ألمانيا مرة أخرى ليعود العملاق الألماني إلى قلب أوروبا الغربية يثير الخوف والتربص من هيمنة قوته الإقتصادية الحالية، والعسكرية القادمة.

وفى نفس الوقت تفككت جمهوريات الإتحاد السوفيتي وبوغسلافيا وإنقسمت تشيكوسلوفاكيا ، وسقطت أوروبا الشرقية في صراعات عرقية وقومية.

أما إقتصادياً فبعد إنهاء الشيوعية والنظم الإقتصادية الموجهة فشلت جمهوريات أوروبا الشرقية في تطبيق إقتصاديات السوق بالسرعة والثبات الذي كان مؤهلاً له، ودخلت تلك المنطقة في أزمات إقتصادية متلاحقة تضع أوروبا الغربية في مأزق ما بين التقدم لمساعدتها من أجل تحقيق أوروبا الكبرى في المستقبل القريب، وبين الإهتمام بالداخل أولاً.

ولكن هذه الأزمات الإقتصادية ستظل تظل وتؤثر وتعكس أثارها على أوروبا الغربية، إذ أنها تمثل حالياً قوة طاردة لأبناء أوروبا الشرقية نحو الغرب. فشهدت أوروبا الغربية تغييرات إجتماعية خطيرة بسبب تدفق المهاجرين من الشرق إليها . وإذا كان ذلك يمثل حالياً أزمة خطيرة بسبب تزايد نسبة البطالة في الغرب مما

يدعم الموجات العنصرية والنازية الجديدة، فإن أوروبا مع تطبيق سياسة حرية التنقل للأشخاص واجهت أزمة مضاعفة خاصة أن الدول الأثنى عشر لم تتفق بعد على سياسة موحدة لمواجهة الهجرة المتزايدة على حدودها، كما تطالب كل دولة بالحفاظ على سيادتها في هذا المجال لوضع الإجراءات التي تراها ضرورية لحماية سوقها الداخلية.

كما أن هناك خطر ظهور ازدواجية عرقية، بين الأوروبيين وغير الأوروبيين.

وهكذا فمع بداية المرحلة الثانية من مشروع الوحدة الأوروبية على الدول الإثنى عشر الموحدة إيجاد إجابات على تساؤلات عديدة منها، هل ستصبح أوروبا الموحدة " أوروبا ألمانية " تهيمن عليها القوة الإقتصادية والسكانية الألمانية، أم ستتحول ألمانيا لتصبح داخل أوروبا وتصبح " ألمانيا أوروبية " ؟ هل ستخلى أوروبا عن دورها القيادي، وتتبع الولايات المتحدة في قراراتها السياسية والعسكرية في العالم، مثلما حدث في أزمة الخليج ومشكلة الشرق الأوسط أم ستتحول أوروبا إلى قوة ثالثة توازن القوة الأمريكية واليابانية كما كان مخططا في عام ١٩٨٥؟

وكان السؤال حينئذ هل ستظل السوق الأوروبية " قلعة " تضم إثنى عشر دولة أم تفتح أبوابها لتستقبل الدول الأخرى لمساعدتها في أزمتها ؟ وقد أصبح عددها الآن عام ١٩٩٥ خمسة عشر عضوا، ثم بلغ العدد خمسة وعشرين عضوا عام ٢٠٠٤ بدخول دول أوروبا الشرقية، ليتوانيا ولاتفيا واستونيا وبولندا، والتشيك والسلوفاك، والمجر وسلوفينيا، فضلا عن قبرص ومالطة من دول البحر المتوسط ومن المنتظر أن يبلغوا سبعة وعشرين عام ٢٠٠٧ بدخول رومانيا وبلغاريا.

ثالثا : أوروبا ترفض تسيد الولايات المتحدة الأمريكية:

من حلقات الصراع الإقتصادي والتجاري العملاق بين الولايات المتحدة وأوروبا واليابان، فهناك منذ فترة شعور عام يسود الأوساط الرسمية الأوروبية، بأن الولايات المتحدة لم تعد تسأل عن ردود أفعال حلفائها، سواء الأوروبيين أو غيرهم، بل إعتادت واشنطن على إتخاذ القرارات، ثم حمل حلفائها على تنفيذها، وقد بدأت تظهر خاصة بعد حرب الخليج علامات التذمر من إستهتار الولايات المتحدة ببقية العالم وخاصة حلفاءها الأوروبيين، ومن أكثر ما يغضب المسؤولين في فرنسا مثلا ، هو تعبير النظام العالمي الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، حتى وإن كانت الولايات المتحدة هي القوة العظمى الوحيدة في العالم اليوم، وقد ظهر هذا الرفض الأوروبي لمحاولة إنفراد الولايات المتحدة الأمريكية بإتخاذ القرار في عدة مرات.

ومن مظاهر رفض الهيمنة الأمريكية على سبيل المثال، إعلان فرنسا وألمانيا

رفضهما للاشتراك في الحرب على العراق سواء تحت زعامة الولايات المتحدة الأمريكية أو لقرار من مجلس الأمن، من ثم أطلق عليهما وزير الخارجية الأمريكية أوروبا العجوز، على حين أطلق على دول أوروبا الشرقية التي أبدت الحرب أوروبا الجديدة.

ومنها رفض الهيمنة الثقافية الأمريكية على العالم ، فعندما تفجرت في عام ١٩٩٣ على الساحة الدولية ماعرف بإسم قضية الجات، وهي المفاوضات التي أجرتها الدول الراغبة في دخول النظام العالمي الإقتصادي الجديد، كان هناك رغبة واضحة من عشرات الدول وعلى رأسها فرنسا التي ترفض الهيمنة الثقافية الأمريكية من أفلام ومسلسلات .. إلخ، وظهر تعبير الخصوصية الثقافية، وهو ينص بعدم إدراج السلع الثقافية المعبرة عن هوية كل دولة، ذلك إن ثقافة التبادل الحر ثقافيا، معناها قضاء الثقافة الأمريكية على الثقافات الأخرى، وهو إتجاه أبدته عشرات الدول للحد من السيطرة والهيمنة الثقافية الإقتصادية والسياسية التي تحاول الولايات المتحدة الأمريكية فرضها على العالم.

الوحدة الأوروبية

إذا كانت الوحدة الأوروبية التي نسمع عنها الآن بدأت إرهاباتها عقب الحرب العالمية الثانية، فليس معنى هذا أن أفكار الوحدة لم تظهر طوال تلك العصور التاريخية، فقد نادى بها روسو، وكانت، وفيكتور هيجو، وغيرهم، وكان هناك مثل هذا الإتجاه عقب الحرب العالمية الأولى، وعقد مؤتمر فيينا لبحث إمكانيات توحيد أوروبا، ولكن أحداث الثلاثينيات أنهت هذه المحاولة حتى من التفكير، ثم ظهرت حركات التوحيد مرة أخرى بعد الحرب العالمية الثانية، معظمها قام على الأسس الإقتصادية، ومدى المنافع الناتجة عن هذه الوحدة . ولعل الدرس المستفاد من الفوقمية *Supernationalism* التي تضمن التعاون الإرادي بين مجموعة من الدول في وحدة سياسية وإقتصادية وثقافية، إن التكامل السياسي يأتي بعد، ولا يسبق التعاون الإقتصادي، فإذا ما شاهد الناس حياة أفضل يكونون مستعدين للتنازل عن قليل من إستقلالهم الذاتي في سبيل ضمان هذا العيش الأفضل، أكثر من إستعدادهم للتنازل عن هويتهم القومية في سبيل الوصول إلى دولة أكبر.

وفى الحق لقد تم التوقيع بين ممثلى حكومات هولند وبلجيكا ولوكسمبرج قبل نهاية الحرب العالمية الثانية على إتفاق للوحدة بين الدول الثلاث بأسم البنلوكس (*Benlux*) فكان أول تعاون دولي عقب الحرب العالمية الثانية، كما كان مقدمة لمنظمات متعددة لأوروبا بعد تلك الحرب ، وكان هناك تشجيع من الولايات الأمريكية للإستفادة بالمساعدات الأمريكية التي تدفقت منها على دول غرب أوروبا تحت أسم مشروع مارشال ، وأدى هذا إلى تكوين منظمة التعاون الإقتصادي الأوروبي *Organization For European Economic Cooperation* عام ١٩٤٨ . وإقترح بعدها بقليل (بيرشومان وزير خارجية فرنسا) الجماعة الأوروبية للفحم والصلب *European Coal and Steel Community* . وغرضها الأساسي هو إزالة العوائق والعقبات أمام إنسياب الفحم والحديد بين الدول الست

المنتجة الرئيسية، وهي فرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا ودول البنلوكس.

هكذا بدأت مسيرة الاتحاد الأوروبي تحديداً في أول إبريل ١٩٥١ عندما وقعت بلجيكا وفرنسا وإيطاليا ولوكسمبورج وهولند وألمانيا الغربية معاهدة باريس التي أنشأت الجماعة الأوروبية للفحم والصلب. وعندما حاولت هذه الدول عام ١٩٥٤ تحقيق قفزة فجائية باتجاه إقامة جماعة أوروبية دفاعية وسياسية، كان نصيبها الفشل. لكن التجربة جعلت الأوروبيين آنذاك يرجئون البحث عن الاتحاد السياسي ويركزون الجهود على الاتفاق على مصلحة مشتركة في البداية، ثم وقعت هذه الدول إتفاق روما (١٩٥٧) الذي أعتبر في ظاهره تخلياً عن الحلم الاندماجي بسبب انكفائه على البعد الإقتصادي للإتحاد دون غيره، لكنه مثل بإجماع المراقبين والسياسيين نقطة الإنطلاق نحو وحدة أوروبية متكاملة لاحقاً، لكونه ساهم في تأسيس ميثاق سياسي يربط الدول الأوروبية بعضها ببعض مع التطلع، إلى إتحاد أوثق بين شعوب أوروبا، بحسب مقدمة الإتفاق. وهذا الأخير أنشأ "الجماعة الاقتصادية الأوروبية" (EEC) و "الجماعة الأوروبية للطاقة الذرية" (EURATOM).

على الصعيد السياسي بقي الوضع جامداً حتى قمة لاهاي في ديسمبر ١٩٦٩، حينما حاول وزراء خارجية الدول المكونة للجماعة "دراسة الوسيلة الأمثل لتحقيق تقدم في مجال السياسة الخارجية. ثم تابعت الجماعة الأوروبية سيرها على طريق الوحدة الاقتصادية والمؤسسية، إذ تم إبتداء من أول يوليو ١٩٦٧، دمج السلطات التنفيذية للجماعات الأوروبية الثلاث: الجماعة الاقتصادية الأوروبية والجماعة الأوروبية للفحم والصلب، والجماعة الأوروبية للطاقة الذرية تحت راية مؤسسات أربع : المفوضية، ومجلس الوزراء، والبرلمان الأوروبي، ومحكمة العدل، وبعدها (١٩٦٨)، تم إنشاء الإتحاد الجمركي وإلغاء آخر الرسوم الجمركية بين الدول الست الأعضاء المتعلقة بالمنتجات الصناعية، وتم أيضاً وضع تعريفه جمركية خارجية مشتركة.

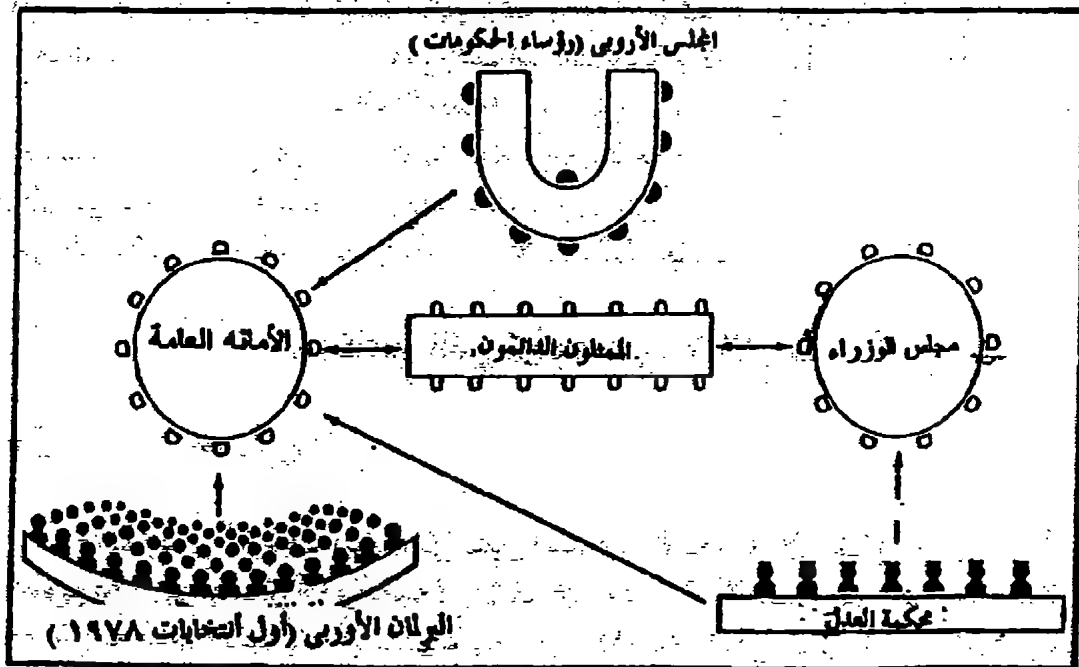
وقد ضمت هذه الجماعة كل النوايا الرئيسية للقارة، ومعظم رصيدها من الموارد، واليد العاملة الماهرة، والسوق الكبير، وزاد من فعاليتها وقوة أجهزتها التنفيذية والتشريعية والقضائية (مجلس الوزراء، الأمانة العامة، محكمة العدل)، ولم تدخلها بريطانيا أول الأمر ولكنها قادت مجموعة أخرى من الدول أطلق عليها رابطة التجارة الحرة الأوروبية . *European Free Trade Association* تضم إلى جانب بريطانيا الدول الإسكندنافية، الثلاث السويد والنرويج والدنمارك، فضلاً عن النمسا وسويسرا والبرتغال، وهذه المجموعة المتناثرة لم يقيض لها أن تكون في قوة الجماعة الاقتصادية الأوروبية، وقد أطلق عليها السبع الخوارج *Outer Seven*، بينما دول السوق أطلق عليها الست الداخلية *Inner Six*، ولكن بريطانيا رجعت تطلب دخول الجماعة الاقتصادية مرة أخرى، ورفض طلبها أول الأمر، وإن كان قد قبل فيما بعد عام ١٩٧٣.

ودخلتها أيضاً الدنمارك وإيرلند (العدد ٩) ثم تتابع دخول اليونان عام ١٩٨١، وأسبانيا والبرتغال عام ١٩٨٦ (العدد ١٢)، وقد إتفق على أن تكون ستراسبورج في فرنسا قرب الحدود الألمانية هي عاصمة الإتحاد الأوروبي، هذا وهناك قائمة بطلبات للإنضمام

للجماعة الأوروبية على قائمة الإنتظار.

غير أنه يجب عدم إغفال ذلك التقدم الملموس على صعيد الوحدة السياسية التي تمت بحصول أول إنتخابات للبرلمان الأوروبي في ١٩٧٨، وكان عجز السلطات التنفيذية الأوروبية عن التوصل إلى معاهدة إتحاد، ما دفع البرلمان إلى تولى المبادرة عام ١٩٩٠، إذ أيد المجلس الأوروبي المنعقد في دبلن في أيرلند الرسالة المشتركة الموجهة من المستشار الألماني هلموت كول والرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران، التي تدعو المجتمعين إلى دفع الجهود نحو تحقيق " الإتحاد السياسي ".

هيكل الإتحاد الأوربي



وأصبحت مجموعة الإثنتا عشر دولة تمثل النواة الكبرى للوحدة الأوروبية، ويطلقون عليها مجموعة : ٣-٤-٥، ثم كان انضمام السويد والنرويج والنمسا إلى الإتحاد عام ١٩٩٥، بحيث أصبح عددها الآن (١٥) خمس عشرة دولة .

- ١- الثلاث الكبار وهي ألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة .
 - ٢- الأربع الجنوبية، إيطاليا، أسبانيا، البرتغال، اليونان.
 - ٣- الخمس الصغار : بلجيكا، هولندا، البلوكس، الدنمرك، إيرلندا.
- وستنظر في الطلبات المقدمة من دول شرقي ووسط أوروبا.

توسع الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٤

وافق الاتحاد الأوروبي على قبول ١٠ دول جديدة إلى الاتحاد الأوروبي فأصبح العدد ٢٥ دولة وهي دول البلطيق الثلاث استونيا ولاتفيا وليتوانيا فضلا عن بولند والتشيك وسلوفاكيا والمجر، ومن دول الجنوب المجر وسلوفينيا ومالطة وقبرص، فأصبح عدد سكان الاتحاد الأوروبي ٤٥٥ مليون نسمة وبالتالي سوف يستحوذ على نحو ٥٠ حركة التجارة العالمية، وستزيد صادرات دول الاتحاد قبل ٢٠٠٤ إلى الدول العشرة الجديدة خاصة في القطاعات ذات التكنولوجيا العالية، بينما تصدر الدول العشر الصناعات كثيفة العمالة كما في صناعة المنسوجات والبتروكيماوية وصناعة البلاستيك والحديد والصلب. كذلك تدفق الاستثمارات الأجنبية على الدول الجديدة لرخص الأجور وانخفاض الضرائب ولكن هناك مشكلات البطالة في دول الاتحاد الخمس عشرة التي تتراوح بين ٧%، ٨%، ولكنها تتراوح بين ١٧%، ٢٠% في الدول التي انضمت حديثا وذلك في عامي ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، وهذا معناه تدفق العمالة من الدول الجديدة إلى الدول القديمة في الاتحاد، مما يقتضي إجراءات لتفادي تفاقم مشكلة البطالة.

أهم المؤشرات الاقتصادية للأعضاء الجدد في الاتحاد الأوروبي

استونيا	لاتفيا	ليتوانيا	مالتا	المجر	سلوفاكيا	سلوينيا	بلغاريا	رومانيا	بولندا	التشيك	مالتا	قبرص	مالطة	لوكسمبورغ	ألمانيا
١,٣	٢,٣	٣,٤	٣,٨	١٠	٥,٤	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
١٠,٥	٨,٩	١٠,٦	١٠,٣	١٥,٥	١١,٧	١٣,٤	١٦,٨	١٨,٩	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧
٣٠	٣,٤	٢,٧	٤,٥	٣,٩	٢	٣,٨	٦,٨	١٠,٧٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩

المشكلات التي تواجه الوحدة الأوروبية

هل يصبح الإتحاد فيدراليا؟

وهنا يدور الخلاف بين مدرستين إحداها المدرسة الإنجليزية وهي مدرسة تطويرية — برجماتية (واقعية) والأخرى المدرسة اللاتينية وهي مدرسة شكلية — نظرية (تجريدية)، فبينما تصر المدرسة الأولى على النمو التدريجي للمجموعة، فإن المدرسة الثانية تأخذ منحني تحليليا، ذلك أن المسألة ليست مجرد تسجيل للمنجزات ، بقدر ما هو تعبير عن رؤية وطموح مستقبليين.

النموذج البريطاني ويمثل المدرسة الأولى فبريطانيا ليست مستعدة بشكل كبير للتخلي عن سيادة برلمانها لصالح أوروبا، ولا تشجع الوحدة النقدية الإقتصادية، وذلك بدعم أمريكي خفي. ولكن لكي لا تكون وحيدة في إطار أوروبا الموحدة في مواجهة قوة ألمانيا وفرنسا، فإنها تطالب مرارا بتوسعة إطار المجموعة الأوروبية لتضم دول أوروبا الشرقية وأعضاء الرابطة الأوروبية للتجارة الحرة (EFTA) فالنموذج المطروح هو قيام اتحاد دستوري بين دول المجموعة على الأسس التالية : توزيع السلطات السياسية بين المجلس الأوروبي والمجلس الوزاري واللذان يعدان مركز الثقل في هذا الاتحاد ويدهما سلطة اقتراح وإتخاذ القرارات، ويتم الحفاظ على البرلمانات الوطنية لأنها أساس الديمقراطية الغربية، أما محكمة العدل الأوروبية فتكون حكما في النزاعات وليست صانعة للقوانين، وإعطاء حق (التَحْفَظ التشريعي) للدول الأعضاء التي يكون التصويت في المجلس الأوروبي ضد رغبتها. ويعني هذا الحق أن الدول الراضية لقرار معين لها الحق في أن تعرضه على برلمانها الوطني لأخذ رأيه في هذا القرار، فإن وافق إنضمت لدول المجموعة في تنفيذه، وإلا فلها الحق في عدم الخضوع له، كذلك فإن إنصار هذا النموذج يدعون إلى تبني شرط الانفصال في الاتفاقية. بحيث يجوز للدولة التي لا ترغب في الإستمرار في الاتحاد الدستوري أن تفصل عنه وتستقل بذاتها مرة أخرى.

أما النموذج الثاني فهو (النموذج المركزي) *Centralist Model* ويهدف هذا النموذج إلى قيام اتحاد مركزي بين الدول الأعضاء على أساس تقوية المؤسسات المركزية القائمة وخصوصا المفوضية والبرلمان، وإنشاء مؤسسات مركزية جديدة كمجلس ثان للبرلمان وعلى أن يتم تقسيم السلطة السياسية بين المجلس الأوروبي، والمفوضية، والبرلمان الأوروبي وأن تلعب المحكمة دورا إيجابيا في الوصول إلى الاتحاد المركزي، كما أن هذا النموذج يسعى إلى إلغاء شرط الإجماع في التصويت وجعله بالأغلبية في المجلس الأوروبي.

مما سبق يتضح لنا عدة أمور:

١- أن نشوء اتحاد فيدرالي أي فقدان السيادة الخارجية والتخلي عن جزء من السيادة الداخلية لصالح الدولة الاتحادية أمر صعب تصوره على المدى القريب في أوروبا، وبالتالي فإن إنشاء (الولايات المتحدة الأوروبية) أمر مستبعد حاليا.

٢- تجذر التصورات القومية والانتماءات الوطنية والتي بذلت الدولة القومية الأوروبية قرونا من عمرها في سبيل ترسيخها تقف عائقا أساسيا أمام مسيرة التوحيد الأوروبي .

٣- الحافز الإقتصادي هو الذي يخفف من غلواء القومية المحلية وهو الذي يدفع بالمسيرة الأوروبية نحو إيجاد نوع من التوازن بين الرغبتين: رغبة إيجاد تكتل دولي قوى والرغبة في الإستقلال الذاتي المحلي للدول الأعضاء.

وحتى الآن (١٩٩٧) لم يستقر الأوروبيون على كنه وطبيعة أوروبا التي يريدونها فهل ستصبح دولة فيدرالية تسلب برلمانات وحكومات الدول الأعضاء سلطاتها أم المطلوب

مجرد منطقة تجارة حرة؟

الحدود السياسية:

قضية الحدود مسألة متفجرة أخرى فالأقترحات بإزالة الحدود وحرية الحركة سواء للناس أو البضائع مرفوضة من بريطانيا، أن الأوروبيين لديهم عادات مشتركة وتقاليد خاصة بالتنقل فيما بين دولهم، أما البريطانيون فلا يشاركون في هذه التقاليد، وهم يعتقدون أيضا أن فتح الحدود يعنى مباشرة دولة فيدرالية أوروبية. ويبدو الإتحاد الأوروبي في تحركاته المكثفة مثل قاطرة تتحرك بسرعة لقيادة أوروبا إلى إتحاد سياسي وإقتصادي ونقدي لكن المسؤولين عن هذه القاطرة يمتنعون عن القول بأن نهاية الرحلة ستكون دولة فيدرالية أو إتحادا فيدراليا حتى لا يثيروا عليهم الغبار من نواح عديدة، أخطرها الغبار البريطاني، الذي إشتدت ريحه وينتظر أن تشتد أكثر مع كل توجه جديد في اتجاه الوحدة.

قضية العملة:

ومع توحيد السوق الأوروبية وإزالة الحواجز الجمركية بين الأعضاء منذ يناير ١٩٩٣، كان لابد من نظام نقدي أوروبي، أى الوحدة النقدية مع الوحدة الاقتصادية وهذا النظام النقدي الأوروبي الموحد الذي سيعتمد على وحدة حسابية (ECU) يهدف إلى فتح تسهيلات فى المعاملات، وفى عملية تمويل الاقتصاد الأوروبي على نحو موسع، وقد سعت دول الإتحاد الأوروبي سعيا حثيثا لتثبيت شروط إتفاقية ماستريخت لتوحيد العملة فى أول يناير ١٩٩٩ (ماعدا بريطانيا خاصة حزب المحافظين) ومعنى ذلك أن العملات الأوروبية (المارك - الفرنك - الليرة الإيطالية... إلخ) دخلت متحف التاريخ، وهم يعتبرون أنه إذا تم هذا فسيكون نصرا كبيرا وخطوة رئيسية فى اتجاه الوحدة (باستثناء بريطانيا التي تعارض إختفاء الجنيه الإسترليني، وموقفها فى أحسن الأحوال هو لاداعى للعجلة فى توحيد العملة وتبني سياسة: فلننتظر ونرى.

وبحلول أول يناير ٢٠٠٢ دخلت عملة ورقية بأسم " يورو " للتداول.

المواطنة:

أن المواطنة الأوروبية لن تلغ المواطنة المحلية فى أية دولة أوروبية، وقد اعتبرت رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارجريت تاتشر أن إلغاء الشخصيات الوطنية والقومية لصالح المواطنة الأوروبية هو (نوع من الهراء) ذلك لأن الشخصيات القومية المستقلة عميقة الجذور فى القارة الأوروبية.

يقول أحد المعلقين السياسيين الفرنسيين فى صحيفة "لوفيجارو" أن أوروبا تمر حاليا بأزمة حقيقية، وليس هناك مايدعو لإخفاء ذلك أو تمييعه، وأسباب هذه الأزمة هو فشلها فى عدة ميادين أهمها.

— ميدان السلام : فمع نهاية الحرب الباردة، وعودة الصراعات للظهور داخل القارة الأوروبية ذاتها، ظهرت أوروبا فى صورة أكثر ضعفا مما كانت عليه فى السابق، والدليل

المؤلم على صحة ذلك هو أن الأمريكيين هم الذين صنعوا السلام في البوسنة، وليست أوروبا ، والأوروبيون.

- ميدان الرخاء : فمع ٢٠ مليون عاطل بات واضحا أن أوروبا تمر بأزمة إجتماعية وإقتصادية خانقة.

- ميدان الأمن الداخلى : فالمخدرات والجرائم المنظمة، وإستغلال المهاجرين إستغلالا سيئا، كل ذلك جعل المواطنين يشعرون بأن أوروبا هي سبب ظهور كل هذه الأمراض الإجتماعية المركبة.

محطات رئيسية فى مسيرة الوحدة الأوروبية

١٩٤٤ توقيع إتفاقية البنلوكس (هولند - بلجيكا - لوكسمبرج)	١٩٧٣ السماح للمملكة المتحدة والدنمارك وأيرلند بعضوية الجماعة الإقتصادية (الأعضاء ٩).
١٩٤٧ مشروع مارشال لإنقاذ أوروبا	١٩٧٩ الإنتخابات الأولى للبرلمان الأوروبي (الأعضاء ٤١٠) يجتمع فى ستراسبورج.
١٩٤٨ منظمة التعاون الإقتصادى الأوروبية (OECC)	١٩٨١ السماح لليونان بعضوية الجماعة الإقتصادية الأوروبية (العدد ١٠).
١٩٤٩ ظهور المجلس الأوروبي	١٩٨٦ السماح لأسبانيا والبرتغال بعضوية الجماعة الإقتصادية الأوروبية (١٢)
١٩٥١ توقيع إتفاقية جماعة الفحم والصلب (ECSC)	١٩٩٠ توقيع أربعة وثلاثين عضوا على ميثاق باريس لمؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي.
١٩٥٧ توقيع إتفاقية الجماعة الإقتصادية الأوروبية (روما) الفعالية منذ عام ١٩٥٨ وعرفت أيضا بالسوق المشتركة (عدد الأعضاء ٦) EEC	- دخول ألمانيا الشرقية كجزء من ألمانيا الموحدة فى الجماعة الإقتصادية الأوروبية.
١٩٥٧ توقيع معاهدة الجماعة الأوروبية للطاقة النوية (EURATOM)	١٩٩٢ إتفاقية ماستريخت للإتحاد الأوروبي فى التسعينيات.
١٩٥٩ رابطة التجارة الحرة الأوروبية (EFTA)	١٩٩٣ بدأت فعالية السوق الأوروبية الموحدة (الإتحاد الأوروبي EU).
١٩٦٨ إلغاء الحواجز الجمركية بين دول السوق المشتركة.	١٩٩٥ حصول النمسا والنرويج والسويد على عضوية الإتحاد الأوروبي (العدد ١٥).
٢٠٠٤ دخلت عشرة دول وهي : إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا، بولند، تشيك، سلوفاك، المجر، سلوفينيا، قبرص، ومالطة (العدد ٢٥)، ومن المنتظر انضمام بلغاريا ورومانيا عام ٢٠٠٧	

أوروبا الغربية عماد الوحدة الأوروبية

سمات عامة:

رغم إختلاف المساحات، وأعداد السكان والحالة الإقتصادية، فإن هناك ما يجمع بين الدول السبع بريطانيا، فرنسا، وألمانيا، وبلجيكا، ولوكسمبرج، وهولند، هناك ما تشترك فيه جميعا، وتتميز به عن غيرها، فهي مما يمكن أن يطلق عليه أوروبا الغربية، لأن موقعها الجغرافي قد لعب دورا كبيرا في تاريخ كل منها على حدة، ولازال يؤثر على علاقاتها وإتجاهاتها، وحتى لو كسمبرج رغم أنها دوقية صغيرة داخلية، فإن إرتباطها الإقتصادى ببلجيكا جعلها تطل على البحر من النافذة البلجيكية.

ويتميز الإقليم رغم صغر مساحته بتنوع في ظروفه الطبيعي، فهناك الأراضي السهلية الخصبة إلى جانب المرتفعات الوعرة المغطاة بالغابات النفضية والمخروطية، وإذا كان هناك تنوع ثقافي ناتج عن الإختلاف اللغوي والديني فإن هذه اللغات والمذاهب الدينية ترجع إلى أصول واحدة أو متقاربة، فضلا عن أن الوعي القومي خفت حدته منذ الحرب العالمية الثانية، وزيادة التجارة والإتصال بين هذه الدول، وإشراكها جميعا في مشكلة الدفاع عن أراضيها ضد الخطر السوفييتي، كل ذلك مما قرب بينها.

ويجمع هذه الدول معا وضعها البحري قد يقال أن إسكنديناوه وأسبانيا والبرتغال لها نفس الأوضاع البحرية، ولكن التجارة البحرية لهذه الدول البحرية أقل بكثير من تجارة هذه المجموعة، وإن كانت ألمانيا أيضا لها ساحل شمالي، أستغل إستغلالا تاما، فإن نشاطها وطاقاتها موزعة بين مصالحها البحرية ومصالحها البرية وذلك لموقعها الجغرافي في وسط أوروبا. على العكس من ذلك نجد بريطانيا، وفرنسا وهولند وبلجيكا قد إستغلت موقعها كجسر في نهاية كتلة اليابس الأوراسي لا لتصبح من الأمم التجارية الكبرى فحسب، بل لتمثل أكبر أربع قوى إستعمارية كبرى.

التجارية لهذه الدول هو ثبات الأهمية النسبية لها في التجارة الأوروبية خلال القرن العشرين، فهي معا كانت المسؤولة عن نصف حركات الصادرات والواردات للقارة بإستثناء الإتحاد السوفييتي السابق.

على أننا لا بد وألا نعزو هذا إلى الموقع الجغرافي وحده، بل يجب أن ندخل في الإعتبار أيضا التقدم الصناعي والمهارة البشرية.

وكان الفحم أساس المدنية الصناعية التي قامت في الإقليم سواء لتوليد البخار أو لصهر الحديد. من ثم كانت المملكة المتحدة وفرنسا وبلجيكا وألمانيا من رواد الثورة الصناعية في أوروبا، لأنهم رواد إستخدام التكنولوجيا الجديد على نطاق كبير، ثم بدأت هذه الدول في تطوير إستخدام الطاقة بإستعمال البترول، ولذلك إنتشرت مصافي البترول في موانئها، معتمدة على بترول الوطن العربي في المرتبة الأولى، وبترول البحر الكاريبي في المرتبة الثانية، وأخيرا بترول بحر الشمال، لذلك أيضا رسخت التقاليد الصناعية في أوروبا الغربية وبدأت

بعض مناطقها تخصص في صناعة أو أخرى، بل وكانت أوروبا الغربية هي المشتل الذي خرجت منه شتلات الصناعة إلى جهات كثيرة من العالم، حتى الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان من بين النتائج السريعة لعملية التصنيع في أوروبا الغربية، عملية تغير في الأساليب الزراعية، لقد وصل الإنتاج الزراعي الأوروبي إلى الذروة الأولى مع مطلع الثمانينيات، وأصبح يغطي أكثر من ٨٥% من الإستهلاك الأوروبي، ووصل الدعم المالي الرسمي للمنتجات الزراعية إلى أكثر من ٢٢ مليار مارك في الميزانية الأوروبية .. ورغم ذلك إستمرت سياسة تصعيد الإنتاج ودعم الأسعار حتى وصل الدعم المالي السنوي حاليا إلى حوالي ٦٦ مليار مارك وبلغ حجم الإنتاج ما يعادل ١٢٥% من الإستهلاك الأوروبي المحلي.

ولم تحمل فرنسا أعباء السياسة الزراعية الأوروبية فقط ، بل حصلت على ميزاتها الرئيسية أيضا، وهي في الوقت الحاضر دولة صناعية لا يمثل القطاع الزراعي سوى ٣,٥% من الناتج الإجمالي العام فيها، ولكنها أصبحت في الوقت نفسه في المرتبة الثانية عالميا بين الدول المصدرة للمواد الزراعية بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وبفائض سنوي يتراوح بين ١٣ و ١٦ مليار مارك.

لقد كان من الأهداف الموضوعية رفع دخل الفلاح الأوروبي (حوالي ١٢ مليون نسمة حاليا) لضمان مستوى معيشة له ، يقارب مستوى معيشة من يعمل في القطاع الصناعي وغيره ، وإنخفض عدد المزارعين في فرنسا إلى الثلث، وفي ألمانيا إلى النصف خلال العقدين الماضيين من السنوات، ومع ذلك فقد إستمر تضخم الإنتاج الزراعي وإرتفاع قيمته، وهذا ما أدى إلى تركيز الطاقة المالية والإقتصادية تركيزا مكثفا ضاعف مفعولها على الساحة السياسية بدلا من أن ينخفض نتيجة " التناقص العددي " .

لذلك كانت قيمة المستورد من موارد الطاقة والخامات الصناعية يفوق بكثير قيمة المستورد من المواد الغذائية ، ويرجع إلى عدم غنى بعضها بالمواد الخام اللازمة للصناعة بإستثناء الحديد والفحم . فلا تتوفر فيها مثلا الخامات غير الفلزية إلا بكميات قليلة، كما تعاني هذه الدول من النقص الكبير في زيت البترول بإستثناء بريطانيا، الذي لا تنتج منه إلا نحو ١% من الإنتاج العالمي، وإن كان هناك رصيد من الغاز الطبيعي في بعضها.

وظلت فيها نسبة إستعمال الآلات عالية بدرجة لا توجد في جهة أخرى في العالم إذا علمنا أن مساحة المزارع ليست كبيرة، فبريطانيا وأيرلند هما الوحيدتان التي نجد نصف مزارعهما تزيد مساحته على ١٠ هكتار، بينما يتراوح ثلثي المزارع بين الهكتار الواحد والعشر هكتارات في فرنسا والأراضي المنخفضة، وفي بلجيكا ٦/٥ المزارع أقل من ١٠ هكتارات. وصحبت عملية التصنيع أيضا الهجرة إلى المدن، نقص سكان الريف، وهذه ظاهرة أيضا في أوروبا الأطلنطية، فأكثر من نصف سكانها يعيشون في مدن يزيد سكانها على المليون. ورغم أن زيادة معدلات السكان بوجه عام بدأت تسير ببطء مع نهاية القرن

التاسع عشر، فإن زيادة سكان المدن استمرت، حتى أن أيرلند هي الوحيدة التي يعيش أقل من نصف سكانها في المدن. فسكان أوروبا الغربية معظمهم مدنيين أكثر منهم ريفيين، مما يؤدي إلى خلق مشكلات معيشية تواجهها الحكومات المختلفة، وهناك حقيقة أخرى تجمع سكان هذه المنطقة معا وهي ارتفاع مستوى المعيشة بوجه عام بينهم، ورغم ارتفاع تكاليف المعيشة منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية، وارتفاع معدلات الضرائب، فإن سكان هذه المنطقة لازالت تغذيتهم وسكنهم أكثر جودة من بقية سكان القارة، فهم قريبون من سكان كندا أو الولايات المتحدة. ويزيد إستهلاكهم اليومي من البروتين الحيواني بعامه على ٢٥، ٣٠ جرام، وهو الرقم الذي وضعه الخبراء كحد أدنى لإحتياجات الفرد اليومية. نحن إذن أمام مجموعة من الدول الأوروبية تتجمع فيها مزايا إقتصادية كثيرة، كما أنها حققت مستويات إجتماعية وحضارية عالية.

كذلك يلاحظ عليها استقرار نظم الحكم،فرنسا، وألمانيا، وأيرلند جمهوريات، والمملكة المتحدة، وبلجيكا، وهولند ملكيات دستورية، ولكسمبورج دوقية كبيرة، وقد وصلت كل دولة منها إلى أوج نموها، وأصبحت نظمها تحتذى في جهات أخرى من العالم، كما بدأت طريق الوحدة الإقتصادية، وقد لايمر وقت طويل على وحدتها السياسية. لتقف أمام الخطر الشيوعي.

وتتشابه هذه الأقطار أيضا في طريق التنمية الإقتصادية، وفي تجارتها الخارجية ونظمها الدستورية ونظمها الحكومية، والأهم من هذا أيضا في مصالحها سواء الإستراتيجية أو التجارية. إذا إستثنينا لوكسمبرج فكلها لها مصالح عالمية، ورغم الفروقات الفردية بينها فإن أوجه الشبه بينها كبير.

وبريطانيا، وفرنسا، وهولند وبلجيكا وألمانيا لها علاقات عالمية، وذلك لأنها كانت قوى إستعمارية، وكانت الثلاثة الأولى من أوائل الدول المكونة للإمبراطوريات، وأدى هذا إلى تقارب المصالح فيما بينها. بدأت هولند هذا النشاط الاستعماري، ثم استمرت عليه مملكة بلجيكا وهولند (١٨١٥ - ١٨٣٩) ولكن بعد ١٨٣٩ بدأت كل من بلجيكا وهولند يسير كل منهما في إتجاهه الخاص. وحاولت ألمانيا بناء إمبراطورية إستعمارية، ولكن خاب رجاؤها بعد أن خاضت حربين عالميتين ضرورستين.

وأخيرا يمكن أن نجد عاملا مشتركا يتمثل في أن كل من هذه الدول إستنزفت أموالا وقوى بشرية كبيرة في محاولة للإحتفاظ بقواها الإستعمارية.

ولا ننسى أن التنافس الحاد بينها أثناء الفترة الإستعمارية أدى إلى إصطدامها بعضها ببعض، فرنسا أيام نابليون في القرن التاسع عشر، وألمانيا تحت حكم هتلر في القرن العشرين، كل منها حاول بسط نفوذه على أوروبا، وعلى الجانب الآخر بريطانيا التي يهملها ألا تقع أوروبا تحت سيادة دولة واحدة، كان عليها أن تدخل الحرب للحيلولة دون ظهور هذه للسيادة الوحيدة على أرض القارة، وإلا جاء دورها في الخضوع لهذه السيادة، من ثم إذا كانت العوامل الإقتصادية تعمل على التجاذب، كانت العوامل السياسية تؤدي إلى

التنافس، وظلت الروح القومية لها قوتها وتأثيرها في الشؤون الأوروبية.

ومن الواضح أن تقسيم القارة الأوروبية أضاع عليها فرصة بقاء مكانتها في الشؤون العالمية، فلم يحدث منذ الإمبراطورية الرومانية أن توحدت بريطانيا وإيبيريا وإيطاليا مثلاً تحت حكم حكومة واحدة.

بيان مقارنة للثلاثة الكبار في الاتحاد الأوروبي (معظمها ٢٠٠٣)

البلد	السكان (مليون)	المساحة الف كم ^٢	الناتج المحلي بالآلاف دولار للفرد	% + ٦٥ سنة	% العاملون بالزراعة	% الحضر	نصيب الفرد من إنتاج الصلب كجم	عدد السيارات لكل ١٠٠٠ من السكان
ألمانيا	٨٢,١	٣٥٧	٢٥	١٦,٤	٤,٤	٨٦	٦,٣	٤١٥
المملكة المتحدة	٦٠	٢٤٤	٢٤,٤	١٦	١,٩	٧٨	٣٢٨	٣٦١
فرنسا	٥٩	٥٥٢	٢٤	١٦	٥	٧٤	٣٣٤	٣٩٩

الفصل الرابع

ألمانيا - فرنسا - المملكة المتحدة

١ - ألمانيا

إن الفاحص لمجموعة من الخرائط التاريخية لألمانيا خلال النصف قرن الماضي حتى وقتنا الحاضر، ليسترعى نظره تقلص حجم وحدة سياسية تعتبر من أقوى دول وسط أوروبا صناعيا وحربيا، وأكثرها عدوانا، فمن مساحة بلغت ١٨١,٦٩٣ ميلا مربعا قبل الحرب العالمية الثانية إلى قطر مقسم، أكبر أجزائه ألمانيا الغربية بمساحة تبلغ نحو ٩٥ ألف ميل مربع، وبعدد من السكان يبلغ نحو ٥٥ مليون نسمة.

وفى الحق ليس هناك أصدق من تعبير طفل (طفل أوروبا الناشز) الذي أطلق على ألمانيا بسبب ما سببته من مشكلات للقارة الأوروبية وللعالم، والواقع أن الحربين العالميتين التي مر بهما العالم في النصف الأول من القرن العشرين يرجع إلى عدم رضا ألمانيا عن وضعها بالنسبة للقوى الإستعمارية الأخرى (فرنسا وبريطانيا)، وقبل ذلك لم تستقر حدود ألمانيا على وضع معين منذ أن تمت وحدتها . بل وقبل الإتحاد النهائي نجد أن الدويلات الألمانية بقيادة بروسيا تشن حربا على فرنسا وتدحرها (١٨٧٠ / ١٨٧١)، وهى منذ ذلك التاريخ، أقوى سياسيا وإقتصاديا من أي من الدول المجاورة، وأدى هذا إلى حصول ألمانيا على مزايا عديدة في تصريف إنتاجها الصناعي الضخم في أسواق الدول المجاورة، وبصفة خاصة هولند ولوكسمبرج والنمسا وسويسرا، وإستطاعت في نفس الوقت الحصول على كثير من السلع كمنتجات الألبان والخضروات والفاكهة والحبوب والحديد الخام.

العلاقات المكانية:

ولعل خريطة الموقع الجغرافي لألمانيا في وسط أوروبا توضح سر الصراع بين الشرق والغرب في المنطقة، فألمانيا في الحقيقة مفتاح غربي أوروبا من ناحية الشرق، كما كانت في الماضي تمثل حدودها الشرقية حدود السلاف، وقبل عام ١٩٨٩ كانت تمثل حدود الكتلة الإشتراكية، من ثم كانت ألمانيا أرض المعارك بحق إذا ما نشب صراع بين الكتلتين المتضادتين، ويذهب الجغرافيون إلى أن هذا الموقع ليس فى صالح الألمان لوقوعهم في وسط أوروبا، على تخوم الشرق والغرب، حيث تختلف المبادئ وتتصارع المذاهب مع عدم وجود حماية طبيعية لها. ورغم أن ألمانيا كانت فيما مضى قوة حربية ضخمة، ودولة عدوانية، ورغم أن ألمانيا لا تستطيع الوقوف وحيدة بمفردها، إلا أنها عادت مرة أخرى لتصبح القطب المغناطيسي الأوربي.

وكان لإحتلال ألمانيا موقعا مركزيا أثاره المتباينة عليها، فوقع القسم الشمالي كجزء من السهل الأوربي الأعظم جعله في مركز وسط بين شرق وغرب القارة، وأدى هذا إلى عبور الهجرات المختلفة عبر هذا القسم دون حاجز أو عائق يحول دون هذا التوغل ، كما أدى إلى إجتياح العناصر الألمانية للمنطقة، من شرق أوروبا وغربها، وإستمر الصراع

فترات طويلة بين العناصر الجرمانية والعناصر السلافية، ويبدو هذا النزاع في تقسيم بولند عدة مرات وعدم استقرار الحدود بينهما. وانتشرت العناصر الألمانية خارج حدود ألمانيا بأعداد كبيرة، تعيش فيها على هيئة أقليات كبيرة. ولا يخلو موقع ألمانيا من مزايا: فهي على اتصال وثيق، بمظاهر التقدم العلمي وأفنى والسياسي الذي ينمو في أي قطر من جيرانها، كما أن سواحلها وموانئها الشمالية تعد منفذا لدول وسط أوروبا، ولذلك فقد ساهمت هذه البلاد بنصيب كبير في تجارة المرور لبعض دول وسط أوروبا كتشيكوسلوفاكيا والمجر والنمسا. وإذا كانت الدانمارك تتحكم في بحر البلطيق ومخارجه، فإن ألمانيا لم تأبه للدانمارك ولم تخشاه. غير أن موقع ألمانيا في نفس الوقت يحسب عليها أيضا لأن معنى الموقع المركزي تعدد جبهات الحرب بالنسبة لها كما حدث في الحرب العالمية الثانية، حينما كان على ألمانيا أن تدافع عن حدودها من الشرق ومن الغرب ومن الجنوب.

قوة ألمانيا:

الواقع أن قوة ألمانيا العسكرية ترجع إلى عاملين رئيسيين هما: قوتها الاقتصادية وزيادة سكانها.

القوة الاقتصادية:

أما من حيث قوتها الاقتصادية، فهي لم تصل إليها إلا بعد مجهودات كبيرة، وبعد التغلب على كثير من العقبات. ففي ميدان الإنتاج الزراعي نجد أن تربة ألمانيا إما متوسطة الخصوبة أو فقيرة، ولكن استطاع الألمان الحصول منها على إنتاج زراعي جيد بحيث إقتربت البلاد من حالة الاكتفاء الذاتي. وتحقيق مثل هذا الإنتاج الكبير من مثل هذه التربة يعتبر فخرا للألمان بفضل استعمال الأسمدة الصناعية نتيجة لنمو الصناعات الكيماوية. وإذا كان الشيلم والشوفان والبطاطس هي الغلات الرئيسية للسهل الألماني الشمالي، فإن القمح والبنجر تزرع على أطرافه الجنوبية، بينما تزرع الفواكه وبصفة خاصة الكروم في أقصى الجنوب. وتهتم ألمانيا بتربية الماشية إهتمامها بالزراعة بحيث أصبحت أولى الدول الأوروبية في تربية الخنازير بإستثناء الاتحاد السوفيتي. وتأتي في المرتبة الثانية بعد فرنسا في أعداد الأبقار، وتخصص لها الأقاليم الشمالية السيئة الصرف والتي لا تصلح للزراعة، وكذلك الحال في المرتفعات الجنوبية الوعرة.

وتأخرت الثورة الصناعية في ألمانيا، وبدأت بنمو الخطوط الحديدية في الأربعينات من القرن التاسع عشر، فضلا عن تطور الصناعات المعدنية الثقيلة في حوض الروهر في الخمسينات من ذلك القرن. ولم تتركز الصناعات الألمانية التركز الشديد الذي شاهده الصناعات البريطانية نظرا لتسهيلات النقل الحديدي ووفرة موارد الماء الجيد. وأمكن لهذه المراكز الصناعية المنتشرة أن تحصل على خاماتها وفحمها بواسطة النقل المائي والبري، وزاد هذا الإنتشار والتشتت الصناعي في القرن العشرين نتيجة إمكان نقل الكهرباء حتى إلى أبعد قرى الفوج والغابة السوداء.

وتتضمن ألمانيا موارد وفيرة من الفحم، بل يعتبر الفحم أكثر مواردها المعدنية ، وأعظم تكوينات الفحم الببتومين هي تكوينات الروهر التي يمكن لمناجمها أن تعطي نحو ١٢٠ مليون طن من الفحم سنوياً، كذلك توجد تكوينات فحم اللجنيت في ساكسوني أي في جنوب ألمانيا، وإذا كانت ألمانيا فقيرة في مواردها الحديدية فإنها تستورده من فرنسا والسويد وأسبانيا وشمال أفريقية ، ويأتيها الحديد عن طريق مواني بحر الشمال ومواني هولند، من ثم قامت مصانع الحديد والصلب على ضفاف الراين والمناطق المتاخمة له.

وقد قامت قوة ألمانيا الصناعية معتمدة على صناعة الحديد والصلب الضخمة التي تتركز معظمها في حوض الروهر الذي يحتل في الاقتصاد الألماني مكانة أعظم بكثير من مساحته الصغيرة، وكانت هذه المنطقة هي المركز الرئيسي لإمداد ألمانيا بالأسلحة والذخائر والحديد والصلب اللازم لبناء الأساطيل ووسائل النقل الحربي فبسلمي. فهي المركز الرئيسي للصناعات الثقيلة بل هي بحق ترسانة ألمانيا، يليها في الأهمية منطقة ساكسوني الواقعة في جنوب شرقي ألمانيا وتتنوع فيها الصناعات وخاصة الأنواع الخفيفة التي تتطلب مهارات كالأجهزة الإلكترونية، والعدسات ، فضلاً عن الخزف، والمنسوجات القطنية، والصوفية. وهناك مناطق صناعية متعددة خارج المنطقتين السابقتين ، لعل أهمها تلك المدن الصناعية الواقعة في أعالي الراين وعلى رافديه المين ونيكر.

وخشيت كثير من الدول هذه القوة الاقتصادية، فخلال الثلاثينات كانت ألمانيا قد بسطت نفوذها الإقتصادي على كثير من دول جنوبي أوروبا، كما نمت تجارة ألمانيا مع أمريكا اللاتينية والشرق.

السكان:

وكان عدد السكان الكبير من عناصر قوة ألمانيا أيضاً، سواء للحصول على الأيدي العاملة أو لحاجة الجيش، ذلك أن ألمانيا تعتبر من أقطار العالم ذات الكثافة العالية. وقد بلغ سكان ألمانيا الغربية عام ١٩٦٠ نحو ٥٥ مليون نسمة بينما بلغ سكان فرنسا أكبر دولة مجاورة ٤٧ مليون نسمة، والآن بعد توحيد الألمانيتين بلغ عدد سكان الألمانيتين ما يزيد على ٨٢ مليون نسمة، على حين بلغ عدد سكان فرنسا ٥٩ مليون نسمة عام ٢٠٠٣. وقد عمد النازيون قبل الحرب الثانية على الإكثار من النسل، وأعتبروا هذا من أقدم الواجبات المفروضة على كل ألماني. وتحقيقاً لهذه الغاية فرضوا الضرائب على غير المتزوجين من الرجال، ومنحوا الإعانات المالية لأصحاب الأسر الكبيرة، بل واهتموا بتحسين النسل عن طريق الدراسات الطبية، والحد من النسل غير المرغوب فيه، كما كان ينظر إلى زواج الألماني من إحدى بنات عنصر آخر وخاصة من المرأة اليهودية على أنه جريمة ضد الدولة. ويتميز الألمان بظهور روح قومية أساسها الأول هو اللغة الواحدة والثقافة الواحدة . والواقع أن القومية الألمانية بهذا الشكل تنتشر خارج حدود ألمانيا ، نتيجة لموقع ألمانيا كمعبر للهجرات، وكدولة تنقصها الحدود الطبيعية الواضحة فضلاً عن تغير حدودها السياسية مراراً في تاريخها الحديث، مما أدى إلى إنتشار العنصر الألماني خارج هذه الحدود أو تلك. ولذلك لم تقتصر ألمانيا في ذهن الألمان بوطن معين محدد بحدود طبيعية،

بل إرتبطت القومية الألمانية في ذهنه وإنتمائه لشعب من أصل واحد ذو ثقافة واحدة.. ومن ثم قامت فكرة ضم العناصر الألمانية جميعا في دولة واحدة، وكان هذا أحد الأسس التي إعتد عليها الألمان في دعائهم للحرب.

وكانت زيادة السكان والبحث عن مجال حيوي هي الأساس الثاني الذي إعتمدت عليه السياسة الألمانية في التوسع الخارجي. وفي هذا قال هتلر أيضا في إحدى خطبه " لقد ظلت إنجلترا هذه ثلاثمائة عام وهي تسير في أعمالها مجردة من كل مظهر من مظاهر الفضيلة، والآن وقد إستكملت نضجها نراها تحدثنا عن الفضيلة ، لقد إستطاع الستة والأربعون مليوناً من الإنجليز، في الفترة التي عاشوا فيها مجردين من كل معنى من معاني العدالة، أن يخضعوا لسلطانهم ما يقرب من ربع مساحة العالم كله، على حين أن الثمانين مليوناً من الألمان قد كتب لهم أن يعيشوا من أجل فضيلتهم مكسبين، كل مائة وأربعين منهم، في كيلو متر مربع واحد ".

نمو ألمانيا كوحدة سياسية:

تأخرت الوحدة السياسية في ألمانيا عن فرنسا أو إنجلترا، فقد تكون اتحاد ألماني عام ١٨١٥ (في مؤتمر فيينا) يشمل الولايات الألمانية والنمسا، وكانت السيادة فيه للنمسا، ولكن في نفس الوقت كانت إمارة بروسيا التي تحتل معظم شمال شرق ووسط ألمانيا تمثل قوة متحدية للنمسا في وسط أوروبا، ثم بدأ الاتحاد النمساوي الألماني في الإنحلال بعد عقود من مؤتمر فيينا لتضم بروسيا الولايات الألمانية تحت جناحها، فقد أدى دهاء بسمارك إلى توحيد ألمانيا الجنوبية في دولة واحدة عام ١٨٧١، وتوج على رأسها ملك بروسيا إمبراطورا باسم وليم الأول.

وكخطوة أولى نحو الوحدة بدأت بروسيا بالاتحاد الجمركي Zollverein عام ١٨٣٣ الذي إتجه بالولايات الألمانية نحو وحدة إقتصادية خرجت منها النمسا، ثم كانت الخطوة الثانية بمهاجمة بروسيا للدانمرك، وبدأت ولايات أخرى في الإنضمام إلى بروسيا، ثم بعد ذلك شنت بروسيا حرب أخرى كانت هذه المرة ضد النمسا، وهبت مرة أخرى الولايات الألمانية لمساعدة بروسيا، وإنتهت الحرب بهزيمة النمسا وحل الاتحاد النمساوي الألماني القديم وتكون إتحاد جديد بزعامة بروسيا ، وقامت بروسيا بحرب أخرى ضد فرنسا عام ١٨٧٠، وإشتركت الولايات الألمانية للمرة الثالثة في غضون ثلاث سنوات وهزمت فرنسا في بحر شهر، وبعد هذه الحرب قررت الولايات الألمانية الوحدة السياسية تحت زعامة بروسيا.

التوسع الألماني بعد الوحدة:

عملت ألمانيا بعد وحدتها على بناء قوتها الإقتصادية في أوروبا، وبدأت محاولات للتوسع السياسي والإقتصادي، فتقدمت في ميدان التصنيع بسرعة، كما زاد سكانها من ١٤ مليون نسمة عام ١٨٧١ إلى ٦٥ مليون نسمة عام ١٩١٤ وكان نمو الإنتاج الزراعي والتجارة الخارجية والتسليح مساهمة لهذه الزيادة.

وتحركت ألمانيا بسرعة عبر البحار لتنمية مستعمرات في المحيط الهادى وأفريقية، وفى أواخر القرن التاسع عشر (١٨٨٠) كان هناك توطن للألمان فى أفريقية، وسرعان ما عترفت الدول الكبرى بالمستعمرات الألمانية فى جنوب غربى أفريقه وتوجو والكمرون وشرقى أفريقيه الألمانى (تتجانيقا). وضمت فى المحيط الهادى الأجزاء الشمالية من نيوجينيا وجزر سولمون، من ثم كانت تمثل الإمبراطورية الثالثة بعد بريطانيا وفرنسا، وذلك بعدما يقرب من خمسة عشر عاما فقط من وحدتها السياسية.

ودخلت ألمانيا مع النمسا والمجر وبعض دول الوسط الحرب عام ١٩١٤ ضد فرنسا وبريطانيا وحلفائهما، وسلمت دول وسط أوروبا بعد أربع سنوات. وكانت هزيمة ألمانيا فى تلك الحرب أول ضربة للألمان وأول وقف لتوسعهم ، بل على العكس إقتطعت أجزاء منها ضمت إلى الدول المجاورة، كما آلت ممتلكاتها عبر البحار إلى الإنتداب البريطانى والفرنسى وإلى بلجيكا واليابان وغيرها.

التوسع الألمانى الهتلرى : ١٩٣٩ / ١٩٤٥ :

لقد عانت ألمانيا لاشك من تسويات الحرب الأولى خاصة، وأنه لم تكن هناك معونات إقتصادية عقب الحرب العالمية الأولى كما حدث عقب الحرب العالمية الثانية، وتولى هتلر الحكم عام ١٩٣٣، وقد إزداد الشعور بالسخط على تسويات الحرب الأولى، وبعد الأزمة العالمية الإقتصادية، فوضع برنامج إحياء قوة ألمانيا الإقتصادية والعسكرية وإستعادة الأقاليم الألمانية المقتطعة ، ولم يكن فى حاجة إلى جهود كبيرة لجمع الألمان حول آرائه بفضل دعاية الحزب الإشتراكى النازى.

وكانت أول الأقاليم التى إنضمت هو السار عندما صوت سكان السار للإنضمام إلى ألمانيا بنسبة ٩ : ١ عام ١٩٣٥، وفى العام التالى بدأت ألمانيا فى تسليح أراضي الراين وكان محرم تسليحها بموجب معاهدة فرساي، ولم يجد الألمان معارضة من جانب الحلفاء مما شجعهم على التوسع . ولذلك إحتلت القوات الألمانية النمسا فى فبراير ١٩٣٨ بحجة توحيد ألمانيا والنمسا *Anschluss* وإستطاع الألمان إثارة الأقليات فى الدول المجاورة بحجة توحيد وضم الأراضي الألمانية إلى ألمانيا. وضمت ألمانيا إقليم السوديت فى تشيكوسلوفاكيا، وكان به أقلية ألمانية بلغت نحو ثلاثة ملايين فى نهاية عام ١٩٣٨، وبدأت مطالبة بولند بدانزانج والممر البولندى، وإستمر بعد ذلك التوسع الألمانى، وفى مارس عام ١٩٣٩ إحتل هتلر معظم تشيكوسلوفاكيا، وإستعادت ألمانيا ممر من ليتوانيا، وبذلك أصبحت ألمانيا فى يونيو عام ١٩٣٩ تضم نحو ٨٦ مليون نسمة، ثم طالب الألمان بضم غرب بولند إليهم وحينئذ بدأت فرنسا وبريطانيا تعارض ألمانيا، وأيدتا بولند فى رفضها لمطالب الألمان، وغزت قوات الألمان بولند فى أول سبتمبر ١٩٣٩ وبعد يومين من هذا الغزو أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا.

تقسيم ألمانيا عقب الحرب الثانية:

كان لموقع ألمانيا فى وسط أوروبا أثره فى تعدد جبهات الهجوم عليها فزحف الروس

من الشرق وزحف الإنجليز من الغرب والأمريكيون من الجنوب، وبذلك إحتلت القوات الإنجليزية والأمريكية ما عرف باسم ألمانيا الغربية، وإحتل السوفيت ما يعرف بألمانيا الشرقية، وفي يونية ١٩٤٥ عقد مؤتمر بين قوات الإحتلال، وتم الإتفاق فى هذا المؤتمر على تفاصيل سحب القوات الإنجليزية والأمريكية من بعض المناطق المخصصة للروس. كما تم الإتفاق على ضمان وصول الأمريكيين والفرنسيين والإنجليز إلى برلين وممارسة حقوقهم فيما يتعلق بالمساهمة فى إدارة الشؤون المدنية، وعقد مؤتمر بوتسدام سنة ١٩٤٥ بين الأقطاب الثلاثة وإتفق على تقسيم ألمانيا إلى الأقسام التالية:

١- منطقة الإحتلال الروسية وشرق ألمانيا يخضع للحكم البولندى، وتضم هذه المنطقة أكثر من ثلث سكان ألمانيا قبل الحرب، وأكثر من نصف أراضيها الزراعية. وكان هذا الجزء يصدر المواد الغذائية إلى ما يعرف بألمانيا الغربية. فكان يزيد عن حاجتها ثلث الإنتاج من الشيلم، وربع الإنتاج من الشعير وخمس الإنتاج من القمح والشوفان، وثلث الإنتاج من البطاطس، كما تشمل هذه المنطقة منطقة فحم سيليزيا ومنطقة سكسونيا. وكان هذا الجزء يعتمد فى الحصول على الآلات والصلب من المناطق الغربية. وقد منحت بولند فى هذا القسم الأراضى الواقعة حتى نهر الأودر، كما منحت أيضا الجزء الجنوبى من بروسيا الشرقية (سابقا). وأسس الروس فى منطقة إحتلالهم نظاما جديدا يرأسه الألمان تحت إشراف السوفييت. واتجهت روسيا بألمانيا الشرقية نحو الكتلة الشرقية فى معاملاتها الإقتصادية ثم أعلنت قيام جمهورية ألمانيا الديمقراطية الشرقية فى أكتوبر سنة ١٩٤٨.

وتقرب مساحة ألمانيا الشرقية نحو نصف مساحة ألمانيا الغربية وبها نحو ثلث سكانها، وهى دولة زراعية فى المرتبة الأولى، تنقصها مقومات الصناعة الثقيلة، ولكن مع هذا يمكن القول بأن تكوينات اللجنيت والبوتاس والأملاح الكيماوية الأخرى فى ألمانيا ما قبل الحرب تتركز فى ألمانيا الشرقية، فضلا عن بعض الفحم، مما يكون أساسا للصناعات الكيماوية، فألمانيا الشرقية هى المنتج الثالث للبوتاس فى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية، كما إكتشف اليورانيوم وبدأ إستغلاله تحت إشراف الإتحاد السوفييتى.

٢- أما القسم الغربى فى ألمانيا فهو الذى عرف بألمانيا الغربية أو الفيدرالية. وكانت منطقة الإحتلال الأمريكى فى جنوب ألمانيا ومركزها إقليم بافاريا، وتتخذ ميناء برمن الذى يقع فى المنطقة البريطانية منفذا لها. وكان هذا الإقليم بوجه عام يعتمد لسد حاجاته فى المواد الغذائية على الإستيراد من الخارج. وقد لعب الدولار الأمريكى دورا كبيرا فى إنعاش هذه المنطقة.

وأما منطقة الإحتلال البريطانى فكانت فى شمال غرب ألمانيا غرب نهر الألب وتشمل إقليم الروهر وشمال وستفاليا وشمال الراين. ومعنى هذا أنه يضم أعظم أقاليم ألمانيا الصناعية. وهذا الإقليم وإن كان غنيا بالإنتاج الصناعى، إلا أنه يعتمد على الخارج فى سد حاجته من المواد الغذائية.

وأما منطقة الإحتلال الفرنسي فكانت جنوب غربى ألمانيا، وهذا الإقليم يمكنه أن يمد حاجة سكانه الغذائية وتتركز الصناعة فيه فى حوض السار الذى تحدثنا عنه.

هذه الأقسام الثلاثة — الفرنسية والإنجليزية والأمريكية تم توحيدها عام ١٩٤٩ فى دولة واحدة هى جمهورية ألمانيا الغربية الاتحادية ومركزها بون. وأصبحت مستقلة تماما ذات سيادة فى مايو ١٩٥٥ مع بقائها ضمن الكتلة الغربية ، وظلت فيها قوات الحلفاء بمقتضى تحالف بينها وبين الدول الغربية. فقد ثار الإتحاد السوفييتى على الكتلة الغربية لأن هذا يناقض إتفاقية بوتسدام الخاصة بعدم إحياء ألمانيا عسكريا وضرورة نزع سلاحها وإعادة ترتيبها سياسيا. بل أن وزير مالية الولايات المتحدة كان قد إقترح مشروعا فى مؤتمر بالتا لجعلها دولة زراعية، وذلك بحرمانها نهائيا من مصانعها وحديدتها وفحمها.

النمو الإقتصادى لألمانيا الغربية:

نما الإقتصاد الألمانى، وبصفة خاصة قطاعه الصناعى حتى أصبح يشار إلى نمو الصناعة فى ألمانيا الغربية على أنه " أعجوبة الإقتصاد الألمانى " ذلك أن الصناعة الألمانية نمت نموا سريعا، فقد إزداد الإنتاج الصناعى الألمانى بمعدل يزيد على ٩٠% بين عامى ١٩٥٠ ، ١٩٦٠، وإحتلت ألمانيا مكان الصدارة بين دول غربى أوروبا، ولم يعادلها فى هذا النمو من الدول الصناعية سوى الإتحاد السوفييتى واليابان.

ويرجع هذا النمو الصناعى إلى عدة عوامل ، منها المساعدة الأمريكية عقب الحرب الثانية، وإن كانت المساعدات التى تلقتها عقب تلك الحرب كانت أقل من تلك التى نالها بريطانيا أو فرنسا . ويعتبر الإهتمام بالبحث العلمى عاملا آخر، كما يتميز الشعب الألمانى بارتفاع قوته الشرائية نتيجة لارتفاع الأجور وثبات الأسعار نسبيا، ولا يمكن أن ننكر فى هذا المجال الجهود الحكومية لتشجيع الصناعة والحوافز الفردية، فقد أزالته الحكومة معظم الحواجز التى تقف أمام التجارة، ووضعت حدا أقصى لضريبة الدخل قدره ٥٣% إذا قورن بالحد الأقصى للولايات المتحدة وهو ٩١%.

الصناعات الرئيسية:

حيث توجد كنيسة يوجد كاهن ، وحيث توجد آلة يوجد المانى (مثل روسى).

تأتى الصناعات المعدنية والكهربائية فى مقدمة الصناعات الألمانية، ونظرا لإرتباطها بصناعة الصلب وبأسواق التصريف، فقد تركزت فى حوض الراين الأدنى والمدن الكبرى، وتأتى صناعة وسائل النقل كمظهر من مظاهر التقدم الصناعى، كما أصبحت ألمانيا الغربية المنتج الثالث للسفن فى العالم بعد اليابان والمملكة المتحدة، ويبلغ نصيب ناقلات البترول وحدها نحو ثلث الإنتاج الألمانى الذى يتركز فى موانئ الألب والفيزر، وبخاصة فى موانئ هامبورج وبرمن وكيل. وإشتهرت ألمانيا بصناعة القاطرات فى إسن وبرلين. وكانت ألمانيا تتفوق على دول العالم أجمع فى صناعة الطائرات قبل الحرب العالمية الثانية، ولكنها حرمت من هذه الصناعة عقب تلك الحرب، غير أنها بدأت عملية

تجميع من القطع المستوردة من الخارج.

وكانت ألمانيا أولى الدول الصناعية تطويراً للصناعات الكيماوية، وقامت صناعة الأسمدة أول الأمر اعتماداً على البوتاس، ثم تطورت صناعة الأصباغ الصناعية من أفران الكوك، ثم صناعة كيماويات التصوير والأدوية، وتتابع بعد ذلك تقطير الفحم والبتترول مما أدى إلى نشاط صناعة المطاط الصناعي والبلاستيك وغيرها، وتتركز الصناعات الكيماوية على طول وادي الراين حيث يقدم النهر وسيلة رخيصة للنقل، وتعتبر لودفيجشافن *Ludwigshaven*، وفرانكفورت *Frankfurt* ولفركوزن *Leverkusen* بالقرب من كولوني أهم مراكز صناعة الكيماويات، بل أن كولوني ذاتها أصبحت مركزاً لتكرير البترول.



المراكز الصناعية في ألمانيا

وتعتبر كل من الشركات الثلاث الكبرى الألمانية (باير، باسف، وهوكست) أكبر بمقدار ٥٠% من أكبر مؤسسة أمريكية وهي (دي بون).

ويعتبر حوض الروهر أهم مراكز الصناعات المعدنية الثقيلة، فإذا كانت نواة الروهر تسودها الصناعات المعدنية الأولية، فإن هذه النواة محاطة من الشمال والجنوب والغرب بالعديد من المدن التي تقوم فيها صناعة الآلات والمنسوجات وغيرها، فهذا الإقليم ينتج نحو ٩٠% من صلب ألمانيا الغربية، وما يقرب من كل الفحم الببتيوميني، ونحو ثلثي صناعاتها المعدنية الكاملة الصنع والنصف مصنوعة، وتظهر إسن وديسلدورف ودورتمند كمدن رائدة في هذا المجال.

برلين:

اتفق الحلفاء على ضرورة تقسيم برلين فيما بينهم ، فقسمت برلين فعلا إلى : الجزء الشرقي يدخل ضمن منطقة النفوذ السوفييتي. أما المنطقة الفرنسية فتشمل الركن الشمالي الغربي، والمنطقة الغربية هي المنطقة البريطانية والمنطقة الجنوبية الغربية هي منطقة الولايات المتحدة . وبطبيعة الحال الجزء الغربي وهو ما عرف ببرلين الغربية. وقد بنت ألمانيا الشرقية سورا بين برلين الشرقية والغربية، ذلك السور الذي حطم عام ١٩٨٩ وإنسابت عبره الحركة البشرية من الشرق إلى الغرب.

الوحدة الألمانية ١٩٩٠

قال أحد مستشاري المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية " قبل توحيد ألمانيا، كان ميزان القوى في أوروبا غير متساو، ويميل إلى مصلحة فرنسا بشكل واضح ، الآن هو غير متساو ويميل إلى صالح ألمانيا.

في الرابع من أكتوبر ١٩٩٠ تم رسميا الإعلان عن إعادة توحيد ألمانيا تحت علم واحد لتصبح أكبر الدول الأوروبية سكانا (٨١ مليون نسمة) وبالتالي أكبر بنحو ٢٠ مليون نسمة من أي دولة أوروبية أخرى باستثناء روسيا الاتحادية.

وقد تراوحت ردود فعل دول العالم بين الترحيب الشديد والفتور الكبير ، فقد رحبت به الولايات المتحدة الأمريكية لأنها النهاية الحقيقية للنزاع بين الشرق والغرب، وكذلك رحبت به روسيا، بينما كانت فرنسا وبريطانيا أقل ترحيبا نتيجة خبراتهم السابقة معها.

ولاشك أن إتحاد القسمين الشرقي والغربي معها عام ١٩٩٠، وخلق لألمانيا جديدة تضم أكثر من ٨١ مليون نسمة عام ١٩٩٥. لا يخفى أن إتحاد القسمين ترتبت عليه مشكلات خطيرة. ففي بداية التسعينات كان هناك تفاؤل بأن يتم تشرب القسم الشرقي ومشاكله في عامين أو ثلاثة، ولكن ظهر بعد ذلك أن هذا التشرب والتغلب على مشكلاته سوف يستمر سنوات بعد بداية القرن الحادي والعشرين، وأن هذا سيكلف الدلائلألمانياتين نحو ٧٥٠ مليار دولار، فالخدمات متدنية في القسم الشرقي، والمصانع مهترئة، لأن القاعدة الصناعية كانت مهملة بحيث ظهر أن نصفها يجب أن يغلق أبوابه ، لإحلال آلات جديدة محل القديمة، والنصف الباقي في حاجة إلى قطع غيار ، وانتشرت البطالة مع الخصخصة ، ومن ثم كانت مشكلة تدفق الهجرات من شرقي ألمانيا، إلى غربيها ففي عام ١٩٩٠ / ١٩٩١ هاجر

نحو مليون ألماني شرقي، كما هناك ٣٠٠ ألف يعملون في القسم الغربي ويسكنون القسم الشرقي.

وكانت ألمانيا قبل الوحدة تعتمد على العمال المهاجرين، ولكن الوحدة الألمانية أدت إلى نزوح وتدفق الألمان من ونوى الأصول الألمانية من كل شرق أوروبا بما فيها الاتحاد السوفييتي السابق فهؤلاء جميعا لهم الحق في الحصول على الجنسية الألمانية، وهذا بدوره قد انعكس على المهاجرين المقيمين في ألمانيا وغالبيتهم من الأتراك، الذين يعتبرون أن هذه البلاد وطنهم، ويتطلعون إلى الإفادة من خدمات الرعاية في الشيخوخة التي يحصل عليها الألمان، لأنهم يدفعون الضرائب المستحقة عليهم وكذلك أنصبتهم من صندوق الضمان الإجتماعي والشيخوخة، لذلك لم يكن مستغربا أن يتفاقم التوتر بين الألمان وضيوهم منذ بداية التسعينات، ويظهر اليمين المتطرف أو النازيون الجدد الذين ينظمون المظاهرات ضد المهاجرين واللاجئين، وقذف مراكز إستضافة ومراكز تجمع العمال الأجانب بقنابل المولوتوف والحجارة. وهكذا بدلا من توقع مشكلة إنكماش العمالة في التسعينات، بات لدى ألمانيا تسعة ملايين عامل جديد ملزمة برفع مستويات دخولهم إلى مستويات الدخول في ألمانيا الغربية، كما واجهت أيضا تدفق ملايين من أصل ألماني من وسط أوروبا وشرقيها، وكل هذه الملايين تريد مستويات المعيشة الألمانية على وجه السرعة، ولما كانت ألمانيا الغربية لا تريد أن تفرغ ألمانيا الشرقية من سكانها فليس أمامها خيار سوى إتباع سياسات لا يمكن أن توصف إلا بأنها التحرك نحو تعمير ألمانيا الشرقية ذاتها.

ألمانيا الدولة الأوروبية الأولى :

قال هنري كيسنجر:

"إن ألمانيا هي القوة الاقتصادية الأكثر فاعلية في أوروبا ، وأن على واشنطن تتعامل معها كمدخل للاتصالات مع أوروبا بالضبط كروسيا ."

لسنوات طويلة كانت جمهورية ألمانيا الاتحادية توصف بأنها عملاق إقتصادي وفي الوقت نفسه قزم في السياسة الدولية، وفي الحق أن الدور الضعيف الذي كان للسياسة الألمانية في هذا المجال كان نتيجة رفض الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية إعطائها أي دور فعال في هذا السبيل، ولكن ألمانيا خرجت من هذا القيد من خلال إندماجها في المجموعة الأوروبية التي كانت قد بدأت تتشكل، ودخلت ألمانيا في حلف شمال الأطلسي (اتفاقيات باريس ١٩٥٤) ومع بدء سريان هذه الإتفاقيات عام ١٩٥٥، إنتهت سلطات الاحتلال وأصبحت ألمانيا الاتحادية دولة ذات سيادة، وشاركت في إتفاقية روما عام ١٩٥٧ التي وقعتها ست دول لإنشاء السوق الأوروبية المشتركة، ومن خلال الإقتصاد المزدهر والتجارة الخارجية الناجحة ، بدأت ألمانيا تدريجيا تحتل مكانا قائدا في إطار السوق الأوروبية المشتركة ومقرها بروكسل بدأت بإضافة الدور السياسي الخارجي لوزنها الإقتصادي وهو ما قاد إلى تغيير إسمها من السوق الأوروبية المشتركة (ECM) إلى

الجماعة الأوروبية (EC)، ثم كان انضمام ألمانيا إلى الأمم المتحدة عام ١٩٧٣.

فألمانيا اليوم هي قلب أوروبا الموحدة — ابتداء من أول ١٩٩٣ — بل هي القاطرة الهادرة، التي تسحب وراءها القطار الأوربي بعربات السريعة الممتازة وعرباته المتهالكة المتلكئة ... وفي هدوء، مضت ألمانيا تتضخم وتعملق في كل مجال، وتطور قاطرتها من استخدام البخار والفحم والكهرباء، قفزاً إلى استخدام الليزر قمة التكنولوجيا الحديثة، وتبنى اقتصادها ومؤسساتها السياسية والفكرية بل والعسكرية، وتحولت في أقل من نصف قرن، من الدول المنهزمة الأولى — في الحرب العالمية الثانية — إلى القوة الأوروبية الأولى التي يعتقد أنها وليست بريطانيا أو فرنسا أو إيطاليا طبعاً المؤهلة لمناطحة المستقبل مع القوتين البازغتين الآن على الساحة، أمريكا واليابان، خاصة بعد إعادة توحيد الألمانيتين ومن ثم التحول إلى أكبر دولة أوروبية بكل المقاييس. ورغم العدوات الدفينة والصراعات القديمة والخلافات الجديدة، فإن أوروبا التي توحدت منذ بدايات هذا العام، تحولت حول ألمانيا.

مظاهر القوة الألمانية:

استهلت ألمانيا عام ١٩٩٧ كعضو فاعل في حلف الأطلسي. بالخروج من نطاق حدودها إلى العالم لأول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بعد أن كابدت كثيراً لتتخلص كثيراً من أوزار تلك الحرب وتبعاتها السلبية الجسيمة، فمنذ الساعات الأولى للعام الجديد تمارس ألمانيا دورها الإقليمي والدولي كاملاً وغير منقوص، باعتبارها دولة أوروبية كبرى عضواً في الاتحاد الأوربي، وحلف الأطلسي، فقد إنتشرت قوات عسكرية مقاتلة ألمانية في أراضي البوسنة ضمن قوات حفظ السلام التي تضطلع بمهمة تحقيق الاستقرار هناك تحت قيادة حلف الأطلسي، صحيح أن ألمانيا سبق وأن شاركت في مهمات دولية في كمبوديا وكرواتيا مثلاً، ولكنها كانت تقتصر على تقديم المساعدات الطبية أو نقل المعدات العسكرية، دون أن يكون لها أي مهام عسكرية.

المطالبة بمقعد دائم في مجلس الأمن:

إصرار ألمانيا على المطالبة بمقعد دائم في مجلس الأمن على اعتبار أن الصيغ الحالية لمجلس الأمن هي صيغة واقع هزيمة وتقسيم ألمانيا وهزيمة اليابان وإنتصار الحلفاء (أمريكا والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا) وظهور معسكريين عالميين معسكر إشتراكي بزعامة الاتحاد السوفيتي، ومعسكر رأس مالي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الواقع وهذه الحقائق لم تعد قائمة الآن من ثم لم يعد مقبولا إستمرار نظام لايعكس حقائق الواقع الجديد.

المطالبة بإعتماد اللغة الألمانية كلغة أساسية في الاتحاد الأوربي:

مطالبة ألمانيا بإعتماد اللغة الألمانية كلغة أساسية في الاتحاد الأوربي شأنها في ذلك شأن اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية، وكذلك مطالبتها بزيادة مقاعدها في البرلمان

الأوربي بسبب إنضمام سكان ألمانيا الشرقية إليها ليصبح لها ١٨ مقعدا (حصة كل دولة في البرلمان تتوقف على عدد سكانها).

تشكيل جيش أوربي موحد:

تتفق كل من ألمانيا وفرنسا على أهمية وجود قوة عسكرية دفاعية أوربية موحدة (جيش أوربي موحد) مستقلة عن حلف الأطلسي، أي خارج السيطرة الأمريكية، ومعنى تشكيل جيش أوربي موحد، أن أوروبا وهي في طريقها إلى التوحد الإقتصادي ووضع صيغة للتوحد السياسي تريد أن تخلق لنفسها دورا سياسيا متميزا عن الدور الأمريكي، دورا مستقلا وخارج نطاق السيطرة والهيمنة الأمريكية، وربما يكون دورا منافسا.

إختيار فرانكفورت عاصمة مالية لأوروبا الموحدة:

كانت ألمانيا أيضا هي الدولة التي فازت بإختيار عاصمتها المالية فرانكفورت لتكون عاصمة مالية لدول أوروبا التي تمضي على طريق الوحدة، ولم يكن طريق ألمانيا سهلا لإختيار إحدى مدنها الرئيسية كعاصمة مالية لأوروبا الموحدة، ذلك أن حي السيتي الشهير بلندن وهو حي المال والتجارة ظلا ردحا من الزمن هو محور النشاط المالي في أوروبا، وبالتالي كان من المتوقع أن تكون هي لا فرانكفورت مقرا للبنك المركزي الأوروبي، ولكن المراقبين لا ينكرون أن ألمانيا تلعب دور القاطرة بالنسبة للدول الأوروبية في الميدان الإقتصادي، وإن كانوا يخشون مايعنيه ذلك من زيادة قوة ألمانيا، ويخشون من تحول ألمانيا إلى ممارسة دور الدولة القائد في أوروبا، خاصة بعد إنضمام النمسا وفنلند والنرويج والسويد إلى إتفاقية الجماعة الأوروبية فيما بعد.

دعم إقتصاديات بعض دول أوروبا الشرقية:

ركزت ألمانيا على دعم إقتصاديات بعض دول أوروبا الشرقية بعد إنهيار الكتلة الشرقية على عكس الموقف الأمريكي البريطاني الفرنسي الخاص بإعطاء الأولوية لدعم الإقتصاد الروسي، وإختلاف الستوجه الألماني عن توجه الحلفاء له علاقة مباشرة بالطموحات السياسية الألمانية، وبالدور السياسي القوى الذي تطمع إليه ألمانيا في أوروبا، فـدول شرق أوروبا توجد بها جاليات ألمانية تبلغ نحو ثلاثة ملايين نسمة بعضهم يتطلع إلى الوطن الأم، وعندما تقوم ألمانيا بدعم إقتصاديات هذه الدول مثل التشيك والسلوفاك وبيلوروسيا وأوكرانيا ، فإنها تحقق هدفين: أولهما وقف نزوح الهجرة إليها من هذه الدول، وثانيهما إقامة علاقات وثيقة مع هذه الدول تخدم الزعامة الألمانية، هذا الهدف يتضح في علاقة ألمانيا مع روسيا حيث تسعى منذ فترة إلى إعادة إحياء (جمهورية الفولجا الألمانية) كجمهورية مستقلة أو إقليم للحكم الذاتي داخل روسيا يضم ملايين الألمان الذين يعيشون في روسيا منذ مطلع القرن الحالي، وكان هؤلاء قد إستوطنوا المنطقة الغربية من نهر الفولجا وحصلوا على حق إقامة كيان إداري ذاتي، تحول إلى جمهورية مستقلة عام ١٩١٨، لكنهم تعرضوا للقتل والتشريد في سيبيريا، ومناطق أخرى منذ عام ١٩٤١، وقد سعت ألمانيا إلى إعادة تجميع هؤلاء مرة أخرى في منطقة الفولجا، وضرورة إيجاد كيان

ذاتى مستقل لهذه الأقلية الألمانية ، ونجحت جزئيا فى هذا.

دعم سلوفينيا وكرواتيا:

ظهر الدور الألمانى فى شرقى أوروبا بوضوح أكثر فى أحداث إنقسام يوغسلافيا، فقد وقفت ألمانيا بكل قوة مع إستقلال سلوفينيا وكرواتيا ، وسبقت الحلفاء فى الاعتراف بإستقلال الجمهوريتين، هذا الحرص الألمانى على سلوفينيا وكرواتيا ودعم الإستقلال يرجع فقط إلى العلاقة القديمة التى ربطت ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية مع سلوفينيا، حيث حارب السلوفينيون والكرواتيون بجانب ألمانيا عكس صربيا التى وقفت بجانب بريطانيا وفرنسا.

مفهوم ألمانيا للوحدة الأوروبية:

الرعب الذى تعبر عنه بريطانيا تجاه مايعرف بالجماعة الأوروبية " حرف الفاء " يحير الألمان وهم الذى يحمل بلدهم بإفتخار كلمة (الفيدرالية) فى إسمه الرسمى.

وبالنسبة للمستولين الألمان فإن أفاق أوروبا فيدرالية تستحضر كابوس تحول بلدهم إلى مجرد إقليم يحكمه بيروقراطيون بعيدون فى بروكسل. وفى جمهورية ألمانيا الفيدرالية، فإن الفيدرالية توصف ببساطة نظام حكم لامركزى تحول فيه سلطات كبيرة إلى الأقاليم. ويعتقد الألمان بأن الفيدرالية، التى طبقت فى ألمانيا الغربية منذ عام ١٩٤٩، كانت عنصرا رئيسيا فى ازدهار بون الإقتصادى بعد الحرب العالمية الثانية، وظهورها كدولة ديموقراطية مستقرة. ويريد النظام الألمانى تطوير المجموعة الأوروبية إلى ولايات متحدة أوروبية " تركز على مبدئين توأمين هما (الفيدرالية) و (اللامركزية) واللامركزية فى المفهوم الألمانى، يعنى أن القرارات ينبغى أن تتخذ على أدنى مستوى سياسى ممكن.

ويعتقد الألمان أنه فى إطار أوروبا موحدة سياسيا فإن الهيئات الفيدرالية التى تعطى الإقليم السيطرة على شئونها المحلية ستكون أساسية لمنع الحكومة من أن تصبح بعيدة جدا . ولايمكن قيادة ٥٠٠ مليون إنسان مركزيا فى بروكسل، ولايمكن بناء أوروبا ديموقراطية إذا لم تبين وفق خطوط فيدرالية، خاصة إذا كنت تريد أكثر من مجموعة إقتصادية . وتقاليد نقل السلطات فى ألمانيا المعاصرة تبدأ على المستوى المحلى حيث تتمتع بلديات المدن وهيئات الريف بسلطات محددة بوضوح فى مجالات مثل المواصلات العامة، وشق الطرقات، وإدارة المدارس، والمستشفيات.

وعلى مستوى أعلى هناك الولايات الفيدرالية الألمانية الست عشرة، ولكل منها رئيس وزراء وحكومة، وهى تشرف على مجالات هامة مثل الشرطة والتعليم والثقافة والحكم المحلى وحماية البيئة.

والولايات هى المسؤولة عن تنفيذ القوانين التى يسنها البرلمان الفيدرالى فى بون، ولديها أيضا كلمة مباشرة فى الشئون الوطنية من خلال (البانديسرات)، وهو بمثابة مجلس شيوخ فى البرلمان الفيدرالى، ولا بد وأن يوافق على القوانين التى تتعلق بمصالح

الولايات، ونظرا لنجاح فيدرالية ما بعد الحرب في ألمانيا الغربية، فقد وسعت ألمانيا الموحدة هذا النظام لكي يشمل ألمانيا الشرقية، ويعتقد الألمان بأن الفيدرالية لن تفرض بأى حال تماثلا فى القارة، بل ستحافظ على التنوع الإقليمى، كما فعلت فى ألمانيا. وعلى سبيل المثال فإن قانون الإجهاض يطبق فى ولاية بافاريا الكاثوليكية المحافظة بتشدد أكبر بكثير مما هو الحال فى ولاية هامبورج البروتستانتية الليبرالية.

ويقول الألمان أن نمط فيدراليتهم يستقطب إهتماما فى روسيا وغيرها من الدول المتعددة القوميات وبلدان أخرى تعصف بها توترات إقليمية وعرقية ، وهم يعتقدون بأن إقامة مؤسسات فيدرالية فى هذه الدول وفى المجموعة الأوروبية ككل، يمكن أن يعطى الأقاليم مايكفى من الإستقلال الذاتى لإجتناب النزاعات الانفصالية.

٢ - فرنسا

إذا قارنا بين فرنسا وألمانيا فأوجه التناقض بينهما كثيرة، فرنسا دولة قديمة تاريخيا بكل المقاييس من أقدم الدول الأوروبية، فمعظم الأراضي التي نعرف باسم فرنسا إحتلتها الرومان تماما منذ نحو ألفي عام، وإستفاد السكان من الحضارة الرومانية، ثم ظهرت أول هوية لفرنسا عندما تفككت الإمبراطورية الرومانية، ومنذ ذلك التاريخ، عبورا بشرلمان، وبملوك فرنسا، ونابليون كانت هناك فرنسا في أوروبا، بل وأصبحت لعدة قرون هي منارة العلم والفن والمركز الثقافي للقارة، وكانت باريس بؤرة فرنسا هي كعبة طالبى العلم.

لم يكن هذا حال ألمانيا فخلال الإمبراطورية الرومانية وبعدها، لم يكن هناك دولة في هذا المكان، وإنما كانت تحتلها مجموعات من السكان يفصلها بعضها عن بعض الغابات، وتطورت سياسيا ببطء، وظلت ألمانيا كدويلات مستقلة ذاتيا لايربطها ببعضها رباط متين، فيها دويلة أو مقاطعة براندنبرج في الشرق، وبافاريا في الجنوب، وستاليا والإلزاس واللورين في الغرب، هذا فضلا عن بروسيا في أقصى الشمال الشرقى، والأخيرة هي التي بدأ الإحساس بها كقوة، إستطاعت تهدئة تخومها الشرقية مع الصقالبة وأمكنها القيام بعملية توحيد ألمانيا، وكانت الشخصية البارزة في عملية التوحيد هو بسمارك والذي إستطاعت ألمانيا تحت قيادته الإنتصار في حرب السبعين (١٨٧٠ - ١٨٧١) على فرنسا ، وكان هذا النصر كفيلا بتقوية هذا الإتحاد ، وأعلنت الإمبراطورية الألمانية عام ١٨٧١.

العلاقات المكانية:

تطل فرنسا على ثلاثة مسطحات مائية، البحر المتوسط، والمحيط الأطلنطي والقنال الإنجليزي، بينما تشترك حدودها البرية مع ست دول أوروبية، وكان لموقعها في أقصى غرب القارة الأوروبية، أو بمعنى آخر في نهايتها أثارة عديدة سواء من الناحية الإستراتيجية، أو من ناحية تكوينها السكاني. فقد اتخذت فرنسا كراس جسر لغزو ألمانيا في الحربين العالميتين. وكانت حدودها البرية هي سبب متاعبها، وخاصة في أجزائها المتاخمة لألمانيا، وشهدت هذه المناطق كثيرا من الغزو والتقهقر سواء من الجانب الألماني أو الفرنسي، إذ شهدت هذه المناطق ثلاثة حروب كبرى في ما يقرب من تسعين عاما (١٨٧١-١٩١٤-١٩٣٩).

وكان لهذا الموقع الجغرافي أثره أيضا في أنها أصبحت مصفاة أوروبا سكانيا، إذ كانت تنتهى إليها الهجرات البشرية الآتية سواء من الشرق أو الجنوب، مما أدى إلى تعدد العناصر التي تسكنها، ولكن طبيعة فرنسا السهلية، والتي لاتظهر فيها الكتل الجبلية إلا في أطرافها أدى إلى اندماج هذه العناصر وظهور فرنسا كوحدة سياسية منذ زمن متقدم. فلا توجد فيها عزلة تامة بين أقاليمها المختلفة. وقد توافد الفينيقيون والأغريق على جنوب فرنسا منذ القرن التاسع قبل الميلاد، وأنشأ الأغريق مدينة مرسيليا، كما توافد عليها الرومان في منتصف القرن الأول الميلادي حين غزاها يوليوس قيصر، وأخذ يخضع

قبائلها، واتخذ من ليون عاصمة للرومان حينذاك، ثم أخذت القبائل النوردية ممثلة في (الفرانك) أو الفرنجة والجرمان في الإنتشار فيها شمالا. وهكذا تدفقت العناصر المختلفة على البلاد حتى إستطاع الفرنجة الذين أتوا من الشمال وأخذوا من باريس مركزا لهم — توحيد البلاد، وإذا كانت فرنسا بعد ذلك ظلت نهبا للإنقسامات، إلا أنها إستطاعت الوصول إلى الوحدة مرة أخرى بفضل حكام حوض باريس، ومن ثم أصبح هذا الحوض ذو أهمية خاصة في تاريخ فرنسا القومي لأنه النواة التي نمت حولها وحدة فرنسا السياسية منذ مايزيد على ستة قرون. ولا يمثل حوض باريس نواة فرنسا فحسب، بل هو المركز السياسى والإقتصادي للبلاد بفضل شبكة طرق المواصلات الجيدة التي تربطه بأحاء البلاد، وبفضل السلطة المركزية الشديدة، وتقسيم فرنسا إلى ٩٠ قسما إداريا لا يمكن لأحدها أن يتحدى السلطة المركزية.

إقتصاديات فرنسا:

ونظرا للمنافسة بين فرنسا وألمانيا مدة طويلة من الزمان، نجد أن الأوضاع الإقتصادية في فرنسا لها أهميتها في نموها السياسى وفي طبيعة ميزان القوى في المنطقة، حتى أن البعض يقرن تدهور قوة فرنسا في القرن العشرين بطبيعة الإقتصاد الفرنسى، فالزراعة الفرنسية والصناعة الفرنسية تتميزان بوحدات إنتاجية صغيرة ووسائل إنتاجية أقل كفاءة من نظيرتها في ألمانيا. وما يبذل يدويا في الإنتاج أكثر مما يبذل مثلا في الولايات المتحدة الأمريكية أو ألمانيا المنافسة أو بريطانيا، ففي ميدان الزراعة لم تستطع فرنسا لفترة طويلة إستغلال كل إمكانياتها للزراعية رغم ما وهبتها الطبيعة من سهول متسعة وأمطار وفيرة، كما ركزت جهودها في ميدان الصناعة على الصناعات الخفيفة ولاسيما الكماليات بدلا من الصناعات الثقيلة، بينما نجد ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان تركز على الصناعات الثقيلة وبصفة خاصة صناعة الحديد والصلب والصناعات الهندسية والالكترونية.

الإنتاج الزراعى:

وإذا فصلنا في ميدان الإنتاج الزراعى لنعرف نواحي القوة والضعف، سنجد أن نسبة الأراضي الزراعية في فرنسا هي حوالى ٤٠% من مساحة البلاد (٢١٠ ألف كيلو متر مربع)، من ثم تزيد عن ضعف الأراضي المزروعة في ألمانيا، وإن كانت النسبة واحدة تقريبا، كذلك تتميز بأن الأراضي القابلة للزراعة فيها أكبر من أى قطر أوروبى آخر باستثناء الإتحاد السوفييتى السابق، ولكن مع ذلك فالمزارع الفرنسى إنتاجيته أقل من إنتاج زميله في الدانيمرك، وهولند، وألمانيا، وبلجيكا، والمملكة المتحدة، فإنتاج القدان في بلجيكا أو هولند أو الدانيمرك هو ضعف مثيله في فرنسا.

ويتميز الإنتاج الزراعى الفرنسى بتنوعه نتيجة لتنوع الظروف الطبيعية في فرنسا من الهضاب إلى السهول، ومن مناخ البحر المتوسط إلى مناخ غرب أوروبا ووسطها، كما تتميز المزارع بصغر المساحة، بحيث يمكن أن نقول بأن فرنسا بلد المزارع الصغيرة في

أوروبا، فيتراوح ٤٥% من مزارعها بين ١٢ و ٥٠ فداناً ، ٣٥% من مزارعها أقل من ١٢ فدان، وهناك تفاوت في المساحة بين أنحاء البلاد، فالمزارع الصغيرة أكثر إنتشاراً في إقليم البحر المتوسط، وفي إقليم الإلزاس واللورين، بينما تنتشر المزارع الكبيرة في النصف الشرقي من حوض باريس.

وتحتل فرنسا المركز الخامس في العالم في إنتاج القمح (٤%)، وظل لمدة طويلة الغلة الأولى في فرنسا من حيث المساحة، وتعتبر الدولة الأوروبية الوحيدة التي تكفي حاجاتها من هذه الغلة، كما تحتل المركز الرابع في العالم في إنتاج كل من الشعير والشيلم والبطاطس (٤%)، تحتل المركز الثالث في العالم إنتاجاً لبندر السكر (٧%)، وخلاصة القول إنها في جميع الغلات السابقة تأتي في المرتبة الثانية إنتاجاً في القارة الأوروبية بعد الاتحاد السوفييتي (السابق)، بينما تصدر دول العالم جميعاً في إنتاج التفاح، وكانت تحتل المكانة الأولى في إنتاج الكروم، ولكن إيطاليا إنتزعت منها هذه المكانة ، ويرجع هذا إلى البرنامج الحكومي الذي وضع لتخفيض مساحة هذا المحصول.

وتميزت الزراعة الفرنسية بعنايتها بالإنتاج الحيواني حتى غطت نباتات العلف مساحة أكبر من مساحة القمح، وزيادة على هذا تدخل أكثر من نصف الحبوب الزراعية في غذاء الحيوان، بل وقد أن مجموع المساحات المخصصة للغذاء الحيواني ضعف المساحات المخصصة للغذاء البشري، من ثم إحتلت فرنسا المركز الرابع في إنتاج اللحوم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي السابق وألمانيا.

وعلى العموم يمكن القول بأن فرنسا أقرب الدول الأوروبية إلى الإكتفاء الذاتي، وإن كانت تقتصر إلى المحاصيل المدارية كالقطن والقنب والمطاط، وبدأت مشروعات لزراعة بعض منها كالأرز في دلتا الرون وفي الأراضي المستصلحة في اللانج دوك *Langudoc*، ونجحت التجربة ، وكانت الكمية المنتجة كافية للإستهلاك المحلي، وهكذا إذا كانت ألمانيا وبريطانيا صناعيتان في المكان الأول، فإن قوة فرنسا في إنتاجها الزراعي، ففرنسا بأراضيها السهلية الواسعة وتربتها الخصبة ومناخها المعتدل، دون تطرف في الرطوبة أو الحرارة أصبحت أوفر من حيث مواردها الزراعية ، ولعل مايعطى صورة أوضح هو مقارنة الإكتفاء الذاتي الفرنسي بإعتماد بريطانيا على إستيراد ثلثي حاجتها السعرية الحرارية السنوية على الخارج، وقد كان هذا من عوامل قوتها في فترات من تاريخها، وإن كان أيضاً من عوامل ضعفها لأن من الصعب تحويل المزارعين إلى الصناعة وأرضهم خصبة ومنتجة ، ويبدو هذا واضحاً بمقارنة درجة الحضرية في فرنسا بنظيرتها في ألمانيا ، ناهيك عن بريطانيا.

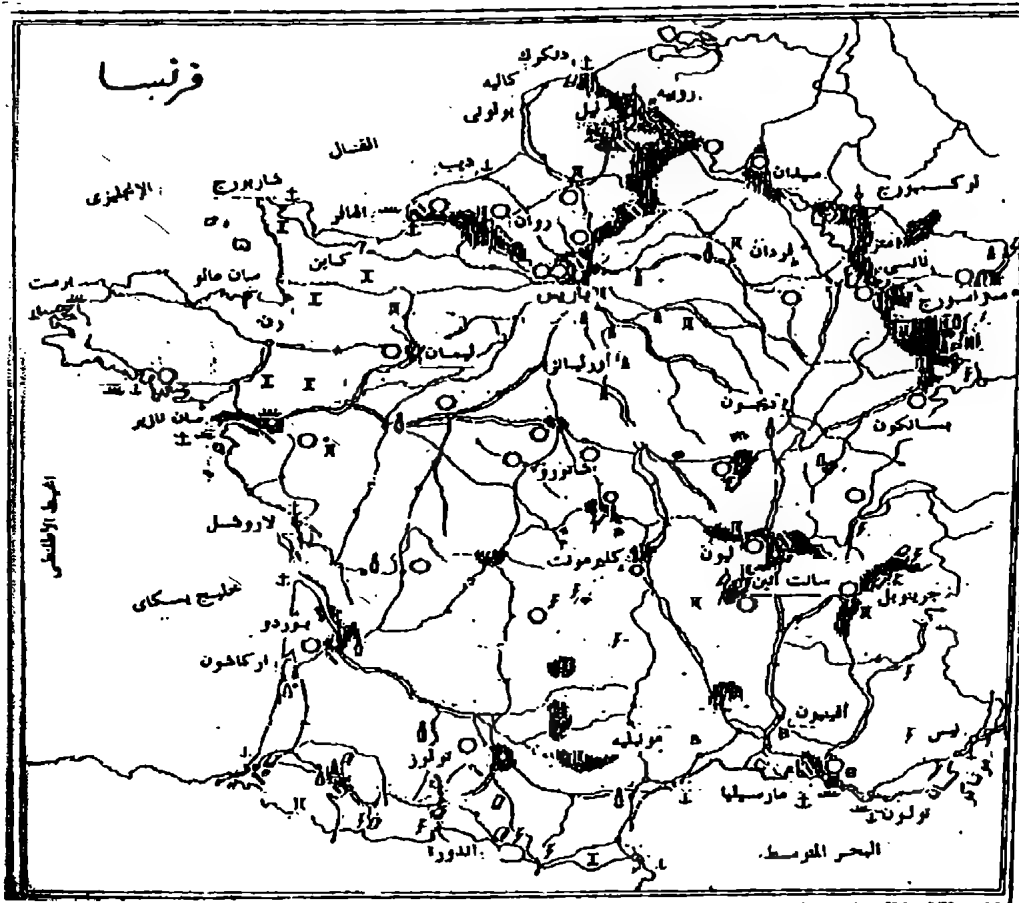
الإنتاج الصناعي:

أما في الميدان الصناعي، فالدليل على عدم التقدم الكبير هو أن نسبة من يعيشون في المدن لايزيد كثيراً عن يعيشون في الريف . مما يدل على إرتباط الفرنسي بالأرض الزراعية أكثر منه في ألمانيا، أو المملكة المتحدة، أو بلجيكا، فالنسبة في فرنسا (٧٣%)

مدن) وفي ألمانيا ٨٥%، في المملكة المتحدة ٩٠%، بل أن عدد المدن الكبيرة في فرنسا قليل بالنسبة لعدد السكان، ولا توجد مدينة يبلغ عددها ١٠ مليون نسمة، فعدم النمو المدني الكبير دليل على عدم وجود المشروعات الصناعية الضخمة.

ويستدل أيضا على تفوق ألمانيا الصناعي بالنسبة لفرنسا، نصيب الفرد من الصلب إذ يبلغ نصف نصيبه في ألمانيا. كما تتفوق عليها كل من ألمانيا وبلجيكا وهولند في نصيب الفرد من الطاقة، ولا تتفوق في الاتحاد الأوربي إلا على إيطاليا.

المراكز الصناعية والتعدينية في فرنسا



أبده وجور	معدنية	مراكز رئيسية للصناعة
أبده وجور	حديد	مراكز رئيسية للصناعة
مياه	معدنية أولية	طرق رئيسية
مياه وهي	مياه سفن	بوراس
محطات قوى كهربائية	ميكانيكية هندسية	بركيت
كيمياويات	منسوجات	قشم
برزول	مطاطية	غاز طبيعي

تتميز المشاريع الفرنسية بأن جزءا من مشاريعها من النوع الصغير والمتوسط، تزيد فيها نسبة المؤسسات الصناعية الفردية أو العائلية عن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، ومن ثم لا يمكنها بوضعها هذا المساهمة في الصناعة الثقيلة الكبيرة الإنتاج، فتتجه نحو الصناعة الخفيفة بوجه عام التي تتطلب قسما من العمل اليدوي أكثر من

استعمال الآلات الضخمة، ومثل هذا النوع من الصناعات أيضا يعتمد على الكيف من حيث الذوق والإنافة والإبتكار الفنى، مما لاتصلح له الطرق الميكانيكية الحديثة، ولعل الأمثلة عديدة على هذا، وتتمثل فى صناعة العطور ومواد التجميل والدانتلا والحلى والخزف، والأزياء والملابس المصنوعة، وصناعة الأنبذة الذى تعتبر فرنسا أشهر بلد منتج له فى العالم، تستهلك معظمه، وتصدر بعض الأنواع الفاخرة التى تحمل أسماء شهيرة كالشمبانيا والكونياك. مثل هذا النوع من الصناعات الخفيفة الكمالية، لايعتبر كافيا لإعطاء قدرة للمنافسة الإقتصادية والسياسية والعسكرية بين الدول، وبصفة خاصة إذا قورنت بجارتها ألمانيا. ويعزو البعض عدم نمو الصناعة الآلية الضخمة على نطاق واسع فى فرنسا إلى النزعة الفردية عند الفرنسى، الذى طالما فضل العمل بمفرده أو مع بضعة عمال، آخرين، وكذلك يرجع إلى قلة رؤوس الأموال، لأن الفرنسى يفضل إكتناز نقوده ولايقامر بها فى الصناعة، كما أن المشروعات الصناعية العائلية لاتبحث عن رأس المال خارج العائلة الفرنسية حتى لاتفسح المجال للغرباء فى المصنع. كما يمكن أن نرجع هذا المظهر أيضا إلى كفاية حاجة البلاد من المواد الغذائية إلى حد كبير، مما أدى إلى عدم وجود الحافز لدى الفرنسيين لقيام إنتاج صناعى كبير. وقد أدى هذا الوضع الصناعى إلى تأميم كثير من المشروعات الصناعية بعد الحرب العالمية الثانية كالفحم والصلب والكهرباء والنقل حتى يتحسن مركز البلاد الصناعى.

التحول الكبير:

وبدأت أخيرا التقاليد الصناعية القديمة فى الإختفاء، لتحل محلها الطرق الحديثة التى تؤدى إلى الإنتاج الكبير، ولأول مرة فى تاريخ فرنسا نجد الصناعة تستخدم عمالا أكثر من الزراعة، فالصناعة الفرنسية أصابها توسع ديناميكى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وتتركز الصناعات التقليدية فى أقاليم محدودة، ويعتبر السوق العنصرى الرئيسى فى قيام الصناعة فى باريس، بينما جذبت المواد الخام صناعات اللورين كالحديد والأملاح، وقامت الصناعات فى الأقليم الشمالى إعتقادا الفحم، أما فى وسط فرنسا فقد أثرت عدة عوامل فى النمط الصناعى لهذا الإقليم، فبينما خلق الفحم والحديد مراكز صناعية، نجد أن توليد الكهرباء المائية أدى إلى ظهور الصناعة فى المنطقة الألبية، على العموم تركزت سياسة الحكومة الفرنسية على التخطيط وتحسين الظروف الإقتصادية لجميع أنحاء البلاد منذ الحرب العالمية الثانية، فمن الأساسيات كان تنمية البنية الأساسية، والصناعة فى جهات متفرقة من فرنسا، لمواجهة دور حوض باريس المؤثر والطاغى فى شئون البلاد وإقتصادها، فمدت الطرق الجيدة والخطوط الحديدية السريعة لربط الأقاليم المختلفة وخاصة الأطراف بالقلب، كأقليم بريتانى فى الشمال الغربى، وأقليم البحر المتوسط فى الجنوب، وتنميتها لتسهم فى الإقتصاد القومى، وتعتبر الأقاليم الشرقية والشمالية الشرقية القريبة من ألمانيا وبلجيكا وسويسرا وشمالى إيطاليا هى أكثر جهات فرنسا ديناميكية، ويزداد هذا الوضع قوة نتيجة قرب الإقليم من دول الإتحاد الأوروبى.

الإنتاج المعدني:

تتوفر في فرنسا مقومات الصناعة الثقيلة فلديها مواردها من خامات الحديد والفحم والبوتاس واليوكسيت. ويتبعثر رصيد فرنسا الفحمي في مناطق متعددة وفي مساحات واسعة، ولكن تعدد هذا من الصعوبة بمكان، فضلا عن كثرة تكاليفه لقلّة سمك الطبقات الفحمية، وعدم إنتظامها بسبب الصدوع التي أصابتها، كما ترك كثير من عمال الفحم مناجمهم للبحث عن وسيلة للعيش أفضل في السنوات الأخيرة، مما أدى إلى نقص كبير في عمال الفحم، كل هذا أدى إلى أن إنتاج إقليم السار في ألمانيا وحده يفوق الإنتاج الفرنسي (٣% من الإنتاج العالمي). ولسوء حظ فرنسا أن معظم فحمها مما لا يصلح لصناعة الكوك، مما يجعل من الضروري إستيراده، وأجريت تجارب عديدة على الفحم المحلي لإنتاج الكوك ونجحت إلى حد ما في فحم السار واللورين، ومع هذا النجاح بدأت تظهر أهمية حقول اللورين.

ويمكن أن نميز مجموعتين من حقول الفحم، أولهما في شمال وشمال شرقي فرنسا، وعروقه هنا إمتداد لعروق الفحم البلجيكي، وهذا الإقليم مسئول عن نصف إنتاج فرنسا من الفحم. وثانيهما في اللورين أي في شرق فرنسا وهي إمتداد لحقول السار، وهذا الإقليم مسئول عن ربع الإنتاج الفرنسي. أما معظم الإنتاج الباقي فيأتي من هضبة فرنسا الوسطى.

وعملت فرنسا على تعويض نقص إنتاجها الفحمي بتنمية قواها الكهربائية المائية. وتأتي بعد روسيا وإيطاليا في إنتاج الكهرباء في أوروبا، كما لا تتفوق عليها سوى إيطاليا والنرويج من حيث طاقتها الكامنة. وقد إستغلت فرنسا إلى الآن ما يقرب من نصف هذه الطاقة الكامنة، وتحلّ مرتفعات الألب وهضبة فرنسا الوسطى، والفوج مكانة هامة في إنتاج الكهرباء، من ثم إجتذبت صناعات لم يعرفها الجنوب من قبل كصناعة الألومنيوم والصناعات الكيماوية.

وتعاني فرنسا من فقرها البترولي شأنها شأن الدول الأوروبية بعامّة، من ثم كان ٩٠% منه مستورد من الخارج، وخاصة من الشرق العربي، كما تعمل فرنسا على كسر إحتكار الشركات البريطانية والأمريكية لإنتاج البترول، وبدأت الشركات الفرنسية تسهم في الإنتاج في إيران، والجزائر، وأخيرا في جنوبى العراق.

ويتركز معظم حديد فرنسا في اللورين، وتبرز خاماته واضحة على السفوح الغربية لهضبة اللورين المطلة على الموزل، حيث أزالّت التعرية النهرية الرواسب التي تغطيها، وتتراوح نسبة المعادن هنا بين ٣٢%، ٤٠% من الخامات، وظلت هذه الخامات حتى أواخر القرن التاسع عشر دون إستغلال لإرتفاع نسبة الفسفور فيها، وعدم وجود طريقة لفصله عن الحديد، غير أن إكتشاف طريقة توماس لفصل الفسفور عن المعدن، أدى إلى أن أصبحت المنطقة منذ بداية القرن العشرين أحد المناطق الرئيسية للحديد الزهر والصلب في غرب أوروبا، وساهم حديد اللورين بنحو ٩٠% من مجموع إنتاج فرنسا، وزاد من

اهمية المنطقة أيضا قربها من فحم السار، ولكسمبرج، والروهر، من ثم كانت إحدى الأقاليم التي اجتمع فيها المعدن إلى جانب الوقود، مما يسر عملية تبادلها. أما بقية مناجم الحديد فاهمها خامات نورماندى وجنوب شرقى بريتانى.

وتتجمع مناجم البوكسيت فى جنوب وجنوب شرقى فرنسا خاصة فى إقليمى بروفانس واللانج دوك، وكانت فرنسا تحتل المكان الأول فى إنتاج البوكسيت، ولكنها تحتل الآن المركز الخامس بفضل نمو إنتاج أقاليم البحر الكاريبى.

وتضم فرنسا رابع منطقة فى العالم منتجة للبيوتاس وهى سهول الألزاس وقد زاد إنتاجها على المليون ونصف مليون طن، وتبذل جهود كبيرة لزيادة الإنتاج.

على هذا الأساس نجد المناطق الصناعية فى فرنسا ممثلة فى إقليم اللورين كمركز للصناعات الثقيلة بينما نجد باريس مركز للصناعات الخفيفة، والمنطقة الشمالية الشرقية وخاصة فى ليل مركزا لصناعة المنسوجات الصوفية والكتانية والقطنية، والألزاس مركز صناعة الأسمدة.

سكان فرنسا:

لعل سكان فرنسا من عوامل ضعفها أكثر من قوتها، ولانقص بهذا عناصر السكان أو لغتهم أو ديانتهم، وإنما نقصد عامل النمو بالذات، ذلك أن فرنسا كما ذكرنا عبارة عن بوتقة صهرت فيها جميع العناصر المختلفة التى دخلتها منذ مدة بعيدة، وذلك بفضل مساحتها السهلية، وسهولة الاتصال بين أجزائها الموحدة، وإذا كان البعض يميل إلى اعتبار سكان فرنسا لادينيين، فإن ٩٠% من سكانها عبارة عن كاثوليك، ويتكلم ٩٠% من سكانها أيضا اللغة الفرنسية، ولا تظهر الأقليات اللغوية فيها إلا على هوامشها، فسكان الإلزاس واللورين الشرقى يتكلمون إما الألمانية وإما الإلزاسية وهى لهجة قريبة من الألمانية. كذلك الحال فى القسم الشرقى من الريفيرا الفرنسية حيث يكثر من ينطقون الإيطالية. كما يوجد آلاف من المتكلمين الأسبانية على الحدود الجنوبية لفرنسا فى النهاية الشرقية لجبال البرانس، بينما يوجد شعب الباسك فى النهاية الغربية للبرانس، وهناك فى الشمال الغربى المتكلمين الكلتية أو البريتون. وفى شمالها الشرقى أى فى دنكرك وظهيرها الخلفى فى مساحة بسيطة تغلب اللغة الفلمنكية السائدة فى هولندا. ولكن هذه العناصر جميعا لاتمثل شوكات فى وحدة فرنسا السياسية.

والواقع كانت اللغة الفرنسية هى إحدى المقومات الرئيسية التى تجمعت حولها الأمة الفرنسية، وتدل سيادة لغة جزيرة فرنسا *Ile de France* كلغة رسمية فى فرنسا على القوة السياسية والثقافية التى كان يتمتع بها حوض باريس أو قلب فرنسا، ورغم هذه اللهجات المحلية الأخرى، فيمكن أن نقول بأن الأمة الفرنسية أمة مندمجة، ولا تظهر فيها مشكلة واضحة للأقليات، ويرجع هذا إلى أكثر من عامل، منها أن فرنسا تقع فى نهاية اليابس الأوروبى، من ثم كانت نهاية لطرق الهجرات، حتى أطلق عليها متحف السلالات لأنها مصفاة للقارة الأوروبية، ومنها الثورة الفرنسية بمبادئها الحرة والاخاء والمساواة، فضلا

عن الكوارث التي تعرضت لها البلاد جميعاً وخاصة في القرنين الأخيرين نتيجة لإجتياح الجيوش الألمانية لأراضيها أكثر من مرة.

أما من ناحية النمو فليس من شك أن الآراء متفقة على أن تدهور سكان فرنسا النسيبي كدولة كبيرة له علاقة بضعفها وتدهورها كقوة عظمى، وبصفة خاصة إذا ما قورنت بجارتها ألمانيا، ففي عام ١٨٧٠ كان القطران متساويين سكانياً، ذلك أن كل منهما كان يبلغ ٣٨ مليون نسمة، ولكن ضم الإلزاس واللورين بعد الحرب الفرنسية الألمانية أضاف نحو المليونين إلى سكان ألمانيا. فإذا أضفنا قلة التزايد في فرنسا، كان معنى هذا إتساع الهوة تدريجياً بينهما حتى بلغ عدد سكان ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى ٦٨ مليون نسمة بينما بلغ عدد سكان فرنسا ٤٠ مليوناً، مثل هذا الفرق أيضاً كان قبيل الحرب العالمية الثانية، وبلغ عدد سكان فرنسا ٤٥,٧ مليون في عام ١٩٦٠ بينما ألمانيا الغربية وحدها بلغت ٥٥ مليون، ومعنى هذا أن فرنسا زادت بمعدل ٢٢% فقط من سكانها في مدى نحو قرن من الزمان. هذا البطء في النمو السكاني كانت آثاره على قوة فرنسا، فهذا العدد في مساحة فرنسا البالغة ٢١٣,٠٠٠ ميل مربع، معناه كثافة سكانية قدرها ٢٠٠ نسمة للكيلو متر المربع وهو رقم منخفض للغاية بالنسبة لدول غرب أوروبا، وما زال هذا الفرق كبيراً الآن فساكن فرنسا يبلغون نحو ٥٩ مليون نسمة، بينما سكان ألمانيا يبلغون نحو ٨٢ مليون نسمة (عام ٢٠٠٣).

وقد أدى الثبات السكاني أو الزيادة القليلة إلى تدفق العمال إليها من جميع الجهات، ففي الشمال الشزقي تدفق البلجيكيون والهولنديون، وفي الجنوب نجد تيارات الهجرة من أسبانيا عبر البرانس، وكذلك من شمالي أفريقية ودول الفرانكفون الأفريقية بعامة، ومن إيطاليا إلى الريفيرا الفرنسية. وأدى هذا العجز أيضاً إلى عدم هجرة الفرنسيين إلى المستعمرات الخارجية. ولكن الأهم من هذا جميعه هو عدم توفر القوى العاملة للإسهام في ميادين الإقتصاد المختلفة، وخاصة ميدان الصناعة، وفي نفس الوقت أصبحت متخلفة، وعاجزة عن تجنيد أعداد ضخمة من الجنود للدفاع وقت الحرب، كما تفعل ألمانيا المجاورة مثلاً.

إستراتيجية الحدود:

قلنا أن حدود فرنسا البرية تمتد مع دول عديدة، وتتشرك في جبهتها الجنوبية مع أسبانيا حيث يمر خط الحدود بجبال البرانس، وفي الحقيقة تعتبر جبال البرانس حاجزاً طبيعياً هاماً وحداً مهماً، ذلك أنها سلسلة متصلة يتراوح عرضها بين ٢٤ - ١٠٠ كيلو متر، وبارتفاع يصل أقصاه إلى ٣٧٠٠ متر، وإن كانت في معظمها تصل إلى ١٢٠٠ متر، ولا يترقها سوى ممر واحد هو برييتوس *Preitus* الواقع على بعد ٤٨ كيلو متراً من نهايتها الشرقية. وإذا إستثنينا مسالك الرعاة ودروبهم، نجد هناك ستة طرق للسيارات فضلاً عن ثلاثة طرق حديدية تربط جانبي الجبال. ولا تخشى فرنسا هذا الجانب وذلك لوعورة الجبال من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنها ظلت تتفوق على جارتها أسبانيا طوال تاريخها الحديث. أما حدودها الشرقية في جبال الألب مع إيطاليا فهي تشبه البرانس في ارتفاعها ووعورتها، فتصل قمة مونت بلان إلى مايزيد على ٥٠٠٠ متر، إلا أنها ليست

صعبة الإختراق بفضل الممرات المتعددة وخاصة ممر مونت سني. وقد إستغلت الهجرات والغزوات هذه الممرات منذ القدم، وإبتداء من مونت بلان تسير الحدود الفرنسية في الألب مع سويسرا حتى قرب النهاية الشرقية لبحيرة جنيف، ثم يسير خط الحدود مع الضفاف الجنوبية للبحيرة حتى بالقرب من جنيف التي تتركها داخل سويسرا، ويمتد بعد ذلك لمسافة ٢٤٠ كيلو مترا بموازاة جبال جوارا إلى أن ينتهي إلى الراين. ولا تخشى فرنسا أيضا غزو سويسرا لها ومن ثم كانت أمنة من هذا الجانب أيضا.

أما الجانب الشمالي الشرقي مع ألمانيا ولوكسمبرج والأردن فهو الذي عانت منه فرنسا كثيرا، ذلك أن فرنسا تواجه ألمانيا مباشرة إبتداء من الحدود السويسرية حتى الطرف الشمالي من اللورين، بينما تواجه بلجيكا ولوكسمبرج من الأردن حتى بحر الشمال. وعانت فرنسا الكثير من حيادهما، لأن ألمانيا لم تحترم حيادهما في وقت ما، فضلا عن أن هضبة الأردن ليست إلا تلالا متموجة بحيث لاتعوق الجيوش، وكان السهل البلجيكي بين الأردن و بحر الشمال أكثر المسالك تعرضا للأخطار لأنه سهل مكشوف، ولاتعرقل كثرة القنوات فيه حركة هذه الجيوش، ومن ثم عبرته الجيوش الألمانية إلى فرنسا مرارا، وكذلك عبرت وادي السامبر والميز حتى أصبحت بلجيكا تعرف بإسم (حلبة الصراع في أوروبا) والسهل البلجيكي في وضعه هذا سهل الإتصال بحوض باريس من ناحية، وسهل الإتصال بحوض الراين والروهر والسهل الشمالي الألماني من ناحية أخرى، ومن هنا كانت خطورته على فرنسا لأنه يؤدي إلى قلب فرنسا مباشرة. هناك مسالك أخرى إلى الجنوب من السهل البلجيكي، وهما بوابة اللورين التي تصل مباشرة بين جنوبي ألمانيا ووسطها وبين القسم الشرقي من حوض باريس، وتقع هذه البوابة بين جبال الفوج وهضبة الأردن وهي عبارة عن أراضي واسعة متموجة، تحركت عبرها الجيوش كثيرا، والبوابة الأخرى هي بوابة بلفور أو بوابة بورجندي وهي ممر منخفض لايتجاوز عرضه بضعة كيلومترات، تسهل الإنتقال من جنوب غربي ألمانيا وسويسرا إلى كل من وادي الرون والساون وحوض باريس.

ماذا تريد فرنسا على المستوى الدولي؟

تريد فرنسا على الصعيد الدولي أن تكون ملاذا للدول التي تحاول التملص من الهيمنة الأمريكية، وإن تقدم نموذجا مختلفا عن النموذج الأمريكي، وترى فرنسا أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر نفسها زعيمة العالم، والقطب الأوحده في كل مكان، وهذا حقها، لكن المشكلة أن الولايات المتحدة تعتبر من ليس معها، دون تحفظات خصما أو عدوا لها، وأن ينبغي على الجميع إتخاذ مواقف موحدة إزاء المشكلات، وأن يوافقوا على مانتخذه من آراء وإجراءات، وفي الواقع أن إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في أوروبا تكاد تخنق فرنسا، وذلك بتوسيعها حلف الأطلسي ليشمل أوروبا الشرقية والوسطى، ألمانيا بالهيمنة الإقتصادية في المنطقة تصديرا وأستيرادا وتكنولوجيا، وبالتالي تفرد ألمانيا في مجالها الحيوي القديم، من ثم كانت معارضة فرنسا لأنها تريد عالما متعدد الأقطاب من هذه المواقف المعارضة.

انسحاب فرنسا من قوة المراقبة الجوية فى العراق:

بدأ عام ١٩٩٧ منذ يومه الأول بنقطة خلاف بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، عندما إستهلّت قوة المراقبة الجوية عملها فى شمالى العراق فى غياب فرنسا التى رفضت المشاركة فى هذه العملية، برغم إلحاح الولايات المتحدة عليها، وكانت فرنسا تشارك الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وتركيا فى عملية (توفير الأمان) التى بدأت عملها بعد حرب الخليج من أجل حماية الأكراد الذين تعرضوا بعد الحرب لعمليات قمع عنيفة من قبل النظام العراقى.

وكان القرار الفرنسى بالانسحاب من قوة المراقبة فى شمالى العراق بمثابة أول تصدع للجبهة الغربية المناهضة للنظام العراقى، ووجهت الأوساط الأمريكية مرة جديدة أصابع الاتهام إلى باريس على أساس أن المصالح المالية والإقتصادية هى التى تملى سياسة فرنسا إزاء العراق، فقبل إندلاع أزمة الخليج كانت فرنسا هى الشريك التجارى الأول للعراق، وكانت تمدّه بالأسلحة الحديثة، وتستورد منه البترول، ومن المؤكد أن الشركات الفرنسية الكبرى قد عانت كثيرا من إغلاق السوق العراقية التى كانت تمثل متنفسا هاما للمنتجات الفرنسية، ومن بينها السلاح.

قضية الأمين العام للأمم المتحدة ، وقيادة حلف الأطلنطى:

وبالإضافة لهذه النقاط المتعلقة مباشرة بالشرق الأوسط كانت هناك نقاط إحتكاك أخرى بين باريس وواشنطن حول قضايا تمس من قريب أو بعيد منطقة الشرق الأوسط.

وكانت أولى هذه النقاط قضية إنتخاب الأمين العام للأمم المتحدة الذى أصرت الولايات المتحدة الأمريكية على إستبعاده فى الوقت الذى كانت تتمسك فيه فرنسا بولاية ثانية له، ورغم تنازل فرنسا أخيرا عن المعارضة، فقد أثبتت وجودها . لكن نقطة الخلاف الرئيسية والتى مازالت مطروحة هى إصرار فرنسا على أن يتولى قيادة القطاع الجنوبى لحلف الأطلنطى عسكرى أوروبى، أما الولايات المتحدة فتصر إصرارا شديدا على أن يستمر تقليد تولى ضابط أمريكى كبير هذه القيادة التى تتخذ مقرا لها مدينة نابولى فى إيطاليا.

وفى هذا المجال تتفق فرنسا وألمانيا على ضرورة أن تكون هناك قوة أوروبية مستقلة عن حلف الأطلنطى تماما.

الفرانكفونية منظمة سياسة دولية:

يقصد بدول الفرنكفون، تلك الدول التى تتحدث اللغة الفرنسية لغة رسمية لها وحتى إلى جانب فرنسا، المستعمرات الفرنسية سابقا، والتى نالت إستقلالها، وقد أرادت فرنسا تجميعها على نظام الكمنولث البريطانى، ومن ثم لايجمعها جوار جغرافى أو تقارب فى المستوى الإقتصادى، وإنما وحدة اللسان، وبالتالي فهى أقرب إلى التجمع الثقافى للمثقفين، ثم تحولت عام ١٩٧٠ إلى وكالة للتعاون الثقافى والتكنولوجى، وزاد الإهتمام بهذا التجمع فيما بعد حين ظهرت لأول مرة عام ١٩٨٦ منصب وزير للفرانكفونية خصصت لها

ملياراً و ٧٥٠ مليون فرنك ، فكان هذا إيذاناً بتأسيس الفرانكفونية، لأن لو كان الأمر يقتصر على زيادة الإهتمام الثقافي لكان في الإمكان إنشاء وكالة أو إدارة كبيرة في وزارة الثقافة الفرنسية لهذا الغرض، من ثم أرادت فرنسا لهذا التجمع الذي يضم نحو ٣٥٠ مليون نسمة أن يكون له صوت مسموع في المساحة الدولية وإنشاء تيار مناهض للتيار الأنجلوساكسوني. تجتمع تحته كل الدول العازفة عن الهيمنة الأمريكية على العالم ، وقد تجلّى هذا في قضية معارضة فرنسا ومع دول الفرانكفون لقضية إدراج السلع الثقافية ضمن إتفاقية التبادل الحر، وأصرت على أن هناك خصوصية ثقافية تعبر عن هوية كل دولة ، وإذا كانت هذه المعارضة لم تقتصر على دول الفرانكفونية فقط ، فقد كانت نواتها.

التعاون مع الصين وروسيا:

وفي ظل الإختناق التي تحس به فرنسا من سيطرة ألمانيا على الإتحاد الأوربي، وموالات بريطانيا للولايات المتحدة الأمريكية نجد الرئيس الفرنسي يفعل مافعله الرئيس الروسي بتوطيد العلاقات مع الصين، ويدعو أوروبا لتوسيع حوارها مع الصين ووصف الصين بأنها الدولة التي ستقرر إتجاه القرن الواحد والعشرين، وأنه يتعين مشاركة الصين في النظام العالمي المتعدد الأقطاب، وأن فرنسا تدعم خطوة بكين لدخول منظمة التجارة العالمية، ثم إنتقل إلى روسيا ليقوم بنفس الدور لزيادة التعاون معها، كل ذلك حتى لايفرض على العالم وبالأحرى فرنسا النظام الأمريكي الأحادي القطبية.

٣ - المملكة المتحدة

معالم رئيسية:

لا بد قبل أن نبدأ الجغرافية السياسية للمملكة المتحدة من إيضاح بعض المعالم الرئيسية، لذلك الأرخبيل الذى يقع قريبا من الشاطئ الغربى لأوروبا. فالجزيرتان تشملان: الأولى إنجلترا وويلز وإسكتلند، والثانية أيرلند بالإضافة إلى جزر عديدة متناثرة، وتؤلف جميعها الجزر البريطانية ولكن هذه المنطقة الجغرافية ليست وحدة سياسية، بل تخرج منها جمهورية أيرلند، ولا يبقى فى أيرلند تابعا للملكة المتحدة سوى الجزء الشمالى الشرقى الستر بل أن شمالى أيرلند فى حد ذاته له مجلس عموم ومجلس شيوخ وحاكم يعينه التاج البريطانى. وهذا البرلمان لديه جميع المسئوليات إلا فيما يختص بالعلاقات الخارجية، والدفاع، والخدمات البريدية، فضلا عن أن شمالى أيرلند يرسل اثنا عشر ممثلا له فى مجلس العموم البريطانى.

وأما سكوتلند، وويلز، فهما أكثر اندماجا مع إنجلترا سياسيا، وكل منهما ممثل بعدد مناسب فى البرلمان البريطانى، ولو أن ويلز تطالب بأن يكون هناك وزير دولة لها. وهناك أيضا جزيرة مان وجزر القنال الإنجليزي التى تمارس حكمها داخليا.

وأما جمهورية أيرلند فهى فريدة فى وضعها. فبعد معاهدة إنجلترا وأيرلند عام ١٩٢٠ أصبحت هذه الجمهورية تتكون من ٢٦ مقاطعة. وبقيت على الحياد خلال الحرب الثانية. وكان هذا من الأمور التى أغضبت بريطانيا. كما انسحبت أيضا من الكومنولث، ولكن بدون أن تصبح دولة أجنبية. فساكن أيرلند لا يعتبرون غرباء فى المملكة المتحدة. كما أن تجارة أيرلند لها الأفضلية فى الأسواق البريطانية.

لماذا كانت بريطانيا هى الناشئ الأكبر فى الجماعة الأوروبية؟

تعتبر المملكة المتحدة أكثر أعضاء الجماعة الأوروبية شغبا، ومن أقلهم رغبة فى الاندماج والنزول فى الجماعة، ومحاولة الإحتفاظ بشخصيتها مستقلة وبعلمها وتاجها وعملتها، رغم علمها بأنه لا استمرار لها إلا فى داخل الجماعة الأوروبية، عكس الحال مثلا فى حالة فرنسا وألمانيا وهولند وبلجيكا ... إلخ.

ألا يدعونا هذا إلى التساؤل عن سر هذا العضو النافر؟ ألا يدعونا هذا مرة أخرى إلى العودة إلى الجغرافيا لترديد العبارة المشهورة التى تصفها " بريطانيا فى أوروبا ولكن ليست منها " *Britain is in Europe, But it not of it.*

فبريطانيا لم يدخلها غازى منذ عام ١٠٦٦، وكانت البحار حولها وبحر المانش — رغم ضيقه — بمثابة الغلاف الواقى، وقد يقوم نفق المانش الذى مَدَّ بينها وبين فرنسا أخيرا إلى سهولة وتدفق الحركة بين القارة (كما يسميها الإنجليز) وبين الجزيرة البريطانية.

وشهرة بريطانيا الحالية بإعتبارها الصوت الناشئ فى أوروبا ربما ينبع من عقلية الإنعزال فى جزيرة، كما فى قرون من الصراع مع فرنسا، وبروسيا، منافستها التقليديتين

من أجل الهيمنة الأوروبية.

وقد أعطى الملك هنري الثامن مثلاً على الإنشقاق عندما خرج على أوروبا الكاثوليكية عام ١٥٣٤ ليؤسس الكنيسة الإنجليكانية وذلك بعد أن رفض البابا السماح له بطلاق أولى زوجاته الست.

وبريطانيا بإمبراطوريتها الشاسعة التي بنتها لتدعيم تجارتها ، كانت تقيم تحالفاً من أجل مواجهة طامحين لبناء إمبراطوريات من أمثال نابليون وهتلر. ولكنها لم تشعر بحاجة تذكر لحشد موارد من أجل أي شيء آخر.

وما يزال الكثير من البريطانيين اليوم غيورين على هويتهم الوطنية، وهم يخشون من أن تعنى أوروبا فيدرالية شطباً لماضيهم البطولي . ويقولون أنه من الحماسة بالنسبة لأوروبا أن تقفز إلى المجهول، وتتجاهل دروس التاريخ التي علمتها أن القومية تصدع الإمبراطوريات، ومهما كانت إندفاعاً للتكامل قوية، فإن هنالك تخوف بريطانيا من قوة ألمانيا الموحدة، ومن إمكاناتها الإقتصادية والمالية ويعتبر قسم كبير من حزب المحافظين الحاكم في بريطانيا أن العملة الأوروبية الموحدة سوف تكرر زعامة ألمانيا القارية، وهذا مايتوجس منه البريطانيون خيفة مع إسترجاع ذكريات الحربين العالميتين ودور ألمانيا القومية فيها.

والعامل الثنائي الذي يخيف البريطانيين هو قيام تحالف ثنائي بين ألمانيا وفرنسا من خلال " أوروبا الصغرى " وإيجاد نواة عسكرية لجيش أوربي موحد، ومن خلال معاهدات ثنائية بين الطرفين من شأنها الضغط على الدول الأوروبية المجاورة، وإضعاف النفوذ البريطاني الذي مايزال يستند إلى إرستقراطيته التاريخية المعروفة. ومن المعروف أن الحكومتين الألمانية والفرنسية دعتا إلى تشكيل نواة عسكرية مشتركة من ٣٥ ألف رجل تساعد على قيام قوة عسكرية أوروبية كبرى بموافقة قيادة إتحاد دول أوروبا الغربية، وتذرعتا بإمكانية التنسيق مع قوات الولايات المتحدة الأمريكية الموجودة في أوروبا من خلال حلف الأطلسي.

وهكذا فقد دفع الخوف من الألمان بريطانيا، إلى التثبت بمظلة الأطلسي، وصون وأحياء المحور بين لندن وواشنطن، وهناك مجموعة من الأسباب يمكن أن تفسر هذا المنهج البريطاني في التعامل مع موضوع حلف الناتو، أو السياسة الدفاعية لأوروبا يمكن إختزالها في آليه واحدة تحكم الموقف البريطاني ومؤداها أنه كلما إبتعدت بريطانيا عن أوروبا، إقتربت من الولايات المتحدة الأمريكية، والعكس صحيح، وتعتقد الغالبية بأن الإندماج في أوروبا سيكون مسماراً نهائياً في نعش الوطنية والمصالح البريطانية ، فقد كان طبيعياً أن تلتصق الحكومة البريطانية بفكرة المحور الأمريكي / البريطاني، كبديل يعصم من الإنزلاق أكثر فأكثر إلى الإندماج في وحدة أوروبية.

الماضى العتيق:

فمنذ مائة عام ، كانت بريطانيا تحتل مركز الزعامة فى الصناعة والتجارة وفى القوى الحربية . فكانت تنتج نحو نصف الحديد الزهر فى العالم وكانت تمويل مشروعات عديدة ومختلفة لافى الجزر البريطانية فحسب بل فى مناطق أخرى . وكان الشعب الإنكليزى يتغنى:

Beautiful England on her island throne ,

Grandly she rules, with half the world her own ,

From her vast Empire , the sun n'er departs ,

She reigns a queen , Victoria queen of hearts .

ومنذ ثلاثة أرباع قرن أى مع بداية الحرب الأولى، كانت بريطانيا تمثل مركز الزعامة العالمية، وكانت لندن تمثل أعظم عاصمة لإمبراطورية فى التاريخ.

أهمية المملكة المتحدة كقوة عالمية كانت ترجع فى معظمها إلى قوتها الصناعية . فالحقيقة أن كثيرا من الصناعات والمخترعات الحديثة التى ساعدت على النمو الصناعى فى العالم بدأت فى بريطانيا ، فمركز الرعاية الذى إحتلته فى القرن الثامن عشر حافظت عليه فى القرن التاسع عشر ، وساعد على هذا أيضا أن الحروب التى إجتاحت أرض القارة ما بين ١٨٨٩ - ١٩١٨، عصفت بإقتصاديات القارة، وحالت دون تمتع القارة بهذه الخبرات الفنية والألات الحديثة فترة طويلة، من ثم كان إحتلال المملكة المتحدة لمركز الصدارة فى ميادين الصناعة وتمويل المشروعات فى جميع أنحاء العالم فى منتصف القرن الماضى . ولعل إنتاج الحديد الزهر قد يساعد إلى حد كبير على بيان قدرة الدولة أو طاقاتها فى الصناعة الثقيلة ، وفى العقود الأخيرة للقرن التاسع عشر وفى أثنائها إستخدمت كميات كبيرة فى الصلب. ولكن قبل هذا التاريخ كان إنتاج الصلب قليلا للغاية. وكانت بريطانيا هى الدولة الأولى التى إستعملت فحم الكوك بدلا من الفحم النباتى لإستخراج الحديد، لذلك إرتفع إنتاج بريطانيا من الحديد الزهر فى القرن التاسع عشر. وفى الفترة ١٨٥٠ - ١٨٧٠ كانت تنتج ٥٠% من الحديد العالمى، بينما لم يكن لديها فى تلك الفترة أكثر من ٣% من سكان العالم. وفى عام ١٨٥٠ أنتجت ٢,٥ مليون طن من مجموع الإنتاج العالمى وهو مليون طن، وفى عام ١٨٧٠ كانت بريطانيا تنتج ٥٠% من حديد العالم.

أما الآن فيصلح إنتاجها من الحديد الزهر نحو ٧% فقط من الإنتاج العالمى ، كما بلغ إنتاجها من الصلب ٣% أو أقل من نصف إنتاج ألمانيا وأقل قليلا من إنتاج إيطاليا.

تقهقر الصناعة البريطانية التقليدية وظهور الصناعات الجديدة:

ويظهر تقهقر الصناعة البريطانية أوضح ما يكون فى صناعة الصلب، فقد تكاثفت أمراض الصناعة فيها من إرتفاع التكاليف وتخلف تكنولوجيا، فيما يختص صناعة السفن

التي تركزت في مصبات التيمز والتامن وكلايد، فقد كانت بريطانيا سيدة البحار من هذه الناحية أيضا حيث كانت ترسانات موانئها تمتد العالم بأكثر من نصف سفنه، ولكن المنافسة الثقيلة من اليابان وألمانيا الغربية والسويد إقتطعت لنفسها حجما كبيرا من السوق العالمية لهذه الصناعة، وتحولت بعض هذه الترسانات لصناعات أجهزة وآلات الحفر والبحث عن البترول.

وكانت صناعة المنسوجات القطنية صناعة بريطانية رئيسية بفضل قطن المستعمرات، والظروف المناخية المواتية للصناعة في بعض أجزاء بريطانيا، ولكن هذه الصناعة واجهت منافسة عاتية من الصناعات المماثلة في جنوب شرقى آسيا، مما ضمرت معه نسبة صادرات بريطانيا من تلك السلعة، التي ظلت تمثل مكانا رئيسيا في قائمة الصادرات البريطانية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الثانية، غير أن الصناعات الصوفية إحتفظت ببعض مكانتها، وهي التي إعتمدت على الصوف، والفحم المحلى، والمهارات، والخبرات الطويلة للسكان في برادفورد وليدز وهدرزفيلد وغيرها، رغم المنافسة الحادة من مثيلتها الأجنبية ومع ذلك فيمكن القول بأنها تأثرت بدورها وإن بدرجة أقل.

وكانت نتيجة تأخر الصناعات البريطانية بالنسبة لمثيلاتها في اليابان وألمانيا بصفة خاصة له أثره في ببطء نسبة النمو الإقتصادى وإرتفاع معدلات البطالة، وغلق كثير من مصانع السيارات، والصلب، والمنسوجات، بعد إفتتاح المصانع الأجنبية، بل أن رؤوس الأموال البريطانية بدورها ترك جزء منها بريطانيا ليعمل في العالم الثالث حيث الأجور المنخفضة، وإنعدام الإضرابات العمالية، والربح الأوفر، مما أدى إلى ضعف الفترة التنافسية للسلع البريطانية.

هكذا ضاعت ميزة الأولوية نتيجة تقدم الدول التي دخلت هذا الميدان متأخرة، تقدمت على بريطانيا مساحة وسكانا وموارد، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، وقد استدركت بريطانيا أخيرا الموقف، واتخذت إجراءات مختلفة، وقامت بتسهيل دخول الاستثمارات الأجنبية إلى حيث ف الصناعة البريطانية، فهي تستحوذ الآن على ٤٠% من الاستثمارات الأمريكية في الخارج، ٥٢% من الاستثمارات الألمانية، وقامت فيها كثير من الصناعات التي لا تعتمد على الفحم كالإلكترونيات والأجهزة الدقيقة والسيارات إلى جانب صناعاتها التقليدية (١).

هبوط النمو السكاني:

للألمانيين

ونظرا لضيق الفجوة بين المواليد والوفيات خلال العقود الماضية، هبط النمو السكاني تدريجيا، بينما نجد أن معظم مناطق العالم الأخرى يعيش مرحلة إنفجار سكاني، من ثم إذا كان سكان بريطانيا يمثلون الآن مايقرب من ١,٣% من سكان العالم، فقد كانوا يمثلون

(١) راجع كتابنا أوروبا الجديدة، الأنجلو المصرية، ٢٠٠٤.

عند مطلع هذا القرن ٢,٥% من هؤلاء السكان، وهذا فى حد ذاته من عوامل تدهور بريطانيا.

إختفاء المستعمرات:

وأدى إستقلال المستعمرات إلى إختفاء الإمبراطورية البريطانية، بعد أن كانت أملاكها تمتد فى آسيا وأفريقية، وقد بدأت عملية التفكك منذ مايزيد على قرن من الزمان، بدأت بمنح كندا الإستقلال الذاتى عام ١٨٦٧، وتلاها أستراليا ونيوزيلند وجنوب أفريقيا مع مطلع هذا القرن، ناهيك عما حدث بعد الحرب العالمية الثانية، والفرق بين المجموعة الأولى وتلك التى إستقلت بعد الحرب العالمية الثانية، أن الأولى كان معظم سكانها من الأوربيين (باستثناء جنوب أفريقيا) ورضيت جميع هذه الأقطار أن تبقى داخل الكمنولث باستثناء إيرلند - بورما - جنوب أفريقيا. وليس من شك أن الإمبراطورية كانت مصدر قوة حربية وإقتصارية لبريطانيا، إستخدمت أبنائها فى الدفاع عنها، والهجوم على العدو فى الحربين الأولى والثانية، وقدمت مواد خام ، وأسواق لتصريف المصنوعات ، كل هذا إختفى، وإذا كان لديها بعض المستعمرات القليلة الآن فهى عبء عليها أكثر منها رصيد لها.

بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية إلى أين؟

خيل للجميع أن بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية سوف تقع ضمن دائرة النفوذ الأمريكى من الناحية الإقتصادية، ذلك أنها تلقت مساعدات أمريكية تقدر بنحو ٦ بليون دولار، وبها قواعد جوية، وصاروخية أمريكية، وإذا حدثت حرب نووية، سوف تعاني بشدة أكثر من الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، إشتراك فى حلف شمال الأطلسى، وبينما أخذت العلاقات تتوطد بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وهنت علاقاتها بأجزاء الإمبراطورية السابقة، فقبل عام ١٩١٧ كان إهتمام بريطانيا الرئيسى بالإمبراطورية، وخلال الفترة ما بين الحربين الثانية ضعفت العلاقات وإستقلت كثير من المستعمرات وأصبحت أعضاء فى الأمم المتحدة إلى جانب إنها لم تصبح فى صناعاتها معتمدة على بريطانيا، بل بدأت تظهر فيها الصناعة، وأصبحت بريطانيا عضوا فى بدلا من قائد، وحتى فى هذا المجال لا يمكن أن ننكر قيمة الكمنولث، ولكن

بلجيكا - هولند - ألمانيا - لوكسمبرج، إيطاليا) فى أواخر الخمسينيات، ولكن دول السوق لم تجد إستجابة من بريطانيا، لأنها فى تلك الفترة (أواخر الخمسينيات) كانت مازالت تجتر فترة المجد السابقة، لكنها عادت وطلبت الإنضمام فى أواخر الستينيات، وظهرت مشكلات عديدة أمام دخولها السوق الأوروبية المشتركة منها علاقتها التجارية بالكمونولث ، فعلى سبيل المثال قطر كنيوزيلند لابد له أن يضمن بأن منتجات الألبان التى يصرف معظمها فى بريطانيا لن تتأثر بدخول السوق، ومنها وقوف ديوجول فى وجه بريطانيا، حتى تظل زعامة السوق لفرنسا ... إلخ، ومنها مشكلات محلية مثل مدى تأثير الزراعة البريطانية، بل والصناعة البريطانية، وبعد مفاوضات عديدة مع دول السوق بمقتضاها وضعت برامج عديدة طويلة الأجل يطبق بعدها نظام التعريف الخارجية الخاصة بالسوق عليها، ودخلت بريطانيا رسميا السوق الأوروبية المشتركة أو الجماعة الاقتصادية الأوروبية فى غرة يناير ١٩٧٣، كما دخلت أيضا إيرلند والدنمارك، وأصبح عددها تسعا فى ذلك الحين.

اتجاهات تجارة المملكة المتحدة عامى ١٩٥١ ، ١٩٩٠

السنة	١٩٥١	١٩٥١	١٩٩٠	١٩٩٠
الدولة	واردات	صادرات	واردات	صادرات
الولايات المتحدة الأمريكية	١٠%	٥%	١٢%	١٣%
كندا	٧	٥	٢	٢
أستراليا	٦	١٣	١	١,٥
الهند	٤	٤	٠,٦	١
اليابان	٠,٥	٠,٤	٥,٤	٢,٥
الجماعة الأوروبية	٢٠	١٨	٥٣	٥٣

المستقبل:

على العموم سيعتمد الوجود البريطانى فى المستقبل، كما هو الحال فى معظم دول أوروبا الغربية على نظام كفاء متطور من التصنيع، من ثم يصبح رأس الحربة فى تنمية الإقتصاد البريطانى فى تنشيطه ودفعه إلى الأمام ما أمكن، وتخفيض تكاليف إنتاجها، ولعل أفضل السبل هو زيادة الأخذ بالتطور التكنولوجى، والتوسع الصناعى فى الأقاليم البريطانية التى تنخفض فيها تكاليف الإنتاج، فبفضل الكهرباء أمكن للمصانع أن تتفرق وتبتعد عن مناجم الفحم، وكذلك بفضل البترول أمكن قيام كثير من الصناعات التى لاعلاقة لها بالفحم.

وإذا كانت الصناعة تسهم بنحو ٢٩% من الدخل القومي، والزراعة والصيد تسهمان بنحو ٣% من هذا الدخل، فيصبح نصيب الخدمات أكثر من نصف الدخل القومي سواء في ميدان النقل أو الأعمال المصرفية أو السياحة وغيرها، وهذه مازالت تؤكد عليها السياسة الإقتصادية البريطانية، وكان ظهور البترول والغاز الطبيعي في قاع بحر الشمال من العوامل التي حسنت من ميزان التجارة والمدفوعات البريطاني في الفترة الأخيرة، وكان عام ١٩٧٨ هو أول عام منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لا يعاني فيه ذلك الميزان من العجز، وفي نفس ذلك العام كانت الصادرات الصافية لخام البترول تقدر بنحو ٤٨ مليون طن.

ويمكن القول بأن إنقاذ الإقتصاد البريطاني بعض الشيء كان بفضل الخدمات وخاصة رؤوس الأموال العربية والسياسة العربية وتدفق رؤوس الأموال الأمريكية والألمانية واليابانية، كما كان بفضل ظهور البترول والغاز الطبيعي الذي حول بريطانيا من دولة مستوردة له إلى دولة مصدرة، ولا يبقى أمامها إلا تطوير صناعاتها، والإستفادة بمزايا العضوية في الإتحاد الأوروبي.

رغم مقاومة بريطانيا لشركائها الذين يودون تحويل الإتحاد الأوربي إلى ولايات متحدة أوروبية، فإنها تحاول إبقاء خيارات بريطانيا مفتوحة في ما يتعلق بالإندماج الإقتصادي، وذلك تحسبا ليوم قد يأتي في المستقبل، ويتبين فيه أن الوحدة النقدية هي فرصة أعظم من أن تُضيع.

الفصل الخامس

آسيا الشرقية

تحول مراكز القوى في أواخر القرن العشرين:

إن الفرق الذي يميز القرن الواحد والعشرين عن باقي القرون السابقة ظهور ثلاثة مراكز قوي في العالم : *أوروبا، وأمريكا الشمالية وآسيا*، وسابقاً كان يوجد مركزان للقوى فقط وهما *أوروبا وأمريكا*، وقبل ذلك كان هناك مركز واحد للقوة هو أوروبا. فقد كانت أوروبا تاريخياً القوة المسيطرة على أجزاء كبيرة من العالم، إذ هزمت إمبراطوريات كثيرة ومجتمعات تضم الصين واليابان والهند والدول العربية والإسلامية، واستوطن شعبها بلداناً شبه خالية مثل أمريكا وأستراليا. كما أن الحربين العالميتين الأولى والثانية، وما تبعهما من الحرب الباردة كانت أساساً صراعات أوروبية ولم يكن العالميتين لشرقي آسيا تأثير عالمي يذكر.

إن العالم اليوم مدين لأوروبا وما فعلته للإنسانية، أما الآن فقد وصلت آسيا إلى الساحة العالمية بعد أن أصبح لديها ثقل اقتصادي وأصبح لهذا الإقليم دور وصوت مسموع، وحتى وقت قريب كانت اليابان وشرقي آسيا مجتمعين تمثلان ٤% من إجمالي الناتج القومي العالمي بينما الولايات المتحدة والمكسيك وكندا تمثل ٣٧%، اليوم أصبح للمجموعتين نفس القيمة في إجمالي الناتج العالمي. كما أن النمو الاقتصادي في آسيا يتزايد بقدر أكبر منه في أمريكا الشمالية وأوروبا.

وقد كان عام ١٩٩١ هو العام الفاصل في التاريخ المعاصر لأنه عام انتهى فيه نظام القطبية الثانية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي واختفاء حلف وراسو مما أتاح بتوازن القوى العالمي، وجعل الولايات المتحدة الأمريكية القطب المهيمن الأوحده، ولم يتشكل بعد النظام العالمي الجديد، وأن كان تدريجياً سيتحول إلى نظام متعدد الأقطاب أو التعددية القطبية *Multi.Polar*.

كان ترتيب أقاليم العالم بالنسبة لاستراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية في معظم القرن العشرين:

- (١) أوروبا. (٢) جنوب غربي آسيا (دائرة الخليج والشرق الأوسط وآسيا الوسطى).
- (٣) آسيا الشرقية، فأصبح الترتيب الآن كالاتي : (١) جنوب وشرقي آسيا من اليابان، والكوريتين، والصين حتى الهند وباكستان، ومنها ما يملك قوى عسكرية كبيرة ونوية (الصين، الهند، باكستان، كوريا الشمالية) ولها القدرة على تطوير أسلحة دمار شامل.
- (٣) أوروبا.

صعود آسيا الشرقية:

كانت اليابان بعد هزيمتها عام ١٩٤٥ بلداً منكسراً دمرت فيه الحرائق العاصمة طوكيو، وكذا معظم المدن الكبرى فضلاً عن ضرب ناجازاكي و هيروشيما بالقنابل الذرية،

ثم انطلق اليابان شعبا ودولة يتصدى لهذا الوضع المبهين، وحقق المعجزة في أقل من ربع قرن حتى أصبح ثاني قوة اقتصادية في مطلع السبعينيات من القرن العشرين.

كذلك الحال في كوريا الجنوبية التي كان متوسط نصيب الفرد فيها من الدخل القومي هو ٧٩ دولارا عام ١٩٦٢، استطاعت بعد ثلاثين عاما من العمل الدؤوب أن يصبح متوسط دخل الفرد فيها ١٠ آلاف دولار، وأن تصبح عضوا في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية *OECD* وأن تصبح في مقدمة دول العالم في إنتاج السيارات والإلكترونيات وبناء السفن غيرها، وإذا اتحدت الكوريتان فإن هذا يعطيها وزنا استراتيجيا عظيما، وتمثل ماليزيا وسنغافورة أروع أمثلة للطفرة الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية، وأما الصين فهي نموذج للقوة الصاعدة والتي قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمصالحاتها ولم تقف عقبة أمام عضويتها في مجلس الأمن، وأصبحت الآن تخشى نموها الاقتصادي المتسارع، وكذلك التكنولوجيا ممثلا في إنتاج القوي النووية وغزو الفضاء مما جعل الدول تتظر بإعجاب لهذا النمو المتسارع، ويرجح البعض أنها قد تتفوق على دور اليابان.

هكذا أصبحت آسيا الشرقية الدائرة الأهم الصاعدة في العالم وكذا الحال في كل أرجاء آسيا.

تجانس ثقافي والجمع بين حضارة الشرق العظيمة، والتقدم التكنولوجي الغربي:

والواقع أن الدول الثلاث الصين واليابان وكوريا بشقيها بالإضافة إلى بعض مناطق من جنوب شرقي آسيا تمثل دائرة ثقافة متجانسة، والذين يعيشون ويسافرون في آسيا الشرقية يشعرون بتجانس هذا الإقليم وأنه بالإمكان السفر من جاكارتا إلى هونج كونج، وطوكيو وسيول ولا يشعرون بخلافات كبيرة بين الثقافات، بل وحتى الأشكال، هل تستطيع أن تميز بسهولة بين الصيني والياباني؟ كما يشعرون بأن هذا الإقليم مقبل على حقبة جديدة تتسم بزيادة الدخل وارتفاع مستوى المعيشة، وأنه من أكبر أقاليم العالم ديناميكية لأنه يجمع بين أعلى الحضارات الآسيوية والحضارة الغربية، فتجد الهدوء وتقديس العمل هو سمة أساسية، ولكن تكتيك الإدارة والعلوم والتكنولوجيا غربي، فالتقدم الاقتصادي والتطور الصناعي الذي بلغه الإقليم كان بسبب مزج الاثنين معا.

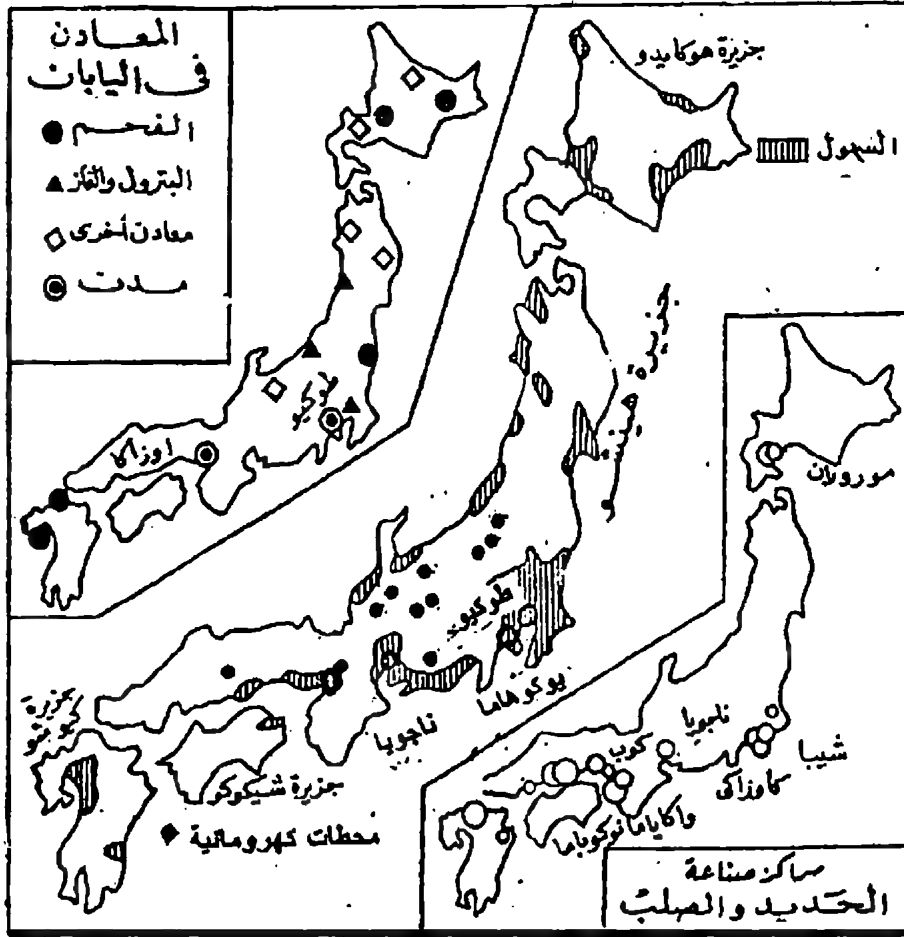
ماذا لو تحالفت اليابان والصين وروسيا؟

إن تحالف اليابان والصين وروسيا ربما يشير إلى نظام عالمي جديد يظهر فيه قطب جديد عمادا على تكنولوجيا اليابان، وأسواق الصين وقدرات روسيا النووية، خاصة وأن الصين واليابان مجرد دولتين شرقيتين، ولكنهما قطبان بارزان في الدائرة الحضارية الشرقية الأوسع، وكذلك تمتد طاقات روسيا حتى ساحات آسيا الوسطى والمحيط الهادي.

اليابان

تخيل أن دولة غنية مزدهمة بالسكان الذين يبلغون نحو ١٢٥ مليون نسمة، يعيشون على مساحة قدرها ١٤٥ ألف ميل ٢، وهي وبمساحتها هذه تعادل إحدى الولايات الأمريكية، بل ومعظم هذه الجزر جبلي، بحيث لا يزيد المسكون منها على ١٨% من تلك المساحة، وتتعرض هذه الجزر للبراكين والزلازل بين الحين والحين، خالية من البترول، وحظها من الفحم، والمواد الخام اللازمة للصناعة وكذلك الأراضي الزراعية قليل، فلو كانت يابان اليوم إحدى الدول النامية في حاجة إلى المعونات الغذائية والقروض، فإن المبرر مائل أمامنا، في إكتظاظ سكاني، ونقص في الأراضي الزراعية، وفقير في الخامات وموارد الطاقة.

مراكز الصناعة والتعدين في اليابان



هذه صورة اليابان:

تسودها المرتفعات والسلاسل الجبلية المعقدة، التي يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠٠، ٢٥٠٠ متر، وقد تصل بعض القمم إلى ما يزيد على ٣٠٠٠ متر، تؤلف هذه السلاسل

العمود الفقري إن لم يكن الأساسي لليابان جميعا، وتشغل نحو ٧٥% من مساحتها، أما المنخفضات السهلية فلا تشغل سوى نحو ١٥% من كل مساحة الجزر، وتمتد هذه المنخفضات أساسا على الساحل الشرقي، على شكل جيوب أو أحواض متقطعة متباعدة، أكبرها سهل كوانتو أو سهل طوكيو، وسهل كينكي في جزيرة هونشو، ثم تقل السهول في الوسط، وعلى الساحل الغربي، أي أن الجبال لها السيادة المطلقة، مثلما تحيط بها البحار من جميع جوانبها أو كما يقول كرسى "إذا نظرت إليها من البحر تجدها ترتفع جبلا فوق جبل، وإذا نظرت من اليابس ستجد وجه الماء في كل مكان".

العلاقات المكانية:

وكان هذا الأرخبيل الجزري الذي يقع على الرصيف القاري للقارة الآسيوية : هونشو أكبرها وشيكوكو، وكيشو، في العصور القديمة والوسطى على أطراف العالم، أو هامشه، لكن بعد ذلك أصبح على طريق الأمريكتين، فكل خط جوي أو ملاحى من سان فرانسيسكو أو سياتل إلى ساحل الصين أو الفلبين أو سنغافورة إما أن يمر اليابان، أو يمر على بعد أميال قليلة من سواحلها، والخط الجوي من سان فرانسيسكو إلى مانيلا عن طريق هاواي، وجوام يزيد بنحو ٢٠٠٠ ميل عن الخط المباشر إلى مانيلا عن طريق طوكيو، وزادت قناة بنما من أهمية موقعها، كما فعلت قناة السويس بالنسبة لبريطانيا، ولا ننسى أن اليابان تقع على كثر من سوق المليار وربع من سكان العالم، أي الصين.

دولة مستوردة لغذائها وخاماتها ووقودها:

تبذل اليابان جهودا خارقة لإستغلال المساحة الصالحة للزراعة، سواء في سهول أو في منحدرات سطوح جبالها، وذلك بإستخدام أصناف الأرز العالية الإنتاج، والتسميد والري، وإدخال الآلات، نظرا لهجرة السكان نحو الحضر الصناعي، بينما كانت الزراعة تضم أكثر من ٥٠% من القوى العاملة عام ١٩٢٠، أصبحت الآن حرفة ٨% فقط من السكان وحتى هؤلاء يعملون بها بعض الوقت، ويكسبون عيشهم من حرف غير الزراعة ببقية الوقت، وحتى تحد الحكومة من هجرة الأرض الزراعية، ترفع الحكومة أسعار المحاصيل الزراعية بطريقة غير طبيعية، وعندما حدث العراك بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان في التسعينيات فيما يختص بحجم قيمة تدفق السلع بين الجانبين، عرضت الولايات المتحدة الأمريكية أن يمد المزارع الأمريكي المستهلك الياباني بالأرز الأمريكي بسعر يبلغ نحو سدس سعر الأرز الياباني، ومع ذلك لم تجد سوقا مفتوحة في اليابان على نحو ما وجدت اليابان أسواقا مفتوحة في الولايات المتحدة الأمريكية لسياراتها.

ولما كان الغذاء الياباني غنيا بالنشويات، على رأسها الأرز ثم القمح والشعير والبطاطس، كانت حاجة اليابانيين إلى البروتين، ولحسن الحظ أمكنهم الحصول على كميات كبيرة بحصاد البحر، لا في رصيفهم القاري الغنى بالأسماك فحسب، بل وأيضا في أعالي البحار، بفضل أساطيل الصيد الحديثة المجهزة، وكأنها مصانع متحركة، ولا يعادل صناعة الأسماك في اليابان أي صناعة مماثلة في الولايات المتحدة الأمريكية

أو غرب أوروبا، هذا فضلا عن تربية الأسماك في حقول الأرز والبرك الصناعية، ومع ذلك فهي بعيدة عن الإكتفاء الذاتي غذائيا، فهي مستوردة له من الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأستراليا.

وقد إندفعت اليابان منذ منتصف القرن التاسع عشر بقليل، إلى الأخذ بالحضارة الأوروبية الحديثة، والنقل منها بقوة، أي أنها دخلت عصر الانقلاب الصناعي، فكانت بذلك أولى الدول الآسيوية أوروبية تغريبا وتصنيعا.

وإذا كانت الصناعة اليابانية تتميز بطغيان قلة من الشركات الاحتكارية الضخمة، فهي من الناحية الأخرى تتفرد بكثرة الوحدات الصغيرة الحجم، التي تنتشر في أنحاء الريف والمدن، وتعمل من الباطن في إنتاج المصنوعات، وأجزائها لحساب الشركات والمصانع الضخمة (ميتسوبيشي - تويوتا - هوندا) وأصبحت اليوم الدولة غير البيضاء الوحيدة التي تقف بحضارات صناعية وتكنولوجية وتجارية على أساس من (الندية) إن لم يكن الإستعلاء والمنافسة الخطيرة، لأكبر القوى البيضاء (الولايات المتحدة الأمريكية).

ويعتبر مثلث طوكيو - يوكوهاما - كواساكي أكبر مجمع صناعي في اليابان، مسئول عن ٢٠% من الإنتاج الصناعي الياباني، ويليه مباشرة مثلث أوزاكا - كوبى - كيتو إلى الجنوب من المجمع السابق.

وخامات هذه الصناعة ووقودها مستورد أساسا من الخارج، فإذا ضربنا المثل بصناعة الصلب، فنجد أنها تستورد حديدتها من الفلبين وماليزيا وأستراليا والهند، بل ومن أفريقية، كما تستورد معظم الفحم من أستراليا وأمريكا الشمالية، والبتترول من الخليج وإندونيسيا.

وتغزو أسواق العالم بصناعاتها بدءا من لعب الأطفال، والمنسوجات، والسيارات، إلى الأجهزة الطبية الدقيقة، إلى أكبر مصانع للسفن المحيطية، وانتقلت الآن إلى صناعة الطائرات، والكيمويات والإلكترونيات والاتصالات سيدة صناعات القرن الواحد والعشرين.

نخلص من هذا بأن اليابان أبعد عن الكفاية الذاتية غذائيا، وخامات، ومعادن من ثم كان عليها أن تصدر لتعيش، ومحور الحياة هناك إستيراد خام ووقود الآخرين، ثم تصديره إليهم مصنعا، أي تصدير العمل والتكنولوجيا، من ثم كانت الأسواق والتنافس عليها هي الهم الأوربي والأمريكي.

الناتج المحلي والتجارة الخارجية:

بزغت اليابان كقوة إقتصادية عظيمة تثبت أقدامها شيئا فشيئا، حيث بلغ الناتج المحلي الإجمالي لليابان في عام ٩٤ حوالي ٤٥٩٠ بليون دولار، لتأتى في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية التي حققت في نفس العام ٦٧٣٨ بليون دولار، والفرق واضح بينهما، في الحجم والمساحة، وعدد السكان، بل ومصادر الثروة، ومازالت اليابان تسبق باقي دول العالم الصناعية الكبيرة كالمانيا التي حققت ٢٠٤٥ بليون دولار. وبالطبع إنعكس ذلك على متوسط الدخل الفردي ليصل في اليابان إلى ٣٧ ألف دولار لتمثل المرتبة الثانية بعد سويسرا.

وللتدليل على هذه القوة الإقتصادية يجب أن نشير إلى أن حجم الصادرات اليابانية بلغ ٤٠٢ بليون دولار في عام ٩٥، بينما بلغت وارداتها عن نفس الفترة ٢٧٤ بليون دولار. لتحقيق فائضا تجاريا يصل إلى ١٢٨ بليون دولار، في تجارتها مع مختلف دول العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة " أكبر شريك تجاري لليابان " ويصل هذا الفائض إلى ٦٦ بليون دولار ، ومن خلال هذه الأرقام نرى أن اليابان تستحوذ على نسبة ١٠% من إجمالي حجم التجارة العالمية البالغة ٤٠٨٨ مليار دولار وفقا لإحصائيات صندوق النقد الدولي.

الطاقة النووية:

لا تحتفظ اليابان بأي أسلحة نووية بالرغم من توافر الإمكانيات اللازمة التي تتيح لليابان إمتلاك وتصنيع السلاح باليابان، ولكن لديها ٤٩ مفاعلا نوويا تستخدم للأغراض السلمية (إستخراج الطاقة) وهناك سبعة مفاعلات تحت الإنشاء حاليا. وبذلك تأتي في المرتبة الثالثة بعد كل من الولايات المتحدة (١٠٩ مفاعل) وفرنسا (٥٥ مفاعل)، بل وتسبق دول نووية أخرى كالصين، وروسيا، وبريطانيا في أعداد المفاعلات النووية، فالقدرة على إمتلاك السلاح النووي متوفرة، إلا أن الحظر الأمريكي، والرغبة اليابانية يسيران في طريقين متلاقين لتعتمد اليابان إعتقادا كليا في سياستها الدفاعية وحماية أمنها القومي على الولايات المتحدة الأمريكية.

الصناعة:

ولا يوجد بلد صناعي لديه فائض تجاري في المصنوعات مع اليابان. فأكثر المصدرين في العالم وهم الألمان، لا يستطيعون أن يتنافسوا بنجاح في السوق اليابانية، كما أن النمر الصغير على جانب المحيط الهادي لديها عجز مماثل.

صناعة الصلب:

ولو نظرنا إلى إنتاج الصلب (وهي دولة مستوردة للمواد الخام) لوجدنا أن إنتاج اليابان من الصلب الخام يصل ٩٨ مليون طن سنويا من إجمالي الإنتاج العالمي البالغ ٧٢٣ طن لتحتل المركز الأول، وقبل دول كثيرة منها الولايات المتحدة التي يبلغ إنتاجها ٨٨ مليون طن سنويا، وهنا يجب أن نراعى أن إنتاج الصلب الياباني توجه النسبة الأكبر منه إلى الصناعات المدنية، حيث لا يخفي علينا أنه في الولايات المتحدة تحول نسبة كبيرة منه إلى الصناعات العسكرية.

صناعة السيارات:

حققت جنرال موتورز الأمريكية في بداية السبعينيات عملاق صناعة السيارات، تفوقا على كل مؤسسة صناعية أخرى. لم يكن هناك ما يضاهيها، وكان يقال عنها دائما أنها المؤسسة الأفضل إدارة في أمريكا. وكانت صناعة السيارات قلعة حصينة للقوة الإقتصادية الأمريكية، بعد ذلك بعشرين عاما أصبح من الأسئلة المثارة ما إذا كان باستطاعة أية مؤسسة أمريكية لصناعة السيارات أن تبقى على قيد الحياة عشرين سنة أخرى، فحصة اليابان في الأسواق التي عبرت في منتصف عام ١٩٩١ حاجز ال ٣٠ في

المائة، تواصل النمو عاما بعد عام في ببطء، ولكن في ثبات، وهاهي تويوتا تبلغ الشركات الموردة التابعة لها شيئا لم يكن في الوسع تصوره قبل ذلك بعشرين سنة. (أن تويوتا عاقدة العزم على أن تسبق جنرال موتورز عند نهاية القرن) وتويوتا منكبدة على العمل لتحقيق ذلك.

كانت صناعة السيارات الأوروبية تسير حتى إلى أسوأ فترات فيات، وبيجو ورينج روفر / استرلنج، ورينو طردها اليابانيون تماما من السوق الأمريكية. كما أن شركة فولكس فاجن في طريقها إلى المصير نفسه (نقصت حصتها في السوق من ١٠ في المائة إلى واحد في المائة)، وهي عندما تترك تلك السوق لن تبقى في سوق الولايات المتحدة مؤسسة واحدة من مؤسسات الصناعة الكبيرة الأوروبية لصناعة هذا النوع من السيارات (مرسيدس - بنز، وأودي، فولفو، جاجوار، بورش) تفقد بالتدريج حصتها في السوق، وتتخذ الآن موقف الدفاع، مع دخول السيارات اليابانية الفاخرة (ليكسوس، أفينيتي، أكورا).

ويستطيع اليابانيون تجميع سيارة فاخرة بعدد لا يتجاوز ربع الأيدي العاملة التي تلزم لتجميعها في أوروبا، وبإستطاعتهم أن يدخلوا طرازات جديدة في الإنتاج بسرعة أكبر، كما أن سياراتهم بها عيوب أقل فهل من المستغرب أن يطالب رئيس شركة فيات باتخاذ إجراءات لإبقاء اليابانيين تحت السيطرة، فهو يقول : ليس هناك ما يمكن أن يكون أكثر يابانية وأقل كونية من شركة يابانية كبيرة حتى إذا كانت تعمل في القارات الخمس جميعا . فصناع القرار يابانيون، وأصحاب المصالح يابانيون، والتنظيم ياباني، والبحث والتطوير يابانيان، وكذلك عقلية الغزو التجاري.

صناعة الحاسبات:

كانت شركة أي. بي. ام (I. B. M) في بداية الثمانينيات تحصل على جوائز بإعتبارها صاحبة أفضل إدارة، تتخذ الآن بالمثل موقف الدفاع، وتتحدث الصحافة اليابانية عن ثلاث شركات كبيرة لصناعة الحاسبات الآلية مستعدة للتغلب على هذه الشركة، إنها أكثر من مستعدة، فإثنتان منها لديهما حصتان في السوق أكبر من حصة أي. بي. ام. في اليابان. أما الثالثة فهي بدورها على وشك تجاوز العملاق الأمريكي. ففي عام ١٩٩٠ إرتفعت مبيعات أي. بي. ام في اليابان بمقدار واحد في المائة ، على حين كانت السوق اليابانية الكلية تتوسع بمقدار ١٠ في المائة. ومع ذلك فإن أي. بي. ام هي المؤسسة الأولى في مجالها في أي مكان آخر في العالم، كما أن الشركات، الأمريكية الأخرى لصناعة الحاسبات الآلية ليست بأفضل حالا.

الإنسان الآلي:

ويمكن أن نرى النتائج في عدد أجهزة الإنسان الآلي (الروبوت) التي تعمل في اليابان، ويزعم اليابانيون أن لديهم ٢٧٥ ألف جهاز منها، وتقول الرابطة الأمريكية لصناعة أجهزة الروبوت أنه يوجد ١٧٥ ألف جهاز فقط لدى اليابان، بيد أن كلا الرقمين أعلى كثيرا من عدد أجهزة الروبوت لدى الولايات المتحدة (٣٧ ألف جهاز) وهي دولة

لديها ضعف عدد عمال اليابان.

الإستثمارات الخارجية:

بلغت الإستثمارات اليابانية خارج اليابان ٢٥٩ بليون دولار عام ٩٤ ، وفي نفس الفترة وجهت اليابان مساعدتها للتنمية لمختلف دول العالم النامي ليصل حجم هذه المساعدات إلى ١٦ بليون دولار، وبذلك تحتل اليابان المركز الأول على قائمة الدول المانحة الأعضاء في منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية *OECD* وهو ما يمثل ما يقرب من ٢٠% من إجمالي المعونات التي تقدمها المنظمة.

طلب مقعد في مجلس الأمن:

قدمت اليابان إقتراحا مع ١٥ دولة أخرى لإعادة النظر في ميثاق الأمم المتحدة، بهدف تعديله ليتمشى مع تطور العصر، وتزداد فاعلية المنظمة، وأعلنت اليابان أن من حقها أن تحتل مقعداً دائماً في مجلس الأمن، نظراً لمساهمتها المالية الضخمة في ميزانية الأمم المتحدة، فضلا عن مركزها المتعاظم إقتصاديا.

أسباب العملة العالمية

البشر:

أحد أسرار هذه القوة الإقتصادية، يكمن في الفرد الياباني وحرصه الشديد ليس على حب الوطن والعمل فحسب، بل التفاني فيه والحرص على إنجازه على الوجه الأكمل، فالمواطن الياباني يتجه إلى العمل الجماعي في إطار من الولاء العميق، لأسرته، ومؤسساته ووطنه، لذا أصبحت اليابان دولة غنية بشعبها، وليس بمواردها، فنسبة التعليم في اليابان تصل إلى ١٠٠%، وهي من أوائل دول العالم التي إستطاعت أن تمحو أمية شعبها، وتحافظ على تراث وثقافة هذا الشعب، بقدر ما تطبق أوسع درجات التقدم في أسلوب الحياة، فالفاصل هذا واضح المعالم، بين الإلتزام بالتقاليد اليابانية القديمة في الحياة والعمل، وبين تطبيق المدنية الحديثة دون تداخل أو تعارض أو تأثير أي منها سلبي على الآخر.

إقتصاد المنتجين وإقتصاد المستهلكين:

يقوم الإقتصاد الإنجلو ساكسوني (في أوربا وأمريكا) على تحقيق أقصى منفعة حيث يكون الإستهلاك الأكثر، ووقت الفراغ الأطول، أي على العنصرين الإقتصاديين الوحيدين للرضا البشري. وتكون الإنتاجية الأعلى مرغوبا فيها مادامت تعطى الأفراد دخولا أعلى يشترطون بها سلعا إستهلاكية أكثر، والقدرة على تقليل الجهد الذي يبذل في العمل للحصول على وقت الفراغ أطول دون تضحية بالإستهلاك، وأما كل من العمل والإدخار (أي ما تم التخلي عنه من وقت الفراغ والإستهلاك) لا يجري تحملها، إلا لأن الدخل المقبل الذي ينشأ عن هذين النشاطين يوفر الموارد الإقتصادية اللازمة للإستهلاك المقبل.

فمؤسسة الأعمال في النظام الأنجلو ساكسوني إنما توجد لتوفير فرص للدخل أي الكسب، لا أكثر ولا أقل، وتأمين مصلحة العامل في الأمن عن طريق المدخرات الفردية

والتأمين. ولا ينبغي لموظف أن يشغل باله بالتثبيت بوظيفته الحالية. وهو يستطيع أيضا أن يجد وظيفة بديلة يحصل منها على أجر عادل مساو لإسهامه في الإنتاج في جهة أخرى، فالأفراد يعملون بكد وإجتهاد، لأنهم يخشون البطالة — أما إذا فقدوا الإمتيازات الإستهلاكية. وإذا ما تراجع هذا الخوف، فإن كل فرد سيعمل بكد أقل.

وتعتبر الولايات المتحدة نسيجا وحدها عندما يتعلق الأمر بمعدل دوران (تجدد) الأيدي العاملة. فمعدل دوران مقداره ٤ في المائة كل شهر يقسم بالتساوي تقريبا بين ترك الخدمة والفصل منها، ومن منطلق تعظيم الربح يعد ذلك علامة الكفاءة. فالعمال يفصلون عندما لا تكون هناك حاجة إليهم، والعمال يقبلون عروض توظف جديدة حيثما تكون الأجور أعلى، ومن ثم فالإنتاجية بالتالي أعلى.

وفي اليابان تعرض العمالة مدى الحياة على العمال الأساسيين في المؤسسات اليابانية، ولا يتجاوز معدل دوران العمل في اليابان ٣,٥ في المائة سنويا — أي أن تغير الوظائف في السنة يعد أقل من مثيله في الولايات المتحدة شهريا. وفي اليابان يكون الإحتفال الذي يشترك مستخدمون جدد عند إلحاقهم بالشركة في وظيفة مدى الحياة، شبيها بتقديم الولاء للسيد في العصور الوسطى. وينظر إلى تركة " مملكة الرب " أو شركة يابانية بإعتباره "خيانة" فالمستخدم يجب أن يعطى الإخلاص في مقابل الأمن الذي الذي تمنحه المؤسسة إياه، وكما جاء في نشرة لشركة يابانية أن معظم المستخدمين الجدد يبدو أنهم يقرون بالمثل السائر القديم: " إبحث عن شجرة كبيرة إذا كنت تتشد الظل " فالمرء يصبح ضمن مجموعة لها هدف أكبر من مجرد زيادة الأجر، من هذا المنظور من الصعب أن نرى حكمة فيما تفعله المؤسسات اليابانية التي تعطي ضمانات صريحة بعمالة مدى الحياة، بإعتبارها جزءا من سعيها لخلق أيد عاملة أكثر إنتاجية. ولكن إذا أخذنا الأمور من زاوية بناء إجتماعيين، فإن الأمن يعد ميزة مهمة للمؤسسة. فالإمبراطوريات والأمم تربط مواطنيها بها عن طريق توفير الأمن الخارجي (الحماية من الغزو) والأمن الداخلي (القانون والنظام).

ويكمن سر اليابان في أن اليابانيين إستغلوا رغبة بشرية عامة في البناء، وفي أن يصبح البلد القوة الإقتصادية الرئيسية في العالم. وهدفهم هو تحقيق أكبر حصة ممكنة في السوق (الغزو الإستراتيجي) وأقصى قدر من القيمة المضافة (الأرباح والأجور معا) وليس مجرد تعظيم الربح.

والإنسان ليس مجرد آلة تحقق زيادة في الإستهلاك ووقت الفراغ، فهو أيضا منتج وفي لغة الملتصقات الإعلانية: فإن البشر قد يولدون ليتسوقوا، ولكنهم يولدون أيضا لينبؤوا. وهذه الرغبة في البناء تولد مايسمونه " إقتصاد المنتجين " الياباني لتمييزه عن إقتصاد المستهلكين " الأنجلوساكسوني.

هكذا نجد اليابان بقوة إقتصادها الكاسح تتبوأ المكانة العالمية الأسمى، وتخشاها القوى الصناعية العملاقة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا.

الاستفادة من حرمانها من إقامة ترسانة حربية:

كان سحق اليابان بالقنابل الذرية عام ١٩٤٥، وما تبعه من إقامة دستور جديد يحرم عليها بناء قوة حربية، مكتفية بالسماح بقوة وقائية فقط تحت تسمية " قوة اليابان للدفاع عن الذات " من ثم رأت اليابان الابتعاد عن مجال السياسة الخارجية والتركيز على بناء القوة الاقتصادية، وبالفعل بلغت اليابان المكانة الثانية في الاقتصاد العالمي في نهاية السبعينيات أي بعد ربع قرن فقط من تدميرها في نهاية الحرب العالمية الثانية، أي أنها استفادت من الإوضاع المفروضة عليها لإقامة ترسانة اقتصادية وتكنولوجية وكذلك دفاعية على أرفع مستوى نتيجة تعبئة الطاقة القومية دون إهدار.

ومع بلوغ الهدف بدأت اليابان في بناء أسطول من القطع الصغيرة والمتوسطة على أرفع مستوى من القدرة المدمرة من حيث التسليح والرصد والتحكم الإلكتروني بحيث أصبحت أهم قوة بحرية في آسيا الشرقية، كما كان لقرار الولايات المتحدة الأمريكية تخفيض قوتها في آسيا الشرقية له أثره في ضرورة تسليح اليابان.

الصين

دع الصين تنام، إذا أنها لو أفاقَت لَهَزَت العالم (نابليون بونابرت)

من قزم سياسي واقتصادي إلى عملاق:

كان لاعتماد الصينيين على الزراعة بالدرجة الأولى مع زيادة السكان المستمرة أن تعرضوا للمجاعة في كثير من الأحيان نتيجة لكوارث الطبيعة، وكان أهمها خطر الفيضانات، إذ لم يكن يمر عام إلا وكسرا أحد أنهار الصين، أو كلها ضفافها في مكان أو آخر، وبالتالي تغرق مساحات كبيرة من المحاصيل، ويشند خطر هذه الفيضانات وتتحول إلى كوارث إذا ما صاحبها أمطار غزيرة كما حدث في عامي ١٩٣٠، ١٩٥٤ في حوض اليانجتسي، فقد قدرت المساحات التي غرقت عام ١٩٣١ في الوادي الأوسط والأدنى لنهر اليانجتسي بنحو ٣٤ ألف ميل مربع، وكان معظمها من الأراضي المزروعة حبوبا وخاصة الأرز، وكان مثل هذا الفقد يعتبر القاعدة لا الاستثناء.

وكان المظهر الرئيسي للملكية الزراعية هي الملكيات القزمية والمتبعثرة، وكثرة أصحاب الأرض المتغيبين في ظل إقطاعية طاغية، وعدم كفاءة طرق الزراعة وعدم اختيار البذور الجيدة ونقص الائتمان الزراعي.

ولما كانت تعاليم كونفوشيوس تتضمن تقديس الأسلاف، ومن ثم كانت تُختار مقابرهم في أجود الأراضي الصالحة للزراعة، وقدر الباحثون أن ما يقرب من ٢% من أجود الأراضي الزراعية كانت تُضيق لهذا الغرض، وقد نقلت هذه المقابر إلى مساحة مواضع أقل إنتاجية، أو أعيد دفن الموتى في طبقات أعماق بحيث يمكن حرث الأرض.

ولم تكن نقاليد الصينيين تحبذ تحديد النسل، بل كانت تشجعه، وفي تلك الظروف اقتصادية السيئة كانت ترتفع معدلات الوفيات فقد ظهر من الأبحاث التي أجريت في

الصين للفترة بين عامي ١٩٣٣، ١٩٣٦ أن معدل المواليد كان ٤٠ في الألف، ومعدل الوفيات ٢٧ ألف الف، كما كان معدل وفيات الأطفال يدور حول ٢٠٠ في الألف عام ١٩٤٩.

هكذا عاش الصينيون حتى منتصف القرن العشرين حياة بؤس، عاني الملايين منهم من المجاعة وكانت أشهرها مجاعة عام ١٩٤٩، أو الأمراض، ولا يجدون الكساء ولا المأوى، وأطبقت المصيدة المالتويسة على هؤلاء الذين عانوا من الجوع والمرض والحروب الأهلية، حتى ليقدر أن مائة مليون هلكوا خلال القرن التاسع عشر. ويعتبر عام ١٩٤٩ هو الفاصل بين عهد قديم عهد المجاعات والفيضانات والزلازل والفقر وعصر الاستعمار والتبعية منذ القرن السابع عشر، ولكن مع العهد الجديد إنكسرت فيه الدائرة الخبيثة (*)، وانطلق الشعب الصيني يبني، وارتفع معدل النمو السنوي إلى ٩% لمدة عشر سنوات بحيث أصبح دخل الفرد ١٠٠٠ دولار سنويا (لاحظ عدد سكان الصين)، وكانت بداية الانطلاقة مع إعلان تأسيس جمهورية الصين الشعبية في أول أكتوبر ١٩٤٩، وبالتالي فإن هذا الشعب الذي يبلغ تعداد ١,٣ مليار نسمة أو ما يقرب من خمس سكان العالم يمثل لا شك قوة هائلة لا بد من عمل حسابها.

صعود سلمي: إذا عدنا إلى الوراء لننتذكر كيف صعدت الإمبراطوريات التاريخية والقوى الكبرى في العالم، بلا شك اعتمدت على الحرب والغزو والقوى التدميرية، وهذا ما لم تفعله الصين حتى الآن، بل هو صعود سلمي هادئ، وأن كان للضرورات العالمية أحكامها فهي لا تهمل قواتها العسكرية وتكنولوجيا الأسلحة النووية وغزو الفضاء.

مؤشرات القوة

الناتج القومي الإجمالي:

إذا استمر الاقتصاد الصيني في معدلات نموه الحالية (٨% سنويا عامي ١٩٩٠، ٢٠٠٠ بل وبلغ ١٤% عام ١٩٩٢)، سيكون أكبر إقتصادات العالم بحلول ٢٠٢٥، وإن كان سيظل لفترة طويلة يعتمد على الصناعات كثيفة العمالة التي تحقق مزايا إنتاج نسبية.

وقد بلغ الناتج القومي الإجمالي نحو ١٠٨٧ مليار دولار، أي أقل قليلا عن ٤% من الناتج القومي الإجمالي العالمي عام ١٩٩٨، منها ١٥٨ مليار دولار قيمة الناتج المحلي لمقاطعة هونج كونج، وبالتالي فالصين صاحبة سادس أكبر اقتصاد في العالم عام ٢٠٠٢.

وكانت نتيجة النمو الاقتصاد الصيني خلال عقدين، أن ارتفع متوسط دخل الفرد من مائة دولار إلى ألف دولار سنويا كما ذكرنا فضلا عن مؤازرة مسيرة الإصلاح السياسي وإعطاء المواطن الصيني مزيدا من الحريات السياسية، ويقول الأستاذ " فان جانج " من الصعوبة مقارنة أوضاع المواطن الصيني العادي اليوم بنظيره في الولايات المتحدة الأمريكية أو اليابان لأن الهوة ما تزال قائمة، ولكن من الإنصاف إجراء مثل هذه المقارنة بين المواطن الصيني العادي اليوم، وما كان عليه الحال بالأمس (من عقدين).

(*) راجع الصين في كتابنا " آسيا في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، الانجلو المصرية، ٢٠٠٣م.

تجارة خارجية ضخمة:

تجارتها الخارجية ضخمة ومتنوعة وسريعة النمو، ارتفعت قيمة صادراتها السلعية من ١٠ مليار دولار عام ١٩٧٨، إلى ١٨٤ مليار دولار عام ١٩٩٨ ترتفع إلى ٣٥٧ (*) مليار دولار إذا ما أضفنا إليها قيمة صادرات هونج كونج، وهذا يضعها في المرتبة الرابعة عالميا بعد الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية واليابان، أما الواردات فقد بلغت ١٤٠ مليار دولار (بدون هونج كونج)، ومما يدل على قوة الاقتصاد الصيني تفوق معدلات نمو تجارتها الخارجية من ٠,٧% من التجارة العالمية عام ١٩٧٠ إلى ٢% عام ١٩٨٥، ثم إلى ٤% عام ٢٠٠٠.

وإذا قارنا الميزان التجاري مع الولايات المتحدة الأمريكية كانت قيمة صادراتها بما فيها هونج كونج ٧٩ مليار دولار عام ١٩٩٨ أو نحو ٣٠% من صادرات الصين، على حين أن وارداتها بلغت ٣١ مليار دولار في نفس العام (أي ٤٨ مليار دولار لصالح الصين) وبلغت صادراتها بما فيها هونج كونج إلى الاتحاد الأوروبي في نفس التاريخ كانت ٥٤,٥% مليار دولار، أو نحو ٢١% من مجموع صادراتها، كما بلغت قيمة وارداتها منه ٣٩ مليار دولار (١٥,٥ مليار دولار لصالح الصين)، وفامت واردات اليابان من الصين، وارداتها من الولايات المتحدة الأمريكية كما أصبحت الصين الشريك التجاري الأول لكوريا الجنوبية.

دخول الصين منظمة التجارة العالمية وكان ذلك في نهاية عام ٢٠٠١ بعد ١٥ عاما من المفاوضات المضنية، وتخشي بعض الدول النامية أن تنكمش الطلب على صادراتها بسبب المنافسة الشديدة من صادرات الصين، هذا فضلا عن اتجاه الاستثمارات بصورة أكبر إلى الصين وبالتالي يقل تدفق الاستثمارات إليها، خاصة وأن الصين لديها قوة عاملة كثيفة، كما تخشى الدول الصناعية من صادرات الصين الرخيصة أن تغزو أسواقها بالأخص في الصادرات النسيجية والملابس، وفي نفس الوقت تقدم الصين سوقا ضخمة لرؤوس الأموال الأجنبية، والتكنولوجيا العالية والتي ستكون الدول الصناعية هي المورد الأول لها.

احتياطي النقد الأجنبي:

تشير الإحصاءات إلى أنه من المتوقع أن يتجاوز احتياطي النقد الأجنبي في الصين ٢٨٠ مليار دولار أمريكي، لتحل الصين المركز الثاني بعد اليابان عالميا والتي تمتلك احتياطيات تبلغ ٤٦١ مليار دولار.

وبالرغم من ارتفاع احتياطيات الصين من النقد الأجنبي على هذا النحو وبنسبة ٣٠% في عام ٢٠٠٢ مقارنة بالعام السابق، بالرغم من انضمام الصين إلى عضوية منظمة التجارة العالمية، وكان من المنتظر أن تؤثر هذه العضوية سلبا على الصادرات الصين وفائضها التجاري الدولي. ولكن هذا لم يحدث وفي الوقت نفسه يبلغ احتياطي الصين من

(*) بلغت قيمة صادرات مصر السلعية ١٦ مليار دولار عام ٢٠٠٠.

الذهب غل نحو ٥٠٠ طن.

الاستثمارات الأجنبية:

طبقاً للأرقام التي تم تداولها في المنتدى الاقتصادي للتنمية في الصين عام ٢٠٠٢ فقد بلغت الاستثمارات في الصين عام ٢٠٠٢ نحو ٥٠ مليار دولار أو نحو ١٥ من إجمالي الاستثمارات المباشرة في العالم.

ولم يتوقف الازدهار عند حد الاستثمارات الأجنبية المتوقعة فقد شهد قطاع السياحة ازدهاراً مماثلاً، بلغ عدد السائحين الذين زاروا الصين ٩٧ مليون سائح في عام ٢٠٠٢، كما بلغت إيرادات الصين من السياحة العالمية ٢٠ مليار دولار، أما عدد السائحين الصينيين في الخارج فبلغ ١٥,٥ مليون صيني.

وأخيراً ذكر الباحثون في المنتدى الاقتصادي للتنمية في الصين عام ٢٠٠٢ أن الصين مرشحة كي تصبح ثاني أكبر قوة تجارية في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية بدلاً من موقعها السادس وقد بلغت تجارتها الخارجية عام ٢٠٠٢ نحو ٦٠٠ مليار دولار مقابل ٥١٠ مليار دولار عام ٢٠٠١.

الردع النووي والوزن الاستراتيجي للصين في آسيا:

وعندما تقاس القوة العسكرية الصينية كمياً من حيث عدد الرؤوس النووية الاستراتيجية وتجارة السلاح العالمية (بما في ذلك انتشار التكنولوجيا النووية العالمية) وقوة العمل العسكري، تأتي الصين كواحدة من أعظم خمس قوى عسكرية في العالم، وذلك بالرغم من أن التقديرات الغربية ترى أن الترسانة النووية الصينية لا تزيد نسبتها على ١ : ١٠ من الترسانتين الأمريكية والروسية.

وتجدر الإشارة إلى أن الصين قد وصلت بالفعل إلى حالة الردع النووي بعد أن استطاعت تكوين ترسانة هجومية ودفاعية نووية على أرقى مستوى بعد أن قررت الصين أن تمتلك، وهي تمتلك بالفعل ترسانة نووية وإستراتيجية هجومية ودفاعية محدودة تكفي منذ الآن لردع القوى الأمريكية، إذ أن مجرد امتلاك الصين لعدد كاف من وحدات التسليح على هذا المستوى يمكن أن يدمر التجمعات السكانية والقواعد الاستراتيجية تدميراً تاماً لو لزم الأمر.

ولامراء في أن الصين، بعد أن قطعت شوطاً طويلاً في مجال التسليح النووي، أصبحت قوة نووية لا يستهان بها من قبل القوى النووي الأخرى في العالم بصفة عامة،

وفي القارة الآسيوية بصفة خاصة (*).

وقد فجرت الصين أول قنبلة ذرية في منطقة لوب - نور بمقاطعة سنكيانج الإسلامية الواقعة في أقصى شمال الصين وهي المركز الرئيسي للنشاط الحربي الذري وفيها تتم عملية التفجيرات النووية الصينية. وبلغت الطاقة التدميرية للانفجار الأول ٢٠ كيلو طنا من مادة تي. إن. تي. ثم فجرت القنبلة الذرية الثانية عام ١٩٦٥، وأثبتت هذا نجاح التكنولوجيا الصينية، وتجربتها الثالثة عام ١٩٦٦ بلغت طاقتها التدميرية ٢٠٠ كيلو طنا من مادة تي إن تي، ثم كانت الرابعة في نفس العام، وأخيرا استطاعت بنجاح تفجير أول قنبلة هيدروجينية في يونيو ١٩٦٧، واستمرت في تجارب أخرى تحت الأرض.

علاقات جيدة:

علاقاتها جيدة مع الجيران، سواء مع كوريا الجنوبية أو كوريا الشمالية أو مع اليابان أو روسيا، وتوقف النزاع على مياه بحر الصين الجنوبي (ولو مؤقتا) ..

وفي سبيل تقوية مركزها شهدت العلاقات الصينية الروسية ازدهارا منذ التسعينيات تمثل في نمو التجارة بين البلدين، وكذلك لاتفاق على مد خط أنابيب بترول من روسيا إليها عبر آسيا الوسطى، فضلا عن خط أنابيب غاز، ومجموعة من الاتفاقات لمختلف الصناعات خاصة صناعة الألومنيوم في سيبيريا، كما أقيمت لجنة من البلدين لإعداد مشروع مشاركة في تنمية أقاليم الصين الغربية ومنها بينها إقليم سنكيانج (نصف مساحة الصين) وهو المشروع القومي للصين في القرن الجديد، هذا كما وقعت اتفاقيات مع استراليا لاستيراد الغاز الطبيعي والألومنيوم والحديد مقابل فتح السوق الصينية من أوسع الأبواب أمام رؤوس الأموال الأسترالية في مقابل قيام الصين بتنمية شمالي وغربي استراليا.

الصين في الفضاء:

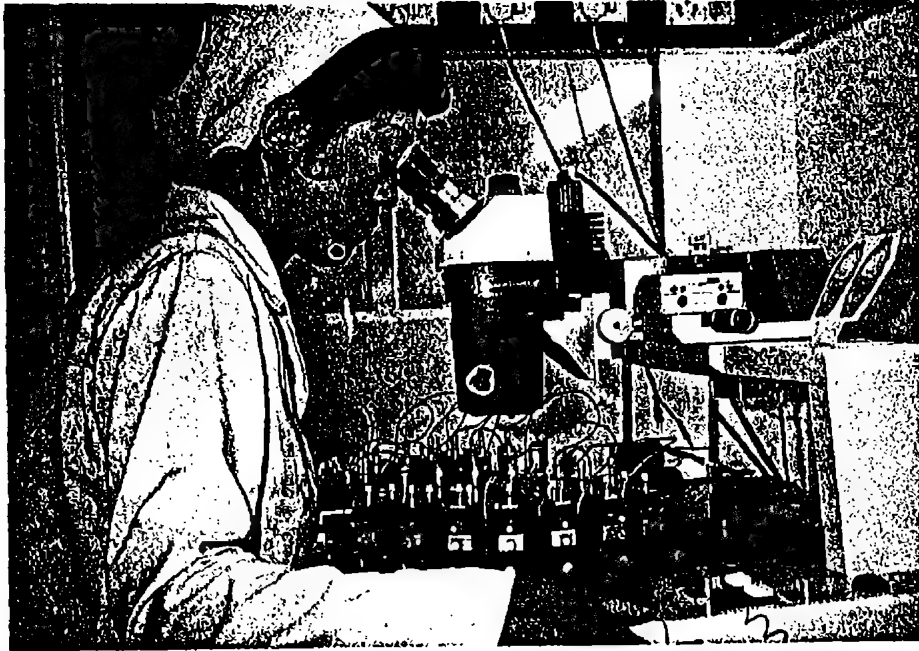
نجحت الصين في إطلاق القمر الصناعي شينزو (٥) إلى الفضاء في الطريق إلى الهبوط على سطح القمر، وتتلوه بعثة شينزو (٦) وعلى متنها رائد فضاء في رحلة عبر الفضاء تمتد إلى نحو أسبوع، ويقدر الخبراء أن الصين سوف ترسل سفينة فضاء دون ملاحين للهبوط على سطح القمر عام ٢٠١٢.

الجغرافية تؤدي إلى عدم المساواة في النمو.

يمثل الفقر في الصين حصة كبيرة من الفقر في العالم ففي عام ١٩٩٠ هناك نحو

(*) فتحت الولايات المتحدة أبواب النادي الذري لأول مرة في يوليو سنة ١٩٤٥ ثم تتابع التحاق الدول به، ودخله الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٩، لبريطانيا العظمى عام ١٩٥٢، فرنسا عام ١٩٦٠، فالصين عام ١٩٦٤، وأخيرا الهند عام ١٩٧٤، ثم باكستان. وتتفق الكثير من الهيئات العلمية والخبراء على أن إسرائيل تعتبر سادس دولة نووية في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق والصين والمملكة المتحدة وفرنسا.

٥٠٠ مليون نسمة يعيشون تحت خط الفقر (أقل من دولار في العام)، وهذا يمثل أقل من ثلث إجمالي عدد الفقراء في العالم، ثم أن جغرافية الصين تتدخل لتبرز عدم المساواة في التقدم بين الأقاليم المختلفة، فهناك المحيط الهادي في شرقها وجنوبها (الأطلال على العالم الخارجي) وهناك صحراوات واسعة في أقصى الشمال والغرب، بل وهناك أعلى سلسلة جبلية في العالم في الجنوب الغربي، من ثم يمكن تفسير الاختلافات الإقليمية في الانفتاح التجاري على العالم إلى حد كبير بالبعد عن الموانئ البحرية بين أقاليم الصين المختلفة، ولماذا كان شرقي الصين البحري أكثر تقدما وأسرع نموا من غربيها البري، وأن كانت كل مناطق الصين قد شهدت نموا بدرجة أو أخرى عما مضى، فالأجاء الآن إلى تحقيق توازن معقول بين الطفرات الاقتصادية لمدن شرقي الصين الواقعة على البحر، وبين عمق الصين من الصين الوسطي حتى حدودها الغربية المتاخمة لروسيا وكازخستان وآسيا الوسطي في أفغانستان.



الاعتماد الوطني على الذات يتطلب تعزيز التقدم العلمي

١- المراجع العربية

- البنك الدولي : تقرير التنمية البشرية ١٩٩٦ .
- السياسة الدولية ، أعداد مختلفة وخاصة .
- أحمد عباس عبد البديع ، الأقليات القومية وأزمة للسلام العالمي ع ١١٤ ، ١٩٩٣ .
- عماد جاد ، أبعاد الصراع في البوسنة والهرسك ع ١١٣ ١٩٩٣ .
- ليستر ثارو : الصراع على القمة ، ترجمة أحمد فؤاد بليغ عالم المعرفة رقم الكويت .
- محمد السيد سعيد : الشركات عابرة القومية ، ومستقبل الظاهرة القومية ، عالم المعرفة ع ١٧٠ الكويت .
- محمد عبد الغنى سعودى ، السوق الأوروبية الموسعة وآثارها السياسية والإقتصادية على أفريقية ، المجلة الجغرافية العربية ، العدد السادس ١٩٧٣ .
- التاريخ العسكرى لليمن (عرض) تأليف سلطان ناجى ع ١٩٧٦ ، جامعة الكويت ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية .
- العروبة والأفريقية : مواجهة أم تضامن فى العلاقات العربية الأفريقية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٧ .
- الخليج العربى دراسة فى الجغرافية السياسية ، عرض ، تأليف صبرى فارس الهيتى بغداد ، ١٩٧٨ ، مجلة دراسات الخليج والدراسات العربية ، الكويت
- إيران دراسة فى جذور الصراع ، الكويت ، القيس ١٩٧٩ .
- مشكلة الصحراء الغربية ، مجلة كلية الآداب ، التربية ، جامعة الكويت ، العدد رقم ١٤ ديسمبر ١٩٧٩ .
- القوة البحرية السوفيتية ، الأسطول المساند المقتنع ، دافيديرير ، ع (٢٠) نشرة وحدة البحوث والترجمة جامعة الكويت أغسطس ١٩٨٠ .
- إفريقية والعرب (عرض) تأليف أمين أسبر ، بسيروت ، دار الحياة ١٩٨٠ جامعة الكويت المجلة الجغرافية العربية للعلوم الإنسانية ، الكويت .
- مسح تاريخى للمصالح الأوربية فى منطقة الخليج (ترجمة وعرض ونقد) تأليف سيد فاروق حشمت ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية الكويت ع ٢٥ ، ١٩٨١ .
- مشكلة الأراضي المقتطعة فى الصومال - المسح الشامل لجمهورية الصومال الديموقراطية ، معهد البحوث والدراسات العربية تعداد ١٩٨٢ .
- التكامل المصرى السودانى بالإشتراك ، القاهرة ، الأنجلو ١٩٨٣ .
- مشكلة الحدود الصومالية والأرض المقتطعة ، الندوة الدولية للقرن الأفريقى ١٩٨٥ الجزء الأول - مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٧ .
- مياه النيل ، ندوة العلاقات المصرية السودانية ، مركز البحوث السياسية كلية الإقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٩٠ .
- مجلس التعاون لدول الخليج العربى ، مقوماته ، إنجازاته ، معوقاته ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، الكويت ع ٧٠ ، ١٩٩٣ .
- جغرافية مصر السياسية ، فى كتاب جغرافية مصر ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٤ .
- محمد محمود الديب : الجغرافية السياسية منظور معاصر ، القاهرة ١٩٨٩ .

The Most Recent References in Political Geography

- 1- Alapura, R. and Others , (eds.) , *Small States in Comparative Perspective* , Oslo 1985 .
- 2- BLJI , H.J. , *Human Geography Culture , Society and Space* , Wiley , 1996 .
- 3- Beckinsale, R. , *Rivers as Political Boundaries* , in water , Earth and man , London, 1969 .
- 4- Birch, A. H. , *Nationalism and National Integration* , New York , Routledge 1989 .
- 5- Brownlie , Ian , *African Boundaries , Alegal and Diplomatic Encyclopedia* , Land on , Hurst Berkley , Univ. California press 1979 .
- 6- Cervenka Zdenek ,(ed) *land locked Countries of Africa* Upsala , 1973 .
- 7- Cutler , Tony and Others , 1992 - *The Struggle for Europe , A Critical Evoluotion of the Eurapean Community* , New York st. Martin 1989 .
- 8- Dawson , A. H. , *The Geography of European Integration : A common European Home ?* (New York, Belhaven 1993) .
- 9- Dink , N. , Karalnycky , A. , *New Nations Rising : The Yall of the Soviets and the Challenges of Indpendence* (New York , Wiley 1993) .
- 10- Glassner , M. I. , *Political Geography* , Wiley , 1996 .
- 11- Gray , C. , *The Geopolitics of Superpower* , Lexington, Univ. Press Kentucky 1987 .
- 12- Goodman , L. , *Small Nations and Giant Firms* , New York , Holmes , 1987.
- 13- Gottman J., *A Geography of Europe* , Holt, Renehart 1969.
- 14- Gottman , J., (ed) *Centre and Preiphery*, Beverly Hills, Sage , 1980 .
- 15- Forbes, D., *The Geography of Underdevelopment* , London, Thon Hopkins Univ. press, 1984 .
- 16- Hancock , M. D. , *German Unification, Process and Outcomes* (Boulder , Colo : West View Press 1993) .

- 17- Hoffman, G. , *Europe in 1990's : A Geographic Analysis* , Wiley 1986 .
- 18- Jhonston, R, Gardiner, V. eds *The Changing Geography of the U.K* , Routledge. 1991 .
- 19- Lamb, A., *The China - India Border*, London, Chatham House , 1964 .
- 20- Marsh, W., M., Grossa , J. *Environmental Geography*, Wilcy 1996 .
- 21- Magas, B., *The destruction of Yugoslavia* , Verso, London 1993 .
- 22- Nahyalo, B., Swofoda, V., *Soviet Disunion : A History of Nationality Problem in The USSR*. New York , Free Press 1990 .
- 23- Njiman, J. , *The Geopolitic of Power and Conflict : Superpowers in the International System 1945 - 1992* (London: Belhaven 1993) .
- 24- Pinder, A, *Westein Europe , Challange and Change* , Guilford , New York 1991 .
- 25- Prescott, J. R., *Political Frontiers and Boundaries* , Allen, Unwin, London , 1987 .
- 26- Kaikobad , Kaiyan Homi , *The Shaft- al-Arab Boundary Question* ; Oxford 1988 .
- 27- Knox , P.I. , *The United States , A Contemporary Human Geography* , Willy 1990 .
- 28- Seoudi , M. A., *The October 6th war and the African Economy* , African Studies Review , vol. 4. 1975, pp. 1-20 .
- 29- La Langue et son Role Pour Consolider L'Union Africane , Ball, Soc. Geogr. d'Eygpte, T. 67 1994, pp 133-167 .
- 30- Taylor , P. *Political Geography : World Economy, Nation State and Locality* , Wiley 1994 .
- 31- Widstrand C.G,ed, *African Boundary Problems* Upsala, 1969.
- 32- William, C.H., *The Political Geography of the New World Order*, New York Halsted p.1993.
- 33- Witherik, M., Carr, M. ,? *The Changing Face of Japan* , Hodder 1993 .

" لن يكون هناك ادعاء بتسوية صالحة في المستقبل للشؤون البشرية ،
إلا إذا اعتمدت على المعرفة الذكية ، والفهم الصحيح للظروف الطبيعية
للعالم الذى نعيش فيه ... ويقوم الجغرافى السياسى بكشف الغطاء
وإزاحة الستار عن المعلومات الخاصة بظروف العالم الطبيعية التى
تؤثر فى حياة الإنسان . "

والتر ليبمان

New Herald Tribune, June 21, 1961



" فالجغرافية السياسية بربطها المشكلات الدولية بمسرحها المحلى
والمكانى ، تستطيع أن تسهم مساهمة فعالة فى تفهم هذه المشكلات ،
فكثير من المشكلات لا زالت ضخامتها تتناسب تناسباً عكسياً مع إدراك
الناس لأساسها الجغرافى . "

ولدرج ، وايست

The Spirit and Purpose of Geography, London, 1963

ISBN 977-05-1557-4



مكتبة الأنجلو المصرية

THE ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP



The World of Words & Thoughts

www.anglo-egyptian.com